تفسير البغوي

«معالم التنزيل»

للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي

(المتوفى - ٥١٦هـ)

المجلد الخامس

حققه وخرج أحاديثه

محمد عبد الله النمر عثمان جمعة ضميرية سليمان مسلم الحرش

دار طيبة للنشر والتوزيع

الرياض — شارع عسير — ص. ب : ٧٦١٢

تليفون : ٤٣٥٩٧٤٠ / ٤٣٥٤٩٣٧

حقوق الطبع محفوظة
١٤١١هـ

تفسير البغوي

«معالم التنزيل»

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ النَّحْلِ

سورة النحل

مكية، [مائة وثمان وعشرون آية][1] إلا قوله تعالى : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عُوقبتم به ﴾، إلى آخر السورة[2] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١ ﴾

﴿أتى﴾ أي: جاء ودَنَا وقَرُبَ، ﴿أمرُ الله﴾، قال ابن عرفة: تقول العرب: أتاك الأمر وهو متوقع بعد، أي: أتى أمر الله وعداً فلا تستعجلوه وقوعاً .

﴿أمر الله﴾ قال الكلبي وغيره: المراد منه القيامة .

قال ابن عباس: لما نزل قوله تعالى: «اقتربت الساعة» (القمر ــ ١) قال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسِكُوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ما هو كائن، فلما لم ينزل شي [قالوا: ما نرى شيئاً فنزل قوله: «اقترب للناس حسابهم» (الأنبياء ــ ١)، فأشفقوا، فلما امتدَّتِ الأيام قالوا: يامحمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به][1] فأنزل الله تعالى: ﴿أتى أمر الله﴾ فوثب

---

(١) ما بين القوسين ساقط من « أ » .

(٢) روى مجاهد، وعطية، وابن أبي طلحة عن ابن عباس: أنها مكية كلها، وهو مروي عن الحسن وعكرمة وعطاء .
وقال ابن عباس في رواية: مكية إلا «وإن عاقبتم...» الآية (١٢٦) فنزلت بعد قتل حمزة. وقال في رواية أخرى: هي مكية إلا ثلاث آيات نزلن بالمدينة، وهي قوله تعالى: «ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً» إلى قوله «يعملون» (الآيات ٩٥-٩٧) .
وقال الشعبي: مكية إلا: «وإن عاقبتم» إلى آخر الآيات (١٢٦-١٢٨) .
وقال قتادة: مكية إلا خمس آيات .
وقال مقاتل: مكية إلا سبع آيات .
وقال جابر بن زيد: أنزل من أول النحل أربعون آية بمكة، وبقيتها بالمدينة .
وعن علي بن زيد قال: كان يقال لسورة النحل: سورة النِّعم، لكثرة تعداد النعم فيها .
انظر: زاد المسير: ٤/٤٢٥-٤٢٦، الدر المنثور: ٥/١٠٧ .

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ۝٢﴾

النبي ﷺ، ورفع الناس رؤوسهم وظنوا أنها قد أتت حقيقة فنزلت ﴿فلا تستعجلوه﴾ فاطمأنوا[1] .

والاستعجال: طلب الشيء قبل حينه .

ولما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «بعثتُ أنا والساعة كهاتين، وأشار بأصبعيه، وإن كادت لتسبقني»[2] .

قال ابن عباس: كان بعث النبي ﷺ من أشراط الساعة ولما مرّ جبريل عليه السلام بأهل السموات مبعوثاً إلى محمد ﷺ قالوا: الله أكبر قامت الساعة .

وقال قوم: المراد بالأمر هاهنا: عقوبة المكذبين والعذاب بالسيف، وذلك أن النضر بن الحارث قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، فاستعجل العذاب، فنزلت هذه الآية[3]. وقتل النضر يوم بدر صبراً .

﴿سبحانه وتعالى عمّا يشركون﴾، معناه تعاظم بالأوصاف الحميدة عمّا يصفه به المشركون .

﴿ينزّل الملائكة﴾، قرأ العامة بضم الياء وكسر الزاي، ﴿والملائكة﴾ نصب. وقرأ يعقوب بالتاء وفتحها وفتح الزاي و﴿والملائكة﴾ رفع، ﴿ينزّل الملائكة بالروح﴾ بالوحي، سماه روحاً لأنه يُحيي به القلوب والحق .

قال عطاء: بالنبوة .

وقال قتادة: بالرحمة .

قال أبو عبيدة: «بالروح» يعني مع الروح، وهو جبريل. ﴿من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا﴾، أعلِموا: ﴿أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ .

وقيل: معناه مروهم بقول «لا إله إلا الله» منذرين مخوِّفين بالقرآن إن لم يقولوا .

---

(١) أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ص (٣٢١) بدون إسناد، وبمعناه أخرجه الطبري: ٧٥/١٤، وانظر: الدر المنثور: ١٠٨/٥، القرطبي: ٦٦/١٠ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند»: ٥٠/٢، قال ابن حجر في «الفتح»: ٣٤٨/١١: «أخرجه أحمد والطبري وسنده حسن» . وأصل الحديث في البخاري، كتاب الرقاق: ٣٤٧/١١، وفي مسلم في كتاب الفتن: ٢٢٦٨/٤ . وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٩٨/١٥ .

(٣) أسباب النزول للواحدي ص (٣٢١) .

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ
مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ
وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ
تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ
إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾

وقوله: «فاتقون» أي: فخافون .

﴿**خلق السمواتِ والأرضَ بالحق تعالى عمّا يشركون**﴾، أي: ارتفع عما يشركون .

﴿**خلق الإنسان من نطفةٍ فإذا هو خصيم**﴾، جَدِلٌ بالباطل، ﴿**مبين**﴾ .

نزلت في أبيّ بن خلف الجمحي، وكان ينكر البعث جاء بعظم رميم فقال: أتقول إن الله تعالى يحيي هذا بعد ما قد رمَّ ؟ كما قال جل ذكره «وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه» (يسٓ ـ ٧٧)، نزلت فيه أيضاً[١] .

والصحيح أن الآية عامة، وفيها بيان القدرة وكشف قبيح ما فعلوه، من جحد نعم الله مع ظهورها عليهم[٢] .

قوله تعالى: ﴿**والأنعام خلقها**﴾، يعني الإبل والبقر والغنم، ﴿**لكم فيها دِفْءٌ**﴾ يعني: من أوبارها وأشعارها وأصوافها ملابس ولُحفاً تستدفئون بها، ﴿**ومنافعُ**﴾، بالنسل والدر والركوب والحمل وغيرها، ﴿**ومنها تأكلون**﴾، يعني لحومها .

﴿**ولكم فيها جَمالٌ**﴾، زينة، ﴿**حين تُريحون**﴾، أي: حين تردونها بالعشي من مراعيها إلى مباركها التي تأوى إليها، ﴿**وحين تَسْرحُون**﴾، أي: تخرجونها بالغداة من مراحها إلى مسارحها، وقدم الرواح لأن المنافع تؤخذ منها بعد الرواح، ومالكها يكون أعجب بها إذا راحت .

﴿**وتحمل أثقالكم**﴾، أحمالكم، ﴿**إلى بلدٍ**﴾، آخر غير بلدكم. قال عكرمة: البلد مكة، ﴿**لم تكونوا بالغيه إلاّ بشِقِّ الأنفس**﴾، أي: بالمشقة والجهد. والشق: النصف أيضاً أي: لم تكونوا بالغيه

(١) أسباب النزول للواحدي ص (٣٢٢)، القرطبي: ٦٧/١٠، زاد المسير: ٤٢٨/٤ .

(٢) وهذا ما رجحه الطبري حيث قال: «عنى بالإنسان: جميع الناس، أخرج بلفظ الواحد، وهو في معنى الجميع»، وإليه مال ابن عطية في تفسيره. ويدخل سبب النزول المذكور في معنى الآية وتبقى هي أعمَّ .
انظر: الطبري: ٧٨/١٤، المحرر الوجيز: ٣٧٠/٨ .

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾

إلا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها .

وقرأ أبو جعفر ﴿بشَقِّ﴾ بفتح الشين، وهما لغتان، مثل: رَطْل ورِطْل .

﴿إنّ ربكم لرؤوف رحيم﴾، بخلقه حيث جعل لهم هذه المنافع .

﴿والخيلَ﴾، يعني: وخلق الخيل، وهي اسم جنس لا واحد له من لفظه كالإبل والنساء، ﴿والبغالَ والحميرَ لتركبوها وزينة﴾، يعني وجعلها زينة لكم مع المنافع التي فيها .

واحتج بهذه الآية من حرَّم لحوم الخيل، وهو قول ابن عباس، وتلا هذه الآية، فقال: هذه للركوب [وإليه ذهب](١) الحَكَمُ، ومالك، وأبو حنيفة .

وذهب جماعة إلى إباحة لحوم الخيل، وهو قول الحسن، وشريح، وعطاء، وسعيد بن جبير، وبه قال الشافعي، وأحمد، وإسحاق(٢) .

ومن أباحها قال: ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منه تعريف الله عباده نعمه وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته، واحتجوا بما:

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد عن عمرو ـ هو ابن دينار ـ عن محمد بن علي، عن جابر رضي الله عنه قال: «نهى النبي ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر ورخَّص في لحوم الخيل»(٣) .

أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التيمي، أخبرنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي، أخبرنا أبو أحمد عبدالله بن عدي الحافظ، حدثنا الحسن بن الفرج، حدثنا عمرو بن خالد، حدثنا عبدالله ابن عبدالكريم، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر: أنهم كانوا يأكلون لحوم الخيل على عهد رسول الله ﷺ(٤) .

---

(١) في «ب»: وهو قول .

(٢) انظر بالتفصيل: أحكام القرآن للجصاص: ٥/٢ـ٤، أحكام القرآن لابن العربي: ٣/١١٤٤ـ١١٤٧، أحكام القرآن للهراس الطبري: ٤/١٧٠، تفسير القرطبي: ١٠/٧٦ـ٧٩ .

(٣) أخرجه البخاري في الصيد والذبائح، باب لحوم الخيل: ٩/٦٤٨، ومسلم في الصيد والذبائح، باب في أكل لحوم الخيل، برقم (١٩٤١): ٣/١٥٤١. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١١/٢٥٤ .

(٤) أخرجه أبو داود في الأطعمة، باب في أكل لحوم الخيل: ٥/٣٠٨، والترمذي في الأطعمة، باب ما جاء في لحوم الخيل: ٥/٥٠٥، والنسائي في الصيد والذبائح، باب الإذن في أكل لحوم الخيل: ٧/٢٠٢، وابن ماجه في الذبائح، باب لحوم البغال، برقم (٣١٩١): ٢/١٠٦٤، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ٢/٣٢٢، والحاكم في المستدرك: ٤/٢٣٥، والإمام أحمد في المسند: ٣/٣٥٦. والمصنف في شرح السنة: ١١/٢٥٦ .

وأصل الحديث في الصحيحين، وانظر: نصب الراية: ٤/١٩٧، تلخيص الحبير: ٤/١٥٠ .

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾﴾

ونهى عن لحوم البغال والحمير؛ روي عن المقدام بن معدي كرب عن خالد بن الوليد أن رسول الله ﷺ نهى عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير[1] وإسناده ضعيف.

﴿ويخلق مالا تعلمون﴾، قيل: يعني ما أعدَّ الله في الجنة لأهلها، وفي النار لأهلها، مما لم تره عين ولم تسمعه أذن ولا خطر على قلب بشر.

وقال قتادة يعني: السوس في النبات والدود في الفواكه.

قوله تعالى: ﴿وعلى اللهِ قصدُ السبيل﴾ يعني: بيان طريق الهدى من الضلالة. وقيل: بيان الحق بالآيات والبراهين / والقصد: الصراط المستقيم. ١٩٩/ أ

﴿ومنها جائر﴾ يعني: ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوجٌّ، فالقصد من السبيل: دين الإسلام، والجائر منها: اليهودية، والنصرانية، وسائر مِلَلِ الكفر.

قال جابر بن عبدالله: «قصد السبيل»: بيان الشرائع والفرائض.

وقال عبدالله بن المبارك، وسهل بن عبدالله: «قصد السبيل» السنة، «ومنها جائر» الأهواء والبدع، دليله قوله تعالى: «وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل» (الأنعام ـ ١٥٣).

﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾، نظيره قوله تعالى: «ولو شئنا لآتينا كلَّ نفسٍ هُداها» (السجدة ـ ١٣).

قوله عزّ وجلّ: ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب﴾، تشربونه، ﴿ومنه شجر﴾، أي: من ذلك الماء شرب أشجاركم، وحياة نباتكم، ﴿وفيه﴾ يعني: في الشجر، ﴿تُسِيمُون﴾، ترعون مواشيكم.

---

(١) أخرجه أبو داود في الأطعمة، باب في أكل لحوم الخيل: ٥/٣٠٨، وقال: «وهذا منسوخ، وقد أكل الخيل جماعة من أصحاب النبي ﷺ: ابن الزبير، وفضالة بن عُبيد، وأنس بن مالك، وأسماء بنت أبي بكر، وسويد بن غَفَلَة، رضي الله عنهم، وكانت قريش في عهد النبي ﷺ تذبحها». قال المنذري: والحديث ضعيف، وانظر أيضاً: ٥/٣١٦-٣١٧، كما ضعفه المصنف كما تراه.
وأخرجه أيضاً: النسائي في الصيد والذبائح، باب تحريم أكل لحوم الخيل: ٧/٢٠٢، وابن ماجه في الموضع السابق: ٢/١٠٦٦، والدارقطني في الصيد والذبائح: ٤/٢٨٧، والإمام أحمد في المسند.
ونقل السندي في تعليقه على النسائي اتفاق العلماء على تضعيف الحديث، وقال بعضهم إنه منسوخ.
وانظر: تلخيص الحبير: ٤/١٥٠-١٥١، نصب الراية: ٤/١٩٦.

يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ
وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ
﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ
يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا
وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ
مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾

﴿**يُنبتُ لكم به**﴾ أي: يُنبِتُ الله لكم به، يعني بالماء الذي أنزل، وقرأ أبو بكر عن عاصم ﴿**نُنبت**﴾ بالنون. ﴿**الزرْعَ والزيتونَ والنخيلَ والأعنابَ ومن كل الثمرات إنّ في ذلك لآيةً لقومٍ يتفكرون**﴾ .

﴿**وسخر لكم**﴾، [ذلّل لكم][(١)]، ﴿**الليلَ والنهارَ والشمسَ والقمرَ والنجومَ مسخراتٍ**﴾، مذللات، ﴿**بأمره**﴾ أي: بإذنه، وقرأ حفص[(٢)] ﴿**والنجومُ مسخراتٌ**﴾ بالرفع على الابتداء. ﴿**إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون**﴾ .

﴿**وما ذرأ**﴾، خلق، ﴿**لكم**﴾، لأجلكم، أي: وسخر ما خلق لأجلكم، ﴿**في الأرض**﴾، من الدواب والأشجار والثمار وغيرها، ﴿**مختلفاً**﴾، نصب على الحال، ﴿**ألوانه**﴾ .

﴿**إنّ في ذلك لآية لقوم يذكرون**﴾، يعتبرون .

﴿**وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً**﴾ يعني: السمك، ﴿**وتستخرجوا منه حِلْيَةً تلْبسونها**﴾ يعني: اللؤلؤ والمرجان، ﴿**وترى الفُلْكَ مواخر فيه**﴾، جواري .

قال قتادة: مقبلة ومدبرة، وهو أنك ترى سفينتين إحداهما تقبل والأخرى تدبر، تجريان بريح واحدة .

وقال الحسن: «مواخر» أي: مملوءة .

---

(١) ساقط من «ب» .

(٢) في «ب»: جعفر .

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ١٦﴾

وقال الفراء والأخفش: شواقّ تشق الماء بجناحيها .

قال مجاهد: تمخر السفن الرياح .

وأصل المخر: الرفع والشق، وفي الحديث: «إذا أراد أحدكم البول فليستمخر الريح»(١) أي: لينظر من أين مجراها وهبوبها، فليستدبرها حتى لا يردّ عليه البول .

وقال أبو عبيدة: صوائخ، والمَخْر: صوتُ هبوب الريح عند شدتها .

﴿ولتبتغوا من فضله﴾ يعني: التجارة، ﴿ولعلكم تشكرون﴾، إذا رأيتم صنع الله فيما سخر لكم .

﴿وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم﴾ أي: [لئلا تميد بكم](٢) أي: تتحرك وتميل .

والمَيْد: هو الاضطراب والتكفؤ، ومنه قيل للدوار الذي يعتري راكب البحر: مَيَدٌ .

قال وهب: لما خلق الله الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة: إن هذه غير مقرّة أحداً على ظهرها فأصبحت وقد أُرسيت بالجبال فلم تَدْرِ الملائكة ممَّ خلقت الجبال .

﴿وأنهاراً وسُبلاً﴾ أي: وجعل فيها أنهاراً وطرقاً مختلفة، ﴿لعلّكم تهتدون﴾، إلى ما تريدون فلا تضلون .

﴿وعلامات﴾، يعني: معالم الطرق. قال بعضهم: هاهنا تم الكلام ثم ابتدأ، ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ .

قال محمد بن كعب، والكلبي: أراد بالعلامات الجبال، فالجبال علامات النهار، والنجوم علامات الليل .

وقال مجاهد: أراد بالكلِّ النجومَ، منها ما يكون علامات ومنها ما يهتدون به .

قال السدي: أراد بالنجم، الثريا، وبنات نعش، والفرقدين، والجَدْي، يهتدى بها إلى الطرق والقبلة .

---

(١) أخرجه ابن حبان في المجروحين: (١٠٨/٣) بلفظ: «إذا أراد أحدكم الخلاء فلا يستدبر الريح» وذكره الزمخشري في الفائق: (٣٥٠/٣) عن سراقة بن مالك قال لقومه: إذا أتى أحدكم الغائط فليكرم قبلة الله.. واستمخروا الريح»، وذكره ابن الأثير في النهاية: (٣٠٥/٤) بنحوه، وأشار الزيلعي إليه في نصب الراية: (١٠٣/٢ وعزاه للطبري في «تهذيب الآثار»، وروى الدارقطني في السنن: ٥٧/١ بلفظ «.. ولا يستقبل الريح» وقال: لم يروه غير مبشر بن عبيد، وهو متروك الحديث .
قال ابن الأثير: والمَخْر في الأصل: الشقّ، يقال: مخرت السفينة الماء: إذا شقَّتْهُ بصدرها وجرت .
واستمخروا الريح أي: اجعلوا ظهوركم إلى الريح عند البول؛ لأنه إذا ولاها ظهره أخذت عن يمينه ويساره، فكأنه قد شقَّها .

(٢) زيادة من «ب» .

أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ
إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ
وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ
قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾

وقال قتادة: إنما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء: لتكون زينة للسماء، ومعالم للطرق، ورجوماً للشياطين، فمن قال غير هذا فقد تكلّف مالا علم له به[1].

﴿أفمن يَخْلُقُ﴾، يعني: الله تعالى، **﴿كمنْ لا يَخْلُقُ﴾**، يعني: الأصنام، **﴿أفلا تذكَّرون﴾**.

﴿وإن تعدوا نعمةَ الله لا تُحصوها إنّ الله لغفورٌ﴾ لتقصيركم في شكر نعمه، **﴿رحيمٌ﴾** بكم حيث وسّع عليكم النِّعم، ولم يقطعها عنكم بالتقصير والمعاصي.

﴿والله يعلم ما تُسِرُّون وما تعلنون﴾.

﴿والذين تدعون من دون الله﴾ يعني: الأصنام، وقرأ عاصم ويعقوب **﴿يدعون﴾** بالياء. **﴿لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون﴾**.

﴿أموات﴾ أي: الأصنام **﴿غير أحياء وما يشعرون﴾**، يعني: الأصنام **﴿أيّان﴾** متى[2] **﴿يُبعثون﴾**، والقرآن يدل على أن الأصنام تُبعث وتُجعل فيها الحياةِ فتتبرأ من عابديها.

وقيل: ما يدري الكفار عبدة الأصنام متى يبعثون.

قوله تعالى: **﴿إلهكم إلهٌ واحدٌ فالذين لا يؤمنونَ بالآخرةِ قلوبُهم مُنْكِرَةٌ﴾**، جاحدة، **﴿وهم مستكبرون﴾**، متعظّمون.

---

(١) أخرجه البخاري تعليقاً في بدء الخلق، باب في النجوم: ٦/٢٩٥، ووصله الطبري في التفسير: ١٤/٩١-٩٢، وأخرجه عبدالرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، وزاد في آخره: «وإن ناساً جهلة بأمر الله، قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة: مَنْ غرس بنجم كذا كان كذا، ومن سافر بنجم كذا كان كذا، ولعمري ما من النجوم نجم إلا ويولد به الطويل والقصير، والأحمر والأبيض، والحسن والدميم. وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر شيء من الغيب».
انظر: فتح الباري: ٦/٢٩٥، تفسير ابن كثير: ٤/٣٩٧.
وراجع حكم التنجيم وتفصيل القول فيه: تفسير القرطبي: ١١/١، ١٩/٢٨-٢٩، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٣٦٥-٣٧٠، عالم الغيب والشهادة تأليف عثمان جمعة ضميريه ص (١٢٨-١٣١).

(٢) ساقط من «ب».

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿لا جَرَمَ﴾، حقاً **﴿أنّ الله يعلم ما يُسِرُّون وما يعلنون إنّه لا يحب المستكبرين﴾** .

أخبرنا أبو سعيد بكر بن محمد بن محمي البسطامي، أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن ابن إبراهيم بن سختويْه، أخبرنا أبو الفضل سفيان بن محمد الجوهري، حدثنا علي بن الحسن بن أبي عيسى الهلالي، حدثنا يحيى بن حماد، حدثنا شعبة، عن أبان بن تغلب، عن فضيل الفقيمي، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة بن قيس، عن عبدالله عن النبي ﷺ قال: «لا يدخلُ الجنةَ من في قلبه مثقالُ ذرة من كِبْرٍ، ولا يدخلُ النار من في قلبه مثقالُ ذرة من إيمان»، فقال رجل: يارسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً؟ قال: «إنّ الله جميلٌ يحبُّ الجَمال، الكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ النّاس»[(١)] .

﴿وإذا قيل لهم﴾، يعني: هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة، وهم مشركو مكة الذين اقتسموا عِقَابها[(٢)]، إذا سأل الحاج: **﴿ماذا أنزل ربكم؟ قالوا أساطير الأولين﴾**، أحاديثهم وأباطيلهم .

﴿ليحملوا أوزارَهم﴾، ذنوب أنفسهم، **﴿كاملةً﴾**، وإنما ذكر الكمال لأن البلايا التي تلحقهم في الدنيا وما يفعلون من الحسنات لا تكفِّر عنهم شيئاً، **﴿يوم القيامة ومن أوزار الذين يُضِلُّونهم بغير علم﴾**، بغير حجة فيصدُّونهم عن الإيمان، **﴿ألا ساءَ ما يَزِرُون﴾**، يحملون .

أنبأنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أخبرنا عبدالله بن عمر الجوهري، أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني، حدثنا علي بن حجر، حدثنا إسماعيل ابن جعفر، عن العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هُدىً كان له من الأجر مثلُ أجورِ من تَبِعَه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلكَ من آثامهم شيئاً»[(٣)] .

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب تحريم الكِبْر وبيانه، برقم (٩١): ٩٣/١، والمصنف في شرح السنة: ١٦٥/١٣ .

(٢) جمع عقبة، وانظر فيما سبق، سورة الحجر، الآية (٩) : ص ٣٦٩ .

(٣) أخرجه مسلم في العلم، باب من سنَّ سنة حسنة أو سيئة، برقم (٢٦٧٤): ٢٠٦٠/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٣٢/١ .

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿**قد مكر الذين من قبلهم**﴾، وهو نمرود بن كنعان، بنى الصرح ببابل ليصعد إلى السماء .

قال ابن عباس ووهب: كان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع .

وقال كعب ومقاتل: كان طوله فرسخين، فهبَّتْ ريح[1] وألقت رأسه في البحر، وخرّ عليهم الباقي وهم تحته، ولما سقط الصرح تبلبلت ألسن الناس من الفزع يومئذ فتكلموا بثلاثة وسبعين لساناً فلذلك سميت بابل، وكان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية[2]، فذلك قوله تعالى:

١٩٩/ب ﴿**فأتى الله بنيانهم من القواعد**﴾ أي: قصد تخريب بنيانهم / من أصولها، ﴿**فخرَّ عليهم السَّقْفُ**﴾ يعني أعلى البيوت ﴿**من فوقهم، وأتاهم العذابُ من حيثُ لا يشعرون**﴾، من مأمنهم .

﴿**ثم يَوْمَ القيامةِ يُخزيهم**﴾، يهينهم بالعذاب. ﴿**ويقول أين شركائِيَ الذين كنتم تشاقُّون فيهم**﴾، تخالفون المؤمنين فيهم، مالهم لا يحضرونكم فيدفعون عنكم العذاب؟

وكسر نافع النون من «تشاقون» على الإضافة، والآخرون بفتحها .

﴿**قال الذين أُوتُوا العلم**﴾، [وهم المؤمنون][3]، ﴿**إنّ الخزيَ**﴾ الهوان، ﴿**اليومَ والسُّوءَ**﴾، أي: العذاب، ﴿**على الكافرين**﴾ .

﴿**الذين تتوفاهم الملائكة**﴾، يقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه، قرأ حمزة ﴿**يتوفاهم**﴾ بالياء وكذا ما بعده، ﴿**ظالمي أنْفسِهم**﴾، بالكفر، ونصب على الحال أي: في حال كفرهم، ﴿**فألْقَوُا**

---

(١) ساقط من « أ » .

(٢) ليس في هذه التفصيلات عن الصرح وطوله... وتبلبل الألسنة... إلخ نصٌّ ثابت عن المعصوم، ﷺ، يصار إليه، وهذا وأمثاله متلقى من الاسرائيليات، والله أعلم .

(٣) ساقط من « أ » .

فَادْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ
لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ
ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾

﴿السَّلَمَ﴾ أي: استسلموا وانقادوا وقالوا: **﴿ما كنّا نعمل من سوء﴾**، شرك، فقال لهم الملائكة: **﴿بلى إنّ الله عليم بما كنتم تعملون﴾**. قال عكرمة: عنى بذلك من قتل من الكفار ببدر .

﴿فادْخُلوا﴾ أي: قال لهم ادخلوا **﴿أبوابَ جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين﴾**، عن الإيمان .

﴿وقيل للذين اتقوا﴾ وذلك أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي ﷺ فإذا جاء سأل الذين قعدوا على الطرق عنه، فيقولون: ساحر، كاهن، شاعر، كذاب، مجنون، ولو لم تلقه خيرٌ لك، فيقول السائل: أنا شر وافدٍ إن رجعت إلى قومي دون أن أدخل مكة فألقاه، فيدخل مكة فيرى أصحاب النبي ﷺ فيخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث. فذلك قوله :

﴿وقيل للذين اتَّقَوا ماذا أنزلَ ربُّكم؟ قالوا خيراً﴾ يعني: أنزل خيراً[(١)] .

ثم ابتدأ فقال: **﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة﴾**، كرامة من الله .

قال ابن عباس: هي تضعيف الأجر إلى العشر .

وقال الضحاك: هي النصر والفتح .

وقال مجاهد: هي الرزق الحسن .

﴿ولَدارُ الآخرة﴾، أي ولَدارُ الحال الآخرة، **﴿خيرٌ ولنعم دارُ المتقين﴾**، قال الحسن: هي الدنيا؛ لأن أهل التقوى يتزودون فيها للآخرة. وقال أكثر المفسرين: هي الجنة، ثم فسرها فقال :

﴿جناتُ عدنٍ يدخلونها تجري من تحتها الأنهارُ لهم فيها ما يشاؤونَ كذلكَ يَجْزِي الله المتقين﴾ .

﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾، مؤمنين طاهرين من الشرك .

قال مجاهد: زاكية أفعالهم وأقوالهم .

---

(١) انظر: زاد المسير: ٤/٤٤٢-٤٤٣ .

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ
سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن
دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ
فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾

وقيل: معناه: إن وفاتهم تقع طيبة سهلة. ﴿**يقولون**﴾ يعني: الملائكة لهم، ﴿**سلام عليكم**﴾، وقيل: يبلغونهم سلام الله، ﴿**ادخُلوا الجنّةَ بما كنتم تعملون**﴾ .

قوله عزّ وجلّ : ﴿**هلْ ينظرون إلا أنْ تأتيَهُمُ الملائكة**﴾، لقبض أرواحهم، ﴿**أو يأتي أمرُ ربِّك**﴾، يعني: يوم القيامة، وقيل: العذاب. ﴿**كذلك فَعَلَ الذين من قبلِهم**﴾، أي: كفروا، ﴿**وما ظلَمَهم الله**﴾ بتعذيبه إيّاهم، ﴿**ولكن كانوا أنفسَهم يَظْلِمون**﴾ .

﴿**فأصابهم سيئاتُ ما عملوا**﴾، عقوبات كفرهم وأعمالهم الخبيثة، ﴿**وحاقَ بهم**﴾، [نزل بهم][1]، ﴿**ما كانوا به يستهزؤون**﴾ .

﴿**وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيءٍ نحن ولا آباؤنا ولا حرَّمْنَا من دونه من شيء**﴾، يعني: البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، فلولا أن الله رضيها لغيَّر ذلك وهدانا إلى غيرها، ﴿**كذلك فَعَلَ الذين من قَبلِهم فهل على الرُّسُلِ إلا البلاغُ المبينُ**﴾، أي: ليس إليهم الهداية إنما إليهم التبليغ .

﴿**ولقد بعثنا في كلِّ أمةٍ رسولاً**﴾ أي: كما بعثنا فيكم، ﴿**أنِ اعبدُوا الله واجتنبوا الطاغوتَ**﴾، وهو كلُّ معبود من دون الله، ﴿**فمنهم من هدى الله**﴾، أي: هداه الله إلى دينه، ﴿**ومنهم من حقَّتْ**

---

(١) ساقط من «ب» .

إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾
وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ
لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾

عليه الضلالة﴾ أي: وجبت بالقضاء السابق حتى مات على كفره، **﴿فسيروا في الأرض فانظُروا كيفَ كان عاقبة المكذِّبين﴾**، أي: مآل أمرهم، وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك.

﴿إنّ تَحْرِصْ على هُداهم﴾، يامحمد، **﴿فإن الله لا يهدي من يُضِلُّ﴾**، قرأ أهل الكوفة **﴿يَهْدِي﴾** بفتح الياء وكسر الدال أي: لا يهدي الله من أضلَّه. وقيل: معناه لا يهتدي من أضله الله.

وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الدال يعني من أضله الله فلا هادي له كما قال: «ومن يُضْلِلِ الله فلا هادِيَ له» (الأعراف ـ ١٨٦).

﴿وما لهم من ناصرين﴾ أي: مانعين من العذاب.

قوله تعالى: **﴿وأقسموا بالله جَهْدَ أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾**، وهم منكرُو البعث، قال الله تعالى رَدّاً عليهم: **﴿بلى وَعْداً عليه حقاً ولكنّ أكثرَ الناسِ لا يعلمون﴾**.

﴿ليبيِّنَ لهمُ الذي يختلفون فيه﴾ أي: ليظهر لهم الحق فيما يختلفون فيه **﴿ولِيَعْلَمَ الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾**.

﴿إنّما قولُنا لشيء إذا أردناه أن نقولَ له كنْ فيكون﴾، يقول الله تعالى: إذا أردنا أن نبعث الموتى فلا تَعَبَ علينا في إحيائهم، ولا في شيء مما يحدث، إنما نقول له: كن، فيكون.

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، حدثنا أحمد بن يوسف السلمي، حدثنا عبدالرزاق، أنبأنا معمر، عن همام بن منبه، حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: كذَّبَني عَبْدِي، ولم يكن ذلك له، وشتَمَني عبدي ولم يكن ذلك له، فأمّا تكذيبُه إيّايَ، أن يقول: لن يعيدَنا كما بدأنا، وأما شتمُه إيّايَ، أن يقول: اتخذ الله ولداً، وأنا الصَّمَدُ، لم ألِدْ، ولم يكن لي كفواً أحد»[1].

(١) أخرجه البخاري في التفسير، سورة البقرة، باب «وقالوا: اتخذا الله ولداً سبحانه» ١٦٨/٨.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿والذين هاجروا في الله من بعدما ظُلِمُوا﴾، عذبوا وأوذوا في الله.

نزلت في بلال، وصُهيب، وخبَّاب، وعمّار، وعابس، وجبر، وأبي جندل بن سهيل، أخذهم المشركون بمكة فعذَّبوهم[(١)].

وقال قتادة: هم أصحاب النبي ﷺ، ظلمهم أهل مكة، وأخرجوهم من ديارهم حتى لحق طائفة منهم بالحبشة، ثم بوأهم الله المدينةَ بعد ذلك فجعلها لهم دارَ هجرة، وجعل لهم أنصاراً من المؤمنين[(٢)].

﴿لنبوئنّهم في الدنيا حسنة﴾، وهو أنه أنزلهم المدينة.

روي عن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى الرجل [من المهاجرين][(٣)] عطاء يقول: خُذْ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك الله في الدنيا، وما ادَّخَرَ لك في الآخرة أفضل، ثم تلا هذه الآية[(٤)].

وقيل: معناه لنحسننّ إليهم في الدنيا.

وقيل: الحسنة في الدنيا التوفيق والهداية.

﴿ولأجْرُ الآخرةِ أكْبَرُ لو كانوا يعلمون﴾. وقوله: «لو كانوا يعلمون»، ينصرف إلى المشركين لأن المؤمنين كانوا يعلمونه.

﴿الذين صبروا﴾، في الله على ما نابهم[(٥)]، ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾.

﴿وما أرسلنا من قَبْلِكَ إلا رِجَالاً نُوحِي إليهم﴾، نزلت في مشركي مكة حيث أنكروا نبوة محمد ﷺ، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فهلاّ بعث إلينا مَلَكاً[(٦)]؟

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٣٢٢)، زاد المسير: ٤/٤٤٨ وفيه «عايش» بدلاً من «عابس»، ولم أجد لـ «عايش» ترجمة. وقارن بالمحرر الوجيز: ٨/٤٢١.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٥/١٣١، الطبري: ١٤/١٠٧.

(٣) ساقط من «ب».

(٤) انظر: البحر المحيط: ٥/٤٩٣، المحرر الوجيز: ٨/٤٢٢.

(٥) في «ب»: فاتهم.

(٦) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٣٢٣)، الطبري: ١٤/١٠٩، الدر المنثور: ٥/١٣٢-١٣٣.

﴿بِالْبَيِّنَٰتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾

﴿فاسئلوا أهلَ الذكر﴾، يعني مؤمني أهل الكتاب، ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ .

﴿بالبينات والزُّبُرِ﴾، واختلفوا في الجالب للباء في قوله ﴿بالبينات﴾ قيل: هي راجعة إلى قوله: ﴿وما أرسلنا﴾، وإلا بمعنى غير، مجازه: وما أرسلنا من قبلك بالبينات / والزبر غير رجال يُوحى إليهم ولم نبعث ملائكة . ٢٠٠/ أ

وقيل: تأويله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً يوحى إليهم [أرسلناهم][1] بالبينات والزبر .

﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم﴾، أراد بالذكر الوحيَ، وكان النبي ﷺ مبيِّناً للوحي، وبيان الكتاب يطلب من السنة، ﴿ولعلهم يتفكرون﴾ .

﴿أفأمِنَ الذين مَكَرُوا﴾، عملوا ﴿السيئاتِ﴾، من قبل، يعني: نمرودَ بن كنعان وغيره من الكفار، ﴿أن يَخسِفَ اللَّهُ بهِمُ الأرضَ أو يَأْتِيَهُمُ العذابُ من حيثُ لا يشعرون﴾ .

﴿أو يأخذَهم﴾، بالعذاب، ﴿في تقلُّبِهِمْ﴾، تصرُّفهم في الأسفار. وقال ابن عباس: في اختلافهم. وقال ابن جريج: في إقبالهم وإدبارهم، ﴿فما هم بمعجزين﴾، بسابقين الله .

﴿أو يأخذهم على تَخَوُّفٍ﴾، والتخوُّف: التنقُّص، أي: ينقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعدِ الشيء حتى يهلك جميعهم، يقال: تخوَّفه الدهر وتخوَّنه: إذا نقصه وأخذ ماله وحشمه .

ويقال: هذا لغة بني هذيل .

وقال الضحاك والكلبي: من الخوف، أي: يعذب طائفة فيتخوف الآخرون أن يصيبهم مثل ما أصابهم .

﴿فإنّ ربكم لرؤوف رحيم﴾، حين لم يعجل بالعقوبة .

(١) ساقط من «ب» .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿**أَوَ لَمْ يَرَوا إِلى ما خَلَقَ اللَّهُ من شيءٍ**﴾ - قرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب، وكذلك في سورة العنكبوت، والآخرون بالياء، خبراً عن الذين مكروا السيئات - إلى ما خلق الله من شيء من جسم قائم، له ظلٌّ، ﴿**يتفيَّؤا**﴾، قرأ أبو عمرو، ويعقوب بالتاء والآخرون بالياء. ﴿**ظلاله**﴾، أي: تميل وتدور من جانب إلى جانب، فهي في أول النهار على حال، ثم تتقلص، ثم تعود في آخر النهار إلى حال أخرى سجداً لله، فميلانُها ودورانُها: سجودها لله عزّ وجلّ.

ويقال للظل بالعشي: فيءٌ؛ لأنه فاء، أي: رجع من المغرب إلى المشرق، فالفيء الرجوع. والسجود الميل. يقال: سجدت النخلة إذا مالت.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**عن اليمين والشَّمائلِ سُجَّداً لله**﴾، قال قتادة والضحاك: أما اليمين: فأول النهار، والشمال: آخر النهار، تسجد الظلال لله.

وقال الكلبي: الظل قبل طلوع الشمس عن يمينك وعن شمالك وقدامك وخلفك، وكذلك إذا غابت، فإذا طلعت كان من قدامك، وإذا ارتفعت كان عن يمينك، ثم بعده كان خلفك، فإذا كان قبل أن تغرب الشمس كان عن يسارك، فهذا تفيؤه، وتقلُّبه، وهو سجوده.

وقال مجاهد: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله.

وقيل: المراد من الظلال: سجود الأشخاص.

فإن قيل لِمَ وحَّد اليمين وجمع الشمائل؟

قيل: من شأن العرب في اجتماع العلامتين الاكتفاء بواحدة، كقوله تعالى: «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم» (البقرة - ٧)، وقوله: «يخرجهم من الظلمات إلى النور» (البقرة - ٢٥٧).

وقيل: اليمين يرجع إلى قوله: «ما خلق الله». ولفظ «ما» واحدٌ، والشمائل: يرجع إلى المعنى.

﴿**وهم داخِرُون**﴾، صاغرون.

﴿**ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض**﴾، إنما أخبر بما لغلبة مالا يعقل على من يعقل في العدد، والحكم للأغلب كتغليب المذكر على المؤنث، ﴿**من دابة**﴾، أراد من كل حيوان يدب. ويقال: السجود: الطاعة، والأشياء كلها مطيعة لله عزّ وجلّ من حيوانٍ وجماد، قال الله تعالى: «قالتا أتينا طائعين» (فصلت - ١١).

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾﴾

وقيل: سجود الأشياء تذلُّلها وتسخرها لما أُريدت له وسُخّرت له .

وقيل: سجود الجمادات ومالا يعقل: ظهور أثر الصنع فيه، على معنى أنه يدعو الغافلين إلى السجود عند التأمل والتدبرَ فيه، قال الله تعالى: «سنُريهم آياتنا في الآفاق» (فصلت ـ ٥٣) .

﴿والملائكةُ﴾، خصّ الملائكة بالذكر مع كونهم من جملة ما في السموات والأرض تشريفاً ورفعاً لشأنهم .

وقيل: لخروجهم من الموصوفين بالدبيب إذ لهم أجنحة يطيرون بها .

وقيل؛ أراد:ولله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الأرض من دابة، وتسجد الملائكة .

﴿وهم لا يستكبرون﴾ .

﴿يخافون ربَّهم من فوقهم﴾، كقوله: «وهو القاهر فوق عباده» (الأنعام ـ ١٨) .

﴿ويفعلون ما يُؤمرون﴾ .

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا محمد بن سمعان، حدثنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الشعراني، حدثنا محمد بن يحيى الذهلي، حدثنا عبيد الله بن موسى العبسي، حدثنا إسرائيل، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن مورق، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّي أرى مالا ترونَ، وأسمعُ مالا تسمعونَ، أطّتِ السماءُ وحُقَّ لها أن تَئِطَّ، والذي نفسي بيدهِ ما فيها موضعُ أربعِ أصابعَ إلا وفيه مَلَكٌ يُمجِّد الله، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبَكَيْتُم كثيراً وما تلذَّذْتُم بالنساءِ على الفُرُشَات، ولَصَعَدْتُم إلى الصُّعُداتِ تجأرونَ»، قال أبو ذر: «ياليتني كنتُ شجرةً تُعْضَدُ». رواه أبو عيسى عن أحمد بن منيع، عن أبي أحمد الزبيري، عن إسرائيل وقال: «إلاّ وَمَلَكٌ واضعٌ جبهَته ساجداً لله»(١) .

قوله تعالى: ﴿وقال الله لا تتخذوا إلهينِ اثنين، إنّما هو إلهٌ واحدٌ فإيّايَ فَارْهَبُونِ﴾ .

﴿وله ما في السمواتِ والأرضِ وله الدِّينُ﴾، الطاعة والإخلاص ﴿واصِباً﴾، دائماً ثابتاً .

---

(١) أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في فضل البكاء من خشية الله: ٦٠١/٦، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وابن ماجه في الزهد، باب الحزن والبكاء: ١٤٠٢/٢، وصححه الحاكم في المستدرك: ٥١٠/٢، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٧٣/٥ . وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٣٦٩/١٤ـ٣٧٠ .

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ
ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝٥٤ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٥٥ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا
كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ۝٥٦ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ۝٥٧ وَإِذَا بُشِّرَ
أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨﴾

معناه: ليس من أحد يدان له ويطاع إلا انقطع ذلك عنه بزوال أو هلاك، غير الله عزّ وجلّ، فإن الطاعة تدوم له ولا تنقطع.

﴿**أفغير الله تتقون**﴾، أي: تخافون، استفهام على طريق الإنكار.

قوله تعالى: ﴿**وما بكم من نعمةٍ فمنَ الله**﴾، أي: وما يكن بكم من نعمة فمن الله، ﴿**ثم إذا مسَّكم الضر**﴾، القحط والمرض، ﴿**فإليه تجأرون**﴾، تضجُّون وتصيحون بالدعاء والاستغاثة.

﴿**ثم إذا كشف الضرَّ عنكم إذا فريقٌ منكم بربهم يشركون**﴾.

﴿**ليكفروا**﴾، ليجحدوا، [وهذه اللام تُسمى لامَ العاقبة، أي: حاصل أمرهم هو كفرهم][1] ﴿**بما آتيناهم**﴾ أعطيناهم من النعماء وكشف الضراء والبلاء، ﴿**فتمتعوا**﴾، أي: عيشوا في الدنيا المدة التي ضربتها لكم، ﴿**فسوف تعلمون**﴾ عاقبة أمركم. هذا وعيدٌ لهم.

﴿**ويجعلون لِمَا لا يعلمون**﴾، له حقاً، أي: الأصنام، ﴿**نصيباً مما رزقناهم**﴾، من الأموال، وهو ما جعلوا للأوثان من حروثهم وأنعامهم، فقالوا: هذا لله بزعمهم، وهذا لشركائنا.

ثم رجع من الخبر إلى الخطاب فقال: ﴿**تَاللّهِ لَتُسْئَلُنَّ**﴾، يوم القيامة، ﴿**عمّا كنتم تفترون**﴾، في الدنيا.

﴿**ويجعلون للّهِ البناتِ**﴾، وهم خزاعة وكنانة، قالوا: الملائكة بنات الله تعالى: ﴿**سبحانه ولهم ما يشتهون**﴾، أي: ويجعلون لأنفسهم البنين الذين يشتهونهم، فتكون «ما» في محل النصب، ويجوز أن تكون على الابتداء فتكون «ما» في محل الرفع.

﴿**وإذا بُشّر أحدُهم بالأنثى ظلّ وجهُهُ مُسْوَدّاً**﴾، متغيراً من الغمِّ والكراهية، ﴿**وهو كظيم**﴾، وهو ممتلىء حزناً وغيظاً، فهو يكظمه أي: يمسكه ولا يظهره.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

﴿**يتوارى**﴾ أي: يختفي، ﴿**من القوم من سوء ما بُشِّر بهِ**﴾، من الحزن والعار، ثم يتفكر: ﴿**أيمْسكه**﴾، ذكر الكناية رداً على «ما» ﴿**على هُونٍ**﴾ أي: هَوانٍ، ﴿**أم يَدُسُّه في التراب**﴾ / أي: ٢٠٠/ب
يخفيه منه، فيئده .

وذلك: أن مضر وخزاعة وتميماً كانوا يدفنون البنات أحياء، خوفاً من الفقر عليهم، وطمع غير الأكفاء فيهن، وكان الرجل من العرب إذا ولدت له بنت وأراد أن يستحييها: ألبسها جُبَّةً من صوف أو شعر، وتركها ترعى له الإبل والغنم في البادية، وإذا أراد أن يقتلها: تركها حتى إذا صارت سداسية، قال لأمها: زيِّنيها حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر لها بئراً في الصحراء، فإذا بلغ بها البئر قال لها: انظري إلى هذه البئر، فيدفعها من خلفها في البئر، ثم يهيل على رأسها التراب حتى يستوي البئر بالأرض، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿**أيمسكه على هُونٍ أم يدسه في التراب**﴾ .

وكان صعصعة عمُّ الفرزدق إذا أحسَّ بشيء من ذلك وجّه إلى والد البنت إبلاً يحييها بذلك، فقال الفرزدق يفتخر به[1] .

وَعَمِّي الذي مَنَعَ الوَائِدَاتْ * فأحيا الوَئِيْدَ فلم تُوْأَدِ

﴿**ألاَ ساءَ ما يحكمُون**﴾، بئس ما يقضون لله البنات ولأنفسهم البنين، نظيره: «ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى» (النجم ـ ٢٢)، وقيل: بئس حكمهم وأد البنات .

﴿**للذين لا يؤمنون بالآخرة**﴾، يعني: لهؤلاء الذين يصفون لله البنات ولأنفسهم البنينَ ﴿**مَثَلُ السَّوْءِ**﴾، صفة السوء من الاحتياج إلى الولد، وكراهية الإناث، وقتلهن خوف الفقر، ﴿**ولله المثل الأعلى**﴾، الصفة العليا، وهي التوحيد وأنه لا إله إلا هو .

وقيل: جميع صفات الجلال والكمال، من العلم، والقدرة، والبقاء، وغيرها من الصفات .

قال ابن عباس: «مثل السوء»: النار، و«المَثَل الأعلى»: شهادة أن لا إله إلا الله .

﴿**وهو العزيز الحكيم**﴾ .

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١١٧/١٠ .

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٦١ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ۝٦٢﴾

﴿ولو يُؤاخذ الله الناسَ بظلمهم﴾، فيعاجلهم بالعقوبة على كفرهم وعصيانهم، **﴿ما ترك عليها﴾**، أي: على الأرض، كناية عن غير مذكور، **﴿من دابة﴾**.

قال قتادة في الآية: قد فعل الله ذلك في زمن نوح، فأهلك مَنْ على الأرض، إلا مَنْ كان في سفينة نوح عليه السلام[(١)].

روي أن أبا هريرة سمع رجلاً يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه، فقال: بئس ما قلت إن الحبارى تموت في وكرها بظلم الظالم[(٢)].

وقال ابن مسعود: إن الجُعَل لتعذب في جحرها بذنب ابن آدم[(٣)].

وقيل: معنى الآية: لو يؤاخذ الله آباء الظالمين بظلمهم انقطع النسل، ولم توجد الأبناء، فلم يبق في الأرض أحد.

﴿ولكن يُؤخِّرُهم إلى أجلٍ﴾، يمهلهم بحلمه إلى أجل، **﴿مُسَمًّى﴾**، إلى منتهى آجالهم وانقطاع أعمارهم. **﴿فإذا جاء أجلُهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون﴾**.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾**، لأنفسهم يعني البنات، **﴿وتصف﴾**، أي: تقول، **﴿ألسنتهم الكذب أنّ لهم الحسنى﴾**، يعني البنين، محل «إن» نصب بدل عن الكذب.

قال يمان: يعني بـ «الحسنى»: الجنة في المعاد، إن كان محمد صادقاً في البعث.

﴿لا جَرَمَ﴾ حقاً. قال ابن عباس: بلى، **﴿أنَّ لهم النارَ﴾**، في الآخرة، **﴿وأنهم مُفْرَطُونَ﴾**، قرأ نافع بكسر الراء أي: مسرفون.

وقرأ أبو جعفر بتشديد الراء وكسرها أي: مضيعون أمر الله.

وقرأ الآخرون بفتح الراء وتخفيفها أي: منسيون في النار، قاله ابن عباس.

---

(١) أخرجه عبدالرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر (الدر المنثور: ٥/١٤٠).

(٢) أخرجه عبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، والبيهقي في «الشُّعب» (الدر المنثور: ٥/١٤٠).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في «الشعب». انظر: الدر المنثور: ٥/١٤٠.

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾

وقال سعيد بن جبير: مبعدون .

وقال مقاتل: متروكون .

قال قتادة: معجلون إلى النار .

قال الفراء: مقدّمون إلى النار، ومنه قوله ﷺ: «أنا فَرَطكُم على الحوض»[1] أي: متقدمكم .

﴿**تالله لقد أرسلنا إلى أمم مِن قَبلِكَ**﴾ كما أرسلنا إلى هذه الأمة، ﴿**فزيَّن لهم الشيطانُ أعمالهم**﴾، الخبيثة، ﴿**فهو وليهم**﴾، ناصرهم، ﴿**اليومَ**﴾، وقرينهم، سمَّاه ولياً لهم، لطاعتهم إيّاه، ﴿**ولهم عذاب أليم**﴾، في الآخرة .

﴿**وما أنزلنا عليك الكتابَ إلا لِتُبيِّنَ لهمُ الذي اختَلَفُوا فيه**﴾، من الدين والأحكام، ﴿**وهُدىً ورحمةً لقومٍ يؤمنون**﴾، أي: ما أنزلنا عليك الكتاب إلا بياناً وهدىً ورحمة، فالهدى والرحمة عطف على قوله «لتبين» .

﴿**والله أنزل من السماء ماءً**﴾، يعني: المطر: ﴿**فأحيا به الأرض**﴾، بالنبات، ﴿**بعد موتها**﴾، يبوستها، ﴿**إنّ في ذلك لآيةً لقومٍ يسمعون**﴾، سمع القلوب لا سمع الآذان .

﴿**وإنّ لكم في الأنعام لَعِبْرَةً**﴾، لعظة، ﴿**نُسقِيكم**﴾، بفتح النون هاهنا وفي المؤمنين، قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب والباقون بضمها وهما لغتان. ﴿**مما في بطونه**﴾، قال الفراء: رد الكناية إلى النَّعم، والنَّعَمُ والأنعامُ واحد .

ولفظ النَّعم مذكر، قال أبو عبيدة، والأخفش: النَّعم يذكر ويؤنث، فمن أنَّث فلمعنى الجمع،

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الرقاق، باب الحوض وقول الله: «إنا أعطيناك الكوثر»: ٤٦٣/١١، ومسلم في الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، برقم (٢٤٩): ٢١٨/١ .

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

ومن ذكّر فلحكم اللفظ.

قال الكسائي: ردّه إلى ما يعني في بطون ما ذكرنا.

وقال المؤرّج: الكناية مردودة إلى البعض والجزء، كأنه قال: نسقيكم مما في بطونه اللبن، إذ ليس لكلها لَبَن، واللَّبن فيه مضمرٌ.

﴿من بين فَرْثٍ﴾، وهو ما في الكرش من الثقل، فإذا خرج منه لا يُسمى فرثاً، ﴿ودمٍ لبناً خالصاً﴾، من الدم والفرث ليس عليه لون دم ولا رائحة فرث.

﴿سائغاً للشاربين﴾، هنيئاً يجري على السهولة في الحلق.

وقيل: إنه لم يغصَّ أحدٌ باللبن قَط.

قال ابن عباس: إذا أكلتِ الدابَّةُ العلفَ واستقرَّ في كرشها وطحنته فكان أسفله فرثاً، وأوسطه اللبن، وأعلاه الدم، والكَبِدُ مسلَّطة عليها، تقسمها بتقدير الله تعالى، فيجري الدم في العروق، واللبن في الضرع، ويبقى الفرث كما هو[١].

﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب﴾، يعني: ولكم أيضاً عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل والأعناب، ﴿تتخذون منه﴾ والكناية في ﴿منه﴾ عائدة إلى (ما) محذوفة أي: ما تتخذون منه، ﴿سَكَراً ورزقاً حسناً﴾.

قال قوم: «السَّكَر»: الخمر، و«الرزق الحسن»: الخَلُّ، والزبيب، والتمر والرُّبُ، قالوا: وهذا قبل تحريم الخمر. وإلى هذا ذهب ابن مسعود، وابن عمر، وسعيد بن جبير، والحسن، ومجاهد.

وقال الشعبي: «السَّكر»: ما شربت، «والرزق الحسن»: ما أكلت[٢].

وروى العوفي عن ابن عباس: أن «السَّكَر» هو الخَلُّ، بلغة الحبشة[٣].

وقال بعضهم: «السَّكَر» النبيد المُسْكِر، وهو نقيع التمر والزبيب إذا اشتدَّ، والمطبوخ من العصير، وهو قول الضحاك والنخعي[٤].

ومن يبيح شرب النبيذ ومن حرمه يقول: المراد من الآية: الإخبار لا الإحلال.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١٠/١٢٤ـ١٢٥، زاد المسير: ٤/٤٦٤.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١٠/١٢٨، زاد المسير: ٤/٤٦٤، الدر المنثور: ٥/١٤٢، أحكام القرآن للجصاص: ٥/٤.

(٣) المراجع السابقة.

(٤) انظر: القرطبي: ١٠/١٢٨، أحكام القرآن للجصاص: ٥/٤.

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾

وأولى الأقاويل أن قوله: ﴿تتخذون منه سكراً﴾ منسوخ، روي عن ابن عباس قال: «السَّكَر» [ما حرم][1] من ثمرها، و«الرزق الحسن»: ما أحل.

وقال أبو عبيدة: «السَّكَر»: الطُّعْم، يقال هذا سَكَر لك أي: طُعْم[2].

﴿إن في ذلك لآيةً لقوم يعقلون﴾.

﴿وأوحَى ربُّك إلى النَّحْلِ﴾، أي: ألهمها وقذف في أنفسها، ففهمته، والنَّحل: زنابير العسل، واحدتها نحلة.

﴿أنِ اتخذي من الجبالِ بُيوتاً ومن الشجرِ ومما يَعْرِشُونَ﴾، يبنون، وقد جرت العادة أن أهلها يبنون لها الأماكن، فهي تأوي إليها، قال ابن زيد: هي الكروم.

٢٠١/ أ ﴿ثم كلي من كل الثمرات﴾ /، ليس معنى الكل العموم، وهو كقوله تعالى: «وأوتيت من كل شيء» (النمل – ٢٣).

﴿فاسلكي سُبُلَ ربِّكِ ذُلُلاً﴾. قيل: هي نعت الطرق، يقول: هي مذللة للنحل سهلة المسالك.

قال مجاهد: لا يتوعر عليها مكان سلكته.

وقال آخرون: الذلل نعت النحل، أي: مطيعة منقادة بالتسخير. يقال: إن أربابها ينقلونها من مكان إلى مكان ولها يعسوب إذا وقف وقفت وإذا سار سارت.

﴿يخرج من بطونها شراب﴾، يعني: العسل ﴿مختلفٌ ألوانه﴾، أبيض وأحمر وأصفر. ﴿فيه شفاءٌ للناس﴾، أي: في العسل. وقال مجاهد: أي في القرآن، والأول أولى.

أنبأنا إسماعيل بن عبدالقاهر، حدثنا عبدالغافر بن محمد، حدثنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا محمد بن مثنى، أخبرنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أبي المتوكل، عن أبي سعيد الخدري قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) انظر: زاد المسير: ٤/٢٦٤.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾

فقال: إن أخي استطلق بطنُه، فقال رسول الله ﷺ: آسقِهِ عسلاً، فسقاه ثم جاء فقال: إني سقيتُه فلم يَزِدْهُ إلا استطلاقاً، فقال النبي ﷺ له ثلاث مرات، ثم جاء الرابعة فقال: اسقه عسلاً، قال: قد سقيته فلم يزده إلا استطلاقاً فقال رسول الله ﷺ: «صدق الله وكذب بطن أخيك»، فسقاه فبرأ[(١)] .

قال عبدالله بن مسعود: العسلُ شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور[(٢)] .

وروي عنه أنه قال: عليكم بالشفاءين القرآن والعسل[(٣)] .

﴿إن في ذلك لآيةً لقوم يتفكرون﴾، فيعتبرون .

﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم﴾، صبياناً أو شباناً أو كهولاً، **﴿ومنكم مَنْ يُرَدُّ إلى أرذلِ العُمُرِ﴾**، أردئه، قال مقاتل: يعني الهرم .

قال قتادة: أرذل العمر تسعون سنة .

روي عن علي قال: أرذل العمر خمس وسبعون سنة. وقيل: ثمانون سنة .

﴿لكيلا يعلمَ بَعْدَ علمٍ شيئاً﴾، لكيلا يعقل بعد عقله الأول شيئاً، **﴿إن الله عليم قدير﴾** .

أنبأنا عبدالواحد المليحي، حدثنا أحمد بن عبدالله النعيمي، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، [حدثنا موسى بن إسماعيل][(٤)]، حدثنا هارون بن موسى، حدثنا أبو عبدالله الأعور، عن شعيب، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يدعو: «أعوذ بك من البخلِ، والكسلِ، وأرذل العُمُرِ، وعذاب القبر، وفتنة الدجال، وفتنة المحيا والممات»[(٥)] .

---

(١) أخرجه البخاري في الطب، باب الدواء بالعسل، وقول الله تعالى: «فيه شفاء للناس»: ١٠/١٣٩، ومسلم في السلام، باب التداوي بسقي العسل، برقم (٢٢١٧): ٤/١٧٣٦-١٧٣٧، واللفظ له، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٢/١٤٧ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة، وابن جرير. انظر: الدر المنثور: ٥/١٤٤ .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه وأخرجه ابن ماجه، وابن مردويه، والحاكم ـ وصححه ـ والبيهقي في «شعب الإيمان» مرفوعاً من رواية ابن مسعود. انظر: الدر المنثور: ٥/١٤٤ .

(٤) ساقط من «ب» .

(٥) أخرجه البخاري في تفسير سورة النحل، باب «ومنكم من يرد إلى أرذل العمر»: ٨/٣٨٧-٣٨٨، ومسلم في الذكر والدعاء، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره، برقم (٢٧٠٦): ٤/٢٠٨٠ .

وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

﴿**والله فضّل بعضَكم على بعضٍ في الرزق**﴾، بسط على واحدٍ، وضيَّق على الآخر، وقلّل وكثّر .

﴿**فما الذين فُضّلوا برادّي رزقِهم على ما ملكتْ أيمانهم**﴾، من العبيد، ﴿**فهم فيه سواء**﴾، أي: حتى يستووا هم وعبيدهم في ذلك. يقول الله تعالى: لا يرضون أن يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقهم سواء، وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني. يلزم به الحجة على المشركين .

قال قتادة: هذا مَثَل ضربه الله عزّ وجلّ، فهل منكم أحد يشركه مملوكه في زوجته وفراشه وماله ؟ أفتعدلون بالله خلقه وعباده؟؟

﴿**أفبنعمَةِ الله يجحدون**﴾، بالإشراك به، وقرأ أبو بكر بالتاء لقوله «والله فضّل بعضَكم على بعض في الرزق»، والآخرون بالياء لقوله: «فهم فيه سواء» .

قوله تعالى: ﴿**والله جعلَ لكم من أنفسكم أزواجاً**﴾، يعني: النساء، خلق من آدم زوجته حواء .

وقيل: «من أنفسكم» أي: من جنسكم أزواجاً .

﴿**وجعل لكم من أزواجكم بنينَ وحَفَدَة**﴾، قال ابن مسعود، والنخعي: الحفدة أختان الرجل على بناته .

وعن ابن مسعود أيضاً: أنهم الأصهار، فيكون معنى الآية على هذا القول: وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات، تزوجونهم فيحصل بسببهم الأختان والأصهار .

وقال عكرمة، والحسن، والضحاك: هم الخدم .

قال مجاهد: هم الأعوان، مَنْ أعانك فقد حفدك .

وقال عطاء: هم ولد ولد الرجل، الذين يعينونه ويخدمونه .

وقال قتادة: مهنة يمتهنونكم ويخدمونكم من أولادكم[1] .

قال الكلبي ومقاتل: «البنين»: الصغار، و«الحفدة»: كبار الأولاد الذين يعينونه على عمله .

وروى مجاهد، وسعيد بن جبير عن ابن عباس: أنهم ولد الولد . .

---

(١) في «ب»: الأولاد .

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾

وروى العوفي عنه: أنهم بنو امرأة الرجل ليسوا منه(١).

﴿ورزقكم من الطيبات﴾، من النِّعم والحلال، ﴿أفبالباطل﴾، يعني الأصنام، ﴿يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون﴾؟ يعني التوحيد والإسلام.

وقيل: «الباطل»: الشيطان، أمرهم بتحريم البَحِيْرة، والسائبة، و«بنعمة الله» أي: بما أحلَّ الله لهم «يكفرون»: يجحدون تحليله.

﴿ويعبدون من دون الله مالا يملِكُ لهم رزقاً من السموات﴾، يعني المطر، ﴿والأرض﴾، يعني النبات، ﴿شيئاً﴾، قال الأخفش: هو بدل من الرزق، معناه: أنهم لا يملكون من أمر الرزق شيئاً، قليلاً ولا كثيراً.

وقال الفرَّاء: نصب «شيئاً» بوقوع الرزق عليه، أي: لا يرزق شيئاً، ﴿ولا يستطيعون﴾، ولا يقدرون على شيء، يذكر عجز الأصنام عن إيصال نفع أو دفع ضر.

﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾، يعني: الأشباه. فتشبِّهونه بخلقه، وتجعلون له شريكاً، فإنه واحدٌ لا مثل له، ﴿إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾، خطأ ما تضرِبُون من الأمثال. ثم ضرب مثلاً [للكافرين والمؤمنين](٢)، فقال جل ذكره:

---

(١) بعد أن ساق الطبري ـ رحمه الله ـ الروايات في تفسير الآية قال: (١٤/١٤٦-١٤٧): «والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى أخبر عباده معرِّفهم نعمه عليهم، فيما جعل لهم من الأزواج والبنين، فقال تعالى: «والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة»، فأعلمهم أنه جعل لهم من أزواجهم بنين وحفدة. والحفدة في كلام العرب: جمع حافد.. والحافد في كلامهم: هو المتخفف في الخدمة والعمل. والحَفْد: خفة العمل. وإذا كان معنى الحفدة ما ذكرنا من أنهم المسرعون في خدمة الرجل، المتخففون فيها، وكان الله ـ تعالى ذكره ـ أخبرنا أن مما أنعم به علينا أن جعل لنا حفدة تحفِد لنا، وكان أولادنا وأزواجنا الذين يصلحون للخدمة منا ومن غيرنا، وأختاننا الذين هم أزواج بناتنا، من أزواجنا وخدمنا من مماليكنا، إذا كانوا يحفدوننا، فيستحقون اسم حفدة. ولم يكن الله تعالى دلَّ بظاهر تنزيله، ولا على لسان رسوله ﷺ، ولا بحجة عقل، على أنه عني بذلك نوعاً من الحفدة، دون نوع منهم، وكان قد أنعم بكل ذلك علينا = لم يكن لنا أن نوجِّه ذلك إلى خاصٍّ من الحفدة دون عامٍّ، إلا ما اجتمعت الأمة عليه أنه غير داخل فيهم.
وإذا كان ذلك كذلك؛ فلكل الأقوال ـ التي ذكرنا عمن ذكرنا ـ وجه في الصحة، ومَخْرَج في التأويل. وإن كان أولى بالصواب من القول ما اخترنا، لما بيَّنا من الدليل».

(٢) في «ب»: للمؤمن والكافر.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا
حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ
شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن
يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾

﴿ضربَ اللَّهُ مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء﴾، هذا مَثَل الكافر، رزقه الله مالاً، فلم يقدِّم فيه خيراً، **﴿ومن رزقناه منّا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً﴾**، هذا مَثَل المؤمن، أعطاه الله مالاً، فعمل فيه بطاعة الله، وأنفقه في رضاء الله، سراً وجهراً، فأثابه الله عليه الجنة[1]. **﴿هل يستوون﴾**، ولم يقل يستويان لمكان «من» وهو اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع، وكذلك قوله «لا يستطيعون» بالجمع لأجل ما.

معناه: هل يستوي هذا الفقير البخيل والغنيُّ السخي؟ كذلك لا يستوي الكافر العاصي والمؤمن المطيع.

وروى ابن جريج عن عطاء في قوله تعالى: **﴿عبداً مملوكاً﴾**، أي: أبو جهل بن هشام **﴿ومن رزقناه منّا رزقاً حسناً﴾** أبو بكر الصديق رضي الله عنه[2]. ثم قال:

﴿الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾، يقول ليس الأمر كما تقولون، ما للأوثان عندهم من يد ولا معروف فتحمد عليه، إنما الحمد الكامل لله عزّ وجلّ؛ لأنه المنعِم والخالق والرازق، ولكن أكثر الكفار لا يعلمون. ثم ضرب مثلاً للأصنام فقال:

﴿وضربَ الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه﴾، كَلٌّ: ثقل ووبال «على مولاه» ابن عمه، وأهل ولايته، **﴿أينما يُوجِّهه﴾**، يرسله، **﴿لا يأت بخير﴾**، لأنه لا يفهم ما يقال له، ولا يفهم عنه، هذا مَثَل الأصنام، لا تسمع، ولا تنطق، ولا تعقل، **﴿وهو كَلٌّ على مولاه﴾** عابده، يحتاج إلى أن يحمله ويضعه ويخدمه.

﴿هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل﴾، يعني: الله تعالى قادر، متكلم، يأمر بالتوحيد، **﴿وهو على صراط مستقيم﴾**، [قال الكلبي: يعني يدلكم على صراط مستقيم.

---

(١) وهذا التأويل رجحه الطبري: ١٤/١٤٨-١٤٩.
(٢) انظر: زاد المسير: ٤/٤٧٢.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٧٧ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾

وقيل: هو رسول الله ﷺ يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم][1] .
وقيل: كلا المثلين للمؤمن والكافر، يرويه عطية عن ابن عباس .
٢٠١/ب وقال عطاء: الأبكم: أُبَيّ بن خلف، ومن يأمر بالعدل: حمزة، وعثمان بن عفان، وعثمان بن مظعون / .
وقال مقاتل: نزلت في هاشم بن عمرو بن الحارث بن ربيعة القرشي، وكان قليل الخير يعادي رسول الله ﷺ.

وقيل: نزلت في عثمان بن عفان ومولاه، كان عثمان ينفق عليه، وكان مولاه يكره الإسلام[2].

﴿**ولله غيب السمواتِ والأرضِ، وما أمْرُ الساعةِ**﴾، في قرب كونها، ﴿**إلاّ كلمح البصر**﴾، إذا قال له: «كن» فيكون، ﴿**أو هو أقرب**﴾، بل هو أقرب، ﴿**إنّ الله على كل شيء قدير**﴾، نزلت في الكفار الذين يستعجلون القيامة استهزاء .

قوله عزّ وجلّ : ﴿**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم**﴾، قرأ الكسائي «بطون إمهاتكم» بكسر الهمزة، وقرأ حمزة بكسر الميم والهمزة، والباقون بضم الهمزة وفتح الميم، ﴿**لا تعلمون شيئاً**﴾، تم الكلام، ثم ابتدأ فقال جلّ وعلا: ﴿**وجعل لكمُ السمعَ والأبصارَ والأفئدة**﴾، لأن الله تعالى جعل هذه الأشياء لهم قبل الخروج من بطون الأمهات، وإنما أعطاهم العلم بعد الخروج، ﴿**لعلّكم تشكرون**﴾، نعمة الله .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٢) انظر هذه الأقوال في: تفسير الطبري: ١٤/١٥٠ـ١٥١، الدر المنثور: ٥/١٥١ـ١٥٢، زاد المسير: ٤/٤٧٣، البحر المحيط: ٥/٥١٩ـ٥٢٠، أسباب النزول للواحدي ص (٣٢٣) .
قال الطبري ـ رحمه الله ـ: «وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه والآلهة التي تُعْبَد من دونه، فقال تعالى ذكره: «وضرب الله مثلاً رجلين، أحدهما أبكم لا يقدر على شيء» يعني بذلك الصنم أنه لا يسمع شيئاً، ولا ينطق، لأنه إما خشب منحوت، وإما نحاسٌ مصنوع لا يقدر على نفع لمن خدمه، ولا دفع ضرّ عنه، «وهو كَلٌّ على مولاه»، يقول: وهو عيال على ابن عمه وحلفائه وأهل ولايته، فكذلك الصنم كَلٌّ على من يعبده، يحتاج أن يحمله، ويضعه ويخدمه كالأبكم من الناس الذي لا يقدر على شيء فهو كَلٌّ على بني أعمامه.. هل يستوي هذا الأبكم الكَلُّ على مولاه الذي لا يأتي بخير حيث توجّه ومَنْ هو ناطق متكلم يأمر بالحق، ويدعو إليه، وهو الله الواحد القهار، الذي يدعو عباده إلى توحيده وطاعته، يقول: لا يستوي هو ـ تعالى ذكره ـ والصنم الذي صفته ما وصف. وقوله: «وهو على صراط مستقيم» يقول: وهو مع أمره بالعدل، على طريق من الحق في دعائه إلى العدل، وأمره به مستقيم، لا يَعْوَجُّ عن الحق ولا يزول عنه» .
انظر: تفسير الطبري: ١٤/١٥٠ .

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ
جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا
وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ
ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ
وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

﴿**ألم يروا**﴾، قرأ ابن عامر، وحمزة، ويعقوب: بالتاء، والباقون بالياء لقوله: «ويعبدون»[١]. ﴿**إلى الطير مسخرات**﴾، مذللات، ﴿**في جو السماء**﴾ وهو الهواء بين السماء والأرض. عن كعب الأحبار أن الطير ترتفع اثني عشر ميلاً، ولا يرتفع فوق هذا، وفوق الجو السكاك، وفوق السكاك السماء ﴿**ما يمسكهن**﴾ في الهواء ﴿**إلا الله إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون**﴾.

﴿**والله جعل لكم من بيوتكم**﴾ [التي هي من الحجر والمدر][٢] ﴿**سكناً**﴾ أي: مسكناً تسكنونه، ﴿**وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً**﴾، يعني الخيام، والقباب، والأخبية، والفساطيط من الأنطاع والأدم[٣]، ﴿**تستخفونها**﴾ أي: يخف عليكم حملها، ﴿**يوم ظَعْنِكم**﴾، رحلتكم في سفركم، قرأ ابن عامر، وأهل الكوفة، ساكنة العين، والآخرون بفتحها، وهو أجزل اللغتين، ﴿**ويوم إقامتكم**﴾، في بلدكم لا تثقل عليكم في الحالين.

﴿**ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها**﴾، يعني: أصواف الضأن، وأوبار الإبل، وأشعار المعز، والكنايات راجعة إلى الأنعام، ﴿**أثاثاً**﴾، قال ابن عباس: مالاً. قال مجاهد: متاعاً.

قال القتيبي: «الأثاث»: المال أجمع، من الإبل والغنم والعبيد، والمتاع.

وقال غيره: هو متاع البيت من الفرش والأكسية.

﴿**ومتاعاً**﴾، بلاغاً ينتفعون بها، ﴿**إلى حين**﴾ يعني الموت. وقيل: إلى حين تبلى.

﴿**والله جعلَ لكم مما خلق ظِلالاً**﴾ تستظلُّون بها من شدة الحرّ، وهي ظلال الأبنية والأشجار،

---

(١) في الآية الثانية والسبعين من السورة: «ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقاً...» الآية.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) في هامش «أ»: فائدة: لو قال: من الجلود، كان أحسن من قوله من الأنطاع والأدم.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ٨٢ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ٨٣﴾

﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾، يعني: الأسراب، والغيران، واحدها كَنٌّ ﴿وجعل لكم سرابيل﴾ قمصاً من الكتان والقزّ، والقطن، والصوف، ﴿تقيكم﴾، تمنعكم، ﴿الحرَّ﴾، قال أهل المعاني: أراد الحرَّ والبَرْدَ فاكتفى بذكر أحدهما لدلالة الكلام عليه. ﴿وسرابيل: تقيكم بأسكم﴾، يعني: الدروع، والبأس: الحرب، يعني: تقيكم في بأسكم السلاح أن يصيبكم.

﴿وكذلك يُتِمُّ نعمتَه عليكم لعلّكم تُسلمون﴾، تُخلِصون له الطاعة.

قال عطاء الخراساني: إنما أنزل القرآن على قدر معرفتهم، فقال: وجعل لكم من الجبال أكناناً، وما جعل [لهم][1] من السهول أكثر وأعظم، ولكنهم كانوا أصحاب جبال كما قال: «ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها» لأنهم كانوا أصحاب وَبَرٍ، وشَعْر، وكما قال: «وينزّل من السماء من جبال فيها من برد» (النور ــ ٤٣) وما أنزل من الثلج أكثر، ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج. وقال: «تقيكم الحرّ» وما تقي من البرد أكثر، ولكنهم كانوا أصحاب حرٍّ.

﴿فإن تولوا﴾، فإن أعرضوا فلا يلحقك في ذلك عَتَبٌ ولا سِمَةُ تقصير، ﴿فإنما عليك البلاغ المبين﴾.

﴿يعرفون نعمة الله﴾، قال السُّدي يعني: محمداً ﷺ، ﴿ثم ينكرونها﴾، يكذبون به.

وقال قوم: هي الإسلام.

وقال مجاهد، وقتادة: يعني ما عدَّ لهم من النِّعم في هذه السورة، يقرُّون أنها من الله، ثم إذا قيل لهم: تصدَّقُوا وامتثِلوا أمر الله فيها، ينكرونها فيقولون: ورثناها من آبائنا.

وقال الكلبي: هو أنه لمّا ذكر لهم هذه النِّعم قالوا: نعم، هذه كلها من الله، ولكنها بشفاعة آلهتنا.

وقال عوف بن عبدالله: هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا، ولولا فلان لما كان كذا[2].

﴿وأكثرهم الكافرون﴾، الجاحدون.

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) قال الطبري: (١٥٨/١٤): «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، وأشبهها بتأويل الآية، قولُ من قال: عنى بالنعمة التي ذكرها في قوله «يعرفون نعمة الله» النعمةَ عليهم بإرسال محمد ﷺ إليهم داعياً إلى ما بعثه بدعائهم إليه، وذلك أن هذه الآية بين آيتين كلتاهما خبرٌ عن رسول الله ﷺ وعما بعث به، فأولى ما بينهما أن يكون في معنى ما قبله وما بعده، إذ لم يكن معنىً يدل على انصرافه عما قبله وعما بعده...».

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
٨٤ وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ٨٥ وَإِذَا
رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا
نَدْعُوا مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ٨٦ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ
يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ٨٧ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ
اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ٨٨﴾

قوله عزّ وجلّ: **﴿ويوم نبعث من كلّ أمةٍ شهيداً﴾**، يعني رسولاً **﴿ثم لا يُؤذَن للذين كفروا﴾**، في الاعتذار، وقيل: في الكلام أصلاً، **﴿ولا هم يُستعتَبون﴾**، يسترضون، يعني: لا يكلفون أن يرضوا ربهم، لأن الآخرة ليست بدار تكليف، ولا يرجعون إلى الدنيا فيتوبون. وحقيقة المعنى في الاستعتاب: أنه التعرض لطلب الرضا، وهذا الباب مُنسدٌّ في الآخرة على الكفار.

﴿وإذا رأى الذين ظلموا﴾، كفروا، **﴿العذاب﴾**، يعني جهنّم، **﴿فلا يخفف عنهم ولا هم يُنظرون﴾**.

﴿وإذا رأى الذين أشركوا﴾، يوم القيامة، **﴿شركاءهم﴾**، أوثانهم، **﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعُوا من دونك﴾**، أرباباً ونعبدهم، **﴿فألْقوا﴾**، يعني الأوثان، **﴿إليهم القول﴾**، أي: قالوا لهم، **﴿إنكم لكاذبون﴾**، في تسميتنا آلهة ما دعوناكم إلى عبادتنا.

﴿وألْقوا﴾، يعني المشركين **﴿إلى الله يومئذٍ السَّلَم﴾**، استسلموا وانقادوا لحكمه فيهم، ولم تُغنِ عنهم آلهتهم شيئاً، **﴿وضلّ﴾**، وزال، **﴿عنهم ما كانوا يفترون﴾**، من أنها تشفع لهم.

﴿الذين كفروا وصدُّوا عن سبيلِ الله﴾، منعوا الناس عن طريق الحق **﴿زدناهم عذاباً فوق العذاب﴾**، قال عبدالله: عقارب لها أنياب أمثال النخل الطوال.

وقال سعيد بن جبير: حيَّات أمثال البُخْت[1]، وعقارب أمثال البغال، تلسع إحداهن اللسعةَ يجد صاحبُها حمَّتها أربعين خريفاً.

وقال ابن عباس ومقاتل: يعني خمسة أنهار من صُفْرٍ مذاب كالنار تسيل من تحت العرش، يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار.

---

(١) البُخْتُ: هي الإبل الخراسانية، وهي جِمال طوال الأعناق، واحدها: بُخْتِيّ.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾

وقيل: إنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير، فيبادرون من شدة الزمهرير إلى النار مستغيثين بها.

وقيل: يضاعف لهم العذاب[1]. ﴿بما كانوا يفسدون﴾، في الدنيا بالكفر وصدِّ الناس عن الإيمان.

﴿ويوم نبعث في كلِّ أمة شهيداً عليهم من أنفسهم﴾، يعني نبيها من أنفسهم، لأن الأنبياء كانت تبعث إلى الأمم منها.

﴿وجئنا بك﴾، يامحمد، ﴿شهيداً على هؤلاء﴾، الذين بُعِثْتَ إليهم.

﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً﴾، بياناً، ﴿لكل شيء﴾، يحتاج إليه من الأمر والنهي، والحلال والحرام، والحدود والأحكام، ﴿وهدًى﴾، من الضلالة، ﴿ورحمةً وبشرى﴾، بشارة ﴿للمسلمين﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿إن الله يأمر بالعدل﴾، بالإنصاف، ﴿والإحسان﴾، إلى الناس.

وعن ابن عباس: «العدل»: التوحيد، و«الإحسان»: أداء الفرائض.

وعنه: «الإحسان»: الإخلاص في التوحيد، وذلك معنى قول النبي ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»[2].

وقال مقاتل: «العدل»: التوحيد، و«الإحسان»: العفو عن الناس.

﴿وإيتاء ذي القربى﴾، صلة الرحم.

٢٠٢/أ ﴿وينهى عن الفحشاء﴾ / ما قَبُحَ من القول والفعل. وقال ابن عباس: الزنا، ﴿والمنكر﴾، مالا يُعرف في شريعةٍ ولا سنة، ﴿والبغي﴾، الكبر والظلم.

---

(١) انظر هذه الأقوال في: الدر المنثور: ٥/١٥٧-١٥٨، زاد المسير: ٤/٤٨٢. وقد اعتمد الطبري: (١٤/١٦٠-١٦١) القول الأول. وانظر: تفسير ابن كثير: ٢/٥٨٢.

(٢) قطعة من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سؤال جبريل عليه السلام ـ عن الإسلام والإيمان، والإحسان، أخرجه البخاري في الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان: ١/١١٤، ومسلم في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، برقم (٨): ١/٣٦-٣٧، والمصنف في شرح السنة: ١/٨-٩.

﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾

وقال ابن عيينة: «العدل» استواء السر والعلانية، و«الإحسان» أن تكون سريرته أحسن من علانيته، و«الفحشاء والمنكر» أن تكون علانيته أحسن من سريته .

﴿**يعظكم لعلكم تذكرون**﴾، تتعظون .

قال ابن مسعود: أجمع آية في القرآن هذه الآية[1] .

وقال أيوب عن عكرمة: إن النبي ﷺ قرأ على الوليد: ﴿**إن الله يأمر بالعدل**﴾ إلى آخر الآية فقال له: يا ابن أخي أعِدْ فأعاد عليه، فقال: إن له والله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وما هو بقول البشر[2] .

قوله تعالى: ﴿**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم**﴾، والعهد هاهنا هو: اليمين .

قال الشعبي: العهد يمين وكفارته كفارة يمين، ﴿**ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها**﴾، تشديدها، فتحنثوا فيها، ﴿**وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً**﴾، شهيداً بالوفاء .

﴿**إنَّ الله يعلم ما تفعلون**﴾، واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية وإن كان حكمها عاماً؟ .

قيل: نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ، أمرهم الله بالوفاء بها[3] .

وقال مجاهد وقتادة: نزلت في حلف أهل الجاهلية[4]. ثم ضرب الله مثلاً لنقض العهد فقال: ﴿**ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة**﴾، أي: من بغد غزله وإحكامه .

قال الكلبي، ومقاتل: هي امرأة خرقاء حمقاء من قريش، يقال لها «ريطة بنت عمرو بن سعد

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٥/١٦٠، ففيه جملة آثار في ذلك .

(٢) انظر: سيرة ابن هشام: ١/٢٧٠ .

(٣) أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم عن مزيدة بن جابر .
انظر: الدر المنثور: ٥/١٦١، زاد المسير: ٤/٤٨٤ .

(٤) المرجع السابق نفسه .

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾

ابن كعب بن زيد مناة بن تميم» وتلقب بجعر، وكانت بها وسوسة، وكانت اتخذت مغزلاً بقدر ذراع وصنارة مثل الأصبع، وفلكة عظيمة، على قدرها، وكانت تغزل الغزل من الصوف والشعر والوَبَر، وتأمر جواريها بذلك، فكن يغزلن من الغداة إلى نصف النهار، فإذا انتصف النهار أمرتهن بنقض جميع ما غزلنَ فهذا كان دأبها[1] .

ومعناه: أنها لم تكف عن العمل، ولا حين عملت كفَّت عن النقض، فكذلك أنتم إذا نقضتم العهد، لا كففتم عن العهد، ولا حين عاهدتم وفيتم به .

﴿أنكاثاً﴾، يعني أنقاضاً واحدها «نكث» وهو ما نقض بعد الفتل، غزلاً كان أو حَبْلاً .

﴿تتخذون أيمانكم دَخَلاً بينكم﴾، أي: دَخَلاً وخيانة وخديعة، و«الدَّخَل» ما يدخل في الشيء للفساد .

وقيل: «الدَّخل» و«الدَّغَل»: أن يظهر الوفاء ويبطن النقض .

﴿أن تكون﴾ أي: لأن تكون، ﴿أمة هي أربى﴾، أي: أكثر وأعلى، ﴿من أمة﴾ قال مجاهد: وذلك أنهم كانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا قوماً أكثر منهم وأعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الأكثر، فمعناه: طلبتم العز بنقض العهد، بأن كانت أمة أكثر من أمة. فنهاهم الله عن ذلك .

﴿إنما يبلوكم الله به﴾، يختبركم الله بأمره إياكم بالوفاء بالعهد، ﴿وليُبيِّننَّ لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ في الدنيا .

﴿ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدة﴾، على ملة واحدة، وهي الإسلام، ﴿ولكن يُضِلُّ من يشاء﴾، بخذلانه إيَّاهم، عدلاً منه، ﴿ويهدي من يشاء﴾، بتوفيقه إيَّاهم، فضلاً منه، ﴿ولتسْئلنّ عمّا كنتم تعملون﴾، يوم القيامة .

﴿وَلاَ تتخذوا أيمانكم دَخَلاً﴾، خديعة وفساداً، ﴿بينكم﴾، فتغرون بها الناس، فيسكنون إلى أيمانكم، ويأمنون، ثم تنقضونها، ﴿فتزِلَّ قدمٌ بعد ثبوتها﴾، فتهلكوا بعد ما كنتم آمنين، والعرب تقول

(١) انظر: البحر المحيط: ٥/٥٣١ .
وقال قتادة ومجاهد: ذلك ضَرْب مثلٍ لمن نقض عهده بعد توكيده، لا على امرأة معيَّنة وهذا أرجح وأظهر، سواء كان بمكة امرأة تنقض غزلها أم لا .
انظر: تفسير ابن كثير: ٢/٥٨٥، المحرر الوجيز: ٨/٥٠٠ .

وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

لكل مبتلى بعد عافية، أو ساقط في ورطة بعد سلامة: زلَّت قدمه، **﴿وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله﴾**، قيل: معناه: سهَّلتم طريق نقض العهد على الناس بنقضكم العهد، **﴿ولكم عذاب عظيم﴾** .

﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً﴾، يعني لا تنقضوا عهودكم، تطلبون بنقضها عَرَضاً قليلاً من الدنيا، ولكن أوفوا بها. **﴿إنما عند الله هو﴾**، من الثواب لكم على الوفاء، **﴿خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون﴾** [فَضْل ما بين العوضين، ثم بيَّن ذلك][(1)]. فقال :

﴿ما عندكم ينفد﴾، أي: الدنيا وما فيها يفنى، **﴿وما عند الله باقٍ﴾** .

﴿وَلَنجزِيَنَّ﴾، [قرأ أبو جعفر وابن كثير وعاصم بالنون والباقون بالياء][(2)] **﴿الذين صبروا﴾**، على الوفاء في السراء والضراء، **﴿أجرهم بأحسنِ ما كانوا يعملون﴾** .

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني، أخبرنا عبدالله بن عمر الجوهري، حدثنا أحمد بن علي الكشميهني، حدثنا علي بن حجر، حدثنا إسماعيل بن جعفر، حدثنا عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب، عن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله ﷺ قال: «من أحبَّ دنياه أضرَّ بآخرتِه، ومن أحبَّ آخرته أضرَّ بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى»[(3)] .

قوله تعالى: **﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياةً طيبةً﴾**، قال سعيد ابن جبير وعطاء: هي الرزق الحلال .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٢) ما بين القوسين ساقط من « أ » .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣٠٨/٤، وصححه على شرط الشيخين، فتعقبه الذهبي بأن فيه انقطاعاً .
وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤١٢،١٧٥/٤، والبيهقي في السنن: ٣٧٠/٣، وعزاه صاحب المشكاة له في «شعب الإيمان» .
قال الهيثمي: «رواه أحمد والبزار والطبراني، ورجالهم ثقات» .
انظر: مجمع الزوائد: ٢٤٩/١٠، مشكاة المصابيح رقم (٥١٧٩)، وكشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني: ٤٩١/١ .
وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٣٩/١٤ .

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝٩٨﴾

قال الحسن: هي القناعة .

وقال مقاتل بن حيان: يعني العيش في الطاعة .

قال أبو بكر الوراق: هي حلاوة الطاعة .

وقال مجاهد وقتادة: هي الجنة. ورواه عوف عن الحسن. وقال: لا تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة(١) .

﴿ولنجزينّهم أجرهم بأحسنِ ما كانوا يعملون﴾ .

قوله سبحانه وتعالى: **﴿فإذا قرأت القرآن﴾**، أي: أردت قراءة القرآن **﴿فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾**، كقوله تعالى: «إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا» (المائدة ـ ٦) .

والاستعاذة سنة عند قراءة القرآن(٢) .

وأكثر العلماء على أن الاستعاذة قبل القراءة(٣) .

وقال أبو هريرة: بعدها(٤) .

---

(١) بعد أن ساق الطبري الروايات في تفسير الآية قال:

«وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: فلنحيينّه حياة طيبة بالقناعة، وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تعبه، ولم يعظُم فيها نَصَبُه، ولم يتكدَّر فيها عيشه باتباعه بقية ما فاته منها وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها .

وأما القول الذي روي عن ابن عباس: أنه الرزق الحلال، فهو محتمل أن يكون معناه الذي قلنا في ذلك، من أنه تعالى يقنعه في الدنيا بالذي يرزقه من الحلال، وإن قلّ، فلا تدعوه نفسه إلى الكثير منه من غير حلّه، لا أنه يرزقه الكثير من الحلال. وذلك أن أكثر العاملين لله تعالى بما يرضاه من الأعمال لم نرهم رُزِقوا الرزق الكثير من الحلال في الدنيا، ووجدنا ضيق العيش عليهم أغلب من السعة» .

انظر: تفسير الطبري: ١٧٢/١٤ .

(٢) قال الطبري: (١٧٣/١٤): «وليس قوله «فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم» بالأمر اللازم، وإنما هو إعلام وندب، وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أنَّ من قرأ القرآن، ولم يستعذ بالله من الشيطان الرجيم، قبل قراءته أو بعدها، أنه لم يضيع فرضاً واجباً» .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير: (٤٩٠/٤): والاستعاذة عند القراءة سنة في الصلاة وغيرها .

قال ابن عطية: (٥٠٧/٨): وحكى النقّاش عن عطاء: أن التعوّذ واجب .

وانظر: تفسير ابن كثير: ١٥/١، ٥٨٧/٢، المجموع للنووي: ٢٨٤/٣، والتبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص (٦٤ـ٦٥) .

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٧٣/١٤، القرطبي: ١٧٤/١٠ـ١٧٥، المحرر الوجيز: ٥٠٧/٨، أحكام القرآن لابن العربي: ١١٧٥/٣ .

(٤) نقل النووي في المجموع: (٢٨٤/٣) ذلك عن أبي هريرة، وابن سيرين، والنخعي، وأن أبا هريرة كان يتعوذ بعد فراغ الفاتحة، لظاهر الآية .

والصحيح هو القول الأول ـ قبل القراءة ـ للأحاديث الدالة على تقدمها على التلاوة. وانظر: تفسير ابن كثير: ١٣/١ـ١٥، ٥٨٧/٢، أحكام القرآن لابن العربي: ١١٧٥/٣ .

﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾

ولفظه: أن يقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» .

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم البغوي، حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا شعبة عن عمرو بن مرة، سمعت عاصماً عن ابن جبير بن مطعم، عن أبيه أنه رأى النبي ﷺ يصلي، قال: فكبَّر، فقال: الله أكبر كبيراً، ثلاث مرات، [والحمد لله كثيراً، ثلاث مرات، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، ثلاث مرات][(1)] اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، من هَمْزِهِ ونَفْخِه، ونَفْثِهِ .

قال عمروٌ: ونفخُه: الكِبْر، ونَفْثُه: الشعر وهَمْزه: الموتة، والموتة الجنون، والاستعاذة بالله هي الاعتصام به[(2)] .

﴿إنه ليس له سلطان﴾، حجة وولاية، ﴿على الذين آمنوا وعلى ربِّهم يتوكلون﴾، قال سفيان: ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يُغفر .

﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه﴾، يطيعونه ويدخلون في ولايته، ﴿والذين هم به مشركون﴾، أي: بالله مشركون. وقيل: الكناية راجعة إلى الشيطان، ومجازه الذين هم من أجله مشركون بالله .

﴿وإذا بدّلنا آية مكان آية﴾، يعني وإذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكماً آخر، ﴿والله أعلم بما ينزل﴾، أعلم بما هو أصلح لخلقه فيما يغير ويبدل من أحكامه، ﴿قالوا إنما أنت﴾، يامحمد، ﴿مفتر﴾، مُخْتَلِق، وذلك أن المشركين قالوا: إن محمداً يسخر بأصحابه، يأمرهم اليوم بأمر، وينهاهم عنه غداً، / ما هو إلاَّ مفترٍ، يتقوّله من تلقاء نفسه[(3)] . ٢٠٢/ب

قال الله تعالى: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾، حقيقة القرآن، وبيان الناسخ من المنسوخ .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب ما يستفتح به في الصلاة من الدعاء: ١/٣٧٢، وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب الاستعاذة في الصلاة: ١/٢٦٥، وصححه ابن حبان ص (١٢٣) من موارد الظمآن، والحاكم: ١/٢٣٥، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤/٨٠، والمصنف في شرح السنة: ٣/٤٣ .

(٣) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٣٢٥) .

﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿**قُل نزّله**﴾، يعني القرآن، ﴿**رُوحُ القُدُس**﴾، جبريل، ﴿**من ربِّك بالحق**﴾، بالصدق، ﴿**ليثبِّت الذين آمنوا**﴾، أي: ليثبت قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً ويقيناً، ﴿**وهدًى وبشرى للمسلمين**﴾ .

﴿**ولقد نعلم أنهم يقولون إنَّما يعلِّمه بشر**﴾، آدمي، وما هو من عند الله، واختلفوا في هذا البشر: قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يعلم قيناً بمكة، اسمه «بَلْعَام»، وكان نصرانياً، أعجميَّ اللسان، فكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج، فكانوا يقولون إنما يعلمه «بَلْعام»[(١)] .

وقال عكرمة: كان النبي ﷺ يُقرِىء غلاماً لبني المغيرة يقال له: «يعيش»[(٢)]، وكان يقرأ الكتب، فقالت قريش: إنما يعلمه «يعيش»[(٣)] .

وقال الفرَّاء: قال المشركون إنما يتعلم من عايش مملوك كان لحويطب بن عبدالعزى، وكان قد أسلم وحسن إسلامه، وكان أعجمَ اللسان[(٤)] .

وقال ابن إسحاق: كان رسول الله ﷺ فيما بلغني كثيراً ما يجلس عند المروة إلى غلام رومي نصراني، عبدٍ لبعض بني الحضرمي، يقال له «جبر»، وكان يقرأ الكتب[(٥)] .

وقال عبدالله بن مسلم الحضرمي كان لنا عبدان من أهل عين التمر يقال لأحدهما يسار، ويكنى «أبا فكيهة»، ويقال للآخر «جبر»، وكانا يصنعان السيوف بمكة، وكانا يقرآن التوراة والإنجيل، فربما مرَّ بهما النبي ﷺ، وهما يقرآن، فيقف ويستمع .

قال الضحاك: وكان النبي ﷺ إذا آذاه الكفار يقعد إليهما ويستروح بكلامهما، فقال المشركون: إنما يتعلم محمد منهما، فنزلت هذه الآية[(٦)] .

---

(١) أخرجه ابن جرير: ١٧٧/١٤، وزاد السيوطي نسبته لابن أبي حاتم وابن مردويه بسند ضعيف . الدر المنثور: ١٦٧/٥، زاد المسير: ٤٩٢/٤ .
(٢) في الدر المنثور: «مقيس» ولعله تصحيف .
(٣) أخرجه ابن جرير عن عكرمة: ١٧٨/١٤، وانظر: زاد المسير: ٤٩٢/٤ .
(٤) وقاله أيضاً الزجاج، انظر: زاد المسير: ٤٩٣/٤ .
(٥) أخرجه الطبري: ١٧٨/١٤ .
(٦) أخرجه الطبري: ١٧٨/١٤، والواحدي في أسباب النزول ص (٣٢٦)، وانظر: زاد المسير: ٤٩٣/٤ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرًا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾

قال الله تعالى تكذيباً لهم: ﴿لسانُ الذي يُلحدون إليه﴾، أي يميلون ويشيرون إليه، ﴿أعجمي﴾، «الأعجمي» الذي لا يفصح وإن كان ينزل بالبادية، والعجمي منسوب إلى العجم، وإن كان فصيحاً، والأعرابي البدوي، والعربي منسوب إلى العرب، وإن لم يكن فصيحاً، ﴿وهذا لسانٌ عربي مبين﴾، فصيح وأراد باللسان القرآن، والعرب تقول: اللغة لسان، وروي أن الرجل الذي كانوا يشيرون إليه أسلم وحسن إسلامه.

﴿إنَّ الذين لا يؤمنون بآياتِ الله لا يهديهم الله﴾، لا يرشدهم الله، ﴿ولهم عذاب أليم﴾، ثم أخبر الله تعالى أن الكفار هم المفترون.

فقال: ﴿إنما يفتري الكذبَ الذين لا يؤمنون بآياتِ الله، وأولئك هم الكاذبون﴾، لا محمد ﷺ.

فإن قيل: قد قال: «إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون»، فما معنى قوله «وأولئك هم الكاذبون»؟

قيل: «إنما يفتري الكذب»: إخبار عن فعلهم، و«هم الكاذبون» نعت لازم لهم، كقول الرجل لغيره: كذبت وأنت كاذب، أي: كذبت في هذا القول، ومن عادتك الكذب.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو حفص عمر بن أحمد الجوهري، أخبرنا جدي أبو بكر محمد بن عمر بن حفص، حدثنا أبو بكر محمد بن الفرج الأزرق، حدثنا سعيد بن عبدالحميد بن جعفر، حدثنا يعلى بن الأشدق، عن عبدالله بن جراد قال قلت: يارسول الله المؤمن يزني؟ قال: قد يكون ذلك، قال قلت: المؤمن يسرق؟ قال: قد يكون ذلك، قلت: المؤمن يكذب؟ قال: لا». قال الله: «إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله»(١).

﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أُكْرِه﴾.

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في عمار، وذلك أن المشركين أخذوه، وأباه ياسراً، وأمه سميّة، وصهيباً، وبلالاً، وخبَّاباً، وسالماً، فعذبوهم، فأما سُمية: فإنها ربطت بين بعيرين ووُجِىء قُبُلَها

(١) أخرجه الخرائطي في مساوىء الأخلاق، وابن عساكر في تاريخه. انظر: الدر المنثور: ٥/١٦٨.

بحربة فقتلت، وقتل زوجها ياسر، وهما أول قتيلين قُتِلا في الإسلام، وأما عمار: فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً(١) .

قال قتادة: أخذ بنو المغيرة عماراً وغطُّوه في بئر ميمون، وقالوا له: اكفر بمحمد، فتابعهم(٢) على ذلك، وقلبه كاره، فأخبر رسول الله ﷺ بأن عماراً كفر فقال: كلا، إن عماراً مُلِيء إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان(٣) بلحمه ودمه، فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي، فقال رسول الله ﷺ: ما وراءك؟ قال: شرٌّ يارسول الله، نلتُ منك وذكرت آلهتهم(٤)، قال: كيف وجدت قلبك، قال مطمئناً بالإيمان، فجعل النبي ﷺ، يمسح عينيه وقال: إن عادُوا لَكَ فعُدْ لهم بما قلت، فنزلت هذه الآية(٥) .

قال مجاهد: نزلت في ناسٍ من أهل مكة، آمنوا فكتب إليهم بعض أصحاب رسول الله ﷺ: أن هاجروا، فإنا لا نراكم منا حتى تهاجروا إلينا، فخرجوا يريدون المدينة، فأدركتهم قريش في الطريق فكفروا كارهين(٦) .

وقال مقاتل: نزلت في جَبْرٍ، مولى عامر بن الحضرمي، أكرهه سيده على الكفر فكفر مكرهاً(٧). ﴿**وقلبُه مطمئنٌ بالإيمان**﴾، ثم أسلم مولى جبر، وحسن إسلامه، وهاجر جبر مع سيده، ﴿**ولكنْ من شرح بالكفر صدراً**﴾ أي: فتح صدره للكفر بالقبول.واختاره، ﴿**فعليهم غضبٌ من الله ولهم عذاب عظيم**﴾ .

وأجمع العلماء على: أن من أُكره على كلمة الكفر، يجوز له أن يقول بلسانه، وإذا قال بلسانه غيرَ معتقدٍ لا يكون كفراً، وإن أبى أن يقول حتى يقتل كان أفضل(٨) .

واختلف أهل العلم في طلاق المكره. فذهب أكثرهم إلى أنه لا يقع(٩) .

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٣٢٦)، تفسير الطبري: ١٨١/١٤، المستدرك: ٣٥٧/٢، الدر المنثور: ١٦٩/٥-١٧٠ .

(٢) في «ب»: فبايعهم .

(٣) ساقط من «ب» .

(٤) ساقط من «ب» .

(٥) أخرجه الطبري: ١٨١/١٤، وعبد بن حميد، وابن جرير، والحاكم. انظر: الدر المنثور: ١٧٢/٥، القرطبي: ١٨١/١٠، المستدرك: ٣٥٧/٢ .

(٦) أخرجه ابن جرير، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور: ١٧١/٥ .

(٧) انظر: زاد المسير: ٤٩٥/٤-٤٩٦ .

(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٨٢/١٤، القرطبي: ١٨١/١٠، ١٨٨-١٩٠، أحكام القرآن للجصاص: ١٣/٤-١٤، أحكام القرآن لابن العربي: ١١٧٧/٣-١١٧٩، زاد المسير: ٤٩٦/٤، تفسير ابن كثير: ٥٨٩/٢ .

(٩) قال الشافعي، ومالك، وأحمد: لا يقع طلاق المكره، وهو مروي عن عمر، وعلي، وابن عباس. وذكره ابن المنذر عن ابن الزبير، وابن عمر، وابن عباس، وعطاء، وطاووس، والحسن، وشريح، والقاسم، وسالم، والأوزاعي، وإسحاق وأبي ثور . =

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ
﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟
وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾

﴿**ذلك بأنهم آستحبُّوا الحياةَ الدنيا على الآخرةِ وأنَّ الله لا يهدي القومَ الكافرين**﴾، لا يرشدهم.

﴿**أولئك الذين طَبَعَ الله على قلوبهم وسمعِهم وأبصارِهم، وأولئك هم الغافلون**﴾، عمّا يراد بهم.

﴿**لا جَرَمَ أنَّهم في الآخرة هُمُ الخاسرون**﴾، أي المغبونون.

﴿**ثم إنَّ ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتِنُوا**﴾، عذبوا ومنعوا من الإسلام، فتنهم المشركون، ﴿**ثم جاهدُوا وصبرُوا**﴾ على الإيمان والهجرة والجهاد، ﴿**إنَّ ربك من بعدها**﴾، من بعد تلك الفتنة والغفلة ﴿**لغفورٌ رحيم**﴾.

نزلت في عياش بن أبي ربيعة، أخي أبي جهلٍ من الرضاعة، وفي أبي جندل بن سهيل بن عمرو، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام وعبدالله بن أسيد الثقفي، فتنهم المشركون فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم، ثم إنهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا[1].

وقال الحسن وعكرمة: نزلتْ في عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وكان يكتب للنبي ﷺ فاستزلَّه الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر النبي ﷺ بقتله يوم فتح مكة، فاستجاره له عثمان، وكان أخاه لأمه من الرضاعة، فأجاره رسول الله ﷺ، ثم إنه أسلم وحسن إسلامه، فأنزل الله هذه الآية[2].

= وأجازه أبو حنيفة، فقال: طلاق المكره يلزم، لأنه لم يعدم فيه أكثر من الرضا، وليس وجوده بشرط في الطلاق. وهذا مروي عن الشعبي، والنخعي وأبي قلابة، والزهري، وقتادة.
انظر بالتفصيل: تفسير القرطبي: ١٨٤/١٠، زاد المسير: ٤٩٧/٤، أحكام القرآن للجصاص: ١٤/٤-١٥، أحكام القرآن لابن العربي: ١١٨١/٣.

(١) انظر: تفسير الخازن: ٩٧/٤.
وهناك أقوال أخرى تجمع على عياش بن ربيعة بين من نزلت الآية فيهم، وذكر بعضهم عماراً رضي الله عنه، وردَّه ابن عطية.
وانظر: الطبري: ١٨٤/١٤، الدر المنثور: ١٧٢/٥-١٧٣، المحرر الوجيز: ٥٢٤/٨-٥٢٥، زاد المسير: ٤٩٧/٤-٤٩٨، أسباب النزول ص (٢٣٧)، روح المعاني للآلوسي: ٢٤٠/١٤، البحر المحيط: ٥٤٠/٥.

(٢) أخرجه الطبري عنهما: ١٨٤/١٤-١٨٥، وأخرج ابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس مثله. الدر المنثور: ١٧٢/٥.
وانظر: البحر المحيط: ٥٤١/٥، زاد المسير: ٤٩٨/٤.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا

وقرأ ابن عامر ﴿فَتَنوا﴾ بفتح الفاء والتاء، وردَّه إلى من أسلم من المشركين فتنوا المسلمين.

﴿يوم تأتي كلُّ نفسٍ تُجادِلُ﴾، تخاصم وتحتج، ﴿عن نفسها﴾، بما أسلفت من خير وشر، مشتغلاً بها لا تتفرغ إلى غيرها، ﴿وتُوفَّى كل نفسٍ ما عملت وهم لا يظلمون﴾.

٢٠٣/ أ روي أن عمر بن الخطاب قال / لكعب الأحبار: خوِّفنا، قال: يا أمير المؤمنين، والذي نفسي بيده، لو وافيتَ يوم القيامة بمثل عمل سبعين نبياً لأتت عليك ساعات وأنت لا تهمك إلا نفسك، وإن لِجهنم زفرةً لا يبقى مَلَك مقرَّب، ولا نبي مرسل منتخب، إلا وقع جاثياً على ركبتيه، حتى إبراهيم خليل الرحمن، يقول: يارب لا أسألك إلا نفسي، وإن تصديق ذلك: الذي أنزل الله عليكم «يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها»[(1)].

وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال: ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة، حتى تخاصم الروح الجسد، فتقول الروح: يا ربِّ، لم يكن لي يدٌ أبطش بها، ولا رجل أمشي بها، ولا عينٌ أبصر بها. ويقول الجسد: خلقتَني كالخشب ليست لي يد أبطش بها، ولا رجل أمشي بها، ولا عين أبصر بها، فجاء هذا كشعاع النور، فبه نطق لساني، وأبصرتْ عيني، ومشت رجلي. فيضربُ الله لهما مَثَلاً: أعمى ومُقْعَد، دخلا حائطاً فيه ثمار، فالأعمى لا يبصر الثمر، والمقعد لا يناله، فحمل الأعمى المقعد فأصابا من الثمر فعليهما العذاب[(2)].

قوله تعالى: ﴿وضرب الله مثلاً قريةً كانتْ آمنةً﴾، يعني: مكة، كانت آمنة، لا يهاج أهلها ولا يُغار عليها، ﴿مطمئنةً﴾، قارّة بأهلها، لا يحتاجون إلى الانتقال للانتجاع كما يحتاج إليه سائر العرب، ﴿يأتيها رزقها رَغَداً من كل مكان﴾، يُحمل إليها من البر والبحر نظيره: «يُجبى إليه ثمراتُ

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: (١٧٣/٥) لابن المبارك، وابن أبي شيبة، وأحمد في «الزهد»، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن كعب الأحبار.
وانظر: زاد المسير: ٤٩٩/٤، روح المعاني: ١٤/ ٢٤٠-٢٤١.

(٢) قال الآلوسي: (٢٤١/١٤): «والظاهر هو عدم صحة هذا الخبر عن الحبر ـ ابن عباس ـ وهو أجلّ من أن يحمل المجادلة في الآية على ما ذكر. والحق أنه ليس فيه إلا الدلالة على عدم الاهتمام.
وقال ابن عطية: (٥٢٥/٨)، وظاهر الآية: أن كل نفس تجادل، مؤمنة كانت أو كافرة، فإذا جادل الكفار بكذبهم وجحدهم الكفر شهدت عليهم الجوارح والرسل وغير ذلك بحسب الطوائف، فحينئذ لا ينطقون «ولا يؤذن لهم فيعتذرون» (المرسلات ـ ٣٦) فتجتمع آيات القرآن باختلاف المواطن.
وقالت فرقة: قول كل أحد من الأنبياء وغيرهم: نفسي، نفسي، وهذا ليس بجدال ولا احتجاج، وإنما هو مجرد رغبة».

رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ
وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا
وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ
ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ
وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ
هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾

كلّ شيءٍ» (القصص ـ ٥٧). ﴿**فكفرت بأنعُمِ الله**﴾، جمع النعمة، وقيل: جمع نعماء مثل بأساء وأبؤس، ﴿**فأذاقها الله لباس الجوع**﴾، ابتلاهم الله بالجوع سبع سنين، وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر رسول الله ﷺ حتى جهدوا فأكلوا العظام المحرقة، والجِيَف، والكلاب الميتة، والعهن، وهو الوبر يعالج بالدم، حتى كان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع، ثم إن رؤساء مكة كلّموا رسول الله ﷺ وقالوا: هذا عَاديتَ الرجال، فما بال النساء والصبيان؟ فأَذِنَ رسول الله ﷺ للناس بحمل الطعام إليهم وهم بعد مشركون. وذكر اللباس لأن ما أصابهم من الهزال والشحوب وتغير ظاهرهم عما كانوا عليه من قبل كاللباس لهم، ﴿**والخوف**﴾، يعني: بعوث النبي ﷺ وسراياه التي كانت تطيف بهم. ﴿**بما كانوا يصنعون**﴾ .

﴿**ولقد جاءهم رسولٌ منهم**﴾، محمد ﷺ، ﴿**فكذّبوه، فأَخذَهم العذابُ وهم ظالمون**﴾ .

﴿**فكلُوا مِمَّا رزقكم الله حلالاً طيِّباً واشكروا نعمةَ الله إنْ كنتم إيَّاه تعبدون**﴾[1] .

﴿**إنَّما حرّم عليكم الميتةَ والدمَ ولحمَ الخنزيرِ وما أُهل لغير الله به فمن اضطر غيرَ باغٍ ولا عادٍ فإنّ الله غفور رحيم**﴾[2] .

قوله تعالى: ﴿**ولا تقولوا لما تَصِفُ ألسنتُكم الكذب**﴾، أي: لا تقولوا لوصف ألسنتكم، أو

(١) انظر فيما سبق، تفسير الآية (١٧٢) من سورة البقرة: ١٨٢/١-١٨٣ .

(٢) انظر فيما سبق، تفسير الآية (١٧٣) من سورة البقرة: ١٨٣/١-١٨٤ .

مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن
قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ
رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ
رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ
مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾

لأجل وصفكم الكذب، أي: أنكم تُحلّون وتُحرّمون لأجل الكذب لا لغيره، **﴿هذا حلال وهذا حرام﴾**، يعني البحيرة والسائبة، **﴿لتفتروا على الله الكذب﴾**، فتقولون إن الله أمرنا بهذا، **﴿إنّ الذين يفترون على الله الكذب لا يُفلحون﴾**، لا ينجون من عذاب الله.

﴿متاعٌ قليلٌ﴾، يعني: الذي هم فيه متاع قليل، أو لهم متاع قليلٌ في الدنيا. **﴿ولهم عذاب أليم﴾**، في الآخرة.

﴿وعلى الذين هادُوا حرّمنا ما قَصَصْنا عليك من قبل﴾، يعني في سورة الأنعام، وهو قوله تعالى:

«وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر» (الأنعام ـ ١٤٦) الآية[١].

﴿وما ظلمناهم﴾ بتحريم ذلك عليهم، **﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾** فحرمنا عليهم ببغيهم.

﴿ثم إن ربَّك للذين عملوا السُّوءَ بجهالةٍ ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾ معنى الإصلاح: الاستقامة على التوبة، **﴿إن ربَّك من بعدها﴾**، أي: من بعد الجهالة، **﴿لغفور رحيم﴾**.

قوله تعالى: **﴿إنَّ إبراهيم كان أمةً﴾** قال ابن مسعود: الأمة، معلّم الخير، أي: كان معلماً للخير، يأتمُّ به أهل الدنيا، وقد اجتمع فيه من الخصال الحميدة ما يجتمع في أمة.

قال مجاهد: كان مؤمناً[٢] وحده والناس كلهم كفار.

قال قتادة: ليس من أهل دين إلا يتولونه ويرضونه.

﴿قانتاً لله﴾، مطيعاً له، وقيل: قائماً بأوامر الله تعالى، **﴿حنيفاً﴾** مسلماً مستقيماً على دين الإسلام. وقيل: مخلصاً. **﴿ولم يك من المشركين﴾**.

---

(١) انظر تفسير الآية (١٤٦) من سورة الأنعام: ٣/١٩٩.

(٢) في «ب»: أمة.

﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿شاكراً لأنْعُمِهِ، اجتباه﴾، اختاره، **﴿وهداهُ إلى صراطٍ مستقيم﴾**، أي: إلى دين الحق.

﴿وآتيناه في الدنيا حسنة﴾، يعني الرسالة والخلة. وقيل: لسان الصدق والثناء الحسن.

وقال مقاتل بن حيان: يعني الصلوات في قول هذه الأمة: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم.

وقيل: أولاداً أبراراً على الكبر.

وقيل: القبول العام في جميع الأمم.

﴿وإنه في الآخرة لَمِنَ الصالحين﴾، مع آبائه الصالحين في الجنة. وفي الآية تقديم وتأخير، مجازه: وآتيناه في الدنيا والآخرة حسنة، وإنه لمن الصالحين.

﴿ثم أوحينا إليك﴾، يامحمد، **﴿أنِ اتّبِعْ مِلّةَ إبراهيمَ حنيفاً﴾**، حاجًّا مسلماً،(1) **﴿وما كان من المشركين﴾**.

وقال أهل الأصول: كان النبي ﷺ مأموراً بشريعة إبراهيم إلا ما نسخ في شريعته، ومالم ينسخ صار شرعاً له(2).

قوله تعالى: **﴿إنما جُعِلَ السبتُ على الذين اختَلَفُوا فيه﴾** قيل: معناه إنما جعل السبت لعنةً على الذين اختلفوا فيه أي: خالفوا فيه.

وقيل: معناه ما فرض الله عليهم تعظيم السبت وتحريمه إلا على الذين اختلفوا فيه أي: خالفوا فيه فقال قوم: هو أعظم الأيام، لأن الله تعالى فرغ من خلق الأشياء يوم الجمعة، ثم سبت يوم السبت.

وقال قوم: بل أعظم الأيام يوم الأحد، لأن الله تعالى ابتدأ فيه خلق الأشياء، فاختاروا تعظيم غير ما فرض الله عليهم، وقد افترض الله عليهم تعظيم يوم الجمعة.

---

(1) وقال الطبري: مُسْلِماً على الدين الذي كان عليه إبراهيم، بريئاً من الأوثان والأنداد التي يعبدها قومك، كما كان إبراهيم تبرأ منها. تفسير الطبري: ١٤/١٩٣.

(2) انظر بالتفصيل: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم: ٥/٧٢٢ وما بعدها، تفسير القرطبي: ١٠/١٩٨.

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١٢٥﴾

قال الكلبي: أمرهم موسى عليه السلام بالجمعة، فقال: تفرَّغوا لله في كل سبعة أيام يوماً، فاعبدوه يوم الجمعة، ولا تعملوا فيه لصنعتكم، وستة أيام لصناعتكم، فأبوا وقالوا: لا نريد إلا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق يوم السبت، فجعل ذلك اليوم عليهم وشدَّد عليهم فيه، ثم جاءهم عيسى عليه السلام بيوم الجمعة، فقالوا: لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا ـ يعنون اليهود ـ فاتخذوا الأحد، فأعطى الله الجمعةَ هذه الأمةَ، فقبلوها وبُورك لهم فيها.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، حدثنا أحمد بن يوسف السلمي، أنبأنا عبدالرزاق، أنبأنا
٢٠٣/ب معمر عن همام بن منبه قال: حدثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله ﷺ / قال: «نحن الآخِرُون السابقون يوم القيامة، بَيْدَ أنهم أُوتوا الكتاب من قبلنا، وأُوتيناه من بعدهم، فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فهم لنا فيه تَبَعٌ، فاليهود غداً، والنصارى بعد غد»[(١)].

قال الله تعالى: ﴿إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه﴾. [قال قتادة: الذين اختلفوا فيه هم][(٢)] اليهود، استحلَّه بعضُهم، وحرَّمه بعضهم.

﴿وإنّ ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾.

﴿آدْعُ إلى سبيلِ ربِّك بالحكمةِ﴾، بالقرآن، ﴿والموعظةِ الحسنة﴾، يعني مواعظ القرآن.

وقيل: الموعظة الحسنة هي الدعاء إلى الله بالترغيب والترهيب.

وقيل: هو القول اللين الرقيق من غير غلظة ولا تعنيف.

﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾، وخاصمهم وناظرهم بالخصومة التي هي أحسن، أي: أعرِضْ عن أذاهم، ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء إلى الحق، نسختها آية القتال[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في الجمعة، باب فرض الجمعة: ٣٥٤/٢، ومسلم في باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، برقم (٨٥٥): ٥٨٦/٢. والمصنف في شرح السنة: ٢٠٠/٤.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) هذه الآية الكريمة نزلت بمكة المكرمة في وقت الأمر بمهادنة المشركين، وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين، دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة. فهي محكمة في جهة العصاة من الموحّدين، ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين.
وقد قيل: إن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورُجي إيمانه بها دون قتال فهي محكمة، والله أعلم.
تفسير القرطبي: ٢٠٠/١٠، وأصل الكلام لابن عطية في المحرر الوجيز: ٥٤٦/٨، وانظر فيما سبق تفسير الآية (٣) من سورة الحجر: ٣٦٨/٤ تعليق (٦) و٣٧٣/٣ تعليق (٢).

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾

﴿إنّ ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾.

﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عُوقبتم به﴾، هذه الآيات نزلت بالمدينة في شهداء أُحد[1]، وذلك أن المسلمين لمّا رأوا ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أُحد، من تبقير البطون، والمُثْلة السيئة ـ حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين إلاَّ مُثِّل به غير حنظلة بن الراهب، فإن أباه أبا عامر الراهب كان مع أبي سفيان، فتركوا حنظلة لذلك ـ فقال المسلمون حين رأوا ذلك: لئن أَظْهَرَنا الله عليهم لنزِيْدَنَّ على صنيعهم، ولنُمَثِّلن بهم مُثْلة لم يفعلها أحدٌ من العرب بأحد، فوقف رسول الله ﷺ على عمه حمزة بن عبدالمطلب، وقد جدعوا أنفه وأذنه، وقطعوا مذاكيره، وبقَرُوا بطنه، وأخذت هند بنتِ عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطبتها لتأكلها فلم تلبث في بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: أما إنها لو أكلته لم تدخل النار أبداً، حمزة أكرم على الله تعالى من أن يُدْخِل شيئاً من جسده النار، فلما نظر رسول الله ﷺ إلى عمه حمزة، ونظر إلى شيء لم ينظر إلى شيء قط كان أوجع لقلبه منه، فقال النبي ﷺ: «رحمة الله عليك فإنك ما علمت ما كنت إلا فاعلاً للخيرات، وصولاً للرحم، ولولا حزن من بعدك عليك لسرَّني أن أدعك حتى تحشر من أفواجٍ شتى، أما والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلنّ بسبعين منهم مكانك»، فأنزل الله تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا﴾ الآية. ﴿ولئن صبرتم هو خيرٌ للصابرين﴾، أي: ولئن عفوتم لهو خير للعافين فقال النبي ﷺ: بل نصبر، وأمسك عما أراد وكفَّر عن يمينه[2].

---

(١) قال ابن عطية: (٥٤٦/٤): أطبق أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة، رضي الله عنه، في يوم أحد. ووقع ذلك في صحيح البخاري، وفي كتب السِّيَر، وذهب النحاس إلى أنها مكية.
وانظر: تفسير القرطبي: ٢٠١/١٠.

(٢) هذه الرواية ساقها الواحدي في أسباب النزول ص (٣٢٩ـ٣٣٠) عن المفسرين ولم يذكر لها إسناداً، وكذلك فعل الخازن في تفسيره: (١٣١/٤)، وفي هذا السياق ما هو صحيح ومنه ما هو ضعيف؛ وإليك بعض الروايات في ذلك:
عن أُبي بن كعب قال: لما كان يوم أحد أُصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة، فمثّلوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنُرْبِينَّ عليهم. قال: فلما كان يوم فتح مكة فأنزل الله تعالى: «وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهوخير للصابرين»، فقال رجل: لا قريش بعد اليوم. فقال رسول الله ﷺ: كُفُّوا عن القوم إلا أربعةً.
أخرجه الترمذي في التفسير: ٥٥٩/٨ـ٥٦٠ وقال: هذا حديث حسن غريب، وأخرجه ابن حبان، كما في موارد الظمآن ص (٤١١)، وصححه الحاكم في المستدرك: ٣٥٩/٢ و٤٤٦، ووافقه الذهبي، والطبراني في الكبير: ١٥٧/٣، وعبدالله بن الإمام أحمد في زوائد المسند: ١٣٥/٥، وعزاه السيوطي للنسائي، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل.

﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۝١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾

قال ابن عباس والضحاك: كان هذا قبل نزول براءة حين أمر النبي ﷺ بقتال من قاتله ومنع من الابتداء بالقتال، فلما أعز الله الإسلام وأهله نزلت براءة، وأُمروا بالجهاد نسخت هذه الآية[١].

وقال النَّخعيُّ، والثوريُّ، ومجاهد، وابن سيرين: الآية محكمة نزلت في من ظلم بظلامة، فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما نال الظالم منه، أمر بالجزاء والعفو، ومنع من الاعتداء[٢]. ثم قال لنبيه ﷺ:

﴿واصْبِرْ وما صبرُكَ إلا بالله﴾، أي: بمعونة الله وتوفيقه، ﴿ولا تحزنْ عليهم﴾، في إعراضهم عنك، ﴿ولا تَكُ في ضَيْق مما يمكرون﴾، أي: فيما فعلوا من الأفاعيل.

قرأ ابن كثير هاهنا وفي النمل ﴿ضِيق﴾ بكسر الضاد وقرأ الآخرون بفتح الضاد، قال أهل الكوفة: هما لغتان مثل رِطْل ورَطل.

وقال أبو عمرو: «الضَّيق» بالفتح: الغم، وبالكسر: الشدة.

وقال أبو عبيد: «الضيق» بالكسر في قلة المعاش وفي المساكن، فأما ما كان في القلب والصدر فإنه بالفتح.

وقال ابن قتيبة: الضيق تخفيف ضيِّق مثل هَيْن وهَيِّن، ولَيْن ولَيِّن، فعلى هذا هو صفة، كأنه قال: ولا تكن في أمر ضيق من مكرهم.

﴿إن الله مع الذين اتقوا﴾، المناهي، ﴿والذين هم محسنون﴾ بالعون والنصرة.

= وأشار الحافظ ابن حجر إلى هذه الرواية وقال في الفتح (٣٧٢/٧): «وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً».
وروى البزار والطبراني بإسناد فيه ضعف عن أبي هريرة أن النبي ﷺ لما رأى حمزة قد مُثِّل به قال: رحمة الله عليك.. ـ كما جاء في سياق المصنف ـ انظر: فتح الباري: ٣٧١/٧، وراجع: طبقات ابن سعد: ١٢/٣-١٣، سيرة ابن هشام: ٩١/٢، ٩٥-٩٦، إمتاع الأسماع للمقريزي ص (١٥٣)، أسباب النزول للواحدي ص (٣٢٩-٣٣١) وفيه سياق الروايات كلها، وكذلك الدر المنثور: ١٧٨/٥-١٧٩، تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٢.

(١) أخرجه الطبري عن ابن عباس: ١٩٦/١٤، وانظر: الدر المنثور: ١٨٠/٥، زاد المسير: ٥٠٨/٤.

(٢) الطبري: ١٩٧/١٤، القرطبي: ٢٠١/١٠، المحرر الوجيز: ٥٤٨/٨، زاد المسير: ٥٠٨/٤.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ «والصواب من القول في ذلك: إن الله تعالى ذكره أمر من عوقب من المؤمنين بعقوبة أن يعاقب من عاقبه بمثل الذي عوقب به، إن اختار عقوبته، وأعلمه أن الصبر على ترك عقوبته، على ما كان منه إليه خير وعزم على نبيه ﷺ أن يصبر، وذلك أن ذلك هو ظاهر التنزيل، والتأويلات ـ التي ذكرناها عمن ذكروها عنه ـ محتملتها الآية كلها، فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن في الآية دلالة على أيّ ذلك عنى بها من خبر ولا عقل كان الواجب علينا الحكم بها.. وأن يقال: هي آية محكمة أمر الله ـ تعالى ذكره ـ عباده أن لا يتجاوزوا فيما وجب لهم قِبَل غيرهم من حقّ مال أو نفس، الحق الذي جعله الله لهم إلى غيره، وأنها غير منسوخة، إذ كان لا دلالة على نسخها، وأن للقول بأنها محكمة وجهاً صحيحاً مفهوماً».

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾ سبحان الله: تنزيه الله تعالى من كل سوء، ووصفه بالبراءة من كل نقص على طريق المبالغة، ويكون «سبحان» بمعنى التعجب، «أسرى بعبده» أي: سيّره، وكذلك سرى به، والعبد هو: محمد ﷺ.

﴿من المسجد الحرام﴾، قيل: كان الإسراء من مسجد مكة، روى قتادة عن أنس عن مالك ابن صعصعة أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا في المسجد الحرام في الحِجْر بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق»[2]، فذكر حديث المعراج.

وقال قوم: عرج به من دار أم هانىء بنت أبي طالب[3]، ومعنى قوله: **﴿من المسجد الحرام﴾**

---

(١) هي مكية في قول الجماعة، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله، فيما أخرجه عنه: النحاس، وابن مردويه، قال: «نزلت سورة بني إسرائيل بمكة».
وقال بعضهم: فيها مدنيّ، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً، حيث قال: هي مكية إلا ثمان آيات.
انظر: الدر المنثور: ١٨١/٥، زاد المسير: ٣/٥.

(٢) وهو مروي في الصحيحين وغيرهما، وسيأتي تخريجه قريباً.

(٣) أخرجه ابن إسحاق في السيرة قال: حدثني محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح باذان، عن أم هانىء بنت أبي طالب.
انظر سيرة ابن هشام: ٤٠٢/١-٤٠٣، والطبري في التفسير: ٢/١٥.
قال الحافظ ابن كثير: (٢٣/٣): الكلبي متروك بمرة ساقط.
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٧٦/١): «رواه الطبراني في الكبير، وفيه عبدالأعلى بن أبي المساور، متروك كذاب».

أي: من الحرم[1] .

قال مقاتل: كانت ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة. ويقال: كان في رجب. وقيل: كان في شهر رمضان[2] .

﴿إلى المسجد الأقصى﴾، يعني: بيت المقدس، وسُمي أقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار. وقيل: لبعده من المسجد الحرام .

﴿الذي باركنا حوله﴾، بالأنهار والأشجار والثمار. وقال مجاهد: سماه مباركاً لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة والوحي، ومنه يحشر الناس يوم القيامة .

﴿لنريه من آياتنا﴾، من عجائب قدرتنا، وقد رأى هناك الأنبياء والآيات الكبرى .

﴿إنه هو السميع البصير﴾، ذكر «السميع» لينبِّه على أنه المجيب لدعائه، وذكر «البصير» لينبه على أنه الحافظ له في ظلمة الليل .

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: ما فقد جسد النبي ﷺ، ولكن الله أسرى بروحه[3] .

والأكثرون على أنه أسرى بجسده في اليقظة، وتواترت الأخبار الصحيحة على ذلك[4] .

---

(١) انظر: زاد المسير: ٥/٤ـ٥، تفسير الطبري: ١٥/٢ .

(٢) انظر الروايات في زمن الإسراء، في: الدر المنثور: ٥/٢٠٩ـ٢١١، إمتاع الأسماع للمقريزي: ١/٢٩، فتح الباري: ٧/٢٠٣، تفسير القرطبي: ١٠/٢١٠ .

(٣) أخرجه ابن إسحاق في السيرة: ١/٣٩٩ـ٤٠٠، والطبري: ١٥/١٦ عن عائشة ومعاوية .

وانظر: إمتاع الأسماع ١/٣٠، الروض الأنف للسهيلي: ١/٢٤٣ـ٢٤٤، تفسير ابن كثير: ٣/٢٤، الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١/٢٤٥ـ٢٤٦ .

وقد تعقب الطبري رحمه الله هذا الرأي وردّه ردّاً شديداً فقال: (١٥/١٦ـ١٧): «والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أسرى بعبده محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كما أخبر الله عباده، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، أن الله حمله على البراق حين أتاه به، وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل، فأراه ما أراه من الآيات .

ولا معنى لقول من قال: أسري بروحه دون جسده، لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلاً على نبوته، ولا حجة على رسالته، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك، وكانوا يدفعون به عن صدقه فيه، إذ لم يكن منكراً عندهم، ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل!

وبعد، فإن الله إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده، وليس جائزاً لأحد أن يتعدّى ما قال الله إلى غيره...» .

وانظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض: ١/٢٥٢ـ٢٥٦ .

وجمع الحافظ ابن كثير رحمه الله روايات أحاديث الإسراء في أول تفسير السورة: ٣/٣ـ٢٤ وقال: «وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث، صحيحها وحسنها وضعيفها، يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله ﷺ من =

أخبرنا أبو عمر عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن يوسف، حدثنا أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا هُدْبَةُ بن خالد، حدثنا همام بن يحيى، حدثنا قتادة (ح)[١] قال البخاري: وقال لي خليفة العصفري: حدثنا يزيد ابن زريع، حدثناسعيد وهشام. قالا: حدثنا قتادة (ح) عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ، حدثهم عن ليلة أسري به، (ح) قال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن يونس عن ابن شهاب عن أنس قال: كان أبو ذر يحدِّث أن رسول الله ﷺ قال: (ح)، وأخبرنا
٢٠٤/ أ أبو سعيد إسماعيل بن عبدالقاهر، أخبرنا أبو الحسن عبدالغافر بن محمد / [الفارسي أنبأنا أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد][٢] بن سفيان، حدثنا أبو الحسين مسلم بن الحجاج، حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت البناني عن أنس ابن مالك أن رسول الله ﷺ قال ـ [دخل حديث بعضهم في بعض[٣] ـ قال أبو ذر: إن رسول الله ﷺ قال:][٤] «فُرِّج عني سقف بيتي، وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرَّج صدري، ثم غسله بماء زمزمَ، ثم جاء بطَسْتٍ من ذهب ممتلىءٍ حكمةً وإيماناً، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه».

وقال مالك بن صعصعة: إن نبي الله ﷺ حدَّثهم عن ليلة أسري به قال: «بينما أنا في الحطيم،

= مكة إلى بيت المقدس، وأنه مرة واحدة، وإن اختلفت عبارات الرواة في أدائه، أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه؛ فإن الخطأ جائز على مَنْ عدا الأنبياء عليهم السلام، ومَنْ جعل من الناس ـ كلَّ رواية خالفت الأخرى مرة على حدة، فأثبت اسراءات متعددة فقد أبعد وأغرب، وهرب إلى غير مهرب ولم يتحصل على مطلب. وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه عليه السلام أسري به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط، ومرة من مكة إلى السماء فقط، ومرة إلى بيت المقدس، ومنه إلى السماء، وفرح بهذا المسلك وأنه قد ظفر بشيء يخلص به من الإشكالات، وهذا بعيد جداً، ولم ينقل هذا عن أحد من السلف، ولو تعدد هذا التعدد لأخبر النبي ﷺ به أمته، ولنقله الناس على التعدد والتكرر».

(١) إذا كان للحديث إسنادان أو أكثر، فإن المحدثين يكتبون عند الانتقال من إسناد إلى إسناد آخر ما صورته (ح)، وهي حاء مفردة مهملة، إشارة إلى التحويل من سند إلى سند آخر... وبعضهم يقول إذا وصل إليها (الحديث)... ومنهم من يقول إذا انتهى إليها في القراءة: (حا) ويمرّ.
وقال الحافظ عبدالقادر الرّهاوي: إنها حاء من حائل، أي: تحول بين الإسنادَيْن، قال: ولا يلفظ بشيء عند الانتهاء إليها في القراءة، وأنكر كونها من «الحديث» وغير ذلك.
واختار ابن الصلاح أن يقول القارىء عند الانتهاء إليها: (حا) ويمرّ، فإنه أحوط الوجوه وأعدلها.
انظر: علوم الحديث لابن الصلاح ص (٢٠٣ـ٢٠٤) بتحقيق الشيخ الدكتور نور الدين عتر.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) إذا روى الراوي الحديث عن شيخين فأكثر، وبين ألفاظهم تباين، فإن ركَّب السياق من الجميع ـ كما فعل المصنف هنا ـ وساق الحديث بتمامه فإن هذا سائغ، فإن الأئمة تلقوه بالقبول. وقد بيَّن المصنف ما في كل رواية من زيادة أو نقص.
انظر: الباعث الحثيث لابن كثير: ص (١٢٣ـ١٢٤)، فتح الباري لابن حجر: ٨/٤٥٦ـ٤٥٧.

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».

وربما قال في الحِجْر[١]، بين النائم واليقظان»، وذكر بين رجلين[٢]، «فأتيت بَطسْتٍ من ذهب مملوء حكمة وإيماناً فشقّ من النَحْر إلى مَرَاقّ البطن[٣]، واستخرج قلبي فغسل ثم حُشِي، ثم أُعيد»[٤] .

وقال سعيد وهشام: ثم غُسِلَ البطنُ بماء زمزم ثم ملىء إيماناً وحكمةً، ثم أُوتيتُ بالبراق، وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طَرْفِه، فركبتُه فانطلقت مع جبريل حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي تَرْبِط بها الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترتَ الفطرةَ، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح، قيل من هذا؟ قال: جبريل: قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنِعْمَ المجيءُ جاء، ففُتِح، فلما خَلَصْتُ، فإذا فيها آدم، فقال لي: هذا أبوك آدم، فسلِّم عليه، فسلمتُ عليه، فردَّ السلام، ثم قال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح .

وفي حديث أبي ذر: عَلَوْنَا السماء الدنيا، فإذا رجلٌ قاعدٌ عن يمينه أَسْوِدَةٌ وعن يساره أَسْوِدة، إذا نظر قِبَلَ يمينه ضحك، وإذا نظر قِبَلَ شماله بكى، فقال: مرحباً بالنبيِّ الصالح، والابن الصالح. قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة التي عن يمينه وشماله نَسَمُ بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قِبَل شماله بكى .

ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيءُ جاء، ففتح، فلما خلصت، إذا

---

(١) هو شك من قتادة. والمراد بالحطيم هنا: الحِجْر. انظر: فتح الباري: ٢٠٤/٧ .

(٢) قال ابن حجر في الموضع السابق: ووقع في بدء الخلق من صحيح البخاري بلفظ «وذكر بين الرجلين» وهو مختصر، وقد أوضحته رواية مسلم من طريق سعيد عن قتادة بلفظ: «إذ سمعت قائلاً يقول: أحد الثلاثة بين الرجلين، فأتيت، فانطلق بي».. والمراد بالرجلين حمزة وجعفر، وكان النبي ﷺ نائماً بينهما .

(٣) «مَرَاقّ البطن»: بفتح الميم وتخفيف الراء وتشديد القاف، هو: ما أسفل من البطن ورقّ من جلده، وأصله مراقق، وسميت بذلك لأنها موضع رقة الجلد. انظر: فتح الباري: ٣٠٨/٦ .

(٤) قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (٣٠٤/٧-٣٠٥): «وقد استنكر بعضهم وقوع شقّ الصدر ليلة الإسراء وقال: إنما كان ذلك وهو صغير في بني سعد .

ولا إنكار في ذلك، فقد تواردت الروايات به، وثبت شق الصدر أيضاً عند البعثة، كما أخرجه أبو نعيم في «الدلائل»، ولكل منهما حكمة؛ فالأول وقع فيه من الزيادة ـ كما عند مسلم من حديث أنس ـ «فأخرج علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك»، وكان هذا في زمن الطفولية، فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان .

ثم وقع شق الصدر عند البعث زيادة في إكرامه، ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة. ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الإسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه ﷺ» .

قارن بـ: الشفا للقاضي عياض: ٢٥٤/١-٢٥٥ .

بيحيى وعيسى، عليهما السلام، وهما ابنا خالة، قال: هذا يحيى وعيسى، فسلم عليهما، فسلَّمت فردَّا، ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح .

ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قال: ومن معك؟ قال محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباًبه فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت، فإذا يوسف، وإذا هو قد أُعطي شطر الحسن، قال: هذا يوسف فسلِّمْ عليه، فسلمتُ عليه فردّ عليّ، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح، والنبي الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت فإذا إدريس، قال هذا إدريس فسلِّم عليه، فسلمت عليه، فردّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيءُ جاء، فلما خلصت فإذا هارون، قال: هذا هارون فسلِّمْ عليه، فسلمت عليهفردَّثم قال: مرحباً بالأخ الصالح، والنبي الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيءُ جاء، فلما خَلَصْتُ فإذا موسى، قال: هذا موسى فسلِّمْ عليه، فسلمتُ عليه فردّ ثم قال: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح، فلما جاوزتُ بكى قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بُعِثَ بعدي يدخل الجنةَ من أمته أكثرُ ممن يدخلها من أمتي[1] .

ثم صَعِدَ بي إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، فلما خلصتُ فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك إبراهيم، فسلِّمْ عليه، فسلمتُ عليه فردّ السلام، ثم قال: مرحباً بالنبي الصالح، والابن الصالح، فَرُفِع لي البيت المعمور، فسألت جبريل؟ فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم .

---

(١) قال العلماء: لم يكن بكاء موسى حسداً، معاذ الله، فإن الحسد في ذلك العالم منزوع عن آحاد المؤمنين، فكيف بمن اصطفاه الله تعالى، بل كان أسفاً على ما فاته من الأجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم المستلزم لتنقيص أجره، لأن لكل نبي مثل أجر كل من اتبعه، ولهذا كان من اتبعه من أمته في العدد دون من اتبع نبينا محمداً ﷺ، مع طول مدتهم بالنسبة لهذه الأمة .
انظر: فتح الباري: ٢١١/٧ شرح السنة: ٣٤٢/١٣ .

وقال ثابت عن أنس: فإذا أنا بإبراهيم مسند ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كلَّ يوم سبعون ألف مَلَكٍ لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا نَبِقُها مثل قِلاَل هَجَر، وإذا ورقها مثل آذان الفِيَلَة، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيَّرت، فما أحدٌ من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حُسْنِها، في أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان ياجبريل؟ فقال: أما الباطنان، فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات .

وأوحى إليَّ ما أُوحى، فَفَرَض عليَّ خمسين صلاةً في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى، فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجعْ إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخَبَرْتُهم، قال: فرجعتُ إلى ربي فقلت: يارب خفِّف على أمتي، فحطَّ عني خمساً، فرجعت إلى موسى فقلت: حطَّ عني خمساً، قال: إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف .

قال: فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى حتى قال: يا محمَّدُ إنهنّ خمسُ صلواتٍ كلَّ يومٍ وليلة، لكل صلاةٍ عَشْرٌ، هي خمسٌ وهي خمسون، لا يُبَدَّلُ القولُ لديَّ، ومَنْ همّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً، ومن همَّ بسيئةٍ فلم يعملها لم تكتب شيئاً، فإن عملها كتبت سيئة واحدة .

قال: فنزلت حتى انتهيتُ إلى موسى فأخبرتهُ، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك .

فقلت: سألت ربي حتى استحييت ولكني أرضى وأُسلِّمُ، قال: فلما جاوزت نادى منادٍ:
٢٠٤/ب أمضيتُ فريضتي وخففتُ عن عبادي، ثم أُدْخِلْتُ الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ[١]، وإذا ترابها المسك /.

قال ابن شهاب: فأخبرني ابن حزم[٢] أن ابن عباس وأبا حَبَّة الأنصاري، كانا يقولان: قال النبي ﷺ: ثم عُرِجَ بي حتى ظهرتُ لمستوىً فيه صريف الأقلام[٣] .

قال ابن حزم وأنس: قال النبي ﷺ: ففرض الله على أمتي خمسين صلاة[٤] .

---

(١) قباب اللؤلؤ. والجنابذ جمع جُنْبُذَة، وهي القُبَّة. (شرح السنة: ٣٤٧/١٣) .

(٢) هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وروايته عن أبي حبّة الأنصاري منقطعة، لأنه استشهد بأُحد قبل مولد أبي بكر بدهر. فتح الباري: ٤٦٢/١ .

(٣) أي: ما يكتبه الملائكة من أقضية الله عزّ وجلّ، ومَا ينسخونه من اللوح المحفوظ. شرح السنة: ٣٤٨/١٣ .

(٤) هذا الحديث برواياته وطرقه التي ساقها المصنف، أخرجه البخاري في الصلاة باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء: ٤٥٨/١-٤٥٩، وفي بدء الخلق، باب ذكر الملائكة: ٣٠٢/٦-٣٠٣، وفي مناقب الأنصار، باب المعراج: ٢٠١/٧-٢٠٢ وفي مواضع أخرى .

وأخرجه مسلم في الإيمان، باب الإسراء برقم (١٦٢-١٦٤): ١٤٥/١-١٥١، والمصنف في شرح السنة: ٣٣٦/١٣-٣٤١، ٣٤٣-٣٤٤، ٣٤٥-٣٤٧ .

وروى مَعْمَرٌ عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ : أُتي بالبُراق ليلة أسريَ به مُلْجَماً مُسْرَجاً، فَاسْتَصْعَبَ عليه، فقال جبريل : أبمحمدٍ تفعلُ هذا؟ فما ركبك أحدٌ أكرمُ على الله منه، فارفضَّ عرقاً[1] .

وقال ابن بريدة عن أبيه قال: قال النبي ﷺ : لما انتهينا إلى بيت المقدس قال جبريل بأصبعه، فخرق بها الحجر وشدّبها البُراق[2] .

أنبأنا عبدالواحد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثني محمود، أنبأنا عبدالرزاق، أنبأنا معمر عن الزهري، أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «ليلة أسري بي لقيتُ موسى، قال: فَنَعَتَهُ، فإذا هو رجل ـ حسبته قال: مُضْطَرِبٌ ـ رَجِلُ الرأس كأنه من رجال شَنُوءَة». قال: ولقيتُ عيسى، فنعته النبي ﷺ فقال : «رَبْعة، أحمر، كأنما خرج من ديماس، يعني: الحمام، ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به، قال: وأُتِيتُ بإناءين: أحدهما لبن، والآخر فيه خمر، فقيل لي: خذْ أيهما شئت، فأخذت اللَّبَنَ فشربته، فقيل لي: هديت الفطرة [أو أصبت الفطرة][3]، أمَا إنك لو أخذتَ الخمر غَوَتْ أُمتُك»[4] .

أنبأنا عبدالواحد المليحي، حدثنا أحمد بن عبدالله النعيمي، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله : «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس»، قال : هي رؤيا عين أُرِيَها النبيُّ ﷺ ليلة أسريَ به إلى بيت المقدس. قال : والشجرة الملعونة في القرآن قال: هي شجرة الزقوم[5] .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله، حدثني سليمان، عن شريك بن عبدالله قال: سمعت

---

(١) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الإسراء: ٥٦٤/٨، وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالرزاق»، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٦٤/٣، والطبري: ١٥/١٥، وزاد السيوطي نسبته لابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي. انظر: الدر المنثور: ٢١٠/٥ .

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير: ٥٦٥/٨، وقال: هذا حديث غريب، وأخرجه ابن حبان ص (٣٩) من موارد الظمآن. وأخرجه البزار في مسنده وقال: «لا نعلم رواه عن الزبير بن جنادة إلا أبو نميلة، ولا نعلم هذا الحديث إلا عن بريدة». انظر: تفسير ابن كثير: ١١/٤ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٤) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: (واذكر في الكتاب مريم..) ٤٧٦/٦، وفي مواضع أخرى. ومسلم في الإيمان، باب الإسراء برقم (١٦٨): ١٥٤/١، والمصنف في شرح السنة: ٣٥٢/١٣ .

(٥) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار، باب المعراج: ٢٠٣/٧، وفي التفسير، وفي القدر، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٣٤٨/١٣ .

أنس بن مالك يقول : ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نَفَرٍ، قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال: أوسطهم هو خيرهم، فقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه، وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلّموه حتى احتملوه ووضعوه عند بئر زمزم، فشقَّ جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده. وساق حديث المعراج بقصته. فقال: فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يَطَّرِدَان، قال: هذا النيل والفرات، عنصرهما واحد، ثم مضى به في السماء الثانية، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فضرب يده فإذا هو مسك أَذْفر، قال: ما هذا ياجبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربُّك. وساق الحديث، وقال: ثم عُرِج بي إلى السماء السابعة، وقال: قال موسى: ربِّ لم أظن أن ترفع علي أحداً، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار ربُّ العزة فتدلّى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأُوحى إليه فيما يوحي إليه الله خمسين صلاة كل يوم وليلة، وقال: فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات، ثم احتبسه موسى عند الخمس، فقال: يامحمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا عنه وتركوه، فأمّتُك أضعف قلوباً وأجساداً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً، فارجِعْ فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبي ﷺ إلى جبريل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبريل، فرفعه عند الخامسة، فقال: يارب إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنا، فقال الجبار: يامحمد، قال: لبيك وسعديك، قال: إنه لا يبدل القول لديَّ، كما فرضت عليك في أم الكتاب، فكل حسنة بعشر أمثالها، فهي خمسون في أم الكتاب، وهي خمس عليك، فقال موسى: ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضاً، فقال رسول الله ﷺ: «قد والله استحييت من ربي مما اختلفتُ إليه»، قال: فاهبط بسم الله، فاستيقظ وهو في المسجد الحرام .

وروى مسلم هذا الحديث مختصراً عن هارون بن سعيد الإيلي، عن ابن وهب، عن سليمان ابن بلال[(١)] .

قال شيخنا الإمام رضي الله عنه: قد قال بعض أهل الحديث ما وجدنا لمحمد بن إسماعيل ولمسلم في كتابيهما شيئاً لا يحتمل مخرجاً إلا هذا، وأحال الأمر فيه إلى شريك بن عبدالله، وذلك أنه ذكر فيه أن ذلك قبل أن يوحى إليه، واتفق أهل العلم على أن المعراج كان بعد الوحي بنحو من اثنتي عشرة سنة قبل الهجرة بسنة .

---

(١) أخرجه البخاري في التوحيد، باب ما جاء في قوله عز وجل: ﴿وكلّم الله موسىٰ تكليماً﴾: ١٣/٤٧٧–٤٧٩، ومسلم في الإيمان، باب الإسراء، برقم (١٦٢): ١/١٤٨ .

وفيه أيضاً : «أن الجبار دنا فتدلى». وذكرت عائشة أن الذي دنا فتدلى جبريل عليه السلام[1] .

قال شيخنا الإمام رضي الله عنه : وهذا الاعتراض عندي لا يصح، لأن هذا كان رؤيا في النوم، أراه الله عزّ وجلّ قبل الوحي، بدليل آخر الحديث: قال فاستيقظ وهو في المسجد الحرام، ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي قبل الهجرة بسنة تحقيقاً لرؤياه من قبل، كما أنه رأى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة، ثم كان تحقيقه سنة ثمان ونزل قوله عزّ وجلّ[2] : «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق» (الفتح ــ ٢٧) .

وروي أنه لما رجع رسول الله ﷺ ليلة أسري به وكان بذي طوىٰ قال: ياجبريل إن قومي لا يصدِّقوني، قال: يصدقك أبو بكر وهو الصدِّيق[3] .

قال ابن عباس، وعائشة، رضي الله عنهم، عن رسول الله ﷺ: لما كانت ليلة أسري بي فأصبحت بمكة فضقتِ بأمري وعرفت أن الناس مكذِّبي، فروي أنه عليه الصلاة والسلام قعد معتزلاً حزيناً، فمرَّ به أبو جهل فجلس إليه فقال له كالمستهزىء: هل استفدت من شيء؟ قال: نعم إني أسري بي الليلة قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا، قال: نعم، فلم يرَ أبو جهل أنه ينكر، مخافة أن يجحده الحديث، قال: أتحدث قومك ما حدثتني؟ قال: نعم، قال أبو جهل: يامعشر بني كعب بن لؤي هلمُّوا، قال: فانفضت إليه المجالس فجاؤوا حتى جلسوا إليهما، قال: فحدث قومك ما حدثتني قال: نعم إني أسريَ بي الليلة، قالوا إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم، قال: فمن بين مصفق، ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً، وارتدَّ ناس ممن كان آمن به وصدقه، وسعى رجل من المشركين إلى أبي بكر فقال: هل لك في صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس، قال: أوقد قال ذلك؟ قال: نعم، / ٢٠٥/ أ
قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: وتصدقه أنه ذهب إلى بيت المقدس في ليلة وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك، أصدِّقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمي أبو بكر الصديق .

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق: ٦/٣١٣، ومسلم في الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: (ولقد رآه نزلة أخرى): ١/١٦٠ــ١٦١ .

(٢) انظر ما قيل في ذلك كله بالتفصيل: أعلام الحديث للخطابي: ٤/١٢٥٤ــ١٢٥٧، فتح الباري: ١٣/٤٧٩ــ٤٨٧ .

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى»: ١/٢١٥، والطبراني في «الأوسط» وسعيد بن منصور، وابن مردويه، عن أبي هريرة انظر: الدر المنثور: ٥/٢٢١ــ٢٢٢.

قال: وفي القوم من قد أتى المسجد الأقصى، فقالوا: هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ قال: نعم، قال: فذهبت أنعتُ وأنعتُ، فما زلت أنعت حتى التبس عليّ [بعض النعت]، قال: فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل فنعتُّ المسجد، وأنا أنظر إليه، فقال القوم: أمّا النعت فوالله لقد أصاب، ثم قالوا: يا محمد أخبرنا عن عيرنا هي أهمُّ إلينا، فهل لقيت منها شيئاً؟ قال: نعم مررت على عير بني فلان، وهي بالرَّوْحاء، وقد أضلوا بعيراً لهم، وهم في طلبه، وفي رحالهم قدح من ماء فعطشت فأخذته فشربته، ثم وضعته كما كان فسلوهم هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا إليه؟ قالوا: هذه آية، قال: ومررت بعير بني فلان، وفلانٌ وفلان راكبان قعوداً لهما بذي طُوًى، فنفر بعيرهما مني فرمى بفلان، فانكسرت يده، فسلوهما عن ذلك، قالوا: وهذه آية. قالوا: فأخبِرْنا عن عيرنا نحن؟ قال: مررت بها بالتنعيم، قالوا: فما عِدَّتُها وأحمالها وهيئتها ومن فيها؟ فقال: نعم، هيئتها كذا وكذا، وفيها فلان وفلان، يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان، تطلع عليكم عند طلوع الشمس، قالوا وهذه آية. ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون: والله لقد قصَّ محمد شيئاً وبيَّنه حتى أتوا كُدَىً، فجلسوا عليه فجعلوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه، إذْ قال قائل منهم: والله هذه الشمس قد طلعت، وقال آخر: وهذه والله الإبل قد طلعت، يقدمها بعير أورق، فيها فلان وفلان، كما قال لهم، فلم يؤمنوا، «وقالوا: إن هذا إلا سحر مبين»[1].

أنبأنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنبأنا عبدالغافر بن محمد، أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي، أنبأنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثني زهير بن حرب، حدثنا حجر بن المثنى، أنبأنا عبدالعزيز ـ وهو ابن أبي سلمة ـ عن عبدالله بن الفضل، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتُني في الحِجْر، وقريشٌ تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أُثْبِتْهَا، فكُرِبْتُ كَرْباً ما كربت مثله قط، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، ولقد رأيتُني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضَرْبٌ جَعْدٌ كأنه من رجال شنوءة وإذا عيسى قائم يصلي، أقربُ الناس به شبهاً عروةُ بن مسعودٍ الثقفي، وإذا إبراهيم قائم يصلي، أشبه الناس به صاحبكم ـ يعني نفسه ـ فجاءت الصلاة فأمَمْتُهُمْ، فلما فرغتُ من الصلاة قال لي قائل: يامحمد هذا مالكٌ صاحبُ النار فسلِّم عليه. فالتفتُّ إليه فبدأني بالسلام»[2].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٣٠٩/١، والبزار، والطبراني، وابن أبي شيبة، والنسائي، وابن مردوية، وأبو نعيم في «الدلائل» والضياء في «المختارة»، وابن عساكر، بسند صحيح.
انظر: مجمع الزوائد: ٦٤/١ـ٦٥، الدر المنثور: ٢٢٢/٥، وتفسير ابن كثير: ١٦/٣ـ١٧.

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجّال، برقم (١٧٢): ١٥٦/١ـ١٥٧. وانظر: شرح السنة: ٣٥٣/١٣.

وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾

قوله عزّ وجلّ: **﴿وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدىً لبني إسرائيل أنْ لا﴾**، بأن لا، **﴿تتخذوا من دوني وكيلاً﴾**، رباً وكفيلاً.

قال أبو عمرو «لا يتخذوا» بالياء، لأنه خبر عنهم، والآخرون: بالتاء، يعني: قلنا لهم لا تتخذوا.

﴿ذرية مَنْ حملنا﴾، قال مجاهد: هذا نداء، يعني: ياذرية من حملنا، **﴿مع نوح﴾**، في السفينة فأنجيناهم من الطوفان، **﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾**، كان نوح عليه السلام إذا أكل طعاماً أو شرب شراباً أو لبس ثوباً قال: الحمد لله، فسُمي عبداً شكوراً[1]، أي: كثير الشكر.

قوله عزّ وجلّ: **﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾** الآيات.

روى سفيان بن سعيد الثوري عن منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ[2]: «إنَّ بني إسرائيل لمّا اعتدوا وقتلوا الأنبياء بعث الله عليهم ملك فارس

---

(1) أخرجه ابن جرير: ١٥/١٩ عن سلمان، ومجاهد، وقتادة وغيرهما، وصححه الحاكم على شرط الشيخين: ٢/٣٦٠ وذكر السيوطي جملة أخبار في ذلك، انظر: الدر المنثور: ٥/٢٣٦-٢٣٧، وأخرج الإمام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها». وفي البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ - في حديث الشفاعة - قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة... - وفيه -: فيأتون نوحاً فيقولون: يانوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سمّاك الله عبداً شكوراً، فاشفع لنا إلى ربك» وذكر الحديث بكماله.

(2) أخرجه الطبري، انظر: التفسير: ١٥/٢٢-٤٣، تاريخ الطبري: ١/٥٣٢-٥٥٧، الدر المنثور: ٥/٢٤٣-٢٤٤.
وهذه الروايات الكثيرة التي ساقها المصنف رحمه الله في هؤلاء المسلّطين على بني إسرائيل، من الإسرائيليات والموضوعات، وفيها من العجائب والغرائب والمبالغات مالا يصدق، وفيها ما يحتمل الصدق أيضاً، وقد نقل ابن جرير كثيراً منها عن ابن إسحاق، وواضح أن ابن إسحاق يذكر صراحة اسم أهل الكتاب، وأنهم يقولون كذا... أو عندهم كذا...، ونحن في غنية عن هذه الروايات جميعها.
ونضع هنا كلمة قيمة للحافظ ابن كثير - رحمه الله - تعقيباً على هذه الروايات، قال: «وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلطين عليهم: مَنْ هم؟.
فعن ابن عباس وقتادة: أنه «جالوت» وجنوده.. وعن سعيد بن جبير: أنه ملك الموصل «سنجاريب» وجنوده. وعنه أيضاً: أنه «بختنصر» ملك بابل. وقد ذكر ابن أبي حاتم له قصة عجيبة في كيفية ترقيه مِنْ حالٍ إلى حال إلى أن ملك البلاد...».
ثم قال ابن كثير: «وقد روى ابن جرير في هذا المكان حديثاً أسنده عن حذيفة مرفوعاً مطولاً - وهو الحديث الذي ساقه البغوي هنا - وهو حديث موضوع لا محالة، لا يستريب في ذلك مَنْ عنده أدنى معرفة بالحديث. والعجب كل العجب، =

«بختنصر»، وكان الله ملّكه سبعمائة سنة، فسار إليهم حتى دخل بيت المقدس، فحاصرها وفتحها، وقتل على دم يحيى بن زكريا عليه السلام سبعين ألفاً، ثم سبى أهلها [والأبناء](١)، وسلب حُليّ بيت المقدس، واستخرج منها سبعين ألفاً ومائة ألف عجلة من حلي، قلت: يا رسول الله كان بيت المقدس عظيماً؟ قال: أجل بناه سليمان بن داود من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد، وكان عمده ذهباً، أعطاه الله ذلك، وسخّر له الشياطين، يأتونه بهذه الأشياء في طرفة عين، فسار بها بختنصر حتى نزل بابل فأقام بنو إسرائيل في يده مائة سنة يستعبدهم المجوس وأبناء المجوس، فيهم الأنبياء، ثم إن الله رحمهم فأوحى إلى ملك من ملوك فارس يقال له «كورش»، وكان مؤمناً، أن يسير إليهم ليستنقذ بقايا بني إسرائيل، فسار كورش لبني إسرائيل وأخذ حلي بيت المقدس حتى ردَّها إليه، فأقام بنو إسرائيل بها مطيعين لله تعالى مائة سنة، ثم إنهم عادوا في المعاصي فسلَّط الله عليهم ملكاً يقال له «أنطيانوس» فغزا بني إسرائيل حتى أتاهم بيت المقدس، فسبى أهلها وأحرق بيت المقدس، وقال لهم: يابني إسرائيل إن عدتم في المعاصي عدنا عليكم ثانياً [بالسبي](٢)، فعادوا، فسلَّط الله عليهم ملك رومية يقال له «فاقس بن أستيانوس»، فغزاهم في البر والبحر فسباهم وسبى حلي بيت المقدس وأحرق بيت المقدس، قال رسول الله ﷺ فهذا من صفة حلّي بيت المقدس، ويرده المهدي إلى بيت المقدس، وهو ألف وسبعمائة سفينة يرمي بها على يافا حتى تنقل إلى بيت المقدس، وبها يجمع الله الأولين والآخرين» .

= كيف راج عليه مع جلالة قدره وإمامته! وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة أبو الحجاج المزي ــ رحمه الله ــ بأنه موضوع مكذوب، وكتب ذلك على حاشية الكتاب» .

ثم قال مشيراً إلى سائر الروايات الأخرى: «وقد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية، ولم أر تطويل الكتاب بذكرها؛ لأن منها ما هو موضوع، مِنْ وضع بعض زنادقتهم، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحاً، ونحن في غنية عنها، ولله الحمد. وفيما قصَّ الله علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله، ولم يحوجنا الله ولا رسوله إليهم. وقد أخبر الله عنهم: أنهم لما طغوا وبغوا سلَّط الله عليهم عدوهم فاستباح بيضتهم، وسلك خلال بيوتهم، وأذلّهم وقهرهم جزاءً وفاقاً، وما ربك بظلام للعبيد، فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقاً من الأنبياء والعلماء .

وقد روى ابن جرير بسنده عن سعيد بن المسيب يقول: ظهر بختنصر على الشام فخرب بيت المقدس وقتلهم، ثم أتى دمشق فوجد بها دماً يغلي على كبا، فسألهم ما هذا الدم.. فقتل على ذلك الدم سبعين ألفاً من المسلمين وغيرهم فسكن، وهذا صحيح إلى سعيد بن المسيب، وهذا هو المشهور، وأنه قتل أشرافهم وعلماءهم حتى إنه لم يبق من يحفظ التوراة، وأخذ معه منهم خلقاً كثيراً أسرى من أبناء الأنبياء وغيرهم. وجرت أمور وكوائن يطول ذكرها، ولو وجدنا ما هو صحيح أو ما يقاربه لجاز كتابته وروايته، والله أعلم» .

وانظر أيضاً: الاسرائيليات والموضوعات للشيخ محمد أبو شهبة ص (٣٢٧-٣٣٤) .

(١) ساقط من «ب» .

(٢) زيادة في «ب» .

قال محمد بن إسحاق: كانت بنو إسرائيل فيهم الأحداث والذنوب وكان الله في ذلك متجاوزاً عنهم محسناً إليهم، وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم كما أخبر على لسان موسى عليه السلام، أن ملكاً منهم كان يدعى «صديقة»[1] وكان الله تعالى إذا ملَّك الملك عليهم بعث معه نبياً يسدِّدُه ويرشده، لا ينزل عليهم الكتب، إنما يؤمرون باتباع التوراة والأحكام التي فيها .

فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه «شعياء بن أصفيا»، وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام، و«شعياء» هو الذي بشَّر بعيسى ومحمد عليهما السلام، فقال: أبشري أورشليم، الآن يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير، فملك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زماناً فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الأحداث وشعياء معه، بعث الله عليهم «سنجاريب»[2] ملك بابل، معه ستمائة ألف راية، فأقبل سائراً حتى نزل حول بيت المقدس، والملك مريض، في ساقه قُرْحَةٌ، فجاء النبي شعياء وقال له: ياملك بني إسرائيل إن سنجاريب ملك بابل قد نزل بك، هو وجنوده بستمائة ألف راية، وقد هابهم الناس وفرقوا، فكَبُرَ ذلك على الملك، فقال: يانبي الله هل أتاك وحي من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبسنجاريب وجنوده؟ .

فقال: لم يأتِني وحي، فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعياء النبي أن ائت ملك بني إسرائيل فمره أن يوصي وصيته ويستخلف ـ على ملكه من يشاء من أهل بيته ـ فأتى شعياء ملك بني إسرائيل «صديقة» فقال له: إن ربك قد أوحى إليّ أن آمرك أن توصي وصيتك، وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك، فإنك ميت، فلما قال ذلك شعياء لصديقه أقبل على القبلة فصلّى ودعا وبكى، فقال وهو يبكي وتضرع إلى الله بقلب مخلص: اللهم ربَّ الأرباب، وإله الآلهة، ياقدوس المتقدس يارحمن، يارحيم، يارؤوف، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، اذكرني بعملي وفعلي وحسن قضائي على بني إسرائيل، وذلك كله كان منك وأنت أعلم به مني، سرِّي وعلانيتي لك وأنت الرحمن. فاستجاب له وكان عبداً صالحاً، فأوحى الله تعالى إلى شعياء أن يخبر صديقه أن ربَّه قد استجاب له ورحمه، وأخَّر له أجله خمس عشرة سنة، وأنجاه من عدوه سنجاريب، فأتاه شعياء فأخبره بذلك، فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الحزن، وخرّ ساجداً، وقال: يا إلهي وإله آبائي، لك سجدتُ وسبَّحت، وكبَّرت، وعظمت، أنت الذي تعطي الملك لمن تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء وتذل من تشاء، عالم الغيب والشهادة، أنت الأول والآخر، والظاهر والباطن، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين، وأنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي .

(١) في الأصل بالهاء، وفي الطبري بالتاء المربوطة .

(٢) في تاريخ الطبري «سنحاريب» بالحاء المهملة .

٢٠٥/ب فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعياء أن قل للملك صديقه / فيأمر عبداً من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى، يصبح وقد برأ، ففعل وشفي .

وقال الملك لشعياء: سل ربك أن يجعل لنا علماً بما هو صانع بعدوّنا هذا .

قال الله لشعياء: قل له: إني قد كفيتك عدوك وأنجيتك منهم، وإنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنجاريب وخمسة نفر من كتّابه .

فلما أصبحوا جاء صارخ فصرخ على باب المدينة، ياملك بني إسرائيل إن الله قد كفاك عدوك، فاخرج فإن سنجاريب ومن معه قد هلكوا، فلما خرج الملك التمس سنجاريب فلم يوجد في الموتى، فبعث الملك في طلبه فأدركه الطلب في مغارة وخمسة نفر من كتّابه أحدهم بختنصر فجعلوهم في الجوامع ثم أتوْا بهم إلى ملك بني إسرائيل، فلما رآهم خرّ ساجداً من حين طلعت الشمس إلى العصر، ثم قال لسنجاريب: كيف ترى فعل ربنا بكم؟ ألم يقتلكم بِحَوْلِه وقوّته ونحن وأنتم غافلون؟ .

فقال سنجاريب له: قد أتاني خبر ربكم ونصره إياكم ورحمته التي يرحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي فلم أطع مرشداً، ولم يُلْقِني في الشقوة إلا [ذلة في الدنيا وعذاب في الآخرة]، فلو سمعت أو عقلت ما غزوتكم .

فقال صديقه : الحمد لله رب العالمين الذي كفاناكم بما شاء، وإن ربنا لم يُبْقِكَ ومَنْ معك لكرامتك على ربك، ولكنه إنما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذاباً في الآخرة، ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم فتنذروا من بعدكم، ولولا ذلك لقتلكم ولَدَمُك ولَدَمُ من معك أهون على الله من دم قراد، لو قتلت .

ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أمير حرسه فقذف في رقابهم الجوامع فطاف بهم سبعين يوماً حول بيت المقدس وإيليا، وكان يرزقهم كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم، فقال سنجاريب لملك بني إسرائيل: القتل خير مما تفعل بنا. فأمر بهم الملك إلى سجن القتل، فأوحى الله إلى شعياء عليه السلام: أن قل لملك بني إسرائيل يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم، وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم، فبلغ شعياء الملك ذلك ففعل [الملك صديقه] ما أمر به .

فخرج سنجاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده، فقال له كهانه وسحرته: ياملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحي الله إلى نبيهم فلم تطعنا، وهي أمة لايستطيعها أحد مع ربهم، وكان أمر سنجاريب تخويفاً لهم ثم كفاهم الله، تذكرة وعبرة .

ثم لبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين، ثم مات واستخلف بختنصر، ابن ابنه، على ما كان عليه جده يعمل عمله، فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بني إسرائيل صديقه، فمرج أمر

بني إسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضاً، ونبيهم شعياء معهم ولا يقبلون منه، فلما فعلوا ذلك قال الله لشعياء قم في قومك أُوحي على لسانك، فلما قام النبي شعياء أنطق الله لسانه بالوحي، فقال: ياسماء اسمعي ويا أرض أنصتي فإن الله يريد أن يقص شأن بني إسرائيل الذين ربّاهم بنعمته، واصطنعهم لنفسه، وخصَّهم بكرامته، وفضلهم على عباده، وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها، فآوى شاردتها، وجمع ضالَّتها، وجبر كسرها، وداوى مريضها، وأسمن مهزولها، وحفظ سمينها، فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها، فقتل بعضها بعضاً، حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر إليه آخر كسير، فويل لهذه الأمة الخاطئة الذين لا يدرون أنى جاءهم الخير أن البعير مما يذكر وطنه فينتابه وأن الحمار مما يذكر الأريّ الذي شبع عليه فيراجعه، وأن الثور مما يذكر المرج الذي سمن فيه فينتابه، وأن هؤلاء القوم لا يذكرون من حيث جاءهم الخير وهم أولوا الألباب والعقول، ليسوا ببقر ولا حمير وأني ضارب لهم مثلاً فليسمعوه، قل لهم: كيف ترون في أرض كانت خواءً زماناً، خراباً، مواتاً، لا عمران فيها، وكان لها ربٌّ حكيم قوي، فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه وهو قوي، أو أن يقال ضيع وهو حكيم، فأحاط عليها جداراً، وشيّد فيها قصوراً، وأنبط نهراً، وصنف فيها غراساً من الزيتون والرمان والنخيل والأعناب وألوان الثمار كلها، وولى ذلك واستحفظه ذا رأي وهمة حفيظاً قوياً أميناً، فلما أطلعت جاء طلعها خروباً؟

قالوا بئست الأرض هذه فنرى أن يهدم جدارها وقصرها ويدفن نهرها ويقبض قيمها ويحرق غرسها حتى تصير كما كانت أول مرة خراباً مواتاً لا عمران فيها، قال الله: قال لهم: فإن الجدارَ ديني، وإن القصر شريعتي، وإن النهر كتابي، وإن القيم نبيي، وإن الغراس هم، وإن الخروب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة، وأني قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم، وإنه مثل ضربته لهم، يتقربون إلي بذبح البقر والغنم، وليس ينالني اللحم ولا آكله، ويَدَّعُون أن يتقربوا إلي بالتقوى والكف عن ذبح الأنفس التي حرمتها فأيديهم مخضوبة منها وثيابهم متزملة بدمائها، يشيدون لي البيوت مساجد، ويطهرون أجوافها وينجِّسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها، ويزوقون إليَّ المساجد، ويزينونها، ويخربون عقولهم وأحلامهم ويفسدونها فأي حاجة لي إلى تشييد البيوت ولست أسكنها؟ وأي حاجة لي إلى تزويق المساجد ولست أدخلها؟ إنما أمرت برفعها لأذكر وأسبح فيها .

يقولون: صمنا فلم يرفع صيامنا [وصلينا فلم تنور صلاتنا][1] وتصدقنا فلم يُزكّ صدقتنا، ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء الذئاب في كل ذلك لا يستجاب لنا .

قال الله: فاسألهم ما الذي يمنعني أن أستجب لهم؟ ألست أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرّب

(١) ساقط من «ب» .

المجيبين وأرحم الراحمين؟ فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام؟ أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية إلى من يحاربني ويحادني وينتهك محارمي؟ أم كيف تزكى عندي صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم؟ إنما آجر عليها أهلها المغصوبين؟ أم كيف أستجيب دعاءهم وإنما هو قول بألسنتهم، والفعل من ذلك بعيد، إنما أستجيب للداعي اللين، وإنما أسمع قول المستعفف المسكين، وإن من علامة رضاي رضا المساكين.

يقولون لما سمعوا كلامي وبلَّغتهم رسالتي: إنها أقاويل منقولة، وأحاديث متوارثة، وتأليف مما يؤلف السحرة والكهنة، وزعموا أنهم لو شاؤوا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا، ولو شاؤوا أن يطلعوا / على علم الغيب بما يوحي إليهم الشياطين اطلعوا، وإني قد قضيت يوم خلقت السماء والأرض قضاءً أثبته وحتَّمته على نفسي، وجعلت دونه أجلاً مؤجلاً لا بدّ أنه واقع، فإن صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى أنفذه؟ أو في أي زمان يكون؟ وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤون، فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها أمضيت فإني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وإن كانوا يقدرون على أن يقولوا ما يشاؤون فليقولوا مثل الحكمة التي بها أدبر أمر ذلك القضاء إن كانوا صادقين، وإني قد قضيت يوم خلقت السماء والأرض أن أجعل النبوة في الأجراء، وأن أجعل الملك في الرعاء، والعزّ في الأذلاء، والقوة في الضعفاء، والغنى في الفقراء، والعلم في الجهالة، والحكمة في الأميين فسلهم متى هذا ومن القائم به، ومن أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون، فإني باعث لذلك نبياً أمياً أميناً ليس بفظٍّ ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق، ولا متزيّن بالفحش، ولا قوّال للخنا أسدِّدُه لِكل جميل، وأهب له كل خلق كريم، أجعل السكينة لِباسَه، والبِرَّ شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة معقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفوَ والمعروف خلقه، والعدل سيرته، [والحق شريعته][1] والهدى [والقرآن] إمامه، والإسلامَ ملّته وأحمدَ اسمه، أهدي به بعد الضلالة، وأعلّم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة، وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة، وأغني به بعد العَيْلة، وأجمع به بعد الفرقة، وأؤلف به بين قلوب مختلفة، وأهواء متشتة وأمم متفرقة، وأجعل أمته خير أمة أُخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، توحيداً لي وإيماناً وإخلاصاً لي يصلون قياماً وقعوداً وركعاً وسجوداً، ويقاتلون في سبيلي صفوفاً وزحوفاً، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضواني ألهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والمدحة والتمجيد في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومناقبهم ومثواهم، يكبِّرون ويُهللون ويقدسون على رؤوس الأشراف ويطهرون لي الوجوه والأطراف يعقدون لي الثياب على الأنصاف، قربانهم دماؤهم، وأناجيلهم في صدورهم، رهبان بالليل ليوث بالنهار، ذلك فضلي أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم.

٢٠٦/أ

---

(١) ساقط من «ب».

فلما فرغ شعياء من مقالته عَدَوْا عليه ليقتلوه فهرب منهم، فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها، فأدركه الشيطان، فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إيّاها، فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها، واستخلف الله على بني إسرائيل بعد ذلك رجلاً منهم يقال له ناشية بن أموص، وبعث لهم أرمياء بن حلقيا نبياً، وكان من سبط هارون بن عمران .

وذكر ابن إسحاق أنه الخَضِر واسمه أرمياء، سمي الخَضِر لأنه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهي تهتز خضراء .

فبعث الله أرمياء إلى ذلك الملك ليسدّده ويرشده ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم، فأوحى الله إلى أرمياء أن ائت قومك من بني إسرائيل فاقصص عليهم ما آمرك به وذكرهم نعمتي وعرفهم بأحداثهم، فقال أرمياء: يارب إني ضعيف إن لم تقوّني، عاجز إن لم تبلغني، مخذول إن لم تنصرني، قال الله تعالى: أو لم تعلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئتي، وأن القلوب والألسنة بيدي أقلبها كيف شئت، إني معك ولن يصل إليك شيء معي، فقام أرمياء فيهم ولم يدر ما يقول فألهمه الله عزّ وجلّ في الوقت خطبة بليغة، بيَّن فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية، وقال في آخرها عن الله تعالى: وإني حلفت بعزتي لأقيضنّ لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولأسلّطن عليهم جباراً قاسياً ألبسه الهيبة، وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم، ثم أوحى الله إلى أرمياء: إني مهلك بني إسرائيل بيافث، ويافث من أهل بابل ـ على ما ذكرنا في سورة البقرة ـ فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف راية، ودخل بيت المقدس بجنوده ووطىء الشام، وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم، وخرب بيت المقدس، وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً ثم يقذفه في بيت المقدس، ففعلوا ذلك حتى ملؤوه، ثم أمرهم أن يجمعوا مَنْ في بلدان بيت المقدس كلهم، فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني إسرائيل، فاختار منهم سبعين ألف صبي فلما خرجت غنائم جنده، وأراد أن يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه: أيها الملك لك غنائمنا كلها، واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني إسرائيل، فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمان، وفرّق من بقي من بني إسرائيل ثلاث فرق، فثلثاً أقرّ بالشام، وثلثاً سبي، وثلثاً قُتل، وذهب بناشئة بيت المقدس وبالصبيان السبعين الألف حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الوقعة الأولى التي أنزل الله ببني إسرائيل بظلمهم، فذلك قوله تعالى : «فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد» يعني: بختنصر وأصحابه .

ثم إن بختنصر أقام في سلطانه ما شاء الله ثم رأى رؤيا أعجبته، إذْ رأى شيئاً أصابه فأنساه الله الذي رأى، فدعا دانيال وحنانيا وعزازيا وميشائيل، وكانوا من ذراري الأنبياء وسألهم عنها قالوا أخبرنا بها نخبرك بتأويلها، قال: ما أذكرها ولئن لم تخبروني بها وبتأويلها لأنزعنّ أكتافكم، فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا إليه، فأعلمهم بالذي سألهم عنه، فجاؤوه وقالوا: رأيت تمثالاً قدماه وساقاه من فخار، وركبتاه وفخذاه من نحاس، وبطنه من فضة، وصدره من ذهب، ورأسه وعنقه من حديد، قال: صدقتم، قالوا: فبينما أنت تنظر إليه وقد أعجبك أرسل الله تعالى صخرة من السماء فدقته فهي التي أنستكَها، قال: صدقتم، قال: فما تأويلها؟ قالوا تأويلها أنك رأيت ملك الملوك، فبعضهم كان ألين ملكاً وبعضهم كان أحسن ملكاً وبعضهم كان أشدَّ ملكاً، الفخار أضعفُه، ثم فوقه النحاس أشدُّ منه، ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك وأفضل، والذهب أحسن من الفضة وأفضل، ثم الحديد ملكك فهو أشد وأعز مما كان قبله، والصخرة التي رأيت أرسل الله من السماء فدقته نبيٌّ يبعثه الله من السماء فيدق ذلك أجمع ويصير الأمر إليه .

ثم إن أهل بابل قالوا / لبختنصر: أرأيت هؤلاء الغلمان من بني إسرائيل الذين كنا سألناك أن تعطيناهم ففعلت، فإنا قد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا، لقد رأينا نساءنا انصرفت عنا وجوههن إليهم فأخرجهم من بين أظهرنا أو اقتلهم، قال شأنكم بهم، فمن أحب منكم أن يقتل من كان في يده فليفعل . ٢٠٦/ب

فلما قرّبوهم للقتل بكوا إلى الله تعالى وقالوا: يارب أصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعد الله أن يجيبهم، فقتلوا إلا من استبقى بختنصر منهم دانيال وحنانيا وعزازيا وميشائيل .

ثم لما أراد الله هلاك بختنصر انبعث فقال لمن في يده من بني إسرائيل: أرأيتم هذا البيت الذي خربته والناس الذين قتلتُ منهم؟ وما هذا البيت؟ قالوا: هذا بيت الله، وهؤلاء أهله، كانوا من ذراري الأنبياء، فظلموا وتعدوا فَسُلِّطْتَ عليهم بذنوبهم، وكان ربهم، رب السموات والأرض ورب الخلق كلهم، يكرمهم ويعزهم، فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم الله وسلط عليهم غيرهم، فاستكبر وظن أنه بجبروته فعل ذلك ببني إسرائيل. قال: فأخبروني كيف لي أن أطلع إلى السماء العليا فأُقتل من فيها وأتخذها ملكاً لي فإني قد فرغت من الأرض، قالوا: ما يقدر عليها أحد من الخلائق، قال: لتفعلُنَّ أو لأُقتلنّكم عن آخركم، فبكوا وتضرعوا إلى الله تعالى فبعث الله عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخرة حتى عضّتْ بأم دماغه، فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أم دماغه، فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضّةً على أم دماغه ليري الله العبادَ قدرته، ونجّى الله من بقي من بني إسرائيل في يديه، فردوهم إلى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه .

ويزعمون: أن الله تعالى أحيا أولئك الذين قتلوا فلحقوا بهم، ثم إنهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله تعالى وكانت التوراة قد احترقت، وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فرجع إلى الشام يبكي عليها ليله ونهاره، وقد خرج من الناس، فهو كذلك إذ أقبل إليه رجل فقال ياعزير ما يبكيك؟ قال أبكي على كتاب الله وعهده الذي كان بين أظهرنا، الذي لا يُصْلِح دنيانا وآخرتنا غيره، قال: أفتحب أن يردَّ إليك؟ ارجع فصم وتطهر، وطهِّر ثيابك، ثم موعدك هذا المكان غداً، فرجع عزير فصام وتطهر وطهر ثيابه، ثم عمد إلى المكان الذي وعده فجلس فيه، فأتاه ذلك الرجل بإناء فيه ماء، وكان مَلَكًا بعثه الله إليه فسقاه من ذلك الإناء، فمثلت التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل فوضع لهم التوراة فأحبوه حتى لم يحبوا حبه شيئاً قط، ثم قبضه الله وجعلت بنو إسرائيل بعد ذلك يحدثون الأحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل، ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون حتى كان آخر من بعث الله فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى، وكانوا من بيت آل داود، فمات زكريا، وقيل قتل زكريا، فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم، وقتلوا يحيى، بعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له خردوش، فسار إليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم أمر رأساً من رؤوس جنوده يدعى بيورزاذان صاحب القتل، فقال: إني قد كنت حلفت بإلهي لئن أنا ظفرت على أهل بيت المقدس لأقتلنّهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري، إلا أني لا أجد أحداً أقتله، فأمره أن يقتلهم حتى بلغ ذلك منهم بيورزاذان، ودخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يُقرّبون فيها قربانهم فوجد فيها دماً يغلي فسألهم، فقال: يابني إسرائيل ما شأن هذا الدم يغلي؟ أخبروني خبره، قالوا: هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلي، ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان فيقبل منا إلا هذا، فقال: ما صدقتموني، فقالوا: لو كان كأول زماننا لتقبل منا، ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي فلذلك لم يقبل منا، فذبح منهم بيورزاذان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين زوجاً من رؤوسهم، فلم يهدأ، فأمر فأتي بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ، فأمر بسبعة آلاف من شيبهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد، فلما رأى بيورزاذان الدم لا يهدأ قال لهم: يابني إسرائيل ويلكم اصدقوني، واصبروا على أمر ربكم، فقد طال ما ملكتم في الأرض تفعلون فيها ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافخ نار أنثى ولا ذكر إلا قتلته، فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوا الخبر، فقالوا: إن هذا الدم دم نبي كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله فلو أنا أطعناه فيها لكان أرشد لنا وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدِّقه، فقتلناه فهذا دمه، فقال لهم بيورزاذان: ما كان اسمه؟ قالوا: يحيى بن زكريا، قال الآن صدقتموني، لمثل هذا انتقم ربُّكم منكم. فلما رأى بيورزاذان أنهم صدقوه خرّ ساجداً وقال لمن حوله: أغلقوا أبواب المدينة، وأخرجوا من كان هاهنا من جيش خردوش، وخلا في بني إسرائيل، ثم قال: يايحيى بن

زكريا قد علم ربّي وربُّك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم فاهدأ بإذن ربك قبل أن لا أبقي من قومك أحداً، فهدأ الدم بإذن الله، ورفع بيورزاذان عنهم القتل، وقال آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل وأيقنت أنه لا رب غيره، وقال لبني إسرائيل: إنّ خردوش أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره، وإني لست أستطيع [أن أعصيه](1)، قالوا له: افعل ما أُمرت به، فأمرهم فحفروا خندقاً، وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والإبل والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم في العسكر، وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم، فلم يظن خردوش إلا أن ما في الخندق من بني إسرائيل، فلما بلغ الدم عسكره أرسل إلى بيورزاذان أن ارفع عنهم القتل. ثم انصرف إلى بابل، وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد [أن يفنيهم](2)، وهي الوقعة الأخيرة التي أنزل اللّهُ ببني إسرائيل، وذلك قوله: ﴿لَتُفْسِدُنّ في الأرض مرتين﴾، فكانت الوقعة الأولى بختنصر وجنوده، [والأُخرى خردوش وجنوده]، وكانت أعظم الوقعتين فلم تقم لهم بعد
٢٠٧/ أ ذلك راية، وانتقل الملك بالشام ونواحيها إلى الروم اليونانية إلا / أن بقايا من بني إسرائيل كثروا، وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك، وكانوا في نعمة إلى أن بدلوا وأحدثوا الأحداث فسلط الله عليهم ططيوس بن اسبيانوس الرومي، فأخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة فليسوا في أمة إلا وعليهم الصَّغار والجزية، وبقي بيت المقدس خراباً إلى أيام عمر بن الخطاب فعمّره المسلمون بأمره.

وقال قتادة: بعث الله عليهم جالوت في الأولى فسبى وقتل وخرّب ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ يعني في زمان داود، فإذا جاء وعد الآخرة بعث الله عليهم بختنصر فسبى وخرّب، ثم قال: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ فعاد الله عليهم بالرحمة ثم عاد القوم بشرٍّ ما بحضرتهم، فبعث الله عليهم ما شاء من نقمته وعقوبته، ثم بعث الله عليهم العرب كما قال: ﴿وإذ تأذَّنَ ربُّك ليبعثنّ عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوءَ العذاب﴾، فهم في العذاب إلى يوم القيامة.

وذكر السدي بإسناده: أن رجلاً من بني إسرائيل رأى في النوم أن خراب بيت المقدس على يدي غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل، يدعى بختنصر، وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم، فأقبل ليسأل عنه حتى نزل على أمه وهو يحتطب، فجاء وعلى رأسه حزمة حطب، فألقاها ثم قعد، فكلمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم، فقال: اشتر بهذا طعاماً وشراباً، فاشترى بدرهم لحماً، وبدرهم خبزاً، وبدرهم خمراً، فأكلوا وشربوا، وفعل في اليوم الثاني كذلك وفي اليوم الثالث كذلك، ثم قال: إني أحب

(١) ساقط من «ب».
(٢) ساقط من «ب».

أن تكتب لي أماناً إن أنت ملكت يوماً من الدهر، [فقال: تسخر مني؟ فقال: إني لا أسخر منك، ولكن ما عليك أن تتخذ بها عندي يداً، فكتب له أماناً، وقال: أرأيت][1] إن جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك، قال: ترفع صحيفتك على قصبة فأعرفك، فكتب له وأعطاه، ثم إن ملك بني إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا ويدني مجلسه وأنه هوي ابنة امرأته، وقال ابن عباس: ابنة أخته، فسأل يحيى بن زكريا عن تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى بن زكريا، وعمدت حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثياباً رقاقاً حمراً، وطيَّبتها وألبستها الحليّ، وأرسلتها إلى الملك وأمرتها أن تسقيه، فإن أرادها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته، فإذا أعطاها سألت رأس يحيى بن زكريا أن يؤتى به في طست، ففعلت، فلما أرادها قالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك، قال: ما تسأليني؟ قالت: رأس يحيى بن زكريا في هذا الطست، فقال: ويحك سليني غير هذا، فقالت: ما أريد إلا هذا، فلما أبت عليه بعث فأتي برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم، ويقول: لا تحل لك، فلما أصبح إذا دمه يغلي فأمر بتراب فألقي عليه فرقى الدم يعني صعد الدم يغلي، ويلقي عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يغلي، فبعث صخابين ملك بابل جيشاً إليهم وأمر عليهم بختنصر، فسار بختنصر وأصحابه حتى بلغوا ذلك المكان تحصنوا منه في مدائنهم، فلما اشتدَّ عليهم المقام أراد الرجوع فخرجت إليه عجوز من عجائز بني إسرائيل، فقالت: تريد أن ترجع قبل فتح المدينة؟ قال: نعم، قد طال مقامي وجاع أصحابي، قالت: أرأيت إن فتحتُ لك المدينةَ تعطيني ما أسألك فتقتل من أمرتك بقتله وتكف إذا أمرتك أن تكف؟ قال: نعم، قالت: إذا أصبحت تقسم جندك أربعة أرباع، ثم أقِمْ على كل زاوية ربعاً، ثم ارفعوا أيديكم إلى السماء فنادوا: إنا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكريا، فإنها سوف تتساقط، ففعلوا فتساقطت المدينة ودخلوا من جوانبها، فقالت: كفَّ يدك وانطلقت به إلى دم يحيى بن زكريا وقالت: اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين ألفاً حتى سكن، فلما سكن قالت: كف يدك، فإن الله لم يرض إذا قتل نبي حتى يقتل من قتله ومن رضي بقتله، وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته فكفَّ عنه وعن أهل بيته، فخرب بيت المقدس وطرح فيه الجيف، وأعانه على خرابه الروم من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا، وذهب معه بوجوه بني إسرائيل وذهب بدانيال وقوم من أولاد الأنبياء وذهب معه برأس جالوت، فلما قدم بابل وجد صخابين قد مات فملك مكانه، وكان أكرم الناس عنده دانيال وأصحابه، فحسدهم المجوس ووشوا بهم إليه وقالوا: إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك ولا يأكلون ذبيحتك، فسألهم فقالوا: أجل إن لنا رباً نعبده، ولسنا نأكل من

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

ذبيحتكم، فأمر الملك بخدٍّ فخُدّ لهم فألقوا فيه وهم ستة، وألقى معهم بسَبُعٍ ضارٍ ليأكلهم، فذهبوا ثم راحوا فوجدوهم جلوساً والسَّبع مفترش ذراعيه معهم لم يخدشْ منهم أحداً، ووجدوا معهم رجلاً سابعاً، فقال: ما هذا السابع إنما كانوا ستة فخرج السابع وكان ملكاً فلطمه لطمة فصار في الوحوش، ومسخه الله سبع سنين .

وذكر وهب: أن الله مسخ بختنصر نسراً في الطير ثم مسخه ثوراً في الدواب، ثم مسخه أسداً في الوحوش، فكان مسخه سبع سنين، وقلبه في ذلك قلب إنسان، ثم ردّ الله إليه ملكه فآمن، فسئل وهب أكان مؤمناً؟ فقال: وجدت أهل الكتاب اختلفوا فيه فمنهم من قال مات مؤمناً ومنهم من قال أحرق بيت المقدس وكتبه وقتل الأنبياء، فغضب الله عليه فلم يقبل توبته .

وقال السدي: ثم إن بختنصر لما رجع إلى صورته بعد المسخ وردّ الله إليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فحسدهم المجوس، وقالوا لبختنصر: إن دانيال إذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عاراً فجعل لهم طعاماً وشراباً فأكلوا وشربوا، وقال للبوّاب: انظر أول من يخرج ليبول فاضربه بالطبرزين، فإن قال أنا بختنصر، فقل: كذبت، بختنصر أمرني، فكان أول من قام للبول بختنصر فلما رآه البواب شدّ عليه، فقال: ويحك أنا بختنصر، فقال: كذبت، بختنصر أمرني، فضربه فقتله، هذا ما ذكره في المبتدأ، إلا أن رواية من روى أن بختنصر غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا غلط عند أهل السير، بل هم مجمعون على أن بختنصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم شعياء في عهد أرمياء، ومن وقت أرمياء وتخريب بختنصر بيت المقدس إلى
مولد يحيى بن زكريا أربعمائة وإحدى وستون سنة،/وذلك أنهم كانوا يعدون من لدن تخريب بختنصر ٢٠٧/ب
بيت المقدس إلى حين عمارته في عهد كيرش بن أخشورش بن أصبهيد ببابل من قِبَلِ بَهْمَن بن اسفنديار [سبعين سنة، ثم من بعد عمارته إلى ظهور الاسكندر على بيت المقدس ثمان وثمانون سنة، ثم من بعد مملكته][1] إلى مولد يحيى بن زكريا ثلثمائة وستون سنة .

والصحيح من ذلك ما ذكر محمد بن إسحاق .

قوله عزّ وجلّ : ﴿**وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب**﴾ أي: أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتب أنهم سيفسدون .

والقضاء على وجوه: يكون أمراً، كقوله: ﴿وقضى ربك﴾ (الإسراء ـ ٢٣) .

ويكون حكماً، كقوله : ﴿إن ربك يقضي بينهم﴾ (يونس ـ ٩٣، والنحل ـ ٧٨) .

ويكون خَلْقاً كقوله : ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ (فصلت ـ ٢) .

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ
الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ
وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ
أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ
وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

وقال ابن عباس وقتادة: يعني وقضينا عليهم، و«إلى» بمعنى «على»، والمراد بالكتاب: اللوح المحفوظ.

﴿لتفسدُنَّ﴾، لام القسم، مجازه: والله لتفسدن، **﴿في الأرض مرتين﴾**، بالمعاصي، والمراد بالأرض: أرض الشام وبيت المقدس، **﴿وَلَتَعْلُنَّ﴾**، ولتستكبِرُنَّ، ولتظلمن الناس، **﴿عُلُوّاً كبيراً﴾**.

﴿فإذا جاء وَعْدُ أولاهما﴾، يعني: أولى المرتين.

قال قتادة: إفسادهم في المرة الأولى ما خالفوا من أحكام التوراة، وركبوا المحارم.

وقال ابن إسحاق: إفسادهم في المرة الأولى قتل شعياء بين الشجرة وارتكابهم المعاصي.

﴿بعثنا عليكم عباداً لنا﴾، قال قتادة: يعني جالوت الجزري وجنوده، وهو الذي قتله داود.

وقال سعيد بن جبير: يعني سنجاريب من أهل نينوى.

وقال ابن إسحاق: بختنصر البابلي وأصحابه. وهو الأظهر.

﴿أولي بأس﴾، ذوي بطش، **﴿شديد﴾**، في الحرب، **﴿فجاسُوا﴾**، أي: فطافوا وداروا، **﴿خلال الديار﴾**، وسطها يطلبونكم ويقتلونكم، والجوس طلب الشيء بالاستقصاء. قال الفراء: جاسوا قتلوكم بين بيوتكم.

﴿وكان وعداً مفعولاً﴾، قضاء كائناً لا خلف فيه.

﴿ثم رددنا لكم الكرة﴾، يعني: الرجعة والدولة، **﴿عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً﴾**، عدداً، أي: من ينفر معهم وعاد البلد أحسن مما كان.

﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾، أي: لها ثوابها، **﴿وإنْ أسأتم فلها﴾**، أي: فعليها، كقوله تعالى: «فسلام لك» (الواقعة ـ ٩١) أي: عليك. وقيل: فلها الجزاء والعقاب.

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾

﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ أي: المرة الآخرة من إفسادكم، وذلك قصدهم قتل عيسى عليه السلام حين رفع، وقتلهم يحيى بن زكريا عليهما السلام، فسلط الله عليهم الفرس والروم، خردوش وطيطوس حتى قتلوهم وسبوهم ونفوهم عن ديارهم، فذلك قوله تعالى : ﴿لِيَسُوءُوا وجوهَكم﴾، أي: تحزن وجوهكم، وسوء الوجه بإدخال الغم والحزن .

قرأ الكسائي [ويعقوب][1]. ﴿لنسوء﴾ بالنون وفتح الهمزة على التعظيم، كقوله : «وقضينا» و«بعثنا» وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر بالياء [وفتح][2] الهمزة [على التوحيد][3]، أي: ليسوء الله وجوهكم، وقيل: ليسوء الوعد وجوهكم .

وقرأ الباقون بالياء وضم الهمزة على الجمع، أي ليسوء العباد أولو البأس الشديد وجوهكم .

﴿وليدخلوا المسجد﴾، يعني: بيت المقدس ونواحيه، ﴿كما دخلوه أوّل مرةٍ وليتبّروا﴾، وليهلكوا، ﴿ما عَلوا﴾ أي: ما غلبوا عليه من بلادكم ﴿تتبيراً﴾ .

﴿عسى ربُّكم﴾، يابني إسرائيل، ﴿أن يرحَمكم﴾، بعد انتقامه منكم، فيردُّ الدولة إليكم، ﴿وإنْ عدتُم عُدْنا﴾، أي: إن عدتم إلى المعصية عدنا إلى العقوبة. قال قتادة: فعادوا فبعث الله عليهم محمداً ﷺ فهم يعطون الجزية عن يدٍ وهم صاغرون .

﴿وجعلنا جهنّم للكافرين حصيراً﴾، سجناً ومحبساً من الحصر وهو الحبس .

قال الحسن: حصيراً أي: فراشاً. وذهب إلى الحصير الذي يبسط ويفرش .

﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾، أي: إلى الطريقة التي هي أصوب. وقيل: الكلمة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا إله إلا الله، ﴿ويبشّر﴾، يعني: القرآن، ﴿المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم﴾، بأن لهم، ﴿أجراً كبيراً﴾، وهو الجنة .

﴿وأنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾، وهو النار .

---

(١) ساقط من «أ» .

(٢) في «أ» وضم... .

(٣) ساقط من «أ» .

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا
مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ
تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾

وقوله تعالى : ﴿**وَيَدْعُ الإنسانُ**﴾، حذف الواو لفظاً لاستقبال اللام الساكنة كقوله: «سندع الزبانية» (العلق ـ ١٨)، وحذف في الخط أيضاً وهي غير محذوفة في المعنى. ومعناه: ويدعو الإنسان على ماله وولده ونفسه، ﴿**بالشرِّ**﴾، فيقول عند الغضب: اللهم العنه وأهلِكْه ونحوهما، ﴿**دعاءَهُ بالخير**﴾، أي: كدعائه ربه [بالخير][1] أن يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك، ولكن الله لا يستجيب بفضله ﴿**وكان الإنسان عجولاً**﴾ بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه. قال جماعة من أهل التفسير، وقال ابن عباس: ضَجِراً، لا صبر له على السرَّاء والضرَّاء .

قوله عزّ وجلّ : ﴿**وجعلنا الليلَ والنهارَ آيتين**﴾، أي: علامتين دالَّتَيْن على وجودنا ووحدانيتنا وقدرتنا، ﴿**فمحونا آية الليل**﴾، قال ابن عباس: جعل الله نور الشمس سبعين جزءاً، ونور القمر كذلك، فمحا من نور القمر تسعة وستين جزءاً فجعلها مع نور الشمس[2] .

وحكى أن الله تعالى أمر جبريل فأمرَّ جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور .

وسأل ابنُ الكوَّاء علياً عن السواد الذي في القمر؟ قال: هو أثر المحو[3] .

﴿**وجعلنا آية النهار مبصرةً**﴾، منيرة مضيئة، يعني يبصر بها. قال الكسائي: تقول العرب أبصر النهار إذا أضاء بحيث يبصر بها، ﴿**لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب**﴾، أي: لو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار، ولم يَدْرِ الصائم متى يفطر، ولم يَدْرِ وقت الحج ولا وقت حلول الآجال ولا وقت السكون والراحة. ﴿**وكلَّ شيء فصلناه تفصيلاً**﴾ .

---

(١) ساقط من «أ» .

(٢) عزاه السيوطي لعبد بن حميد، وابن المنذر .
انظر: الدر المنثور: ٥/٢٤٨ .

(٣) قال ابن كثير: (٣/٢٨): رواه ابن جرير من طرق متعددة جيدة .

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا
ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى
لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ
نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

﴿١٣﴾

قوله عزّ وجلّ : ﴿وكلَّ إنسانٍ ألزمناه طائره في عنقه﴾، قال ابن عباس: عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان .

وقال الكلبي ومقاتل: خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسبه به .

وقال الحسن: يمنه وشؤمه .

وعن مجاهد: ما من مولود إلا في عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد .

وقال أهل المعاني : أراد بالطائر ما قضى الله عليه أنه عامله وما هو صائر إليه من سعادة أو
شقاوة سُمّي / «طائراً» على عادة العرب فيما كانت تتفاءل وتتشاءم به من سوانح الطير وبوارحها . ٢٠٨/ أ

وقال أبو عبيدة والقتيبي : أراد بالطائر حظه من الخير والشر، من قولهم: طار سهم فلان بكذا، وخص العنق من بين سائر الأعضاء لأنه موضع القلائد والأطواق وغيرهما مما يزين أو يشين، فجرى على كلام العرب بتشبيه الأشياء اللازمة إلى الأعناق .

﴿ونُخرج له﴾، يقول الله تعالى: ونحن نخرج له، ﴿يوم القيامة كتاباً﴾، وقرأ الحسن ومجاهد ويعقوب: ﴿ويَخْرُجُ له﴾ بفتح الياء وضم الراء، معناه: ويخرج له الطائر يوم القيامة كتاباً .

وقرأ أبو جعفر ﴿يُخرَج﴾ بالياء وضمها وفتح الراء .

﴿يلقاه﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر ﴿يُلَقَّاه﴾ بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف، يعني: يلقى الإنسان ذلك الكتاب، أي: يؤتاه. وقرأ الباقون بفتح الياء خفيفة أي يراه ﴿منشوراً﴾، وفي الآثار: إن الله تعالى يأمر الملك بطي الصحيفة إذا تمّ عمر العبد فلا تنشر إلى يوم القيامة .

﴿اقرأ كتابك﴾، أي: يقال له: اقرأ كتابك، قوله تعالى: ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾، محاسباً. قال الحسن: لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك. قال قتادة: سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا .

﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾، لها ثوابه، ﴿ومن ضلّ فإنما يضل عليها﴾، لأن عليها عقابه .

﴿ولا تزر وازرةٌ وِزرَ أُخرى﴾، أي: لا تحمل حاملة حمل أخرى من الآثام، أي: لا يؤخذ أحد بذنب أحد. ﴿وما كنّا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾، إقامةً للحجة وقطعاً للعذر، وفيه دليل على أن ما وَجَبَ وَجَبَ بالسمع لا بالعقل .

وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦

﴿وإذا أردنا أن نُهلك قريةً أمرنا مترفيها﴾، قرأ مجاهد: ﴿أمَّرنا﴾ بالتشديد أي: سلَّطنا شرارها فعصوا، وقرأ الحسن وقتادة ويعقوب ﴿آمرنا﴾ بالمد، أي: أكثرنا .

وقرأ الباقون مقصوراً مخففاً، أي: أمرناهم بالطاعة فعصوا، ويحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء، ويحتمل أن تكون بمعنى أكثرنا، يقال: أمرهم الله أي كثّرهم الله. وفي الحديث : «خير المال مهرة مأمورة»[1] أي كثيرة النسل[2]. ويقال: منه أمر القوم يأمرون أمراً إذا كثروا، وليس من الأمر بمعنى الفعل، فإن الله لا يأمر بالفحشاء .

واختار أبو عبيدة قراءة العامة وقال: لأن المعاني الثلاثة تجتمع فيها يعني الأمر والإمارة والكثرة .

﴿مترفيها﴾ منعميها وأغنياءها ﴿ففسقُوا فيها فحقّ عليها القول﴾، وجب عليها العذاب، ﴿فدمَّرناها تدميراً﴾، أي: خربناها وأهلكنا من فيها .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا يحيى بن بكر، حدثنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير أن زينب بنت أبي سلمة حدثته عن أم حبيبة بنت أبي سفيان، عن زينب بنت جحش أنّ النبي ﷺ دخل عليها فَزِعاً وهو يقول: «لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرّ قد اقترب، فُتِح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلّق بأصبعه الإبهام والتي تليها» قالت زينب فقلت: يارسول الله أنهلَكُ وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث»[3] .

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات: ٥٦/٧ (طبعة التحرير بمصر)، والإمام أحمد في المسند: ٤٦٨/٣، والبيهقي في السنن: ٦٤/١٠، والمصنف في شرح السنة: ٣٨٧/١٠ .
قال ابن حجر في الكافي الشاف ص (٩٨): «رواه عبد بن حميد، وإسحاق، وابن أبي شيبة، والحارث، والطبراني، وأبو عبيد، من رواية مسلم بن بديل عن إياس بن زهير، عن سويد بن هبيرة عن النبي ﷺ» .
وقال الهيثمي: (٢٥٨/٥): «رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد ثقات» .

(٢) قاله أبو عبيد القاسم بن سلام ـ رحمه الله ـ في كتابه «الغريب» .
انظر: ابن كثير ٣٤/٣، البيهقي: ٦٤/١٠ .

(٣) أخرجه البخاري في الفتن، باب يأجوج ومأجوج: ١٠٦/١٣، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج برقم (٢٨٨٠): ٢٢٠٧/٤، والمصنف في شرح السنة: ٣٩٧/١٤ .

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾
مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ
يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ
وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾

قوله : ﴿**وكم أهلكنا من القرون**﴾ أي: المكذبة، ﴿**من بعد نوح**﴾، يُخوّف كفار مكة، ﴿**وكفى بربّك بذنوب عباده خبيراً بصيراً**﴾، قال عبدالله بن أبي أوفى: القَرْنُ مائة وعشرون سنة، فبعث رسول الله ﷺ في أول قرن، وكان في آخره يزيد بن معاوية .

وقيل: مائة سنة. ورُوي عن محمد بن القاسم عن عبدالله بن بسر المازني أن رسول الله ﷺ وضع يده على رأسه وقال: «سيعيش هذا الغلام قرناً»[1] قال محمد بن القاسم فما زلنا نعدُّ له حتى تم له مائة سنة، ثم مات .

قال الكلبي: ثمانون سنة. وقيل: أربعون سنة .

﴿**من كان يريد العاجلة**﴾، يعني الدنيا، أي: الدار العاجلة، ﴿**عجّلنا له فيها ما نشاء**﴾، من البسط والتقتير، ﴿**لمن نُريد**﴾، أن نفعل به ذلك أو إهلاكه، ﴿**ثم جعلنا له**﴾ في الآخرة، ﴿**جهنّم يصلاها**﴾، يدخل نارها، ﴿**مذموماً مدحوراً**﴾، مطروداً مبعداً .

﴿**ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها**﴾، عمل عملها، ﴿**وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً**﴾، مقبولاً .

﴿**كُلاًّ نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاء**﴾، أي: نمد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة، ﴿**من عطاء ربك**﴾، أي: يرزقهما جميعاً ثم يختلف بهما الحال في المآل، ﴿**وما كان عطاء ربك**﴾، رزق ربك، ﴿**محظوراً**﴾، ممنوعاً عن عباده، فالمراد من العطاء: العطاء في الدنيا وإلا فلا حظٌّ للكفار في الآخرة .

---

(١) أخرجه ابن جرير: ٥٨/١٥، وذكره البخاري في التاريخ الصغير ص (٣٩) وأخرجه أبو نُعيم في معرفة الصحابة كما في التهذيب: ١٣٩/٥ .

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ٢١ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣﴾

﴿انظر﴾، يامحمد، ﴿كيف فضّلنا بعضهم على بعض﴾، في الرزق والعمل [الصالح][(١)] يعني: طالب العاجلة وطالب الآخرة، ﴿وللآخِرةُ أكبرُ درجاتٍ وأكبرُ تفضيلاً﴾ .

﴿لا تجعلْ مع الله إلهاً آخر﴾، الخطاب مع النبي ﷺ والمراد غيره .

وقيل: معناه لا تجعل أيها الإنسان [مع الله إلهاً آخر][(٢)]، ﴿فتقعد مذموماً مخذولاً﴾، مذموماً من غير حمد، مخذولاً من غير نصر .

قوله عزّ وجلّ : ﴿وقضى ربُّك﴾، وأمر ربك، قاله ابن عباس وقتادة والحسن .

قال الربيع بن أنس: وأوجب ربك .

قال مجاهد: وأوصى ربك .

وحكي عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأها ووصّى ربك. وقال: إنهم ألصقوا الواو بالصاد فصارت قافاً[(٣)] .

﴿ألا تعبدوا إلاّ إيّاه وبالوالدين إحساناً﴾، أي: وأمر بالوالدين إحساناً براً بهما وعطفاً عليهما .

﴿إما يبلغنّ عندك الكِبَرَ﴾، قرأ حمزة والكسائي بالألف على التثنية فعلى هذا قوله: ﴿أحدهما أو كلاهما﴾، كلام مستأنف، كقوله تعالى : «ثم عَمُوا وصَمُّوا كثيرٌ منهم» (المائدة ـ ٧١) وقوله: «وأسروا النجوىٰ الذين ظلموا» (الأنبياء ـ ٣)، وقوله: «الذين ظلموا» ابتداء وقرأ الباقون ﴿يبلغن﴾ على التوحيد .

(١) ساقط من « أ » .

(٢) ساقط من « أ » .

(٣) قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢٢/٥): وهذا خلاف ما انعقد عليه الإجماع، فلا يلتفت إليه، والخبر رواه أحمد بن منيع عن ابن عباس بسند ضعيف لضعف فرات بن السائب، ورواه الطبري في التفسير: (٦٣/١٥) عن الضحاك، وفي سنده: أبو إسحاق الكوفي، وهو عبدالله بن ميسرة الحارثي؛ ضعفه ابن معين، وأحمد بن حنبل، والنسائي والدارقطني.. وهشيم الراوي عن أبي إسحاق هذا ـ وإن كان ثقة ـ موصوف بالتدليس وقد عنعن في هذا الخبر .
انظر: المطالب العالية ٣٤٨/٣، زاد المسير، الموضع السابق، تعليق (١) .

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿فلا تقل لهما أفٍ﴾، فيه ثلاث لغات، قرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: بفتح الفاء، وقرأ أبو جعفر، ونافع، وحفص بالكسر والتنوين والباقون بكسر الفاء غير منون، ومعناها واحد وهي كلمة كراهية .

قال أبو عبيدة: أصل التف والأف الوسخ على الأصابع إذا فتلتها .

وقيل: «الأفّ»: ما يكون في المغابن من الوسخ، و«التفّ»: ما يكون في الأصابع .

وقيل: «الأف»: وسخ الأذن و«التف» وسخ الأظفار .

وقيل: «الأف»: وسخ الظفر، و«التف»: ما رفعته بيدك من الأرض من شيء حقير .

﴿ولا تنهرهما﴾، ولا تزجرهما .

﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾، حسناً جميلاً ليّناً، قال ابن المسيب: كقول العبد المذنب للسيد الفظ .

وقال مجاهد: لا تسمّيهما، ولا تكنّهما، وقل: يا أبتاه، [يا أماه][1] .

وقال مجاهد في هذه الآية أيضاً: إذا بلغا عندك من الكبر ما يبولان فلا تتقذرهما، ولا تقل لهما أف حين تميط عنهما الخلاء والبول كما كانا يميطانه عنك صغيراً .

٢٠٨/ب ﴿واخفض لهما جناح الذلّ﴾، أي: أَلِنْ جانبك لهما واخضع. قال عروة / بن الزبير: لِنْ لهما حتى لا تمتنع عن شيء أحبّاه ﴿مِنَ الرحمة﴾، من الشفقة، ﴿وقل ربِّ ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾، أراد: إذا كانا مسلمين .

قال ابن عباس: هذا منسوخ بقوله : «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين» (التوبة ـ ١٣) .

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد ابن أحمد بن عبدالجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن يزيد عن عطاء بن السائب، عن أبي عبدالرحمن ـ يعني السلمي ـ عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ إن شئت أو ضيّع»[2] .

---

(١) ساقط من «ب» .

(٢) أخرجه الترمذي في البر والصلة، باب الفضل في رضا الوالدين: ٦/٢٤-٢٥، وقال: هذا حديث صحيح، وابن ماجه في الأدب، باب بر الوالدين: ٢/١٢٠٨، وصححه ابن حبان، برقم (٢٠٢٣) ص (٤٩٦) من موارد الظمآن، والحاكم في المستدرك: ٢/١٩٧، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨/٥٤٠)، والطحاوي =

أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي الزراد، أخبرنا أبو بكر محمد بن إدريس الجرجاني، أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسين الماليني، أخبرنا حسن بن سفيان، حدثنا يحيى بن حبيب بن عدي، حدثنا خالد بن الحارث، عن شعبة، عن يعلى بن عطاء، عن أبيه عن عبدالله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «رضا الله في رضا الوالد، وسخط الله في سخط الوالد»(١).

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الصفار، حدثنا أبو جعفر محمد بن غالب بن تمتام الضبي، حدثنا عبدالله بن مسلمة، حدثنا عبدالعزيز بن مسلم عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنةَ منَّان، ولا عاقٌّ، ولا مُدمنُ خمرٍ»(٢).

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو محمد عبدالله بن يوسف بن محمد ابن باموية الأصفهاني، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن زياد البصري، أخبرنا الحسن بن محمد بن الصبَّاح، حدثنا رِبْعِيُّ بن عُلَيَّة، عن عبدالرحمن بن إسحاق، عن سعيد بن أبي سعيد المَقْبُرِيِّ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رَغِمَ أنفُ رجل ذُكِرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ، ورَغِمَ أنفُ رجلٍ أتى عليه شهرُ رمضان فلم يُغْفَرْ له، ورَغِم أنف رجل أدرك أبويه الكِبَرُ فلم يُدْخِلاه الجنةَ»(٣).

= في مشكل الآثار: (١٥٨/٢)، والإمام أحمد في المسند: ١٩٦/٥، ٤٤٥/٦، ٤٤٨، والمصنف في شرح السنة: ١٠/١٣. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٩١٤): ٦١٨/٢-٦١٩.

(١) أخرجه الترمذي في البر، باب الفضل في رضا الوالدين: ٢٥/٦ مرفوعاً وموقوفاً وقال: وهذا ـ الموقوف ـ أصح. وأخرجه ابن حبان برقم (٢٠٢٦) ص (٤٩٦) من موارد الظمآن، وصححه الحاكم: ١٥٢/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٢/١٣. وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٥١٦): ٢٩/٢-٣١، ومجمع الزوائد: ١٣٦/٨، الكافي الشاف ص (٩٨)، كشف الخفاء: ٥٢٠/١.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٢٨/٣، ٤٤ عن أبي سعيد الخدري، والمصنف في شرح السنة: ١٧/١٣، وفيه: يزيد بن أبي زياد، وهو ضعيف، وللحديث شواهد كثيرة عن عبدالله بن عمرو وأبي هريرة وأنس. انظر: سنن النسائي، كتاب الأشربة، باب الرواية في المدمنين في الخمر: ٣١٨/٨، وسنن الدارمي في الأشربة، باب مدمن الخمر: ١١٢/٢، وابن حبان ص (٤٩٨) من موارد الظمآن، والمصنف لابن أبي شيبة: ٥٤٤/٨، والمسند للإمام أحمد: ٢٢٦/٣، ومشكل الآثار للطحاوي ٣٩٥/١، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٢٨٥/٢-٢٩١، وانظر: الدر المنثور: ٢٦٦/٥.

(٣) أخرجه الترمذي في الدعوات، باب قول النبي ﷺ: رغم أنف رجل: ٥٣٠/٩-٥٣١، وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه». والمصنف في شرح السنة: ١٩٨/٣. وأخرج الحاكم القطعة الأولى منه، في المستدرك: ٥٤٩/١، وأخرج مسلم الثانية منه في البر والصلة، برقم (٢٥٥١): ١٩٧٨/٤، وله شاهد عن كعب بن عجرة، أخرجه الحاكم في المستدرك: ١٥٣/٤ وقال: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي.
وانظر: ارواء الغليل: ٣٦/١، مشكاة المصابيح: ٢٩٢/١، الترغيب والترهيب: ٥٠٦/٢ ـ ٥٠٨، الكافي الشاف ص (١٣٧)، فتح الباري: ١٦٨/١١، جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، لابن القيم ص (٣٤-٣٥).

﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ٢٥﴾

﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم﴾، من برِّ الوالدين وعقوقهما، **﴿إنْ تكونوا صالِحِيْن﴾**، أبراراً مطيعين بعد تقصيرٍ كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين وغير ذلك، **﴿فإنه كان للأوّابين﴾**، بعد المعصية **﴿غفوراً﴾** .

قال سعيد بن جبير في هذه الآية: هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه لا يريد بذلك إلا الخير فإنه لا يؤاخذ به .

قال سعيد بن المسيب: «الأوّاب»: الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب .

قال سعيد بن جبير: الرجّاع إلى الخير .

وعن ابن عباس قال: هو الرجّاع إلى الله فيما يحزبه وينوبه .

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: هُمُ المسبِّحون، دليله قوله: «ياجبال أوّبي معه» (سبأ ــ ١٠).

قال قتادة: هم المصلون .

قال عوف[1] العقيلي: هم الذين يصلون صلاة الضحى .

أخبرنا أبو الحسن طاهر بن الحسين الرَّوْقي[2] الطوسي، أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب، أخبرنا أبو النضر محمد بن محمد بن يوسف، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع عن هشام صاحب الدستوائي، عن قتادة، عن القاسم بن عوف، عن زيد بن أرقم قال: خرج رسول الله ﷺ على أهل قُباء وهم يصلُّون صلاة الضحى، فقال: «صلاة الأوّابين. إذا رمضت الفصال من الضحى»[3] .

وقال محمد بن المنكدر: «الأواب»: الذي يصلي بين المغرب والعشاء .

وروي عن ابن عباس أنه قال: إن الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء، وهي صلاة الأوّابين[4] .

---

(١) في «ب»: عون .

(٢) في «ب»: الدورقي. والصواب ما أثبتناه .

(٣) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب صلاة الأوابين حين ترمض الفصال، برقم (٧٤٨): ٥١٦/١، والمصنف في شرح السنة: ١٤٥/٤، وابن أبي شيبة في المصنف: ٢٦٤/٢ .

(٤) راجع هذه الأقوال وغيرها في الطبري: ٦٨/١٥ـ٧١، زاد المسير: ٢٦/٥ـ٢٧. ورجح الطبري قول من قال: «الأوّاب»: هو التائب من الذنب، الراجع من معصية الله إلى طاعته، ومما يكرهه إلى ما يرضاه؛ لأن الأواب إنما هو «فعّال» من قول القائل: آب فلان من كذا، إما من سفره إلى منزله، أو من حالٍ إلى حال، كما قال عبيد بن الأبرص :

وكُلُّ ذي غَيْبَةٍ يَؤُوبُ وغائبُ الموتِ لا يؤوبُ

فهو يؤوب أوْباً، وهو رجل آئب من سفره، وأوّاب من ذنوبه .

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ
كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ٢٧ وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ
رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿وآتِ ذَا القُربى حقَّه﴾، يعني صلة الرحم، وأراد به: قرابة الإنسان، وعليه الأكثرون.

عن علي بن الحسين: أراد به قرابة الرسول ﷺ[1].

﴿والمسكين وابنَ السبيل، ولا تُبذِّرْ تبذيراً﴾، أي: لا تنفق مالك في المعصية.

وقال مجاهد: لو أنفق الإنسان ماله كله في الحق ما كان تبذيراً، ولو أنفق مُدّاً في باطل كان تبذيراً.

وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال: إنفاق المال في غير حقه.

قال شعبة: كنت أمشي مع أبي إسحاق في طريق الكوفة، فأتى على باب دارٍ بُني بجصّ وآجُرّ، فقال: هذا التبذير.

وفي قول عبدالله: إنفاق المال من غير حقه[2].

﴿إنّ المبذِّرين كانوا إخوانَ الشياطين﴾، أي: أولياءهم، والعرب تقول لكل ملازم سنةِ قومٍ هو أخوهم. ﴿وكان الشيطان لربّه كفوراً﴾، جحوداً لنعمه.

﴿وإما تُعْرِضَنَّ عنهمُ﴾، نزلت في مِهْجَع، وبلال، وصهيب، وسالم، وخبَّاب، كانوا يسألون النبي ﷺ في الأحايين ما يحتاجون إليه، ولا يجد، فيعرض عنهم حياءً منهم ويمسك عن القول، فنزل ﴿وإما تعرضن عنهم﴾[3]، وإن تعرض عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم، ﴿ابتغاء رحمةٍ من ربك ترجوها﴾، انتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك، ﴿فقل لهم قولاً ميسوراً﴾ ليّناً، وهي العِدَة، أي: عِدْهم وَعْداً جميلاً. وقيل: القول الميسور أن تقول: يرزقنا الله وإيّاك.

---

(١) وأولى التأويلين بالصواب تأويل من تأوّل ذلك أنها بمعنى وصية الله عباده بصلة قرابات أنفسهم وأرحامهم من قِبَل آبائهم وأمهاتهم، وذلك أن الله عزّ وجلّ عقّب ذلك عقيب حضّه عباده على برّ الآباء والأمهات، فالواجب أن يكون ذلك حضاً على صلة أنسابهم دون أنساب غيرهم التي لم يجرِ لها ذكر.
انظر: تفسير الطبري: ١٥/٧٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٥/٧٢-٧٤، الدر المنثور: ٥/٢٧٤-٢٧٥، زاد المسير: ٥/٢٧-٢٨.

(٣) زاد المسير: ٥/٢٩، البحر المحيط: ٦/٣٠، وفي نزولها أقوال أخرى في المصدرين نفسيهما.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾

﴿ولاتجعل يدكَ مغلولةً إلى عنقك﴾، قال جابر: أتى صبي فقال: يارسول الله إنَّ أمي تَستكْسيكَ دِرْعاً، ولم يكن لرسول الله ﷺ إلا قميصه، فقال للصبي: من ساعة إلى ساعة يظهر، فَعُدْ وقتاً آخر، فعاد إلى أمه فقالت: قل له: إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك، فدخل رسول الله ﷺ داره فنزع قميصه فأعطاه إيّاه، وقعد عرياناً، فأذَّن بلال بالصلاة، فانتظروه فلم يخرج، فشغل قلوب أصحابه، فدخل عليه بعضهم فرآه عرياناً، فأنزل الله تعالى: «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك»[1] يعني: ولا تمسك يدكِ عن النفقة في الحق كالمغلولة يده لا يقدر على مدها .

﴿ولا تَبسُطْها﴾، بالعطاء، ﴿كُلَّ البَسْطِ﴾، فتعطي جميع ما عندك، ﴿فتقعُدَ مَلُوماً﴾، يلومك [سائلوك][2] بالإمساك إذا لم تعطهم. و«الملوم»: الذي أتى بما يلوم نفسه، أو يلومه غيره، ﴿محسوراً﴾ منقطعاً بك، لا شيء عندك تنفقه. يقال: حسرته بالمسألة إذا ألحفت عليه، ودابَّة حسيرة إذا كانت كالَّة رازحة .

قال قتادة : «محسوراً» نادماً على ما فرط منك .

﴿إنّ ربَّك يَبْسُطُ﴾، يوسع ﴿الرزق لمن يشاء ويَقْدِرُ﴾، أي: يقتر ويضيق، ﴿إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ .

قوله تعالى : ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾، فقر، ﴿نحن نرزقهم وإيّاكم﴾، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة فنهوا عنه، وأُخبروا أن رزقهم ورزق أولادهم على الله تعالى، ﴿إنّ قتلهم كان خِطْئاً كبيراً﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر ﴿خَطَأً﴾ بفتح الخاء والطاء
مقصوراً. وقرأ ابن كثير بكسر الخاء ممدوداً وقرأ الآخرون / بكسر الخاء وجزم الطاء، ومعنى الكل ٢٠٩/أ
واحد، أي: إثماً كبيراً .

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٣٣٢-٣٣٣)، وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» ص (٩٩): «لم أجده». وإذا صدرت هذه العبارة من أحد الحفاظ كابن حجر وغيره كانت كافية في الحكم على الحديث بالوضع.
انظر: تنزيه الشريعة لابن عراق: ١/٧-٨، وبتفصيل أوسع في مقدمة التحقيق لكتاب «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» لملا علي القاري ص (٢٥-٢٧) .

(٢) ساقط من «أ» .

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ۝٣٢ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ۝٣٣﴾

﴿ولا تقرَبُوا الزِّنا إنه كان فاحشةً وساء سبيلاً﴾ .

﴿ولا تقتلوا النفسَ التي حرّم الله إلاّ بالحق﴾، وحقها ما روينا أن النبي ﷺ قال : «لا يَحِلُّ دمُ امرىءٍ مسلم إلاّ بإحدى ثلاث: رجل كَفَر بعد إيمانه، أو زنىٰ بعد إحصانه، أو قتل نفساً بغير نفس فيقتل بها»[(1)] .

﴿ومن قُتِلَ مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً﴾، أي: قوةً وولاية على القاتل بالقتل، قاله مجاهد .

وقال الضحاك: سلطانه هو أنه يتخيَّر، فإن شاء استقاد منه، وإن شاء أخذ الدية، وإن شاء عفا .

﴿فلا يُسرِفْ في القتل﴾، قرأ حمزة والكسائيُّ: ﴿فلا تسرف﴾ بالتاء يخاطب ولي القتيل، وقرأ الآخرون: بالياء على الغائب أي: لا يسرف الولي في القتل .

واختلفوا في هذا الإسراف الذي منع منه، فقال ابن عباس، وأكثر المفسرين: معناه لا يقتل غير القاتل، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا قُتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتلوا أشرف منه .

وقال سعيد بن جبير: إذا كان القاتل واحداً فلا يقتل جماعة بدل واحد، وكان أهل الجاهلية إذا كان المقتول شريفاً لا يرضون بقتل القاتل [وحده][(2)] حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه .

وقال قتادة: معناه لا يمثل بالقاتل[(3)] .

﴿إنه كان منصوراً﴾، فالهاء راجعة إلى المقتول في قوله: ﴿ومن قُتل مظلوماً﴾ يعني: إن المقتول منصور في الدنيا بإيجاب القَوَدِ على قاتله، وفي الآخرة بتكفير خطاياه وإيجاب النار لقاتله، هذا قول مجاهد .

وقال قتادة : الهاء راجعة إلى ولي المقتول، معناه: إنه منصور على القاتل باستيفاء القصاص منه أو الدية .

---

(١) أخرجه أبو داود في الديات، باب الإمام يأمر بالعفو في الدم: ٣٠١/٦، عن أبي أمامة، والترمذي في الفتن، باب ما جاء لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: ٣٧٣/٣، وقال: حديث حسن. وابن ماجه في الحدود، باب لا يحل دم امرىء مسلم إلا في ثلاث برقم (٢٥٣٣): ٨٤٧/٢، والمصنف في شرح السنة: ١٤٨/١٠. وأخرج الشيخان عن ابن مسعود نحوه .

(٢) زيادة من «ب» .

(٣) وهذه الأوجه في تأويل الآية غير خارجة عن الصواب وكلها تندرج في معنى الآية وفي النهي عن الإسراف في القتل. والله أعلم.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾

وقيل في قوله: ﴿فلا يسرفْ في القتل﴾ إنه أراد به القاتل المعتدي، يقول: لا يتعدّىٰ بالقتل بغير الحق، فإنه إن فعل ذلك فوليُّ المقتول منصور من قِبَلي عليه باستيفاء القصاص منه.

﴿ولا تَقْرَبُوا مالَ اليتيمِ إلا بالتي هي أحسنُ حتى يبلغ أشُدَّه، وأوفُوا بالعهدِ﴾، بالإتيان بما أمر الله به والانتهاء عما نهى الله عنه. وقيل: أراد بالعهد ما يلتزمه الإنسان على نفسه.

﴿إنّ العهدَ كان مسئولاً﴾، قال السدي: كان مطلوباً. وقيل: العهد يسأل عن صاحب العهد، فيقال: فِيمَ نقضت، كالمؤودة تُسأل فيم قُتِلت؟.

﴿وأوفوا الكيل إذا كِلتُم وزنُوا بالقسطاس﴾، قرأ حمزة والكسائيُّ وحفص ﴿بالقسطاس﴾ بكسر القاف والباقون بضمه، وهما لغتان وهو الميزان صَغُر أو كَبُرَ أي: بميزان العدل. وقال الحسن: هو القبان. قال مجاهد: هو رومي. وقال غيره: هو عربي مأخوذ من القسط وهو العدل، أي: زنوا بالعدل. ﴿المستقيم ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً﴾، أي: عاقبةً.

﴿ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم﴾، قال قتادة: لا تقل: رأيت، ولم تره، وسمعت، ولم تسمعه، وعلمت ولم تعلمه.

وقال مجاهد: لا ترمِ أحداً بما ليس لك به علم.

قال القتيبي: لا تتبعه بالحدس والظن. وهو في اللغة اتباع الأثر، يقال: قفوت فلاناً أقفوه وقفيته وأقفيته إذا اتبعت أثره، وبه سميت القافية لتتبعهم الآثار.

قال القتيبي: هو مأخوذ من القفا كأنه يقفو الأمور، أي: يكون في إقفائها يتبعها ويتعرفها[(١)].

وحقيقة المعنى: لا تتكلم [أيها الإنسان][(٢)] بالحدس والظن.

﴿إنّ السمعَ والبصرَ والفؤادَ كلُ أولئك كان عنه مسئولاً﴾، قيل: معناه يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده.

---

(١) انظر: القرطين لابن مطرف الكناني، فقد تصرف المصنف بعبارة ابن قتيبة: ٢٥٦/١.

(٢) ساقط من «أ».

﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧﴾

وقيل: يسأل السمع والبصر والفؤاد عمّا فعله المرء .

وقوله: ﴿كل أولئك﴾ أي: كل هذه الجوارح والأعضاء. وعلى القول الأول يرجع «أولئك» [إلى][1] أربابها .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن الحسين، أخبرنا أبو علي حامد ابن محمد الرَّفاء، حدثنا أبو الحسن علي بن عبدالعزيز، أخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا سعد بن أوس العبسي، حدثني بلال بن يحيى العبسي أن شتير بن شكل أخبره عن أبيه شكل بن حميد قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يانبي الله علّمني تعويذاً أتعوَّذ به، فأخذ بيدي ثم قال : «قل: اللهمَّ إني أعوذ بك من شرِّ سمعي، وشرِّ بصري، وشرِّ لساني، وشرِّ قلبي، وشرِّ مَنِيِّي» قال: فحفظتها، قال سعد: المني ماؤه[2] .

﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾، أي بطراً وكبراً وخيلاء، وهو تفسير المشي، فلذلك أخرجه على المصدر، ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ أي: لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها، ﴿ولن تبلغ الجبال طولاً﴾ أي: لا تقدر أن تطاول الجبال وتساويها بكبرك. معناه: أن الإنسان لا ينال بكبره وبطره شيئاً، كمن يريد خرق الأرض ومطاولة الجبال لا يحصل على شيء .

وقيل: ذكر ذلك لأن من مشى مختالاً يمشي مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه، فقيل له: إنك لن تنقب الأرض إن مشيت على عقبيك، ولن تبلغ الجبال طولاً إن مشيت على صدور قدميك .

أخبرنا أبو محمد عبدالله بن عبدالصمد الجوزجاني، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أخبرنا الهيثم بن كليب، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا أبي، عن المسعودي، عن عثمان بن مسلم بن هُرْمُز، عن نافع بن جبير بن مطعم، عن علي قال: كان رسول الله ﷺ «إذا مشى يتكفَّأ تكفُّؤاً، كأنما يَنْحطُّ من صَبَبٍ»[3] .

---

(١) في «أ»: على .

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب في الاستعاذة: ٢/١٦٠، والترمذي في الدعوات: ٩/٤٦٤-٤٦٥، وقال: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وأخرجه النسائي في الاستعاذة، باب الاستعاذة من شر البصر: ٨/٢٦٠، وصححه الحاكم: ١/٥٣٣، ووافقه الذهبي. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٥/١٦٨-١٦٩ .

(٣) أخرجه الترمذي في المناقب، باب من صفاته ﷺ الجسمية: ١/١١٦-١١٧، وفي كتابه «الشمائل المحمدية» ص (٨٥،٨٦) =

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ٣٨ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ٣٩﴾

أخبرنا أبو محمد الجرجاني، أخبرنا أبو القاسم الخزاعي، أخبرنا الهيثم بن كُلَيب، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي يونس، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما رأيتُ شيئاً أحسنَ من رسول الله ﷺ، كأنَّ الشمسَ تجري في وجهه، وما رأيتُ أحداً أسرعَ في مشيه من رسول الله ﷺ كأنما الأرضُ تُطْوَىٰ له، إنا لَنُجهدُ أنفسنا وإنه لَغيْرُ مُكْتَرِثٍ»[1] .

﴿كل ذلك كان سَيِّئُهُ عند ربِّك مكروهاً﴾، قرأ ابن عامر وأهل الكوفة: برفع الهمزة وضم الهاء، على الإضافة، ومعناه: كل الذي ذكرنا من قوله : ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلاّ إيّاه﴾ ﴿كان سَيِّئُهُ﴾ أي: سيء ما عددنا عليك عند ربك مكروهاً؛ لأنه قد عدَّ أموراً حسنة كقوله: ﴿وآتِ ذَا القربى حقّه﴾ ﴿واخفض لهما جناح الذل﴾ وغير ذلك .

وقرأ الآخرون : ﴿سيئةً﴾ منصوبة منونة يعني: كل الذي ذكرنا من قوله: ﴿ولا تقتلوا
٢٠٩/ب أولادكم﴾ إلى هذا / الموضع سيئة لا حسنة فيه، إذ الكل يرجع إلى المنهي عنه دون غيره، ولم يقل مكروهة لأن فيه تقديماً وتأخيراً، وتقديره: كل ذلك كان مكروهاً سيئةً. [وقوله ﴿مكروهاً﴾ على التكرير، لا على الصفة، مجازه: كل ذلك كان سيئةً وكان مكروهاً][2]، أو رجع إلى المعنى دون اللفظ، لأن السيئة الذنب وهو مذكر .

﴿ذلك﴾، الذي ذكرنا، ﴿مما أوحى إليك رَبُّك من الحكمة﴾. وكلُّ ما أمر الله به أو نهى عنه فهو حكمه .

﴿ولا تجعلْ مع الله إلهاً آخر﴾، خاطب النبي ﷺ في هذه الآيات والمراد منه الأمة، ﴿فتُلْقَى في جهنّم مَلُوماً مَدْحُوراً﴾، مطروداً مبعداً من كل خير .

= بهامش شرح الباجوري، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٩٦/١، والمصنف في شرح السنة: ٣١٩/١٢. وهو حديث صحيح .

(١) أخرجه الترمذي في المناقب، باب في صفة النبي ﷺ: ١٣١/١٠-١٣٢، وقال: «هذا حديث غريب» وأخرجه في الشمائل ص (٨٥)، وصححه ابن حبان ص (٥٢١-٥٢٢) من موارد الظمآن، وأخرجه ابن سعد في «الطبقات»: ٣٨٠/١. وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف .

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

أَفَأَصْفَٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا
﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ
ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ
وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا
غَفُورًا ﴿٤٤﴾

قوله عزّ وجلّ : ﴿**أفأصفاكم ربكم**﴾، أي: اختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه ما ليس بصفوة، يعني: اختاركم، ﴿**بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً**﴾ لأنهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله، ﴿**إنكم لتقولون قولاً عظيماً**﴾، يخاطب مشركي مكة .

قوله عزّ وجلّ : ﴿**ولقد صرّفنا في هذا القرآن**﴾، يعني: [ما ذُكر من][1] العبر، والحِكَم، والأمثال، والأحكام، والحجج، والإعلام، والتشديدُ للتكثير والتكرير، ﴿**ليذّكّروا**﴾ أي: ليتذكروا ويتعظوا، وقرأ حمزة والكسائي بإسكان الذال وضم الكاف وكذلك في الفرقان. ﴿**وما يزيدهم**﴾، تصريفنا وتذكيرنا، ﴿**إلا نفوراً**﴾، ذهاباً وتباعداً عن الحق .

﴿**قل**﴾، يامحمد لهؤلاء المشركين، ﴿**لو كان معه آلهة كما يقولون**﴾، قرأ حفص وابن كثير ﴿**يقولون**﴾ بالياء وقرأ الآخرون بالتاء، ﴿**إذاً لابتغوا**﴾، لطلبوا يعني الآلهة ﴿**إلى ذي العرش سبيلاً**﴾، بالمبالغة والقهر ليزيلوا ملكه، كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض .

وقيل: معناه لطلبوا إلى ذي العرش سبيلاً بالتقرب إليه .

قال قتادة: لعرفوا الله وفضله وابتغوا ما يقربهم إليه .

والأول أصح. ثم نزه نفسه، فقال عزَّ من قائل :

﴿**سبحانه وتعالى عمّا يقولون**﴾، قرأ حمزة والكسائيُّ ﴿**تقولون**﴾ بالتاء والآخرون بالياء، ﴿**علواً كبيراً**﴾ .

﴿**تسبّح له السموات السبعُ والأرضُ ومن فيهن**﴾، قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائيُّ، وحفص، ويعقوب: ﴿**تسبح**﴾ بالتاء وقرأ الآخرون بالياء للحائل بين الفعل والتأنيث .

---

(١) ساقط من (ب) .

﴿وإنْ من شيءٍ إلاّ يسبِّحُ بحَمْدِهِ﴾، روي عن ابن عباس أنه قال: وإن من شيء حي إلا يسبح بحمده .

وقال قتادة: يعني الحيوانات والناميات .

وقال عكرمة: الشجرة تسبِّح، والأسطوانة لا تسبح .

وعن المقدام بن معد يكرب قال: إن التراب يسبح مالم يبتلَّ، فإذا ابتلَّ ترك التسبيح، وإن الخرزة تسبح مالم تُرْفَعْ من موضعها، فإذا رفعت تركت التسبيح، وإن الورقة لتسبح ما دامت على الشجرة فإذا سقطت تركت التسبيح، وإن الثوب ليسبح ما دام جديداً فإذا وسخ ترك التسبيح، وإن الماء يسبح ما دام جارياً فإذا ركد ترك التسبيح، وإن الوحش والطير تسبح إذا صاحت فإذا سكنت تركت التسبيح .

وقال إبراهيم النخعي: وإن من شيء جمادٍ وحيٍّ إلاّ يسبح بحمدِهِ حتى صرير الباب ونقيض السقف .

وقال مجاهد: كل الأشياء تسبح لله، حياً كان أو ميتاً أو جماداً، وتسبيحها سبحان الله وبحمده .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن المثنى، أخبرنا أبو أحمد الزبير، أخبرنا إسرائيل، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله قال: كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدُّونها تخويفاً، كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلَّ الماء فقال: «اطلبوا فضلة من ماء، فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: حيَّ على الطهور المبارك، والبركة من الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل»[1] .

وقال بعض أهل المعاني: تسبح السموات والأرض والجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء ما دلّت بلطيف تركيبها وعجيب هيئتها على خالقها، فيصير ذلك بمنزلة التسبيح منها .

والأول هو المنقول عن السلف[2] .

واعلم أن لله تعالى علماً في الجمادات لا يقف عليه غيره، فينبغي أن يوكل علمه إليه .

﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾، أي لا تعلمون تسبيح ما عدا من يسبح بلغاتكم وألسنتكم، ﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾ .

---

(١) أخرجه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: ٥٨٧/٦، والمصنف في شرح السنة: ٢٩٠/١٣ .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٣/٣ـ٤٤، زاد المسير: ٣٩/٥ـ٤٠، ولشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ رسالة في «قنوت الأشياء كلها لله تعالى» مطبوعة في مجموعة الرسائل والمسائل .

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾

قوله عزّ وجلّ : ﴿**وإذا قرأتَ القرآنَ جعلنا بينَك وبين الذين لا يُؤمنون بالآخرةِ حجاباً مستوراً**﴾، يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به .

قال قتادة: هو الأكنّة، والمستور بمعنى الساتر كقوله: «إنه كان وعدُه مَأْتِيًّا» (مريم ـ ٦١) مفعول بمعنى الفاعل .

وقيل: مستور عن أعين الناس فلا يرونه .

وفسره بعضهم بالحجاب عن الأعين الظاهرة، كما روي عن سعيد بن جبير أنه لما نزلت: «تبت يدا أبي لهب» جاءت امرأة أبي لهب ومعها حجر، والنبي ﷺ مع أبي بكرٍ، فلم تَرَهُ، فقالت لأبي بكر: أين صاحبك لقد بلغني أنه هجاني؟ فقال: والله ما ينطق بالشعر، ولا يقوله، فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لأرضخ رأسه، فقال أبو بكر: ما رأتك يارسول الله، قال: لا، لم يزل مَلَكٌ بيني وبينها يسترني[1] .

﴿**وجعلنا على قلوبِهم أكِنَّةً**﴾، أغطية، ﴿**أنْ يفقهوه**﴾، كراهية أن يفقهوه. وقيل: لئلا يفقهوه، ﴿**وفي آذانهم وقراً**﴾، ثقلاً لئلا يسمعوه. ﴿**وإذا ذكرتَ ربَّك في القرآن وحده**﴾، يعني إذا قلت: لا إله إلا الله في القرآن وأنت تتلوه، ﴿**وَلّوا على أدبارِهم نفوراً**﴾، جمع «نافر»، مثل: قاعد، وقعود، وجالس، وجلوس، أي نافرين .

﴿**نحن أعلم بما يستمعون به**﴾، قيل: «به» صلة، أي: يطلبون سماعه، ﴿**إذ يستمعون إليك**﴾، وأنت تقرأ القرآن، ﴿**وإذ هم نجوى**﴾، يتناجون في أمرك. وقيل: ذوو نجوى، فبعضهم يقول: هذا مجنون، وبعضهم يقول: كاهن، وبعضهم يقول: ساحر، وبعضهم يقول: شاعر. ﴿**إذْ يقول الظالمون**﴾، يعني: الوليد بن المغيرة وأصحابه، ﴿**إنْ تتبعون إلاّ رجلاً مسحوراً**﴾، مطبوباً. [وقال مجاهد][2]:

---

(١) أخرجه أبو يعلى وابن أبي حاتم. وانظر: تفسير ابن كثير ٣/٤٤، ٤/٥٦٥-٥٦٦، مجمع الزوائد: ٧/١٤٤ .

(٢) في «أ»: (وقيل) .

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾

مخدوعاً. وقيل: مصروفاً عن الحق. يقال: ما سحرك عن كذا أي ما صرفك ؟

وقال أبو عبيدة: أي رجلاً له سحر، والسحر: الرئة، أي: إنه بشر مثلكم معلل بالطعام والشراب يأكل ويشرب. قال الشاعر :

أُرَانَا مُوضِعِينَ لحَتْمِ غَيْبٍ   ونُسْحَرُ بالطَّعامِ وبالشَّرابِ[1]

أي : نغذَّى ونعلل .

٢١٠/أ ﴿انظر﴾، يامحمد، ﴿كيف ضربوا لك / الأمثال﴾، الأشباه، قالوا: شاعر وساحر وكاهن ومجنون، ﴿فضلّوا﴾، فحاروا وحادوا، ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾ أي: وصولاً إلى طريق الحق .

﴿وقالوا أئذا كنّا عظاماً﴾ بعد الموت، ﴿ورفاتاً﴾ قال مجاهد: تراباً. وقيل: حطاماً. و«الرُّفات»: كل ما تكسَّر وبَلِي من كل شيء، كالفتات والحطام .

﴿أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾ .

﴿قل﴾ لهم يامحمد: ﴿كُونُوا حجارةً أو حديداً﴾، في الشدة والقوة، وليس هذا بأمر إلزام بل هو أمر تعجيز، أي: استشعروا في قلوبكم أنكم حجارة أو حديد في القوة .

﴿أو خلقاً مما يكبر في صدوركم﴾، قيل: السماء والأرض [والجبال][2] .

وقال مجاهد وعكرمة[3] وأكثر المفسرين: إنه الموت، فإنه ليس في نفس ابن آدم شيء أكبر من الموت، أي: لو كنتم الموت بعينه لأميتنَّكم ولأبعثنَّكم .

﴿فسيقولون: من يُعيدنا﴾، من يبعثنا بعد الموت؟ ﴿قل: الذي فطركم﴾، خلقكم، ﴿أوّل مرةٍ﴾، ومن قدر على الإنشاء قدر على الإعادة، ﴿فسيُنغِضُون إليك رؤوسهم﴾، أي: يحرّكونها

---

(١) البيت لامرىء القيس. وانظر: الطبري: ٩٦/١٥، لسان العرب، مادة «سحر»: ٣٤٩/٤ .

(٢) ساقط من « أ » .

(٣) في «ب»: قتادة .

يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى
يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا
مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ
عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾

إذا قلتَ لهم ذلك مستهزئين بها، ﴿ويقولون متى هو﴾؟ أي: البعث والقيامة، ﴿قل عسى أن يكون قريباً﴾ أي: هو قريب، لأن عسى من الله واجب، نظيره قوله تعالى: «وما يُدريك لعلّ الساعة تكون قريباً» (الأحزاب ــ ٦٣) .

﴿يومَ يَدعوكم﴾ من قبوركم إلى موقف القيامة، ﴿فتستجيبونَ بحمدِهِ﴾، قال ابن عباس: بأمره. وقال قتادة: بطاعته. وقيل: مقرين بأنه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد. وقيل: هذا خطاب مع المؤمنين فإنهم يبعثون حامدين. ﴿وتظنُّون إنْ لبثتم﴾، في الدنيا وفي القبور، ﴿إلا قليلاً﴾، لأنّ الإنسان لو مكث ألوفاً من السنين في الدنيا وفي القبر عدَّ ذلك قليلاً في مدة القيامة والخلود. قال قتادة: يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيامة .

قوله تعالى : ﴿وقل لعبادِي يقولُوا التي هي أحسنُ﴾، قال الكلبي: كان المشركون يؤذون المسلمين فشكوا إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وقل لعبادي﴾ المؤمنين ﴿يقولوا﴾ للكافرين ﴿التي هي أحسن﴾ ولا يكافؤوهم بسفههم. قال الحسن: يقول له: يهديك الله. وكان هذا قبل الإذن في الجهاد والقتال[1] .

وقيل: نزلت في عمر بن الخطاب شتمه بعض الكفار فأمره الله بالعفو[2] .

وقيل: أمر الله المؤمنين بأن يقولوا ويفعلوا التي هي أحسن أي: الخلة التي هي أحسن .

وقيل: «الأحسن» كلمة الإخلاص لا إله إلا الله .

﴿إنّ الشيطان يَنْزَغُ بينهم﴾، أي: يفسد ويُلْقِي العداوة بينهم، ﴿إنّ الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً﴾، ظاهر العداوة .

﴿ربكم أعلم بكم إنْ يشأ يَرْحَمْكم﴾، يوفقكم فتؤمنوا، ﴿أو إنْ يشأ يعذِّبْكم﴾، يميتكم على الشرك فتعذبوا، قاله ابن جريج .

---

(١) إشارة إلى أنها نسخت بآية القتال أو السيف، وقد سبق في أكثر من موضع إلى أن بعض العلماء أسرفوا في نسخ كثير من الآيات بآية السيف، والحق أنه لا نسخ في هذا كله .

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٣٣٣) .

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ
وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ
الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ
الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ
مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾

وقال الكلبي: إن يشأ يرحمكم فينجيكم من أهل مكة، وإن يشأ يعذبكم فيسلطهم عليكم.

﴿**وما أرسلناك عليهم وكيلاً**﴾ حفيظاً وكفيلاً. قيل: نسختها آية القتال.

﴿**وربُّك أعلم بمن في السموات والأرض**﴾، أي: ربك العالم بمن في السموات والأرض فجعلهم مختلفين في صورهم وأخلاقهم وأحوالهم ومللهم.

﴿**ولقد فضّلنا بعض النبيين على بعض**﴾، قيل جعل أهل السموات والأرض مختلفين كما فضل بعض النبيين على بعض.

قال قتادة في هذه الآية: اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وكلّم موسى تكليماً، وقال لعيسى: كن فيكون[1]، وآتى سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زَبُوراً كما قال: ﴿**وآتينا داودَ زَبُوراً**﴾، والزبور: كتاب علمه الله داود، يشتمل على مائة وخمسين سورة، كلها دعاء وتمجيد وثناء على الله عزّ وجلّ، وليس فيها حرام ولا حلال ولا فرائض ولا حدود.

معناه: إنكم لم تنكروا تفضيل النبيين فكيف تنكرون فضل النبي ﷺ وإعطاءه القرآن؟ وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الأنبياء عليهم السلام من أهل الكتاب وغيرهم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دونه**﴾، وذلك أن المشركين أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب[2] والجِيَف، فاستغاثوا بالنبي ﷺ ليدعو لهم، قال الله تعالى: ﴿**قل**﴾ للمشركين ﴿**ادعوا الذين زعمتم من دونه**﴾ أنها آلهة ﴿**فلا يملكون كشفَ الضر**﴾، القحط والجوع، ﴿**عنكم ولا تحويلاً**﴾، إلى غيركم، أو تحويل الحال من العسر إلى اليسر.

﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة**﴾، يعني الذين يدعونهم المشركون آلهة يعبدونهم.

---

(١) في «ب»: فكان.

(٢) في «ب»: الميتة.

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾

قال ابن عباس، ومجاهد: وهم عيسى، وأمه، وعزير، والملائكة، والشمس، والقمر، والنجوم، «يبتغون» أي يطلبون إلى ربهم «الوسيلة» أي القُرْبة. وقيل: الوسيلة الدرجة العليا، أي: يتضرعون إلى الله في طلب الدرجة العليا .

وقيل: الوسيلة كلُّ ما يتقرب به إلى الله تعالى .

وقوله: **﴿أيهم أقرب﴾**، معناه: ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به. وقال الزجّاج: أيهم أقرب يبتغي الوسيلة إلى الله تعالى ويتقرب إليه بالعمل الصالح، **﴿ويرجون رحمته﴾**، جنته، **﴿ويخافون عذابه إنّ عذابَ ربِّك كان محذوراً﴾**، أي يطلب منه الحذر .

وقال عبدالله بن مسعود: نزلت الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيّون ولم يعلم الإنس الذين كانوا يعبدونهم بإسلامهم، فتمسكوا بعبادتهم فعيّرهم الله وأنزل هذه الآية[١] .

وقرأ ابن مسعود **﴿أولئك الذين تدعون﴾** بالتاء .

﴿وإنْ من قريةٍ﴾ وما من قرية، **﴿إلاّ نحنُ مُهلكوها قبلَ يومِ القيامة﴾**، أي: مخربوها ومهلكوا أهلها، **﴿أو معذبوها عذاباً شديداً﴾**، بأنواع العذاب إذا كفروا وعصوا. وقال مقاتل وغيره: مهلكوها في حق المؤمنين بالإماتة، ومعذّبوها في حق الكفار بأنواع العذاب .

قال عبدالله بن مسعود: إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله في هلاكها[٢] .

﴿كان ذلك في الكتاب﴾، في اللوح المحفوظ، **﴿مسطوراً﴾**، مكتوباً .

قال عبادة بن الصامت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب، فقال ما أكتب؟ قال القدر، وما كان وما هو كائن إلى الأبد»[٣] .

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب «أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة»: ٣٩٨/٨، الدر المنثور: ٣٠٥/٥ .

(٢) أخرجه الطبري: ١٠٧/١٥ .

(٣) أخرجه أبو داود في السنة، باب في القدر: ٦٩/٧، والترمذي في القدر، باب ما جاء في الرضا بالقضاء: ٦/٣٦٨-٣٦٩، وقال: «هذا حديث غريب»، وفي تفسير سورة «ن»: ٢٣٣/٩، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، وأخرجه الإمام أحمد في «المسند»: ٣١٧/٥، والطيالسي في مسنده، ص (٧٩) وفيه عند الطيالسي: عبدالواحد بن سليم، وهو ضعيف. وله طرق يتقوى بها، وصححه الألباني في تعليقه على المشكاة: ٣٤/١ .

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ٥٩ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ٦٠﴾

قوله عزّ وجلّ : ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذّب بها الأوّلون﴾، قال ابن عباس: سأل أهل مكة [رسول الله ﷺ][1] أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن يُنحّي الجبال عنهم فيزرعوا، فأوحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ: إن شئت أن أستأني بهم فعلتُ، وإن شئتَ أن أوتيهم ما سألوا / فلعتُ، فإن لم يؤمنوا أهلكتهم كما أهلكتُ مَنْ كان قبلهم [من الأمم][2] فقال النبي ﷺ: «لا بل تستأني بهم»، فأنزل الله عزّ وجلّ[3] : ٢١٠/ب

﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ التي سألها كفار قومك ﴿إلاّ أن كذّب بها الأوّلون﴾ فأهلكناهم، فإن لم يؤمن قومك بعد إرسال الآيات أهلكتهم، لأن من سنتنا في الأمم إذا سألوا الآيات، ثم لم يؤمنوا بعد إتيانها، أن نهلكهم ولا نمهلهم، وقد حكمنا بإمهال هذه الأمة في العذاب، فقال جلّ ذكره : «بل الساعةُ موعدهم والساعة أدهى وأمرّ» (القمر ـ ٤٦)، ثم قال :

﴿وآتينا ثمودَ الناقةَ مبصرةً﴾، مضيئة بينة، ﴿فظلموا بها﴾، أي: جحدوا بها أنها من عند الله كما قال: «بما كانوا بآياتنا يظلمون» (الأعراف ـ ٩)، أي: يجحدون. وقيل: ظلموا أنفسهم بتكذيبها يريد فعاجلناهم بالعقوبة .

﴿وما نرسل بالآيات﴾ أي: العبر والدلالات، ﴿إلاّ تخويفاً﴾، للعباد ليؤمنوا .

قال قتادة: إن الله تعالى يُخوّف الناس[4] بما شاء من آياته لعلّهم يرجعون .

قوله عزّ وجلّ : ﴿وإذْ قلنا لك إنّ ربّك أحاطَ بالنّاس﴾، أي: هم في قبضته، لا يقدرون على الخروج من مشيئته، فهو حافظك ومانعك منهم، فلا تهبهم وامضِ لما أمرك به من تبليغ الرسالة،

---

(١) ساقط من «أ» .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٢٥٨/١، والحاكم في المستدرك: ٣٦٢/٢، والطبري: ١٠٨/١٥، والواحدي في أسباب النزول ص (٣٣٣ـ٣٣٤)، وزاد السيوطي نسبته للنسائي، والبزار، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» والضياء في «المختارة»، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح .
انظر: الدر المنثور: ٣٠٦/٥ـ٣٠٧، مجمع الزوائد: ٥٠/٧، ابن كثير: ٤٨/٣ .

(٤) في «ب»: العباد .

كما قال: «والله يعصمك من الناس» (المائدة ـ ٦٧) .

﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنة للناس﴾، فالأكثرون على أنّ المراد منه ما رأى النبي ﷺ [ليلة المعراج من العجائب والآيات .

قال ابن عباس: هي رؤيا عين أُريها النبي ﷺ](١)، وهو قول سعيد بن جبير، والحسن، ومسروق، وقتادة، ومجاهد، وعكرمة، وابن جريج والأكثرين(٢). والعرب تقول: رأيت بعيني رؤية ورؤيا، فلما ذكرها رسول الله ﷺ للناس أنكر بعضهم ذلك، وكذبوا فكان فتنة للناس .

وقال قوم : [أسري بروحه دون بدنه(٣) .

وقال بعضهم: كان له معراجان: معراج رؤية بالعين، ومعراج رؤيا بالقلب .

وقال قوم](٤). أراد بهذه الرؤيا ما رأى ﷺ عام الحديبية أنه دخل مكة هو وأصحابه، فجعل السير إلى مكة قبل الأجل فصدّه المشركون، فرجع إلى المدينة، وكان رجوعه في ذلك العام بعد ما أخبر أنه يدخلها فتنة لبعضهم، حتى دخلها في العام المقبل، فأنزل الله تعالى: «لقد صَدَق الله رسولَه الرؤيا بالحقِّ» (الفتح ـ ٢٧)(٥) .

﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾، يعني شجرة الزقوم، مجازه: والشجرة الملعونة المذكورة في القرآن، والعرب تقول لكل طعام كريه: طعام ملعون. وقيل: [معناه الملعون](٦) أكلها، ونصب الشجرة عطفاً على الرؤيا، أي: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة المعلونة إلا فتنة للناس، فكانت الفتنة في الرؤيا ما ذكرنا .

والفتنة في الشجرة المعلونة من وجهين؛ أحدهما: أن أبا جهل قال: إن ابن أبي كبشة يوعدكم بنار تحرق الحجارة، ثم يزعم أنه ينبت فيها شجرة، وتعلمون أن النار تحرق الشجرة .

والثاني أن عبدالله بن الزبعري قال: إن محمداً يخوّفنا. بالزقوم ولا نعرف الزقوم إلا الزبد والتمر، وقال أبو جهل: ياجارية تعالي فزقمينا فأتت بالتمر والزبد، فقال: ياقوم [تزقموا](٧) فإن هذا ما يخوّفكم به محمد، فوصفها الله تعالى في الصافات(٨) .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٢) أخرجه البخاري عن ابن عباس، في تفسير سورة الإسراء: ٣٩٨/٨ .

(٣) راجع فيما سبق، من تفسير السورة: ص٥٨ تعليق (٣) .

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٥) انظر هذه الأقوال في تأويل الرؤيا في الدر المنثور: ٣٠٩/٥ـ٣١٠، زاد المسير: ٥٣/٥ـ٥٤ .

(٦) ساقط من «أ» .

(٧) ساقط من «ب» .

(٨) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٣٣٤)، الدر المنثور: ٣١٠/٥ـ٣١١، زاد المسير: ٥٥/٥ .

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾

وقيل: الشجرة الملعونة هي: التي تلتوي على الشجر فتجففه، يعني الكشوث[1].

﴿ونخوّفهم فما يزيدهم﴾، التخويف، ﴿إلا طغياناً كبيراً﴾ أي: تمرداً وعتواً عظيماً.

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجُدُوا لآدمَ فسجدُوا إلاّ إبليسَ قال أأسجدُ لمن خلقتَ طيناً﴾ أي: خلقته من طين أنا جئتُ به، وذلك ماروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن الله تعالى بعث إبليس حتى أخذ كفاً من تراب الأرض من عذبها وملحها، فخلق منه آدم، فمَنْ خلقَه من العذب فهو سعيد، وإن كان ابن كافرين، ومَنْ خلقه من الملح فهو شقي وإن كان ابن نبيين[2].

﴿قال﴾، يعني إبليس: ﴿أرأيتَك﴾ أي أخبِرْني، والكاف لتأكيد المخاطبة، ﴿هذا الذي كرّمتَ عليّ﴾ أي: فضلته عليّ: ﴿لئن أخرتنِ﴾ أمهلتني ﴿إلى يوم القيامة لأحتنِكَنّ ذريته﴾ أي: لأستأصلنّهم بالإضلال، يقال احتنك الجراد الزرع إذا أكله كله. وقيل: هو من قول العرب حنك الدابة يحنكها: إذا شدّ في حنكها الأسفل حبلاً يقودها، أي: لأقودّنهم كيف شئت. وقيل: لأستولينّ عليهم بالإغواء، ﴿إلاّ قليلاً﴾، يعني المعصومين الذين استثناهم الله عزّ وجلّ في قوله: ﴿إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ (الحجر - ٤٢).

﴿قال﴾ الله: ﴿اذهبْ فَمَنْ تَبِعَك منهم فإنّ جهنّم جزاؤكم﴾ أي: جزاؤك وجزاء أتباعك، ﴿جزاءً موفوراً﴾، وافراً مكملاً، يقال: وفرته أوفره وفراً.

وقوله: ﴿واستفزز﴾، واستخفف واستجهِد، ﴿من استطعتَ منهم﴾، أي: من ذرية آدم،

---

(١) ذكره ابن الجوزي: (٥/٥٦) عن ابن عباس أيضاً. وانظر فيما سبق تفسير الآية (٢٦) من سورة إبراهيم: ٣٤٨/٤ تعليق (٦).

(٢) أخرجه الطبري: ١١٦/١٥ عن ابن عباس موقوفاً.

﴿بصوتك﴾، قال ابن عباس وقتادة: بدعائك إلى معصية الله. وكل داع إلى معصية الله [فهو من جند إبليس.

قال الأزهري: معناه ادعهم دعاء تستفزهم به إلى جانبك، أي: تستخفهم][1].

وقال مجاهد: بالغناء والمزامير[2].

﴿وأجلِبْ عليهم بخيلك ورَجِلك﴾، قيل: اجمع عليهم مكايدك وخيلك، ويقال: «أَجْلَبُوا»، و«جَلَبُوا»، إذا صاحوا، يقول: صِحْ بخيلك ورجلك وحُثَّهم عليه بالإغواء.

قال مقاتل: استعن عليهم بركبان جندك ومشاتهم، والخيل: الركبان، والرَّجِل: المشاة.

قال أهل التفسير: كل راكب وماشٍ في معاصي الله فهو من جند إبليس.

وقال مجاهد وقتادة: إن له خيلاً ورَجِلاً من الجن والإنس، وهو كل من يقاتل في المعصية، والرَّجْل، والرَّجَّالة والرَّاجلة واحد، يقال: رَاجِل ورَجْل، مثل: تاجِر وتَجْر، ورَاكِب ورَكْب، وقرأ حفص ورجِلك بكسر الجيم وهما لغتان.

﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾، فالمشاركة في الأموال: كل ما أصيب من حرام، أو أنفق في حرام، هذا قول مجاهد والحسن وسعيد بن جبير.

وقال عطاء: هو الربا وقال قتادة هو ما كان المشركون يحرمونه من الأنعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

وقال الضحاك: هو ما كانوا يذبحونه لآلهتهم[3].

وأما الشركة في الأولاد: رُوي عن ابن عباس: أنها المَوْؤدة.

وقال مجاهد والضحاك: هم أولاد الزنا.

وقال الحسن، وقتادة: هو أنهم هوَّدوا أولادهم، ونصّروهم ومجّسُوهم.

وعن ابن عباس رواية أخرى: هو تسميتهم الأولاد عبدالحارث وعبد شمس، وعبدالعزى، وعبدالدار، ونحوها[4]/. ٢١١/ أ

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، أن يقال: إن الله تعالى قال لإبليس: واستفزز من ذرية آدم من استطعت أن تستفزّه بصوتك، ولم يخصص من ذلك صوتاً دون صوت، فكل صوت كان دعاء إليه وإلى عمله وإلى طاعته، وخلافاً للدعاء إلى طاعة الله، فهو داخل في معنى صوته الذي قال الله تبارك اسمه له: «واستفزز من استطعت منهم بصوتك».
الطبري: ١١٨/١٥.

(٣) فكلّ ما أطيع الشيطان فيه من مال وعصي الله فيه، كإنفاق المال في حرام أو اكتسابه من حرام، أو ذبح للآلهة، أو تسييب، أو بَحْرٍ للشيطان وغير ذلك مما كان معصياً به أو فيه = فقد شارك فاعل ذلك فيه إبليس، فلا وجه لخصوص بعض دون بعض.

(٤) كل هذه الأوجه في الآية داخل في معناها دون تخصيص لوجه من الوجوه.

وروي عن جعفر بن محمد أن الشيطان يقعد على ذكر الرجل فإذا لم يقل: «بسم الله» أصاب معه امرأته، وأنزل في فرجها كما يُنْزِل الرجل.

وروي في بعض الأخبار: إن فيكم مغرِّبين، قيل: وما المغرِّبون؟ قال: الذي يشارك فيهم الجن[1].

وروي أن رجلاً قال لابن عباس: إن امرأتي استيقظت وفي فرجها شعلة من نار؟ قال: ذلك من وطء الجن.

وفي الآثار: أن إبليس لما أخرج إلى الأرض، قال: يارب أخرجتَني من الجنة لأجل آدم، فَسَلِّطْني عليه وعلى ذريته، قال: أنت مسلَّط، فقال: لا أستطيعه إلا بك فزدني، قال: استفزز من استطعت منهم بصوتك، الآية، فقال آدم: يارب سلطت إبليس عليّ وعلى ذريتي وإني لا أستطيعه إلا بك، قال: لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظونه، قال: زدني، قال: الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها، قال: زدني، قال: التوبة معروضة ما دام الروح في الجسد، فقال: زدني، قال: «ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم» الآية[2] (الزمر ــ ٥٣).

وفي الخبر: أن إبليس قال: يارب بعثتَ أنبياءَ وأنزلت كتباً فما قراءتي؟ قال: الشعر، قال: فما كتابي؟ قال الوشم، قال: ومن رسلي؟ قال: الكهنة، قال: وأين مسكني؟ قال: الحمَّامات، قال: وأين مجلسي؟ قال: الأسواق، قال: أي شيء مطعمي؟ قال: ما لم يُذكر عليه اسمي، قال: ما شرابه؟ قال: كل مسكر، قال: وما حبالي؟ قال: النساء، قال: وما أذاني؟ قال: المزامير[3].

قوله عزّ وجلّ: ﴿وعِدهم﴾، أي: مَنِّهم الجميل في طاعتك. وقيل: قل لهم: لا جنة ولا نار ولا بعث.

﴿وما يعِدُهم الشيطانُ إلاّ غروراً﴾، والغرور تزيين الباطل بما يظن أنه حق.

فإن قيل: كيف ذكر الله هذه الأشياء وهو يقول: «إنّ الله لا يأمر بالفحشاء» (الأعراف ــ ٢٨)؟.

قيل: هذا على طريق التهديد، كقوله تعالى: «اعملوا ما شئتم» (فصّلت ــ ٤٠)، وكقول القائل: افعل ما شئت فسترى[4].

---

(١) ضعيف، أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن عائشة رضي الله عنها. انظر: كنز العمال: ٣٥٤/١٦، تفسير القرطبي: ٢٨٩/١٠.

(٢) عزاه السيوطي للبيهقي في «الشُّعَب»، وابن عساكر، بنحوه عن ثابت قال: بلغنا أن إبليس.. انظر: الدر المنثور: ٣١٣/٥.

(٣) أخرجه ابن الجوزي في ذم الهوى ص (١٥٥) من طريق الطبراني في المعجم الكبير، وهو منكر، تفرد به يحيى بن صالح، وثبت منه: «وطعامك مالم يذكر اسم الله عليه».. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٦٧/٤.

(٤) انظر: زاد المسير: ٥٩/٥.

إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى
يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾
وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ
ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ
حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ
فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا
بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾

قوله : ﴿**إنّ عبادِي ليس لك عليهم سلطانٌ، وكفى بربّك وكيلاً**﴾، أي حافظاً مَنْ يوكل الأمر إليه .

قوله عزّ وجلّ : ﴿**ربُّكم الذي يُزجي لكم الفُلك**﴾ أي: يسوق ويُجري لكم الفُلك، ﴿**في البحر لتبتغوا من فضله**﴾، لتطلبوا من رزقه، ﴿**إنه كان بكم رحيماً**﴾ .

﴿**وإذا مسَّكم الضرُّ**﴾، الشدة وخوف الغرق، ﴿**في البحر ضلّ**﴾، أي: بطل وسقط، ﴿**من تدعون**﴾، من الآلهة، ﴿**إلا إيّاه**﴾، إلا الله فلم تجدوا مغيثاً غيره وسواه، ﴿**فلما نجّاكم**﴾، أجاب دعاءكم وأنجاكم من هول البحر وأخرجكم، ﴿**إلى البر أعرضتم**﴾، عن الإيمان والإخلاص والطاعة، كفراً منكم لنِعَمِه، ﴿**وكان الإنسان كفوراً**﴾ .

﴿**أفأمِنتم**﴾، بعد ذلك، ﴿**أن يَخسِف بكم**﴾، يغور بكم، ﴿**جانبَ البرِّ**﴾، ناحية البر وهي الأرض، ﴿**أو يرسلَ عليكم حاصباً**﴾، أي: يمطر عليكم حجارةً من السماء كما أمطر على قوم لوط. وقال أبو عبيدة والقتيبي: الحاصب الريح التي ترمي بالحصباء، وهي الحصا الصغار، ﴿**ثم لا تجدوا لكم وكيلاً**﴾، قال قتادة: مانعاً .

﴿**أم أمنتم أن يعيدكم فيه**﴾، يعني في البحر، ﴿**تارةً**﴾ مرة، ﴿**أخرى فيُرسِلَ عليكم قاصِفاً من الريح**﴾، قال ابن عباس: أي: عاصفاً وهي الريح الشديدة .

وقال أبو عبيدة: هي الريح التي تقصف كل شيء، أي تدقه وتحطمه .

وقال القتيبي: هي التي تقصف الشجر، أي تكسره .

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ٧٠ ﴾

﴿فيُغرِقَكُم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تَبِيعاً﴾، ناصراً ولا ثائراً، و«تَبِيْعٌ» بمعنى تابع، أي تابعاً مطالباً بالثأر. وقيل: من يتبعنا بالإنكار.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو «أن نخسف، ونرسل، ونعيدكم، فنرسل، فنغرقكم»، بالنون فيهن، لقوله «علينا». وقرأ الآخرون بالياء لقوله: «إلا إيّاه»، وقرأ أبو جعفر ويعقوب: ﴿فتغرقكم﴾ بالتاء يعني الريح.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾، روي عن ابن عباس أنه قال: هو أنهم يأكلون بالأيدي، وغير الآدمي يأكل بفيه من الأرض. وروي عنه أنه قال: بالعقل.

وقال الضحاك: بالنطق. وقال عطاء: بتعديل القامة وامتدادها، والدواب منكبّة على وجوهها. وقيل: بحسن الصورة. وقيل: الرجال باللِّحى، والنساء بالذوائب. وقيل: بأن سخر لهم سائر الأشياء. وقيل: بأن منهم خير أمة أخرجت للناس[1].

﴿وحملناهم في البر والبحر﴾، أي: حملناهم في البر على الدواب وفي البحر على السفن.

﴿ورزقناهم من الطيبات﴾، يعني: لذيذ المطاعم والمشارب. قال مقاتل: السمن، والزُّبد، والتمر، والحلوى، وجعل رزق غيرهم مالا يخفى.

﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾، وظاهر الآية أنه فضلهم على كثير ممن خلقهم لا على الكل.

وقال قوم: فُضّلوا على جميع الخلق إلا على الملائكة.

وقال الكلبي: فضلوا على الخلائق كلهم إلا على طائفة من الملائكة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومَلَك الموت، وأشباههم.

وفي تفضيل الملائكة على البشر اختلاف، فقال قوم: فضلوا على جميع الخلق وعلى الملائكة كلهم، وقد يوضع الأكثر موضع الكل كما قال تعالى: «هل أنبئكم على من تنزل الشياطين» إلى قوله تعالى: «وأكثرهم كاذبون» (الشعراء ــ ٢٢١ــ٢٢٢). أي: كلهم.

---

(١) انظر: زاد المسير: ٦٣/٥، تفسير القرطبي: ٢٩٤/١٠، ورجح القرطبي أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يُعْرَف الله، ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل وأنزلت الكتب، فمثال الشرع: الشمس، ومثال العقل: العين. فإذا فتحت وكانت سليمة رأتِ الشمس وأدركت تفاصيل الأشياء، وما تقدم من الأقوال بعضه أقوى من بعض، وقد جعل الله في بعض الحيوان خصالاً يفضل بها ابن آدم أيضاً، كجري الفرس وسمعه وإبصاره، وقوة الفيل، وشجاعة الأسد، وكرم الديك، وإنما التكريم والتفضيل بالعقل كما بيناه. والله أعلم.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٧١﴾

وفي الحديث عن جابر يرفعه قال: «لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة: ياربِّ خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون، فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة، فقال تعالى: لا أجعل مَنْ خلقتُه بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له: كنْ فكان»(١) .

والأَوْلى أن يقال: عوامُّ المؤمنين أفضل من عوامِّ الملائكة، وخواصُّ المؤمنين أفضل من خواصِّ الملائكة. قال الله تعالى : «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية» (البينة ـ ٧) .

وروي عن أبي هريرة أنه قال: «المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده»(٢) .

قوله عزّ وجلّ : ﴿يوم ندعو كلَّ أناسٍ بإمامهم﴾، قال مجاهد، وقتادة: بنبيهم. وقال: أبو صالح والضحاك: بكتابهم الذي أنزل عليهم .

وقال الحسن وأبو العالية: بأعمالهم .

وقال قتادة أيضاً : بكتابهم الذي فيه أعمالهم، بدليل سياق الآية .

﴿فمن أوتي كتابه بيمينه﴾، ويسمى الكتاب إماماً كما قال عزّ وجلّ: «وكل شيء أحصيناه في إمام مبين» (يس ـ ١٢) .

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: بإمام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا إلى ضلالة أو هدى، قال الله تعالى: «وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا» (الأنبياء ـ ٧٣)، وقال: «وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار» (القصص ـ ٤١) .

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» ص (١٠٠): «أخرجه الطبراني في «الأوسط» من طريق محمد بن ماهان، حدثنا طلحة بن زيد، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن عبدالله بن عمر، عن النبي ﷺ قال: .... فكان» قال : لم يروه عن صفوان إلا طلحة وأبو غسان، تفرد به طلحة محمد بن ماهان. وعن أبي غسان حجاج الأعور، أخرج طريق حجاج في «المعجم الكبير» ورجاله ثقات. وله شاهد عند عبدالرزاق في تفسيره عن معمر عن زيد بن أسلم قال... موقوفاً عليه. وقال الدارقطني في «العلل»: روى عبدالمجيد بن أبي داود عن معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عمر، فذكر نحوه، قال: ورواه شريح بن يونس عن عبدالمجيد موقوفاً. وهو أصح. وله شاهد آخر عند الطبراني في «مسند الشاميين» والبيهقي في «الأسماء والصفات» من رواية عبد ربه بن صالح عن عروة بن رويم أنه سمعه يحدث عن جابر...» . وذكره الخطيب في «مشكاة المصابيح»: ١٥٩٧/٣، وعزاه للديلمي في «مسند الفردوس» والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» من رواية حماد بن سلمة عن أبي المهزّم عن أبي هريرة موقوفاً، وأخرجه ابن ماجه من هذه الطريق موقوفاً: ١٣٠١/٢، وأبو المهزّم ضعيف .
انظر: الكافي الشاف ص (١٠٠) .

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢﴾

وقيل: بمعبودهم. وعن سعيد بن المسيب قال: كل قوم يجتمعون إلى رئيسهم في الخير والشر.

وقال محمد بن كعب: ﴿بإمامهم﴾، قيل: يعني بأمهاتهم، وفيه ثلاثة أوجه من الحكمة أحدها: لأجل عيسى عليه السلام، والثاني: لشرف الحسن والحسين، والثالث: لئلا يفتضح أولاد الزنا(١).

٢١١/ب ﴿فمن أوتي كتابه / بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم ولا يُظلمون فتيلاً﴾ أي: لا ينقص من حقهم قدر فتيل(٢).

﴿ومن كان في هذه أعمىٰ﴾، اختلفوا في هذه الإشارة، فقال قوم: هي راجعة إلى النِّعَم التي عدَّدها الله تعالى في هذه الآيات من قوله: ﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك﴾ إلى قوله ﴿تفضيلاً﴾ يقول: ومن كان منكم في هذه النِّعم التي قد عاين أعمى، ﴿فهو في﴾، أمر، ﴿الآخرة﴾، التي لم يعاينْ ولم يَرَ، ﴿أعمى وأضل سبيلاً﴾، يروى هذا عن ابن عباس(٣).

وقال الآخرون: هي راجعة إلى الدنيا، يقول: من كان في هذه أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق، فهو في الآخرة أعمى، أي: أشد عمىً، وأضلُّ سبيلاً، أي: أخطأ طريقاً(٤).

وقيل: من كان في هذه الدنيا أعمى عن الاعتبار، فهو في الآخرة أعمى عن الاعتذار.

وقال الحسن: من كان في هذه الدنيا ضالاً كافراً، فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، لأنه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته(٥).

---

(١) انظر هذه الأقوال، وأقوالاً أخرى، في: تفسير القرطبي: ٢٩٦/١٠-٢٩٧، الطبري: ١٢٦/١٥-١٢٧، زاد المسير: ٦٤/٥-٦٥، الدر المنثور: ٣١٦/٥-٣١٧.

وقال الطبري: وأولى الأقوال عندنا بالصواب قول من قال: معنى ذلك: يوم ندعو كل أناس بإمامهم الذي كانوا يقتدون به، ويأتمّون به في الدنيا؛ لأن الأغلب من استعمال العرب «الإمام» فيما ائتمّ واقتدى به. وتوجيه معاني كلام الله إلى الأشهر أَوْلى، مالم تثبت حجة بخلافه يجب التسليم لها.

(٢) «الفَتِيْلُ» المَفْتُولُ، وسمي ما يكون في شق النَّواة فتيلاً لكونه على هيئة المفتول، وهو ما تفتله بين أصابعك من خيط أو وسخ، ويضرب به المثل في الشيء الحقير. وناقة فتلاء الذراعين: مُحْكمة.

انظر: مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني ص (٣٧١).

(٣) أخرجه الفريابي وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور: ٣١٧/٥.

(٤) الدر المنثور: ٣١٧/٥.

(٥) ورجح الطبري قول من قال: معنى ذلك: ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن حجج الله على أنه المنفرد بخلقها وتدبيرها وتصريف ما فيها، فهو في أمر الآخرة التي لم يرها ولم يعاينها، وفيما هو كائن فيها أعمى وأضلّ سبيلاً، يقول: وأضل طريقاً منه في أمر الدنيا التي قد عاينها ورآها.. لأن الله تعالى لم يخصص في قوله: «ومن كان في هذه أعمىٰ» عمىٰ الكافر به عن بعض حججه عليه فيها دون بعض، فيوجه ذلك إلى عماه عن نعمه بما أنعم به عليه من تكريمه بني آدم...».

انظر: تفسير الطبري: ١٢٨/١٥-١٢٩.

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾

وأمال بعض القراء هذين الحرفين، وفتحهما بعضهم، وكان أبو عمرو يكسر الأول ويفتح الثاني، فهو في الآخرة أشد عمى؛ لقوله: «وأضل سبيلاً».

قوله عزّ وجلّ: ﴿وإنْ كادُوا ليَفتِنُونك عن الذي أوحينا إليك﴾ الآية، اختلفوا في سبب نزولها:

قال سعيد بن جبير: كان النبي ﷺ يستلم الحجر الأسود فمنعته قريش، وقالوا: [لا تلم][1] حتى تلم بآلهتنا وتمسّها، فحدث نفسه: ما عليَّ أن أفعل ذلك، والله تعالى يعلم أني لها كاره، بعد أن يدعوني حتى أستلم الحجر الأسود[2].

وقيل: طلبوا منه أن يمس آلهتهم حتى يُسْلِموا ويتبعوه فحدَّث نفسه بذلك، فأنزل الله هذه الآية[3].

قال ابن عباس: قدم وفد ثقيف على النبي ﷺ فقالوا: نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال، قال: وما هنّ؟ قالوا: أن لا ننحني ـ أي في الصلاة ـ ولا نكسر أصنامنا بأيدينا، وأن تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبدها. فقال النبي ﷺ: «لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود، وأما أن تكسروا أصنامكم بأيديكم فذاك لكم، وأما الطاغية ـ يعني اللات والعزى ـ فإني غير ممتعكم بها»، فقالوا: يارسول الله إنا نحب أن تسمع العرب أنك أعطيتنا ما لم تعطِ غيرنا، فإن خشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا، فقل: الله أمرني بذلك؟ فسكت رسول الله ﷺ، فطمع القوم في سكوته أن يعطيهم ذلك، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية[4]: ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ ليصرفونك ﴿عن الذي أوحينا إليك﴾ ﴿لتفتري﴾، لتختلق، ﴿علينا غيره وإذاً﴾، لو فعلت ما دَعَوْكَ إليه ﴿لاتّخذُوكَ خليلاً﴾ أي: وَالوكَ وصَافَوْكَ.

---

(١) في «ب»: لا ندعك.

(٢) أخرجه الطبري: ١٥/١٣٠، وابن أبي حاتم. (الدر المنثور: ١٥/٣١٨)، وذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٣٣٥)، وانظر: القرطبي: ١٠/٢٩٩. قال ابن الجوزي في «زاد المسير»: (٥/٦٧-٦٨): وهذا باطل، لا يجوز أن يُظَنَّ برسول الله ﷺ، ولا ما ذُكِر عن عطية من أنه همّ أن يُنْظِرَهم سنة، وكل ذلك محال في حقه وفي حق الصحابة أنهم رووا ذلك.

(٣) عزاه السيوطي لابن أبي حاتم وابن إسحاق وابن مردويه، عن ابن عباس، وعن جابر من طريق الكلبي. وهو ضعيف. انظر: الدر المنثور ٥/٣١٨، وراجع التعليق السابق.

(٤) قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» ص (١٠٠): «لم أجده، وذكره الثعلبي عن ابن عباس من غير سند» وذكره الواحدي أيضاً في أسباب النزول ص (٣٣٥). وهذه الروايات كلها أعرض عنها الحافظ ابن كثير رحمه الله ولم يذكرها في تفسيره.

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝٧٤ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۝٧٥ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٧٦﴾

﴿ولولا أن ثبتناك﴾، على الحق بعصمتنا، **﴿لقد كِدت تركنُ﴾** أي: تميل، **﴿إليهم شيئاً قليلاً﴾** أي: قريباً من الفعل.

فإن قيل: كان النبي ﷺ معصوماً، فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه وما طلبوه كفر؟.

قيل: كان ذلك خاطرَ قلبٍ، ولم يكن عزماً وقد غفر[1] الله عزّ وجلّ عن حديث النفس.

قال قتادة: كان النبي ﷺ يقول بعد ذلك: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين»[2].

والجواب الصحيح هو: أن الله تعالى قال: **﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾** وقد ثبَّته الله، ولم يركن، وهذا مثل قوله تعالى: «ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً» (النساء ـ ٨٣)، [وقد تفضل فلم يتّبِعوا][3].

﴿إذاً لأذقناك ضِعْفَ الحياةِ وضِعْفَ المماتِ﴾، أي: لو فعلت ذلك لأذقناك ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات، يعني: أضعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة.

وقيل: «الضعف»: هو العذاب، سمي ضعفاً لتضاعف الألم فيه.

﴿ثم لا تجد لك علينا نصيراً﴾، أي: ناصراً يمنعك من عذابنا.

قوله تعالى: **﴿وإن كادوا لَيَستفِزُّونك من الأرض لِيُخرِجُوكَ منها﴾**، اختلفوا في معنى الآية، فقال بعضهم: هذه الآية مدنية. قال الكلبي: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة حسداً منهم، فأتوه وقالوا: يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بأرض الأنبياء فإنّ أرض الأنبياء الشام، [وهي الأرض المقدسة، وكان بها إبراهيم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإن كنت نبياً مثلهم فأتِ الشام][4]، وإنما يمنعك من الخروج إليها مخافتك الروم، وإن الله سيمنعك من الروم إن كنت رسوله،

---

(١) في «ب»: عفا.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» ص (١٠١): «لم أجده، وذكره الثعلبي عن قتادة مرسلاً». وقد تقدم أن هذه العبارة كافية في الحكم عليه بالوضع. وعدم اعتداد المصنف رحمه الله بالجواب وترجيحه غيره يدل على ضعفه عنده. وقارن بالطبري: ١٥/١٣١.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٤) ساقط من «أ».

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ٧٧﴾

فعسكر النبي ﷺ على ثلاثة أميال من المدينة. وفي رواية: إلى ذي الحُليفة حتى يجتمع إليه أصحابه ويخرج، فأنزل الله هذه الآية و«الأرض» هاهنا هي المدينة[1].

وقال مجاهد وقتادة: «الأرض» أرض مكة. والآية مكية، هَمَّ المشركون أن يُخرجوه منها، فكفّهم الله عنه حتى أمره بالهجرة، فخرج بنفسه. وهذا أليق بالآية لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية[2].

وقيل: هم الكفار كلهم، أرادوا أن يستفزوه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه، فمنع الله عزّ وجلّ رسوله ﷺ ولم ينالوا منه ما أمّلوا. والاستفزاز هو: الإزعاج بسرعة.

﴿وإذاً لا يلبثون خِلافَك﴾ أي: بعدك، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص ويعقوب ﴿خلافك﴾ اعتباراً بقوله تعالى: «فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله» (التوبة ـ ٨١)، ومعناهما واحد[3]. ﴿إلا قليلاً﴾ أي: لا يلبثون بعدك إلا قليلاً حتى يهلكوا، فعلى هذا القول الأول: مدة حياتهم، وعلى الثاني: ما بين خروج النبي ﷺ إلى المدينة إلى أن قتلوا ببدر.

قوله عزّ وجلّ: ﴿سُنّةَ مَنْ قد أرسلنا قَبْلَكَ من رسُلِنا﴾ أي: كسُنّتنا، فانتصب بحذف الكاف. وسنة الله في الرسل إذا كذبتهم الأمم أن لا يعذبهم ما دام نبيهم بين أظهرهم، فإذا خرج نبيهم من بين أظهرهم عذبهم.

﴿ولا تجد لسنتنا تحويلاً﴾، أي تبديلاً.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» ص (١٠١): «لم أجده. وذكره السهيلي في «الروض الأنف» عن عبدالمجيد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبدالرحمن بن غنم...».
وقال الحافظ ابن كثير: (٥٤/٣): قيل نزلت في اليهود إذ أشاروا على رسول الله ﷺ بسكنى الشام بلاد الأنبياء وترك سكنى المدينة.
وهذا القول ضعيف، لأن هذه الآية مكية، وسكنى المدينة بعد ذلك. وقيل: إنها نزلت بتبوك، وفي صحته نظر.
وروى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبدالجبار العطاردي، عن يونس بن بكير عن عبدالحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب عن عبدالرحمن بن غنم.. ـ وساق القصة ـ ثم قال: «وفي هذا الإسناد نظر، والأظهر أن هذا ليس بصحيح فإن النبي ﷺ لم يغز تبوك عن قول اليهود، وإنما غزاها امتثالاً لقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار»... وانظر: تفسير القرطبي: ٣٠١/١٠، أسباب النزول للواحدي ص (٣٣٦). هذا، وقد رجح المصنف ـ رحمه الله ـ الرواية الآتية على هذه الرواية.

(٢) وهو ما رجحه الطبري في تفسيره: ١٣٣/١٥، والقرطبي: ٣٠١/١٠، وانظر: أسباب النزول للواحدي ص (٣٣٦).

(٣) أي معنى: «خلافك» و«خلفك» وبالثانية قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، عن عاصم. وسياق المصنف يوحي أن في الأصل سقطاً، وليس كذلك، لأن المثبت في النسخة الخطية القراءة الثانية «خلفك».
وانظر: زاد المسير: ٧٠/٥.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾

قوله : ﴿أقم الصلاة لدلوكِ الشمسِ﴾، اختلفوا في الدلوك: روي عن عبدالله بن مسعود أنه قال: الدلوك هو الغروب. وهو قول إبراهيم النخعي، ومقاتل بن حيان، والضحاك، والسدي .

وقال ابن عباس: وابن عمر، وجابر: هو زوال الشمس، وهو قول عطاء، وقتادة، ومجاهد، والحسن، وأكثر التابعين .

ومعنى اللفظ يجمعهما لأن أصل الدلوك الميل، والشمس تميل إذا زالت وإذا غربت .

والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به، ولأنا إذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها؛ «فدلوك الشمس»: يتناول صلاة الظهر والعصر، و«إلى غسق الليل»: يتناول المغرب والعشاء، و«قرآن الفجر»: هو صلاة الصبح[1] .

قوله عزّ وجلّ: ﴿إلى غسق الليل﴾، أي: ظهور ظلمته، وقال ابن عباس: بدُوّ الليل. وقال قتادة: وقت صلاة المغرب. وقال مجاهد: غروب الشمس .

﴿وقرآنَ الفجرِ﴾، يعني: صلاة الفجر، سمّىٰ صلاة الفجر قرآناً لأنها لا تجوز إلا بقرآن، وانتصاب القرآن من وجهين؛ أحدهما: أنه عطف على الصلاة، أي: وأقم قرآن الفجر، قاله الفراء، وقال أهل البصرة: على الإغراء أي وعليك قرآن الفجر .

﴿إنّ قرآن الفجر كان مشهوداً﴾، أي: يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار .

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، أنبأنا شعيب عن الزهري، أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبدالرحمن أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تَفْضُلُ صلاةُ الجميع على صلاة أحدكم وحدَه بخمسٍ وعشرين جزءًا، وتجتمعُ ملائكةُ الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر»، ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾[2] .

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: تفسير القرطبي: ٣٠٣/١٠-٣٠٧، زاد المسير ٧٢/٥-٧٤، أحكام القرآن للجصاص: ٣١/٥-٣٢، أحكام القرآن لابن العربي: ١٢١٩/٣ وما بعدها .

(٢) أخرجه البخاري في الأذان، باب فضل صلاة الفجر في جماعة: ١٣٧/٢ .

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿ومن الليلِ فتهجّدْ به﴾ أي: قم بعد نومك، والتهجد لا يكون إلا بعد النوم، يقال: تهجد إذا قام بعدما نام، وهجد إذا نام.

والمراد من الآية: قيام الليل للصلاة.

وكانت صلاة الليل / فريضة على النبي ﷺ في الابتداء، وعلى الأمة، لقوله تعالى: «يا أيها ٢١٢/ أ
المزمل قم الليل إلا قليلاً» (المزمل ـ ١)، ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخاً في حق الأمة بالصلوات الخمس، وبقي الاستحباب: قال الله تعالى: «فاقرؤوا ما تيسر منه» (المزمل ـ ٢٠)، وبقي الوجوب في حق النبي ﷺ(١).

وروي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «ثلاث هنّ عليّ فريضة، وهنّ سنة لكم: الوتر [والسواك](٢) وقيام الليل»(٣).

قوله عزّ وجلّ: ﴿نافلة لك﴾ أي: زيادة لك، يريد: فضيلة زائدة، على سائر الفرائض، فرضها الله عليك.

وذهب قوم إلى أن الوجوب صار منسوخاً في حقه كما في حق الأمة، فصارت نافلة، وهو قول مجاهد وقتادة، لأن الله تعالى قال: «نافلة لك» ولم يقل عليك(٤).

فإن قيل: فما معنى التخصيص وهي زيادة في حق كافة المسلمين كما في حقه ﷺ؟.

قيل: التخصيص من حيث إن نوافل العباد كفارة لذنوبهم، والنبيُّ ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكانت نوافله لا تعمل في كفارة الذنوب فتبقى له زيادة في رفع الدرجات.

---

(١) قال القرطبي: (١٠/٣٠٨-٣٠٩): وفي هذا بُعْدٌ لوجهين:
أحدهما: تسمية الفرض بالنفل، وذلك مجاز لا حقيقة.
الثاني: قوله ﷺ: «خمس صلوات فرضهن الله على العباد» وقوله تعالى ـ في حديث المعراج ـ: «هنّ خمس وهن خمسون، لا يبدل القول لديّ»، وهذا نص، فكيف يقال افترض عليه صلاة زائدة على الخمس؟ هذا ما لا يصح، وإن كان قد روي عنه عليه الصلاة والسلام: «ثلاث عليّ فريضة...».

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط»، وفيه موسى بن عبدالرحمن الصنعاني، وهو كذاب انظر: مجمع الزوائد: ٢٦٤/٨.
وعن ابن عباس أخرجه: الإمام أحمد في المسند: ٢٣١/١، والبيهقي في السنن: ٤٦٨/٢، والحاكم في المستدرك: ٣٠٠/١ قال الذهبي: ما تكلم الحاكم عليه، وهو غريب منكر، ويحيى ضعفه النسائي والدارقطني.
وقال الهيثمي: أخرجه أحمد والبزار بأسانيد، والطبراني في الكبير والأوسط، وفي أسانيدها جابر الجعفي وهو ضعيف، وأبو جناب الكلبي مدلس.
وانظر: نصب الراية ١١٥/٢، تلخيص الحبير: ١١٨/٣، فيض القدير: ٣٠٩/٣، مجمع الزوائد: ٢٦٤/٨.

(٤) راجع: زاد المسير: ٧٥/٥-٧٦، القرطبي: ١٠/٣٠٨-٣٠٩، أحكام القرآن للجصاص: ٣٢/٥-٣٣.

أخبرنا أبو محمد عبدالله بن عبد الصمد الجوزجاني، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا قتيبة وبشر بن معاذ قالا: حدثنا أبو عوانة عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال: قام النبي ﷺ حتى انتفخت قدماه، فقيل له: أتتكلَّفُ هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»(١) .

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم ابن عبدالصمد الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك، عن عبدالله بن أبي بكرة عن أبيه عن عبدالله ابن قيس بن مخرمة أنه أخبره عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: لأَرْمُقَنَّ صلاة رسول الله ﷺ : الليلة(٢)، فتوسَّدْتُ عتبته أو فسطاطه، فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم صلى ركعتين طويلتين، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما، [ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما](٣)، ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة(٤) .

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن سعيد بن أبي سعيد المقبريِّ، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن أنه أخبره أنه سأل عائشة رضي الله عنها: كيف كانت صلاةُ رسول الله ﷺ في رمضان؟ قال: فقالت ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضانَ، ولا في غيرِه، على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهنّ وطولهنّ، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً. قالت عائشة فقلت: يارسول الله أتنام قبل أن توتر؟ فقال: «ياعائشة إن عينيَّ تنامان ولا ينام قلبي»(٥) .

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو نعيم عبدالملك بن الحسن الاسفرايني، أخبرنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق، أخبرنا يونس بن هارون بن عبدالأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني يونس، وابن أبي ذئب، وعمر بن الحارث، أن ابن شهاب أخبرهم عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ «يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب «ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك»: ٨/٥٨٤، وفي التهجد، باب قيام النبي ﷺ الليل: ٣/١٤، ومسلم في صفات المنافقين، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، برقم (٢٨١٩): ٤/٢١٧١، والمصنف في شرح السنة: ٤/٤٤، ورواية الترمذي في «الشمائل المحمدية» ص (١٥٩) .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) ما بين القوسين ساقط من « أ » .

(٤) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم (٧٦٥): ١/٥٣١-٥٣٢، والمصنف في شرح السنة ٤/١٩ .

(٥) أخرجه البخاري في التهجد، باب قيام النبي ﷺ في رمضان وغيره: ٣/٣٣، ومسلم في صلاة المسافرين، باب صلاة الليل، برقم (٧٣٨) ١/٥٠٩، والمصنف في شرح السنة: ٤/٥٠٤ .

عشرة ركعة، يسلِّم من كل ركعتين، ثم يوتر بواحدة، فيسجد السجدة قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه، فإذا سكت المؤذن من أذان الفجر، وتبيَّن له الفجر، قام فركع ركعتين خفيفتين، ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للإقامة فيخرج». وبعضهم يزيد على بعض(١) .

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي، أخبرنا عبدالرحمن بن منيب، أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا حميد الطويل، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: ما كنا نشاء أن نرى رسول الله ﷺ من الليل مصلياً إلا رأيناه، ولا نشاء أن نراه نائماً إلا رأيناه، وقال: كان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيئاً، ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيئاً(٢) .

قوله عزّ وجلّ: ﴿عسى أنْ يبعثك ربُّك مقاماً محموداً﴾ عسى من الله تعالى واجب، لأنه لا يدع أن يعطي عباده أو يفعل بهم ما أطمعهم فيه .

والمقام المحمود هو: مقام الشفاعة لأمته لأنه يحمده فيه الأولون والآخرون:

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبدالجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، أخبرنا عبدالله بن يزيد المقري، أخبرنا حياة عن كعب عن علقمة عن عبدالرحمن بن جبير عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول: ثم صلُّوا عليّ، فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سَلُوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّتْ عليه الشفاعة»(٣) .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا علي بن عباس، حدثنا سعيد بن أبي حمزة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آتِ محمداً الوسيلةَ والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلّتْ له شفاعتي يوم القيامة»(٤) .

---

(١) أخرجه مسلم في الموضع السابق برقم (٧٣٦): ٥٠٨/١، والمصنف في شرح السنة: ٧/٤ .

(٢) أخرجه البخاري في التهجد، باب قيام النبي ﷺ من نومه: ٢٢/٣، وفي مواضع أخرى، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٧/٤ .

(٣) أخرجه مسلم في الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن، برقم (٣٨٤): ٢٨٨/١-٢٨٩، والمصنف في شرح السنة: ٢٧٤/٢ .

(٤) أخرجه البخاري في الأذان، باب الدعاء عند النداء: ٩٤/٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٨٤/٢ .

أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبدالله الصالحي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحِيْريّ، أخبرنا حاجب بن أحمد الطُّوسي، أخبرنا عبدالرحيم[1] بن منيب، أخبرنا يعلى عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي دعوةً مستجابة، وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي، وهي نائلة منكم ـ إن شاء الله ـ من مات لا يشرك بالله شيئاً»[2].

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل قال: وقال حجاج بن منهال، حدثنا همام بن يحيى، حدثنا قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال: «يُحْبَسُ المؤمنون يومَ القيامة حتى يهتموا بذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسكنك جنته، وأسجد لك ملائكته، وعلَّمك أسماء كل شيء، اشفعْ لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب وأَكْلَه من الشجرة، وقد نهي عنها، ولكنِ ائتوا نوحاً أولَ نبي بعثه الله إلى أهل الأرض.

فيأتون نوحاً فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب، سؤالَه ربَّه بغير علم، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن، قال فيأتون إبراهيم، فيقول: لست هناكم ويذكر ثلاث كذبات كذبهن، ولكن ائتوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلَّمه وقرَّبه نَجِيًّا.

قال: فيأتون موسى، فيقول: إني لستُ هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب بقتل النفس[3]، ولكن ائتوا عيسى، عبدَ الله ورسوله وروح الله وكلمته.

٢١٢/ب فيأتون عيسى، فيقول: لستُ هناكم / ولكن ائتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قال: فيأتوني فأستأذن على ربي في داره[4] فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجداً فَيَدَعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفعْ رأسك يا محمدُ، وقلْ تُسمع واشفعْ تُشَفَّع، وسلْ تعطه، قال: فأرفع رأسي، فأُثني على ربي بثناء وتحميد يعلِّمنيه، ثم أشفع فيحدّ لي حداً فأخرج، فأُدخلهم الجنة.

---

(١) في «أ»: عبدالرحمن. والمثبت من «ب» ومن «شرح السنة».

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، برقم (١٩٩): ١/١٨٩، والمصنف في شرح السنة: ٥/٦.

(٣) في «ب»: قتله القبطي.

(٤) قال الخطابي في «أعلام الحديث»: (٤/١٢٥٧): «وقوله: (في داره) يوهم مكاناً، كاللفظة الأولى في القصة المتقدمة، وهي قوله: «وهو مكانه». ومعنى قوله: «فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه» أي: في داره التي دوّرها لأوليائه وهي الجنة، كقوله عز وجل: «والله يدعو إلى دار السلام» (يونس ـ ٢٥)، وكما يقال: بيت الله وحَرَم الله، يريدون بيت الله الذي جعله مثابة للناس، والحرم الذي جعله آمناً لهم...».

وانظر: فتح الباري ١٣/٤٢٨، وعمدة القاري: ٢٤/١٣٢.

قال قتادة: وسمعته أيضاً يقول: فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأستأذن على ربي في داره، فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفعْ رأسك يامحمد، وقلْ تُسْمَعْ، واشفعْ تُشفَّعْ، وسلْ تعطه، قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلّمنيه، ثم أشفع فيحدّ لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة، [ثم أعود الثالثة فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع رأسك يامحمد، وقلْ تسمعْ واشفعْ تشفعْ وسل تعطه، قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة»][1].

قال قتادة: وقد سمعته أيضاً يقول: «فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن» ـ أي وجب عليه الخلود ـ قال: ثم تلا هذه الآية: **﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾** [قال: «وهذا المقام المحمود][2] الذي وُعِده نبيكم ﷺ»[3].

وبهذا الإسناد قال: حدثنا [محمد بن إسماعِيل حدثنا][4] سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا معبد بن هلال الغزي قال: ذهبنا إلى أنس بن مالك فذكر حديث الشفاعة، بمعناه، قال: «فأستأذِنُ على ربي فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد وأخرُّ له ساجداً، فيقال: يامحمد ارفع رأسك وقل تسمع [وسل تعطه][5] واشفع تشفع، فأقول: يارب أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلِقُ فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخرّ له ساجداً وذكر مثله، فيقال: انطلق فأخرِجْ من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من الإيمان. فأنطلِقُ فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ له ساجداً، وذكر مثله، ثم يقال: انطلق فأخرِجْ من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان، فأنطلق فأفعل، فلما خرجنا من عند أنس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثناه بالحديث إلى هذا الموضع، فقال: هيه، فقلنا: لم يزدنا على هذا، فقال: لقد حدثني وهو [يومئذ جميع][6] منذ عشرين سنة كما حدثكم، ثم قال: ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً فيقال: يامحمد ارفع رأسك وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول ياربي أتأذن فيمن قال لا إله إلا الله؟ فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجنّ منها من قال لا إله إلا الله»[7].

---

(١)، (٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) أخرجه البخاري في التوحيد، باب «وجوه يومئذ ناضرة...» ٤٢٢/١٣.

(٤)، (٥) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٦) في «ب»: مجتمع جميعه.

(٧) أخرجه البخاري في التوحيد، باب كلام الرب عزّ وجلّ يوم القيامة مع الأنبياء: ٤٧٣/١٣، ومسلم في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم (١٩٣): ١٨٣/١-١٨٤.

- ورُوي عن عبدالله بن عمر قال: «إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد ﷺ [فيشفع ليقضىٰ بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً، يحمده أهل الجمع كلهم»[(١)] .

وأخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو محمد عبدالله بن يوسف بن محمد][(٢)] بن ماموية، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، حدثنا محمد بن حموية، حدثنا سعيد ابن سليمان، حدثنا منصور بن أبي الأسود، حدثنا الليث، عن الربيع بن أنس، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أنا أوَلُهم خروجاً [إذا بُعِثوا][(٣)]، وأنا قائدُهم إذا وَفَدُوا، وأنا خطيبُهم إذا أنْصَتُوا، وأنا شفيعهم إذا حُبِسُوا [وأنا مبشّرهم إذا أيِسُوا][(٣)] الكرامةَ، والمفاتيحُ يومئذٍ بيدي، ولواءُ الحمدِ يومئذٍ بيدي، وأنا أكرمُ ولد آدمَ على ربي، يطوف عليّ ألف خادم كأنهم بَيْضٌ مكنون، أو لؤلؤٌ منثور»[(٤)] .

اخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أخبرنا عبدالغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثني الحكم بن موسى، حدثنا معقل ابن زياد عن الأوزاعي، حدثني أبو عمار، حدثني عبدالله بن فروخ، حدثني أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ، وأول من ينشَقُّ عنه القبر، وأول شافعٍ، وأول مُشَفَّعٍ»[(٥)] .

والأخبار في الشفاعة كثيرة، وأول من أنكرها عمرو بن عبيد، وهو مبتدع باتفاق أهل السنة[(٦)] .

---

(١) أخرجه البخاري تعليقاً في الزكاة، باب من سأل الناس تكثراً: ٣٣٨/٣، ورواه موصولاً: الطبري في التفسير: ١٤٦/١٥، والبزار، والطبراني في «الأوسط» وابن منده في «الإيمان» ٨٣٣/٣. وقال: «هذا إسناد ثابت على رسم البخاري» . وانظر: فتح الباري: ٣٣٩/٣، الدر المنثور: ٣٢٥/٥ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من « أ » .

(٣) ما بين القوسين ساقط من « أ » .

(٤) أخرجه الترمذي في المناقب، باب ما جاء في فضل النبي ﷺ: ٧٩/١٠، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وفي بعض النسخ: «غريب»، وأخرجه الدارمي في المقدمة، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل: ٢٦/١-٢٧، والمصنف في شرح السنة: ٢٠٣/١٣، وقال: «هذا حديث غريب» وفيه الليث بن أبي سليم وهو ضعيف. وانظر: مشكاة المصابيح: ١٦٠٥/٣ .

(٥) أخرجه مسلم في الفضائل: باب تفضيل نبينا محمد ﷺ على جميع الخلائق، برقم (٢٢٧٨): ١٧٨٢/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٠٣/١٣-٢٠٤ .

(٦) انظر احتجاج الخوارج على نفي الشفاعة لأهل الذنوب، وشبهتهم، والرد عليهم في: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ١١٦/١، ١٤٦-١٤٩، القرطبي: ٣١٠/١٠ .

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾

ورُوي عن يزيد بن صهيب الفقير قال: كنت قد شغفني رأيٌ من رأي[(١)] الخوارج، وكنت رجلاً شاباً فخرجنا في عصابةٍ، نريد أن نحجَّ، فمررنا على المدينة، فإذا جابر بن عبدالله يحدِّث القوم عن رسول الله ﷺ، وذكر الجهنميين، فقلتُ له: ياصاحب رسول الله ما هذا الذي يحدثون والله عزّ وجلّ يقول: «إنك من تدخل النار فقد أخزيته» (آل عمران ـ ١٩٢) و«كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها» (السجدة ـ ٢٠)؟ فقال لي: يافتى تقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: هل سمعت بمقام محمدٍ المحمودِ الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم، قال: فإنه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار، [ثم نعتَ وَضْعَ الصراط ومرَّ الناس عليه][(٢)]، وأن قوماً يخرجون من النار بعد ما يكونون فيها، قال: فرجعنا وقلنا أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ[(٣)]؟ .

ورُوي عن أبي وائل عن عبدالله عن النبي ﷺ قال: «إن الله عزّ وجلّ اتخذ إبراهيم خليلاً، وإن صاحبكم حبيب[(٤)] الله وأكرم الخلق على الله»، ثم قرأ: ﴿**عسى أن يبعثك ربُّك مقاماً محموداً**﴾[(٥)] [قال: يقعد على العرش][(٦)] .

[وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿**عسى أن يبعثك ربُّك مقاماً محموداً**﴾، قال: يجلسه على العرش][(٧)] .

وعن عبدالله بن سلام قال: يقعده على الكرسي[(٨)] .

قوله عزّ وجلّ : ﴿**وقل ربِّ أدخلني مُدخلَ صدق وأخرجني مُخرَجَ صدق**﴾، والمراد من

---

(١) زيادة من «ب» .

(٢) ساقط من « أ » .

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلاً، برقم (١٩١): ١٧٩/١ .

(٤) في «ب»: خليل .

(٥) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٥٥/٨): «في الصحيح منه: «وإن صاحبكم خليل الله» فقط في أثناء حديث ـ رواه الطبراني ـ وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف» .

(٦) ساقط من «ب» .

(٧) ما بين القوسين ساقط من «ب». والخبر عن مجاهد أخرجه الطبري: ١٤٥/١٥ .

(٨) قال الطبري: إن القول الأول في تفسير المقام المحمود بالشفاعة هو أولى بالصواب، فقد صحَّ به الخبر عن رسول الله ﷺ.. وإن كان هذا هو الصحيح فإن ما قاله مجاهد غير مدفوع، لا من جهة خبرٍ ولا نظر، وذلك لأنه لا خبر عن رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من أصحابه، ولا عن التابعين بإحالة ذلك .

انظر: تفسير الطبري: ١٤٥/١٥ـ١٤٧، تفسير القرطبي: ٣١١/١٠ـ٣١٢ .

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١﴾

المدخل والمخرج: الإدخال والإخراج، واختلف أهل التفسير فيه :

فقال ابن عباس والحسن وقتادة: «أدخلني مدخل صدق»: المدينة. «وأخرجني مخرج صدق»: مكة، نزلت حين أمر النبي ﷺ بالهجرة[١] .

وقال الضحاك: «وأخرجني مخرج صدق»: من مكة آمناً من المشركين، «وأدخلني مدخل صدق»: مكة ظاهراً عليها بالفتح .

وقال مجاهد: أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق الجنة، وأخرجني من الدنيا، وقد قمت بما وجب عليّ من حقها، مخرج صدق .

وعن الحسن أنه قال: «أدخلني مدخل صدق»: الجنة، «وأخرجني مخرج صدق»: من مكة .

وقيل أدخلني في طاعتك، وأخرجني من المناهي، وقيل: معناه أدخلني حيث ما أدخلتني بالصدق، وأخرجني بالصدق، أي: لا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه، فإنّ ذا الوجهين لا يكون آمناً ووجيهاً عند الله .

ووصف الإدخال والإخراج بالصدق لما يؤُول إليه الخروج والدخول من النصر والعزّ ودولة الدين، كما وصف القدم بالصدق فقال: «أنّ لهم قدم صدق عند ربهم» (يونس – ٢) .

﴿واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾، قال مجاهد: حجة بيّنة. وقال الحسن: ملكاً قوياً تنصرني به على من ناوأني[٢] وعزاً ظاهراً أقيم به دينك. فوعده الله لينزعنّ ملك فارس والروم وغيرهما فيجعله له .

قال قتادة: علم نبي الله ﷺ أن لا طاقة له بهذا الأمر إلاّ بسلطان [نصير][٣]، فسأل سلطاناً نصيراً: كتابَ الله، وحدودَه، وإقامةَ دينه .

قوله عزّ وجلّ : ﴿وقل جاء الحق﴾، يعني القرآن، ﴿وزهق الباطل﴾، أي: ذهب الشيطان، قال قتادة، وقال السدي: «الحق»: الإسلام، و«الباطل»: الشرك. وقيل: «الحق»: عبادة الله، و«الباطل»: عبادة الأصنام .

﴿إنّ الباطل كان زهوقاً﴾ ذاهباً، يقال: زهقت نفسه أي خرجت .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي عن ابن عباس. انظر: ابن كثير: ٥٩/٣، وهو ما رجحه الطبري في التفسير: (١٥٠/١٥) .

(٢) في « أ »: عاداني .

(٣) ساقط من « أ » .

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾

محمد بن إسماعيل، حدثنا صدقة بن الفضل، حدثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد عن أبي معمر عن عبدالله، قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحولَ البيتِ ستونَ وثلاثُمائة نُصُبٍ، فجعل يطعنُها بعُودٍ [في يده][1] ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل»، «جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد»[2].

٢١٣/أ / قوله عزّ وجلّ: ﴿وننزِّلُ من القرآنِ ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين﴾، قيل: «من» ليس للتبعيض، ومعناه: وننزل من القرآن ما كلُّه شفاء، أي: بيان من الضلالة والجهالة، يتبين به المختلف، ويتضح به المشكل، ويستشفى به من الشبهة، ويهتدى به من الحيرة، فهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها ورحمة للمؤمنين.

﴿ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾، لأن الظالم لا ينتفع به، والمؤمن مَنْ ينتفع به فيكون رحمة له.

وقيل: زيادة الخسارة للظالم من حيث أن كل آية تنزل يتجدد منهم تكذيب ويزداد لهم خسارة.

قال قتادة: لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، قضى الله الذي قضى شفاء ورحمة للمؤمنين، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً.

قوله تعالى: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض﴾، عن ذكرنا ودعائنا، ﴿ونأى بجانبه﴾، أي تباعد عنا بنفسه، أي ترك التقرب إلى الله بالدعاء. وقال عطاء: تعظم وتكبر، ويكسر النون والهمزة حمزة والكسائي، ويفتح النون ويكسر الهمزة أبو بكر، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر «وناء» مثل جاء قيل: هو بمعنى نأى، وقيل: ناء من النوء وهو النهوض والقيام.

﴿وإذا مسّه الشرُّ﴾، الشدة والضرر، ﴿كان يؤوساً﴾، أي آيساً قنوطاً. وقيل: معناه أنه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة، فإذا تأخرت الإجابة يئس ولا ينبغي للمؤمن أن ييأس من الإجابة، وإن تأخرت فيدع الدعاء.

(١) ساقط من «أ».
(٢) أخرجه البخاري في التفسير، باب: «وقل جاء الحق وزهق الباطل...»: ٨/٤٠٠.

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿**قل كلٌّ يعمل على شاكلته**﴾، قال ابن عباس: على ناحيته.

قال الحسن وقتادة[1]: على نيّته.

وقال مقاتل: على خليقته.

قال الفراء على طريقته التي جبل عليها.

وقال القتيبي: على طبيعته وجبلّته.

وقيل: على السبيل الذي اختاره لنفسه، وهو من الشكل، يقال: لستَ على شكلي ولا شاكلتي، وكلها متقاربة، تقول العرب: طريق ذو شواكل إذا تشعبت منه الطرق. ومجاز الآية: كل يعمل على ما يشبهه، كما يقال في المثل: كل امرىء يشبهه فعله.

﴿**فربُّكم أعلم بمن هو أهدىٰ سبيلاً**﴾ أوضح طريقاً.

قوله تعالى: ﴿**ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي**﴾، الآية.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قيس بن حفص، حدثنا عبدالواحد ـ يعني ابن زياد ـ حدثنا الأعمش عن إبراهيم، عن علقمة عن عبدالله قال: بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في حَرْثٍ[2] المدينة، وهو يتوكأ على عَسِيْبٍ[3] معه، فمرّ بنفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه، لا يجيء فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم لنسألنّه، فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم ما الرُّوح؟ فسكت، فقلت: إنه يُوْحَىٰ إليه، فقمت، فلما انجلى عنه الوحي، قال: ﴿**ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً**﴾[4] قال الأعمش: هكذا في قراءتنا.

(١) ساقط من «أ».

(٢) موضع الزرع.

(٣) جريدة النخل.

(٤) أخرجه البخاري في التفسير، سورة الإسراء، باب «ويسألونك عن الروح»: ٨/٤٠١، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح.. برقم (٢٧٩٤): ٤/٢١٥٢.

ورُوي عن ابن عباس أنه قال: إن قريشاً قد اجتمعوا وقالوا: إن محمداً نشأ فينا بالأمانة والصدق وما اتهمناه بكذب، وقد ادعى ما ادعى، فابعثوا نفراً إلى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فإنهم أهل كتاب فبعثوا جماعة إليهم، فقالت اليهود: سلوه عن ثلاثة أشياء، فإن أجاب عن كلها أو لم يجب عن شيء منها، فليس بنبي، وإن أجاب عن اثنين ولم يجب عن واحدة فهو نبي، فسلوه عن فتية فقدوا في الزمن الأول، ما كان من أمرهم؟ فإنه كان لهم حديث عجيب، وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها ما خبره؛ وعن الروح؟ فسألوه، فقال النبي ﷺ: أخبركم بما سألتم غداً ولم يقل إن شاء الله، فلبث الوحي ـ قال مجاهد: اثني عشرة ليلة، وقيل: خمسة عشر يوماً وقال عكرمة: أربعين يوماً ـ وأهل مكة يقولون: وعدنا محمد غداً وقد أصبحنا لا يخبرنا بشيء، حتى حزن النبي ﷺ من مكث الوحى وشقَّ عليه ما يقوله أهل مكة، ثم[1] نزل جبريل بقوله: «ولا تقولنّ لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله»، ونزلت قصة الفتية[2] «أم حسبتَ أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً»، ونزل فيمن بلغ الشرق والغرب «ويسئلونك عن ذي القرنين»، ونزل في الروح «ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي»[3].

واختلفوا في الروح الذي وقع السؤال عنه، فرُوي عن ابن عباس: أنه جبريل، وهو قول الحسن وقتادة.

ورُوي عن علي أنه قال: هو مَلك له سبعون ألف وجه، لكل وجه سبعون ألف لسان، يسبِّح الله تعالى بكلها.

وقال مجاهد: خَلْقٌ على صُوَرِ بني آدم، لهم أيدٍ وأرجل ورؤوس، وليسوا بملائكة، ولا ناس، يأكلون الطعام.

وقال سعيد بن جبير: لم يخلق الله تعالى خلقاً أعظم من الروح غير العرش، لو شاء أن يبتلع السموات السبع والأرضين السبع ومن فيها بلقمة واحدة لفعل، صورة خلقه على صورة خلق الملائكة وصورة وجهه على صورة الآدميين، يقوم يوم القيامة عن يمين العرش وهو أقرب الخلق إلى الله عزّ وجلّ اليوم عند الحجب السبعين، وأقرب إلى الله يوم القيامة وهو ممن يشفع لأهل التوحيد، ولولا أن بينه وبين الملائكة ستراً من نور لاحترق أهل السموات من نوره.

وقيل: الروح هو القرآن.

---

(١) في «ب»: إذ.

(٢) في «ب»: ونزل في الفتية.

(٣) أخرجه ابن إسحاق، والطبري، وابن المنذر، وأبو نعيم، والبيهقي، كلاهما في الدلائل.
انظر: الدر المنثور: ٣٥٧/٥، ابن كثير: ٧٢/٣، أسباب النزول ص (٣٣٨).

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ۝٨٦﴾

وقيل: المراد منه عيسى عليه السلام، فإنه روح الله وكلمته، ومعناه: أنه ليس كما يقول اليهود ولا كما يقوله النصارى.

وقال قوم: هو الروح المركب في الخلق الذي يحيا به الإنسان، وهو الأصح.

وتكلم فيه قوم فقال بعضهم: هو الدم، ألا ترى أن الحيوان إذا مات لا يفوت منه شيء إلا الدم؟.

وقال قوم: هو نَفَسُ الحيوان، بدليل أنه يموت باحتباس النفس.

وقال قوم: هو عَرَض.

وقال قوم: هو جسم لطيف.

وقال بعضهم: الروح معنىً اجتمع فيه النور والطيب والعلوّ والبقاء، ألا ترى أنه إذا كان موجوداً يكون الإنسان موصوفاً بجميع هذه الصفات[1]، فإذا خرج ذهب الكل[2]؟

وأولى الأقاويل: أن يوكل علمه إلى الله عزّ وجلّ، وهو قول أهل السنة. قال عبدالله بن بريدة: إن الله لم يُطْلِعْ على الروح مَلَكاً مقرّباً، ولا نبياً مرسلاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ قيل: من علم ربي.

﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ أي: في جنب علم الله[3]. قيل: هذا خطاب للرسول ﷺ.

وقيل: خطاب لليهود لأنهم كانوا يقولون أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير.

وقيل: كان النبي ﷺ يعلم معنى الروح، ولكن لم يخبر به أحداً لأن ترك إخباره به كان عَلَماً لنبوته.

والأول أصح؛ لأن الله عزّ وجلّ استأثر بعلمه.

قوله تعالى: ﴿ولئن شئنا لَنَذهَبَنَّ بالذي أَوْحينا إليك﴾، يعني القرآن. معناه: إنا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك، لو شئنا لنذهبنّ بالذي أوحينا إليك، يعني: القرآن، ﴿ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً﴾، أي: من يتوكل بردّ القرآن إليك.

(١) في «أ»: الأوصاف.
(٢) انظر هذه الأقوال في: زاد المسير: ٥/٨٢، الطبري: ١٥/١٥٦-١٥٧، ابن كثير: ٣/٦٢.
(٣) انظر: زاد المسير: ٥/٨٣.

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾

﴿إلا رحمةً من ربك﴾، هذا استثناء منقطع معناه: لكن[1] لا نشاء ذلك رحمة من ربك.

﴿إن فضله كان عليك كبيراً﴾، فإن قيل: كيف يذهب القرآن وهو كلام الله عزّ وجلّ؟ قيل: المراد منه: مَحْوُه من المصاحف وإذهاب ما في الصدور.

وقال عبدالله بن مسعود: اقرؤوا القرآن قبل أن يرفع، فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع. قيل: هذه المصاحف ترفع، فكيف بما في صدور الناس؟ قال يسري عليه ليلاً فيرفع ما في صدورهم، فيصبحون لا يحفظون شيئاً ولا يجدون في المصاحف شيئاً، ثم يفيضون في الشعر[2].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل، له دَوِيٌّ حول العرش كدوي النحل، فيقول الرب مالك وهو أعلم؟ فيقول: يارب أُتْلَى ولا يُعْمَل بي[3].

٢١٣/ب / قوله جلّ وعلا: ﴿قل لئنِ اجتمعتِ الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾، لا يقدرون على ذلك، ﴿ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾، عوناً ومظاهراً.

نزلت حين قال الكفار: لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله تعالى[4].

فالقرآن معجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب، وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق، لأنه غير مخلوق، ولو كان مخلوقاً لأتوا بمثله.

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»، وأخرج نحوه أيضاً موقوفاً الطبراني بسند صحيح.
انظر: الدر المنثور: ٣٣٤/٥، فتح الباري: ١٦/١٣.
قال ابن الجوزي في «زاد المسير»: (٨٤/٥): «ردَّ أبو سليمان الدمشقي صحة هذا الحديث بقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً...» (متفق عليه).
ثم قال: وحديث ابن مسعود مروي من طرق حسان، فيحتمل أن يكون النبي ﷺ أراد بالعلم ما سوى القرآن، فإن العلم ما يزال ينقرض حتى يكون رفع القرآن آخر الأمر».

(٣) عزاه في كنز العمال: (٢٠٣٣/٤) للديلمي في مسند الفردوس. وأشار السيوطي إلى أن العزو إليه مؤذن بالضعف.

(٤) انظر: البحر المحيط: ٧٨/٥.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾
وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾

قوله عزّ وجلّ : ﴿ولقد صرَّفنا للناس في هذا القرآن من كل مَثَلٍ﴾، من كل وجه من العِبَر والأحكام والوعد والوعيد وغيرها، ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾، جحوداً[1] .

قوله عزّ وجلّ : ﴿وقالوا لن نؤمن لك﴾، لن نصدقك، ﴿حتى تَفْجُرَ لنا من الأرض يَنْبوعاً﴾، قرأ أهل الكوفة ويعقوب ﴿تَفْجُرَ﴾ بفتح التاء وضم الجيم مخففاً، لأن الينبوع واحد، وقرأ الباقون بالتشديد من التفجير، واتفقوا على تشديد قوله: ﴿فتفجّر الأنهار خلالها تفجيراً﴾، لأن الأنهار جمع، والتشديد يدل على التكثير، ولقوله «تفجيراً» من بَعْدُ .

وروى عكرمة عن ابن عباس: أن عتبة وشيبة ابني ربيعة، وأبا سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث، وأبا البختري بن هشام، والأسود بن عبدالمطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام، وعبدالله بن أبي أمية، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، ونبيهاً ومنبهاً ابني الحجاج، اجتمعوا ومن اجتمع معهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تُعذروا فيه، فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً، وهو يظن أنه بدا لهم في أمره بدء، وكان عليهم حريصاً، يحب رشدهم حتى جلس إليهم، فقالوا: يامحمد إنا بعثنا إليك لنعذر فيك وإنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعِبْتَ الدين، وسفّهت الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرّقت الجماعة فما بقي أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بينك وبيننا، فإن كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جعلنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تطلب الشرف سوّدناك علينا، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الأمر الذي بك رَئِيٌّ تراه قد غلب عليك، لا تستطيع ردّه، بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه، أو نعذر فيك، وكانوا يسمُّون التابع من الجن: الرَّئِيّ .

فقال رسول الله ﷺ : ما بي ما تقولون، ما جئتكم بما جئتكم به لطلب أموالكم ولا الشرف عليكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلّغتكم رسالة ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردُّوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم .

---

(١) ساقط من «أ» .

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١﴾

فقالوا: يامحمد إن كنت غير قابل منّا ما عرضنا عليك فقد علمتَ أنه ليس أحد أضيق منّا بلاداً ولا أشد منّا عيشاً، فسل لنا ربك الذي بعثك فليسيِّر عنا هذه الجبال، فقد ضيقت علينا، ويبسط لنا بلادنا ويفجّر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا مَنْ مضى من آبائنا، وليكن منهم قصي بن كلاب، فإنه كان شيخاً صدوقاً، فنسألهم عمّا تقول: أحقٌّ هو أم باطل؟ فإن صدقوك صدقناك .

فقال رسول الله ﷺ: ما بهذا بعثتُ، فقد بلغتكم ما أُرسلت به، فإن تقبلوه مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردُّوه أصبر لأمر الله .

قالوا: فإن لم تفعل هذا فسل ربك أن يبعث لنا ملكاً يصدقك، واسأله أن يجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عمّا نراك، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه .

فقال: ما بعثتُ بهذا ولكنّ الله بعثني بشيراً ونذيراً .

قالوا: فأسقِطْ السماء كما زعمت، إن ربك لو شاء فعل .

فقال: ذلك إلى الله إن شاء فعل ذلك بكم فعله .

وقال قائل منهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً .

فلما قالوا ذلك، قام رسول الله ﷺ وقام معه عبدالله بن أبي أمية، وهو ابن عمته عاتكة بنت عبدالمطلب، فقال: يامحمد عرض عليك قومك ما عرضوا عليك فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أموراً يعرفون بها منزلتك من الله تعالى فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجّل ما تخوّفهم به من العذاب، فلم تفعل، فوالله لا أؤمن لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ترقى فيها وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي بنسخة منشورةٍ معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول، وايم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك، فانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً لِما رأى من مباعدتهم، فأنزل الله تعالى : **﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض﴾**[1] يعني: أرض مكة **﴿ينبوعاً﴾** أي: عيوناً .

﴿أو تكونَ لك جنّةٌ﴾، بستان **﴿من نخيلٍ وعِنَبٍ فتفجِّرَ الأنهارَ خلالها تفجيراً﴾**، تشقيقاً .

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام: ١/٢٩٥–٢٩٧، تفسير الطبري: ١٥/١٦٤–١٦٦، أسباب النزول للواحدي ص (٣٣٨–٣٤٠)، تفسير ابن كثير: ٣/٦٣–٦٤ .

أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾
أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ
حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا
رَّسُولًا ﴿٩٣﴾

﴿أو تُسقِطَ السماء كما زعمتَ علينا كِسَفاً﴾، قرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح السين، أي: قِطَعاً، وهي جمع «كسفة»، وهي: القطعة والجانب، مثل: كِسْرَةٍ وكِسَرٍ. وقرأ الآخرون بسكون السين على التوحيد، وجمعه أكساف وكسوف، أي: تسقطها طبقاً [واحداً][1]، وقيل: أراد جانبها علينا. وقيل: معناه أيضاً القطع، وهي جمع التكسير مثل سدرة وسدر في الشعراء وسبأ ﴿كسفاً﴾ بالفتح، حفص، وفي الروم ساكنة أبو جعفر، وابن عامر.

﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾، قال ابن عباس: كفيلاً، أي: يكفلون بما تقول. وقال الضحاك: ضامناً. وقال مجاهد: هو جمع القبيلة، أي: بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة. [وقال قتادة: عياناً أي: تراهم القابلة][2] أي: معاينة. [وقال الفراء: هو من قول العرب لقيت فلاناً قبيلاً، وقبيلاً أي: معاينة][3].

﴿أو يكونَ لك بيتٌ من زُخْرُفٍ﴾ أي: من ذهب، وأصله الزينة، ﴿أو تَرْقَى﴾، تصعد، ﴿في السماء﴾، هذا قول عبدالله بن أبي أمية، ﴿ولن نُؤمن لرقيك﴾، لصعودك، ﴿حتى تُنزِّلَ علينا كتاباً نقرؤه﴾، أُمِرْنَا فيه باتّباعك، ﴿قل سبحان ربي﴾، وقرأ ابن كثير وابن عامر ﴿قال﴾ يعني محمداً، وقرأ الآخرون على الأمر، أي: قُلْ يامحمد، ﴿هل كنتُ إلاّ بشراً رسولاً﴾، أمره بتنزيهه وتمجيده، على معنى أنه لو أراد أن ينزل ما طلبوا لفعل، ولكن الله لا ينزل الآيات على ما يقترحه البشر، وما أنا إلاّ بشر وليس ما سألتم في طوق البشر.

واعلم أن الله تعالى قد أعطى النبي ﷺ من الآيات والمعجزات ما يغني عن هذا كله، مثل: القرآن، وانشقاق القمر، وتفجير العيون من بين الأصابع وما أشبهها، والقوم عامتهم كانوا متعنتين لم يكن قصدهم طلب[4] الدليل ليؤمنوا، فردّ الله عليهم سؤالهم.

---

(١) ساقط من «أ».
(٢) (٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».
(٤) ساقط من «أ».

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾
قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ
كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ
لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ
مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

قوله عزّ وجلّ : ﴿وما منع الناس أنْ يُؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا﴾، جهلاً منهم، ﴿أبعَثَ الله بشراً رسولاً﴾، أراد: أن الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لأنك بشر، وهلا بعث الله إلينا ملكاً؟ فأجابهم الله تعالى :

﴿قل لو كان في الأرضِ ملائكةٌ يمشونَ مطمئنين﴾، مستوطنين مقيمين، ﴿لنزّلنا عليهم من السماء مَلَكاً رسولاً﴾، من جنسهم؛ لأن القلب إلى الجنس أميل منه إلى غير الجنس.

﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم﴾، أني رسول الله إليكم[1]، ﴿إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾.

٢١٤/ أ / قوله عزّ وجلّ : ﴿ومن يهدِ الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه﴾، يهدونهم، ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم﴾.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أخبرنا الحسن بن شجاع الصوفي المعروف بابن الموصلي، أنبأنا أبو بكر بن الهيثم، حدثنا جعفر بن محمد الصائغ، حدثنا حسين بن محمد، حدثنا سفيان عن قتادة عن أنس أن رجلاً قال: يارسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ : «إن الذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه»[2].

وجاء في الحديث: «إنهم يتّقون بوجوههم كلَّ حَدَبٍ وشَوْكٍ»[3]. ﴿عمياً وبكماً وصماً﴾.

(١) في «ب»: أني رسوله إليكم.

(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة الفرقان، باب «الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم»: ٤٩٢/٨، ومسلم في المنافقين، باب يحشر الكافر على وجهه، برقم (٢٨٠٦): ٢١٦١/٤.

(٣) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الإسراء: ٥٧٩/٨، وقال: «هذا حديث حسن»، وأحمد في المسند: ٣٥٤/٢، ٣٦٣، والطبري في التفسير، والبيهقي، وابن مردويه. انظر: الدر المنثور: ٣٤١/٥.

ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾

فإن قيل: كيف وصفهم بأنهم عمي وبكم وصم. وقد قال: «ورأى المجرمون النار» (الكهف ـ ٥٣)، وقال: «ودَعَوا هنالك ثبوراً» (الفرقان ـ ١٣)، وقال: «سمعوا لها تغيظاً وزفيراً» (الفرقان ـ ١٢)، أثبت الرؤية والكلام والسمع؟.

قيل: يحشرون على ما وصفهم الله ثم تعاد إليهم هذه الأشياء.

وجواب آخر، قال ابن عباس: عمياً لا يرون ما يسرهم، بكماً، لا ينطقون بحجة، صماً لا يسمعون شيئاً يسرهم.

وقال الحسن: هذا حين يساقون إلى الموقف إلى أن يدخلوا النار.

وقال مقاتل: هذا حين يقال لهم: «اخسؤوا فيها ولا تكلمون» (المؤمنون ـ ١٠٨)، فيصيرون بأجمعهم عمياً وبكماً وصماً، لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون. **﴿مأواهم جهنّم كلما خبَتْ﴾**، قال ابن عباس: كلما سكنت، أي: سكن لهيبها. وقال مجاهد: طفئت وقال قتادة: ضعفت وقيل: هو الهدوّ من غير أن يوجد نقصان في ألم الكفار، لأن الله تعالى قال: «لا يُفتّر عنهم» (الزخرف ـ ٧٥)، وقيل: «كلما خبت» أي: أرادت أن تخبو، **﴿زدناهم سعيراً﴾**، أي: وقوداً.

وقيل: المراد من قوله: **﴿كلما خبت﴾** أي: نضجت جلودهم واحترقت أعيدوا فيها إلى ما كانوا عليه، وزيد في تسعير النار لتحرقهم.

﴿ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنّا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾، فأجابهم الله تعالى فقال:

﴿أوَ لم يروا أنّ الله الذي خلق السمواتِ والأرضَ﴾، في عظمتها وشدتها، **﴿قادر على أن يخلق مثلهم﴾**، في صغرهم وضعفهم. نظيره قوله تعالى: «لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس» (غافر ـ ٥٧).

﴿وجعل لهم أجلاً﴾ أي: وقتاً لعذابهم، **﴿لا ريب فيه﴾**، أنه يأتيهم، قيل: هو الموت، وقيل: هو يوم القيامة، **﴿فأبى الظالمون إلا كفوراً﴾**، أي: جحوداً وعناداً.

قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾

﴿قل لو أنتم تملكونَ خزائنَ رحمةِ ربِّي﴾ أي: نعمة ربي. وقيل: رزق ربي، ﴿إذاً لأمسَكْتُمْ﴾، لبخلتم وحبستم، ﴿خشيةَ الإنفاق﴾، أي: خشية الفاقة، قاله قتادة .

وقيل: خشية النفاد، يقال: أنفق الرجل أي أملق وذهب ماله ونفق الشيء، أي: ذهب .

وقيل: لأمسكتم عن الإنفاق خشية الفقر .

﴿وكان الإنسان قتوراً﴾، أي: بخيلاً ممسكاً عن الإنفاق .

قوله عزّ وجلّ : ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾، أي: دلالات واضحات، فهي الآيات التسع .

قال ابن عباس والضحاك: هي العصا، واليد البيضاء، والعقدة التي كانت بلسانه فحلَّها، وفلق البحر، والطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم .

وقال عكرمة وقتادة ومجاهد وعطاء: هي الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والعصا، واليد، والسنون، ونقص الثمرات .

وذكر محمد بن كعب القرظي: الطمس، والبحر بدل السنين، ونقص من الثمرات، قال: فكان الرجل منهم مع أهله في فراشه وقد صارَا حجرين، والمرأة منهم قائمة تخبز وقد صارت حجراً .

وقال بعضهم: هنّ آيات الكتاب[1] .

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني الحسن بن محمد الثقفي، أخبرنا هارون بن محمد بن هارون العطار، أنبأنا يوسف بن عبدالله ابن ماهان، حدثنا الوليد الطيالسي، حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة، عن عبدالله بن مسلمة، عن صفوان بن عسال المرادي، أن يهودياً قال لصاحبه: تعال حتى نسأل هذا النبي، فقال الآخر: لا تقل نبيّ، فإنه لو سمع صارت له أربعة أعين، فأتياه فسألاه عن هذه الآية: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ فقال: لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق، ولا تزنوا، ولا تأكلوا الربا، ولا تسحروا، ولا تمشوا بالبريء إلى سلطان ليقتله، ولا تسرفوا، ولا تقذفوا

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٥/١٧١-١٧٣، زاد المسير: ٥/٩٢-٩٣، الدر المنثور: ٥/٣٤٣-٣٤٤، تفسير ابن كثير: ٣/٦٧-٦٨.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ۝١٠٢﴾

المحصنة، ولا تفروا من الزحف، وعليكم خاصَّة اليهود أن لاتعدوا في السبت، فقبَّلا يده، وقالا: نشهد أنك نبي، قال: فما يمنعكم أن تتبعوني؟ قالا: إن داود دعا ربه أن لا يزال في ذريته نبي، وإنا نخاف إن تبعناك أن يقتلنا اليهود[1].

﴿**فاسأل**﴾، يامحمد، ﴿**بني إسرائيل إذ جاءهم**﴾، موسى، يجوز أن يكون الخطاب معه والمراد غيره، ويجوز أن يكون خاطبه عليه السلام وأمره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم. ﴿**فقال له فرعون إني لأظنك ياموسى مسحوراً**﴾، أي: مطبوباً سحروك، قاله الكلبي.

وقال ابن عباس: مخدوعاً.

وقيل: مصروفاً عن الحق.

وقال الفرَّاء، وأبو عبيدة: ساحراً، فوضع المفعول موضع الفاعل.

وقال محمد بن جرير: معطى علم السحر، فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك[2].

﴿**قال**﴾، موسى، ﴿**لقد علمتَ**﴾، قرأ العامة بفتح التاء خطاباً لفرعون، وقرأ الكسائيُّ بضم التاء، ويُروى ذلك عن علي، وقال: لم يعلم الخبيث أن موسى على الحق، ولو عَلم لآمن، ولكن موسى هو الذي علم[3]، قال ابن عباس: علمه فرعون ولكنه عاند، قال الله تعالى: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً» (النمل ـ ١٤).

وهذه القراءة، وهي نصب التاء، أصحُّ في المعنى، وعليه أكثر القراء، لأن موسى لا يحتج عليه بعلم نفسه، ولا يثبت عن علي رفع التاء، لأنه رُوي عن رجل من مراد عن علي، وذلك أن الرجل مجهول، ولم يتمسك بها أحد من القراء غير الكسائيّ[4].

---

(١) أخرجه الترمذي في التفسير؛ سورة الإسراء: ٥٨٠/٨، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والنسائي في تحريم الدم، باب السحر: ١١١/٧-١١٢، والإمام أحمد في المسند: ٢٣٩/٤-٢٤٠، والطبري في التفسير: ١٧٢/١٥، وأخرجه ابن ماجه مختصراً عن صفوان بن عسال؛ أن قوماً من اليهود قبلوا يد النبي ﷺ ورجليه.
قال الحافظ ابن كثير: (٦٨/٣): «وهو حديث مشكل، وعبدالله بن سلمة في حفظه شيء، وقد تكلموا فيه، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات، فإنها وصايا في التوراة، لا تعلُّق لها بقيام الحجة على فرعون والله أعلم».

(٢) تفسير الطبري: ١٧٤/١٥.

(٣) قال الطبري: «غير أن القراءة التي عليها قراء الأمصار خلافها، وغير جائز عندنا خلاف الحجة فيما جاءت به من القراءة مجمعة عليه». التفسير: ١٧٤/١٥.

(٤) وكذلك قال ابن الجوزي في «زاد المسير»: (٩٤/٥): «والقراءة الأولى ـ بفتح التاء ـ أصح لاختيار الجمهور، ولأنه قد =

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي
إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ
وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ
وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾

﴿ما أنزل هؤلاء﴾، هذه الآيات التسع، **﴿إلا ربّ السموات والأرض بصائر﴾**، جمع بصيرة أي يبصر بها.

﴿وإني لأظنك يافرعون مثبوراً﴾، قال ابن عباس: ملعوناً. وقال مجاهد: هالكاً. وقال قتادة: مهلكاً. وقال الفراء: أي مصروفاً ممنوعاً عن الخير. يقال: ما ثبرك عن هذا الأمر أي ما منعك وصرفك عنه[1].

﴿فأراد أن يستفزّهم﴾، أي: أراد فرعون أن يستفزَّ موسى وبني إسرائيل، أي: يخرجهم، **﴿مِنَ الأرض﴾**، يعني أرض مصر، **﴿فأغرقناه ومن معه جميعاً﴾**، ونجينا موسى وقومه.

﴿وقلنا مِنْ بعدِه﴾، أي من بعد هلاك فرعون، **﴿لِبَنِي إسرائيلَ: اسكنُوا الأرضَ﴾**، يعني أرض مصر والشام، **﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾**، يعني يوم القيامة، **﴿جئنا بكم لَفِيفاً﴾** أي: جميعاً إلى موقف القيامة. واللفيف: الجمع الكثير: إذا كانوا مختلطين من كل نوع، يقال: لفت الجيوش إذا اختلطوا، وجَمْعُ القيامةِ كذلك، فيهم المؤمن والكافر، والبَرُّ والفاجر.

وقال الكلبي: «فإذا جاء وعد الآخرة»: يعني مجيء عيسى من السماء «جئنا بكم لفيفاً» أي: النُّزّاع[2] من كل قوم، مِنْ هاهنا ومن هاهنا لفوا جميعاً.

قوله عزّ وجلّ: **﴿وبالحقِّ أنزلناه وبالحقِّ نَزَل﴾**، يعني القرآن، **﴿وما أرسلناك إلا مبشّراً﴾** للمطيعين، **﴿ونذيراً﴾**، للعاصين.

﴿وقرآناً فَرَقْناهُ﴾، قيل: معناه: أنزلناه نجوماً، لم ينزل مرة واحدة، بدليل قراءة ابن عباس: **﴿وقرآناً فرَّقناه﴾** بالتشديد، وقراءة العامة بالتخفيف، أي: فصّلناه. وقيل: بيّناه. وقال الحسن: معناه فرقنا به بين الحق والباطل. **﴿لتقرأه على الناس على مُكْثٍ﴾** أي: على تؤدة وترتيل[3] وترسل في

= أبان موسى من المعجزات ما أوجب علم فرعون بصدقه، فلم يردَّ إلا بالتعلل والمدافعة، فكأنه قال: لقد علمتَ بالدليل والحجة «ما أنزل هؤلاء» يعني الآيات».

(١) انظر: زاد المسير: ٥/٩٤-٩٥.

(٢) في «أ»: البراع.

(٣) ساقط من «ب».

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾

ثلاث وعشرين سنة، ﴿ونزّلناه تنزيلاً﴾ .

﴿قل آمِنُوا به أو لا تُؤمِنُوا﴾، هذا على طريق الوعيد والتهديد، ﴿إنّ الذين أُوتُوا العلمَ مِنْ قَبْلِه﴾، قيل: هم مؤمنو أهل الكتاب، وهم الذين كانوا يطلبون الدِّين قبل مبعث رسول الله ﷺ، ثم أسلموا بعد مبعثه، مثل: زيد بن عمر بن نفيل، / وسلمان الفارسي، وأبي ذر وغيرهم[1] . ٢١٤/ب

﴿إذا يُتلى عليهم﴾، يعني: القرآن[2] ﴿يخِرّون للأذقان﴾ أي: يسقطون على الأذقان، قال ابن عباس: أراد بها الوجوه، ﴿سُجّداً﴾ .

﴿ويقولون سبحانَ ربّنا إنْ كانَ وَعْدُ رَبّنا لَمَفْعُولاً﴾، أي: كائناً واقعاً .

﴿ويَخِرُّون للأذقانِ يَبْكونَ﴾، أي: يقعون على الوجوه يبكون، البكاء مستحب عند قراءة القرآن[3]، ﴿ويزيدهم﴾، نزول القرآن، ﴿خشوعاً﴾، خضوعاً لربهم. نظيره قوله تعالى: «إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجداً وبُكياً» (مريم ـ ٥٨) .

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أخبرنا أبو عمرو بن بكر بن محمد المزني، حدثنا أبو بكر محمد بن عبدالله الجنيد، حدثنا الحسن بن الفضل البجلي، أخبرنا عاصم، عن علي بن عاصم، حدثنا المسعوديُّ، هو عبدالرحمن بن عبدالله، عن محمد بن عبدالرحمن مولى أبي طلحة[4] عن عيسى بن طلحة عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: «لا يَلِجُ النارَ مَنْ بكى من خشيةِ الله حتى يعودَ

---

(١) انظر: الطبري: ١٨١/١٥، زاد المسير: ٩٧/٥ .

(٢) وذلك لأن سياق الكلام عن القرآن الكريم، ولم يَجْرِ لغيره من الكتب ذكر فيصرف الكلام إليه، وهذا يردُّ قول من قال المراد به: ما أنزل إلى أهل الكتاب من عند الله .
راجع: الطبري: ١٨١/١٥، زاد المسير: ٩٧/٥ .

(٣) وقد وردت فيه أحاديث وآثار عن السلف كثيرة. فمن ذلك عن النبي ﷺ «اقرؤوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا» (رواه ابن ماجه برقم (٤١٩٦) في الزهد وإسناده ضعيف) .
وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه صلى بالجماعة الصبح فقرأ سورة يوسف فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته، وفي رواية: أنه كان في صلاة العشاء، فيدل على تكريره منه .
وعن أبي رجاء قال: رأيت ابن عباس وتحت عينيه مثل الشِّراك البالي (هو السَّير الرقيق الذي يكون في النعل على ظهر القدم) من الدموع. انظر: التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص (٦٨-٦٩)، وراجع القرطبي: ٣٤٢/١٠ .

(٤) في «ب»: مولى طلحة. وفي شرح السنة: مولى آل طلحة .

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾

اللبَنُ في الضَّرْعِ، ولا يجتمع غبارٌ في سبيل الله ودخان جهنَّم في مَنْخِرَي مسلم أبداً»[١] .

أخبرنا أبو القاسم بن عبدالكريم بن هوازن القشيري، أخبرنا أبو القاسم عبدالخالق بن علي بن عبدالخالق المؤذن، أخبرنا أحمد بن بكر بن محمد بن حمدان، حدثنا محمد بن يونس الكُدَيْمِيّ، أنبأنا عبدالله بن محمد الباهلي، حدثنا أبو حبيب الغَنَوِيّ، حدثنا بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حُرِّمتِ النارُ على ثلاثِ أعينٍ: عين بكت من خشية الله، وعين سهرت في سبيل الله، وعين غضَّتْ عن محارم الله»[٢] .

قوله عزّ وجلّ : ﴿قلِ ادعوا الله أوِ ادعوا الرحمنَ﴾، قال ابن عباس: سجد رسول الله ﷺ بمكة ذات ليلة فجعل يبكي ويقول في سجوده: يا الله يارحمن، فقال أبو جهل: إن محمداً ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو إلهين! فأنزل الله تعالى هذه الآية[٣]. ومعناه: أنهما اسمان لواحد .

﴿أياً ما تدعوا﴾، «ما» صلة، معناه: أياً ما تدعو من هذين الاسمين ومن جميع أسمائه، ﴿فله الأسماء الحسنى﴾ .

﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾، أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشيم، حدثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختفٍ بمكة، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبُّوا القرآن ومَنْ أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم:

---

(١) أخرجه الترمذي في فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله: ٥/٢٦٠ـ٢٦١، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وأخرجه النسائي في الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله: ٦/١٢، وصححه الحاكم: ٤/٢٦٠، وابن حبان برقم (١٥٩٨) ص (٣٨٥) من موارد الظمآن. والإمام أحمد في المسند: ٢/٥٠٥، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٣٦٤ .

(٢) أخرجه المصنف في شرح السنة: ١٤/٣٦٥، وفيه الكديمي، وهو ضعيف، وفي الباب عن أبي ريحانة، أخرجه الحاكم: ٢/٨٣، وقال الهيثمي في المجمع: (٥/٢٨٧): رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال أحمد ثقات، وروى النسائي طرفاً منه، ورواه أبو نعيم في الحلية: ٥/٢٠٦، وابن أبي شيبة في المصنف: ٥/٣٥٠ .

(٣) أخرجه الطبري في التفسير: ١٥/١٨٢، وانظر: أسباب النزول للواحدي ص (٣٤١)، الدر المنثور: ٥/٣٤٨، القرطبي: ١٠/٣٤٢ .

﴿وابْتَغِ بين ذلك سبيلاً﴾[1] .

وبهذا الإسناد عن محمد بن إسماعيل قال: حدثنا مسدد عن هشيم عن أبي بشر بإسناده مثله، وزاد: ﴿وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾. أسمعهم، ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن[2] .

وقال قوم: الآية في الدعاء، وهو قول عائشة، رضي الله عنها، والنخعي، ومجاهد، ومكحول :

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا طلق بن غنام، حدثنا زائدة عن هشام عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها في قوله : «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها» قالت: أُنزل ذلك في الدعاء[3] .

وقال عبدالله بن شداد: كان أعرابٌ من بني تميم إذا سلَّم النبي ﷺ قالوا: اللهم ارزقنا مالاً وولداً، فيجهرون بذلك، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾[4] أي: لا ترفع صوتك بقراءتك أو بدعائك ولا تخافت بها[5] .

والمخافتة: خفض الصوت والسكوت «وابتغ بين ذلك سبيلاً» أي: بين الجهر والإخفاء .

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبِّي، أخبرنا أبو محمد عبدالجبار بن محمد الخزاعي، أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا يحيى ابن إسحاق، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبدالله بن أبي رباح الأنصاري، عن أبي قتادة أنّ النبي ﷺ قال لأبي بكر: «مررتُ بك وأنت تقرأ وأنت تخفض من صوتك، فقال: إني أسمعتُ مَنْ ناجيت، فقال: ارفع قليلاً، وقال لعمر: مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع صوتك، فقال: إني[6] أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان، فقال اخفض قليلاً»[7] .

---

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة الإسراء، باب «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها»: ٨/٤٠٤-٤٠٥، ومسلم في الصلاة، باب التوسط في الصلاة الجهرية... برقم (٤٤٦): ١/٣٢٩ .

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: «أنزله بعلمه والملائكة يشهدون»: ١٣/٤٦٣ .

(٣) أخرجه البخاري في التفسير، الموضع السابق : ٨/٤٠٥ .

(٤) أخرجه الطبري في التفسير: ١٥/١٨٤، وزاد السيوطي نسبته لابن أبي شيبة، وابن المنذر. انظر: الدر المنثور: ٥/٣٥١ .

(٥) ورجح الطبري القول الأول الذي قاله ابن عباس، لأن ذلك أصح الأسانيد التي روي عن صحابي فيه قول مخرَّجاً، وأشبه الأقوال بما دلَّ عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن قوله: «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها» عقيب قوله: «قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن..» وعقيب تقريع الكفار بكفرهم بالقرآن، وذلك بُعْدهم منه ومن الإيمان = فإذا كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى وأشبه بقوله: «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها»: أن يكون من سبب ما هو في سياقه من الكلام، ما لم يأتِ بمعنى يوجب صرفه عنه، أو يكون على انصرافه عنه دليل يُعْلم به الانصراف عما هو في سياقه . تفسير الطبري: ١٥/١٨٨ .

(٦) ساقط من «ب» .

(٧) أخرجه أبو داود في التطوع، باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل: ٢/٩٦، والترمذي في المواقيت، باب ما جاء في القراءة في الليل: ٢/٥٢٦ وقال: حديث غريب. وإنما أسنده يحيى بن إسحاق عن حمّاد بن سلمة، وأكثر الناس إنما رووا هذا الحديث عن ثابت عن عبدالله بن رباح، مرسلاً: قال المنذري: «ويحيى بن إسحاق هذا هو البَجَلِيّ السَّيْلَحِينيّ، وقد احتج به مسلم في صحيحه»، وصحح الألباني إسناده في تعليقه على المشكاة: ١/٣٨٠، لأن الذي أسنده ثقة .

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾

﴿وقلِ الحمدُ لله الذي لم يَتَّخِذْ وَلَداً﴾، أمر الله نبيه ﷺ بأن يحمده على وحدانيته، ومعنى الحمد لله هو: الثناء عليه بما هو أهله .

قال الحسين بن الفضل: يعني: الحمد لله الذي عرفني أنه لم يتخذ ولداً .

﴿ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل﴾، قال مجاهد: لم يذل فيحتاج إلى ولي يتعزز به .

﴿وكبِّرهُ تكبيراً﴾، أي: وعظِّمْه عن أن يكون له شريك أو ولي .

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا الإمام أبو الطيب سهل [بن محمد بن سليمان، حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصَّغَانيُّ، حدثنا نضْر بن حمادٍ أبو الحارث الوراق، حدثنا شعبة][1] عن حبيب بن أبي ثابت قال: سمعت سعيد بن جبير يحدِّث عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السرَّاء والضرَّاء»[2] .

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أخبرنا أبو الحسن بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي، أنبأنا عبدالرزاق، حدثنا معمر عن قتادة أن عبدالله بن عمروٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله رأس الشكر، ما شكر الله عبدٌ لا يحمده»[3] .

أخبرنا أبو الفضل بن زياد بن محمد الحنفي، أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن أحمد الأنصاري،

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ١٩/١٢، وفي المعجم الصغير ١٠٣/١، وصححه الحاكم: ٥٠٢/١، وأخرجه أبو نعيم في الحلية: ٦٩/٥، وعزاه في المشكاة للبيهقي في الشعب ٧١٤/٢ .
قال الهيثمي في المجمع (٩٥/١٠): رواه الطبراني في الثلاثة بأسانيد، وفي أحدها قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وغيرهما، وضعفه يحيى القطان وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح، ورواه البزار بنحوه وإسناده حسن» .
وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٩/٥، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٩٣/٢-٩٤ .

(٣) أخرجه عبدالرزاق في المصنف: ٤٢٤/١٠، والبيهقي في الجامع لشعب الإيمان كما في المشكاة: ٧١٤/٢، والمصنف في شرح السنة: ٥٠/٥ .
ورواه الخطابي في غريب الحديث، والديلمي في الفردوس بسند رجاله ثقات، وهو منقطع بين قتادة وابن عمرو .
انظر: فيض القدير للمناوي: ٤١٨/٣ .

أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، حدثنا يحيى بن خالد بن أيوب المخزومي، حدثنا موسى ابن إبراهيم بن كثير بن بشر الخزامي الأنصاري، عن طلحة بن خراش، عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أفضل الدعاء الحمدُ لله، وأفضل الذكر لا إله إلا الله»[1].

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم عبدالله ابن محمد بن عبدالعزيز البغوي، حدثنا علي بن الجَعْد، حدثنا زهير، حدثنا منصور عن هلال بن بشار، عن الربيع بن عميلة عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبُّ الكلام إلى الله تعالى أربع: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، لا يضرك بأيهنّ بدأت»[2].

---

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة: ٣٢٥/٩، وقال: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم»، والنسائي في عمل اليوم والليلة ص (٨٤٠-٨٤١)، وابن ماجه في الأدب، باب فضل الحامدين، برقم (٣٨٠٠) ١٢٤٩/٢، وصححه ابن حبان ص (٥٧٨) من موارد الظمآن، والحاكم في المستدرك: ٥٠٣/١ ووافقه الذهبي، وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٩/٥، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٤٨٤/٣.

(٢) أخرجه مسلم في الآداب، باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة برقم (٢١٣٧): ١٦٨٥/٣. والمصنف في شرح السنة: ٩/٥.

سُورَةُ الكَهفِ

سُورَةُ الكَهفِ

مائة وعشر آيات / وهي مكية ٢١٥/ أ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾

﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾، أثنى الله[1] على نفسه بإنعامه على خلقه، وخصَّ رسوله ﷺ بالذكر، لأن إنزال القرآن عليه كان نعمة عليه على الخصوص، وعلى سائر الناس على العموم. **﴿ولم يجعل له عوجاً﴾** .

﴿قيماً﴾، فيه تقديم وتأخير، معناه: أنزل على عبده الكتاب قيّماً، ولم يجعل له عوجاً، «قيماً» أي: مستقيماً. قال ابن عباس: عدلاً. وقال الفراء: قيماً على الكتب كلها أي: مصدقاً لها ناسخاً لشرائعها.

وقال قتادة: ليس على التقديم والتأخير، بل معناه: أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، ولكن جعله قيماً ولم يكن مختلف على ما قال الله تعالى: «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» (النساء - ٨٢) .

وقيل: معناه لم يجعله مخلوقاً. وروي عن ابن عباس في قوله: «قرآناً عربياً غير ذي عوج» (الزمر - ٢٨) أي: غير مخلوق .

﴿لينذر بأساً شديداً﴾، أي: لينذر ببأسٍ شديد، **﴿من لدنه﴾**، أي: من عنده، **﴿ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحاتِ أنَّ لهم أجراً حسناً﴾**، أي الجنة .

---

(١) ساقط من «ب» .

مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ
مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾
فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا
جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ
مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ
ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾

﴿ماكثين فيه أبداً﴾ أي: مقيمين فيه .

﴿ويُنذرَ الذين قالوا اتخذ اللّهُ ولداً﴾ .

﴿ما لهم به من علم ولا لآبائهم﴾، أي: قالوه عن جهل لا عن علم، **﴿كَبُرَتْ﴾**، أي: عظمت، **﴿كلمةً﴾**، نصب على التمييز، يقال تقديره: كبرت الكلمةُ كلمةً. وقيل: من كلمة، فحذف «مِنْ» فانتصب، **﴿تخْرُج من أفواههم﴾** أي: تظهر من أفواههم، **﴿إنْ يقولون﴾**، ما يقولون، **﴿إلاّ كذباً﴾** .

﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم﴾، من بعدهم، **﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾**، أي: القرآن، **﴿أسفاً﴾**، أي حزناً وقيل غضباً .

﴿إنّا جعلنا ما على الأرض زينةً لها﴾، فإن قيل: أي: زينة في الحيّات والعقارب والشياطين؟ .

قيل: فيها زينة على معنى أنها تدل على وحدانية الله تعالى .

وقال مجاهد: أراد به الرجال خاصة، وهم زينة الأرض. وقيل: أراد بهم العلماء والصلحاء. وقيل: الزينة بالنبات والأشجار والأنهار، كما قال: «حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت» (يونس ــ ٢٤) .

﴿لنبلوهم﴾، لنختبرهم، **﴿أيهم أحسن عملاً﴾**، أي: أصلح عملاً. وقيل: أيهم أترك للدنيا .

﴿وإنّا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً﴾، فالصعيد وجه الأرض. وقيل: هو التراب، «جُرُزاً» يابساً أملس لا ينبت شيئاً. يقال: جرزت الأرض إذا أُكل نباتها .

قوله تعالى: **﴿أم حسبتَ أن أصحابَ الكهفِ والرَّقيمِ كانوا من آياتنا عَجَباً﴾**، يعني: أظننتَ يامحمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً، أي: هم عجب من آياتنا .

وقيل: معناه إنهم ليسوا بأعجب من آياتنا، فإن ما خَلَقْتُ من السموات والأرض وما فيهن من العجائب أعجب منهم .

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾

و«الكهف»: هو الغار في الجبل. واختلفوا في «الرقيم»: قال سعيد بن جبير: هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصصهم[1] ـ وهذا أظهر الأقاويل ـ ثم وضعوه على باب الكهف، وكان اللوح من رصاص، وقيل: من حجارة، فعلى هذا يكون الرقيم بمعنى المرقوم، أي: المكتوب، والرَّقم: الكتابة.

وحكي عن ابن عباس أنه اسم للوادي الذي فيه أصحاب الكهف، وعلى هذا هو من رقمة الوادي، وهو جانبه.

وقال كعب الأحبار: هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف.

وقيل: اسم للجبل الذي فيه الكهف. ثم ذكر الله قصة أصحاب الكهف، فقال:
﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾، أي صاروا إليه، واختلفوا في سبب مصيرهم إلى الكهف[2]:

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) ذكر هذه الروايات التي ساقها المصنف: الطبري في التفسير: ١٥/٢٠٠-٢٠٥، والسيوطي في الدر المنثور: ٥/٣٦٣-٣٧٠، ٣٧٣، والقرطبي: ١٠/٣٥٨-٣٦٠، والخازن: ٤/١٦٠-١٦٥.
وهذه الروايات بهذا التفصيل فيما يتعلق بخروج الفتية وأسمائهم واسم كلبهم.. إلخ بجملتها متلقاة عن أهل الكتاب الذين أسلموا، وحمله عنهم بعض الصحابة والتابعين وحكوه عنهم لغرابته والعجب منه. ونضع هنا كلمات لبعض العلماء المحققين والمفسرين حيال هذه الروايات تغنينا عن التعليق على التفسير في مواضع كثيرة:
قال الحافظ ابن كثير في التفسير: (٣/٧٦-٧٩): «...ولم يخبرنا الله تعالى بمكان هذا الكهف، ولا في أي البلاد من الأرض، إذ لا فائدة لنا فيه، ولا قصد شرعي، وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالاً.. والله أعلم بأي بلاد الله هو، ولو كان فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالى ورسوله إليه.. فأعلمنا تعالى بصفته ولم يعلمنا بمكانه».
وبعد أن عرض لبعض الأقوال عن كلب أصحاب الكهف ولونه قال: «واختلفوا في لونه على أقوال لا حاصل لها، ولا طائل تحتها، ولا دليل عليها، ولا حاجة إليها، بل هي مما ينهى عنه؛ فإن مستندها رجم بالغيب».
وقال أسماء الفتية: «... وفي تسميتهم بهذه الأسماء واسم كلبهم نظر في صحته، والله أعلم، فإن غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب، وقد قال تعالى: «فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً» أي: سهلاً هيناً، فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة».
وقال في البداية والنهاية: (٢/١١٥): «.. وقد ذكر كثير من القصاص والمفسرين لهذا الكلب نبأ وخبراً طويلاً، أكثره متلقى من الإسرائيليات، وكثير منها كذب، ومما لا فائدة فيه، كاختلافهم في اسمه ولونه».
وقال الأستاذ سيد قطب في كتابه «في ظلال القرآن»: (١٥/٢٢٦٠-٢٢٦١): «تجيء قصة أصحاب الكهف، فتعرض نموذجاً للإيمان في النفوس المؤمنة، كيف تطمئن به، وتؤثره على زينة الأرض ومتاعها، وتلجأ به إلى الكهف حين يعز عليها أن تعيش به مع الناس. وكيف يرعى الله هذه النفوس المؤمنة ويقيها الفتنة، ويشملها بالرحمة.
وفي القصة روايات شتى، وأقاويل كثيرة، فقد وردت في بعض الكتب القديمة وفي الأساطير بصور شتى. ونحن نقف فيها عند ما جاء في القرآن، فهو المصدر الوحيد المستيقن، ونطرح سائر الروايات والأساطير التي اندست في التفاسير بلا سند =

فقال محمد بن إسحاق بن يسار: مرج أهل الإنجيل، وعظمت فيهم الخطايا، وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت، وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكين بعبادة الله وتوحيده، فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروح يقال له «دقيانوس» عبد الأصنام وذبح للطواغيت، وقتل من خالفه، وكان ينزل قرى الروم، ولا يترك في قرية نزلها أحداً إلا فتنة حتى يعبد الأصنام ويذبح للطواغيت أو قتله، حتى نزل مدينة أصحاب الكهف، وهي «أفسوس»، فلما نزلها كبر على أهل الإيمان، فاستخفَوا منه، وهربوا في كل وجه، وكان «دقيانوس» حين قدمها أمر أن يتبع أهل الإيمان فيجمعوا له، واتخذ شرطاً من الكفار من أهلها، يتَّبعون أهل الإيمان في أماكنهم فيخرجونهم إلى «دقيانوس» فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الأوثان والذبح للطواغيت، فمنهم من يرغب في الحياة، ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل، فلما رأى ذلك أهل الشدة في الإيمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل، فيقتلون ويقطعون ثم يربط ما قطع من أجسامهم على سور المدينة من نواحيها وعلى كل باب من أبوابها حتى عظمت الفتنة، فلما رأى ذلك الفتيةُ حزنوا حزناً شديداً، فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء، وكانوا من أشراف الروم، وكانوا ثمانية نفر، بكوا وتضرعوا إلى الله وجعلوا يقولون: ربنا رب السموات والأرض، لن ندعو من دونه إلهاً، لقد قلنا إذاً شططاً إن عبدنا غيره، اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة، وارفع عنهم هذا البلاء حتى يعلنوا عبادتك، فبينما هم على مثل ذلك، وقد دخلوا في مصلى لهم أدركهم الشرط فوجدوهم وهم سجود على وجوههم، يبكون ويتضرعون إلى الله، فقالوا لهم: ما خلّفكم عن أمر الملك؟ انطلقوا إليه، ثم خرجوا فرفعوا أمرهم إلى «دقيانوس»، فقالوا: تجمع الناس للذبح لآلهتك وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يستهزؤون بك ويعصون أمرك! فلما سمع بذلك بعث إليهم، فأتى بهم تفيض أعينهم من الدمع معفَّرة وجوههم بالتراب، فقال لهم: ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تعبد في الأرض وتجعلوا أنفسكم أسوة لسادات من أهل مدينتكم؟ اختاروا: إما أن تذبحوا لآلهتنا، وإما أن أقتلكم. فقال مكسلمينا، وهو أكبرهم: إنَّ لنا إلهاً ملأ السموات والأرض عظمة، لن ندعو من دونه إلهاً أبداً، له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا خالصاً أبداً، إيّاه نعبد وإيّاه نسأل النجاة والخير، فأما الطواغيت فلن نعبدها أبداً، فاصنع بنا ما بدا لك، وقال أصحاب مكسلمينا لدقيانوس مثل ما قال

= صحيح، وبخاصة أن القرآن الكريم قد نهى عن استفتاء غير القرآن فيها، وعن المراء فيها والجدل رجماً بالغيب».

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في «أضواء البيان»: (٤/٢٠): «واعلم أن قصة أصحاب الكهف وأسماءهم، وفي أي محل من الأرض كانوا، كل ذلك لم يثبت فيه عن النبي ﷺ شيء زائد على ما في القرآن، وللمفسرين في ذلك أخبار كثيرة إسرائيلية أعرضنا عن ذكرها لعدم الثقة بها».

وراجع: الاسرائيليات والموضوعات للشيخ محمد أبو شهبة ص (٢٣٥-٢٣٧).

مكسلمينا، فلما قالوا ذلك أمر فنزع عنهم لبوساً كان عليهم من لبوس عظمائهم ثم قال: سأفرغ لكم فأنجز لكم ما أوعدتكم من العقوبة، وما يمنعني أن أعجل ذلك لكم إلاّ أني أراكم شباناً حديثة أسنانكم، فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلاً تذكرون فيه وتراجعون عقولكم، ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم، ثم أمر بهم فأُخرِجوا من عنده .

وانطلق دقيانوس إلى مدينة سوى مدينتهم قريباً منهم لبعض أموره، فلما رأى الفتية خروجه بادروا قدومه، وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذكرهم [وأن يعذبهم][1] فأتمروا بينهم أن يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها، ويتزودوا بما بقي، ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له بخلوس، فيمكثون فيه ويعبدون الله حتى إذا جاء دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما شاء، فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل فتى منهم إلى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدق منها، ثم انطلقوا بما بقي معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى أتوا ذلك الكهف، فلبثوا فيه .

قال كعب الأحبار: مروا بكلب فتبعهم فطردوه ففعل ذلك مراراً فقال لهم الكلب: ياقوم ما تريدون مني؟ لا تخشون جانبي، أنا أُحب أحباب الله، فناموا حتى أحرسكم .

وقال ابن عباس: هربوا ليلاً من دقيانوس، وكانوا سبعة فمروا براعٍ معه كلب فتبعهم على دينهم، وتبعه كلبه، فخرجوا من البلد إلى الكهف وهو قريب من البلد .

قال ابن إسحاق: فلبثوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد ابتغاء وجه الله، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يقال له: تمليخا فكان يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سراً، وكان من أجملهم وأجلدهم، وكان إذا دخل المدينة يضع ثياباً كانت عليه حساناً ويأخذ ثياباً كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها، ثم يأخذ ورقة فينطلق إلى المدينة فيشتري لهم طعاماًوشراباً، ويتجسس لهم الخبر هل ذكر هو وأصحابه بشيء، ثم يرجع إلى أصحابه فلبثوا بذلك ما لبثوا /، ٢١٥/ب
ثم قدم دقيانوس المدينة فأمر عظماء أهلها فذبحوا للطواغيت، ففزع من ذلك أهل الإيمان،وكان تلميخا بالمدينة يشتري لأصحابه طعامهم فرجع إلى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل، وأخبرهم أن الجبار قد دخل المدينة، وأنهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة، ففزعوا ووقعوا سجوداً يدعون الله ويتضرعون إليه ويتعوذون من الفتنة، ثم إن تمليخا قال لهم: يا أخوتاه ارفعوا رؤوسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم، فرفعوا رؤوسهم وأعينهم تفيض من الدمع، فطعموا، وذلك غروب الشمس، ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضاً، فبينما هم على ذلك إذ ضرب الله على آذانهم النوم في الكهف، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، فأصابه ما أصابهم، وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤوسهم .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

فلما كان من الغد فقدهم دقيانوس فالتمسهم فلم يجدهم، فقال لبعضهم: لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا، لقد كانوا ظنوا أن بي غضباً عليهم لجهلهم ما جهلوا من أمري، ما كنت لأحمل عليهم إن هم تابوا وعبدوا آلهتي، فقال عظماء المدينة: ما أنت بحقيق أن ترحم قوماً فجرة مردة عصاة قد كنت أجّلت لهم أجلاً ولو شاؤوا لرجعوا في ذلك الأجل، ولكنهم لم يتوبوا، فلما قالوا ذلك غضب غضباً شديداً، ثم أرسل إلى آبائهم فأتى بهم فسألهم عنهم، فقال: أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني، [ووعدهم بالقتل][1]، فقالوا له: أما نحن فلم نَعْصِك، فلِمَ تقتلنا بقومٍ مردة قد ذهبوا بأموالنا، فأهلكوها في أسواق المدينة، ثم انطلقوا وارتقوا إلى جبل يدعى بخلوس؟ فلما قالوا له ذلك خلّى سبيلهم، وجعل لا يدري ما يصنع بالفتية، فألقى الله في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم وأراد الله أن يكرمهم ويجعلهم آية لأمة تستخلف من بعدهم، وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، فأمر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم، وقال: دعوهم كما هم في الكهف يموتون جوعاً وعطشاً ويكون كهفهم الذي اختاروا قبراً لهم، وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم، وقد توفّى الله أرواحهم وفاة النوم، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيهم ما غشيهم، يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال.

ثم إن رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانهما اسم أحدهما «بيدروس» واسم الآخر «روناس»، ائتمرا أن يكتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسمائهم وخبرهم في لوحٍ[2] من رصاص ويجعلاهما في تابوت من نحاس، ويجعلا التابوت في البنيان، وقالا: لعلّ الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة، فيعلم من فتح عنهم حين يقرأ هذا الكتاب [خبرهم][3]، ففعلا وبنيا عليه فبقي «دقيانوس» ما بقي، ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك.

وقال عبيد بن عمير: كان أصحاب الكهف فتياناً مطوقين مسورين ذوي ذوائب، وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم عظيم في زي عظيم[4] وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم التي يعبدونها، وقد قذف الله في قلوب الفتية الإيمان، وكان أحدهم وزير الملك، فآمنوا وأخفى كل واحد منهم إيمانه فقالوا في أنفسهم: نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم، لا يصيبنا عقاب بجرمهم، فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة، فجلس فيه، ثم خرج آخر فرآه جالساً وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر ذلك، ثم خرج الآخر فاجتمعوا إلى مكان، فقال بعضهم لبعض: ما جمعكم؟ وكل واحد يكتم صاحبه إيمانه مخافةً على نفسه، ثم قالوا: ليخرج كل فتى فيخلوَ

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) في «ب»: لوحين.

(٣)، (٤) ساقط من «ب».

بصاحبه[(١)] ثم يفشي كل واحد سرَّه إلى صاحبه، ففعلوا فإذا هم جميعاً على الإيمان، وإذا كهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض: فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته، فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً، وفقدهم قومهم فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم، فكتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح: فلان وفلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم في شهر كذا في سنة كذا في مملكة فلان بن فلان ووضعوا اللوح[(٢)] في خزانة الملك، وقالوا: ليكونن لهذا شأن ومات ذلك الملك، وجاء قرن بعد قرن .

وقال وهب بن منبه: جاء حواري عيسى عليه السلام إلى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقيل له: إن على بابها صنماً لا يدخلها أحد إلا سجد له فكره أن يدخلها، فأتى حماماً قريباً من المدينة فكان يؤاجر نفسه من الحمامي، ويعمل فيه ورأى صاحب الحمامه في حمامه البركة وعَلِقَه فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر الآخرة حتى آمنوا وصدقوه، وكان شرط على صاحب الحمام أنَّ الليل لي لا يحول بيني وبينه ولا بين الصلاة أحد، وكان على ذلك حتى أتى ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام فعيَّره الحواري، وقال: أنت ابن الملك وتدخل مع هذه؟ فاستحيا وذهب فرجع مرة أخرى، فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره ولم يلتفت إلى ذلك حتى دخلا معاً فماتا في الحمام، وأتى الملك فقيل له: قتل صاحبُ الحمام ابنَك فالتمس فلم يقدر عليه وهرب[(٣)]، فقال: من كان يصحبه؟ فسمُّوا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة فمروا بصاحب لهم على مثل إيمانهم فانطلق معهم ومعه كلب حتى آواهم الليل إلى الكهف فدخلوه[(٤)]، وقالوا: [نلبث هاهنا إلى الليل][(٥)] ثم نصبح إن شاء الله تعالى، فترون رأيكم فضرب الله على آذانهم، فخرج الملك في أصحابه يبتغونهم حتى وجدوهم، فدخلوا الكهف، فلما أراد رجل منهم دخوله أرعب فلم يطق أحد أن يدخله، فقال قائل منهم: أليس لو قدرت عليهم قتلتهم؟ قال: بلى، قال: فابْنِ عليهم باب الكهف [واتركهم فيه يموتون جوعاً وعطشاً. ففعل .

قال وهب: فعبر زمان بعد زمان][(٦)] بعدما سدَّ عليهم باب الكهف، ثم إن راعياً أدركه المطر عند الكهف فقال لو فتحت هذا الكهف وأدخلت غنمي فيه من المطر لكان حسناً، فلم يزل يعالجه حتى فتح وردَّ الله عليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا .

---

(١)، (٢) زيادة من «ب» .

(٣)، (٤) ساقط من « أ » .

(٥) في «ب»: نبيت هنا الليلة .

(٦) ساقط من « أ » .

وقال محمد بن إسحاق: ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له: «بيدروس»، فلما ملك بقي في ملكه ثمانياً وستين سنة فتحزب الناس في ملكه فكانوا أحزاباً، منهم من يؤمن بالله، ويعلم أن الساعة حق، ومنهم من يكذّب بها، فكبر ذلك على الملك الصالح فبكى وتضرع إلى الله وحزن حزناً شديداً لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق، ويقولون لا حياة إلا حياة الدنيا، وإنما تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد، فجعل «بيدروس» يرسل إلى من يظن فيه خيراً وأنهم أئمة في الخلق، فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا أن يحولوا الناس عن الحق وملّة الحواريين، فلما رأى ذلك الملك الصالح دخل بيته وأغلقه عليه، ولبس مسحاً وجعل تحته رماداً فجلس عليه، فدأب ليله ونهاره زماناً يتضرع إلى الله تعالى ويبكي، ويقول: أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث إليهم آية تبين لهم [بطلان ما هم عليه](١)، ثم إن الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة العباد أراد أن يظهر الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، ويستجيب لعبده الصالح بيدروس ويتم نعمته عليه، وأن يجمع من كان تبدد من المؤمنين فألقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي فيه الكهف، وكان اسم ذلك الرجل «أولياس» أن يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف فيبني به حظيرة لغنمه فاستأجر غلامين فجعلا(٢) ينزعان تلك الحجارة ويبنيان تلك الحظيرة، حتى نزعا ما على فم الكهف وفتحا باب الكهف وحجبهم الله عن الناس بالرعب، فلما فتحا باب الكهف أذن الله ذو القدرة والسلطان محيي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهراني الكهف، فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض، فكأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون فيها إذا أصبحوا من ليلتهم، ثم قاموا إلى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا ألوانهم شيء ينكرونه كهيئتهم حين رقدوا، وهم يرون أن دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا ليمليخا صاحب نفقاتهم: أنبئنا ما الذي قال الناس في شأننا عشية أمس عند هذا الجبار؟ وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون، وقد تخيل إليهم أنهم قد ناموا أطول مما كانوا ينامون، حتى يتساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض: كم لبثتم نياماً؟ قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم، ثم قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم، وكل ذلك في أنفسهم يسير، فقال لهم يمليخا: التُمِسْتُمْ في المدينة فلم توجدوا، وهو يريد أن يؤتى بكم اليوم، فتذبحون للطواغيت أو يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل، فقال لهم مكسلمينا: يا اخوتاه اعملوا أنكم ملاقو الله فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدو الله. ثم قالوا ليمليخا: انطلِق إلى المدينة فتسمَّعْ ما يقال علينا بها، وما الذي يذكر عند دقيانوس، وتلطَّف ولا تشعرنّ بك أحداً، وابتع لنا طعاماً

---

(١)، (٢) ساقط من «أ».

فائتنا به، وزدنا على الطعام الذي جئتنا به، فقد أصبحنا جياعاً، ففعل يمليخا كما كانيفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي يتنكر فيها وأخذ وَرِقاً [من نفقتهم التي كانت معهم والتي ضربت بطابع دقيانوس، فكانت كخفاف الربع، فانطلق يمليخا خارجاً](١) فلما مرَّ بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة / ٢١٦/ أ
عن باب الكهف فعجب منها ثم مرَّ ولم يبال بها حتى أتى باب المدينة مستخفياً فصدَّ عن الطريق تخوفاً أن يراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلثمائة سنة، فلمّا أتى يمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون لأهل الإيمان إذا كان الإيمان ظاهراً فيها، فلما رآها عجب وجعل ينظر إليها مستخفياً وجعل ينظر يميناً وشمالاً، ثم ترك ذلك الباب فتحول إلى باب آخر من أبوابها فرأى مثل ذلك فجعل يخيل إليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرف، ورأى ناساً كثيراً محدثين لم يكن يراهم قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل إليه أنه حيران، ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول: يا ليت شعري ما هذا؟ أما عيشة أمس كان المسلمون يخفون(٢) هذه العلامة ويستخفون بها، وأما اليوم فإنها ظاهرة، لعلّي نائم؟ ثم يرى أنه ليس بنائم، فأخذ كساءه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين ظَهْرَي سوقها فيسمع ناساً يحلفون باسم عيسى ابن مريم فزاده فَرَقاً ورأى أنه حيران، فقام مسنداً ظهره إلى جدار من جدر المدينة، يقول في نفسه: والله ما أدري ما هذا أما عيشة أمس فليس عل ظهر الأرض إنسان يذكر عيسى ابن مريم إلا قتل، وأما الغداة فاسمعهم وكل إنسان يذكر اسم عيسى ولا يخاف أحداً، ثم قال في نفسه: لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف، والله ما أعرف مدينة قرب مدينتنا، فقام كالحيران ثم لقي فتى فقال له: ما اسم هذه المدينة يافتى؟ قال: اسمها «أفسوس»، فقال في نفسه: لعل بي مَسّاً أو أمراً أذهب عقلي، والله يحق لي أن أسرع الخروج منها قبل أن أخزى فيها أو يصيبني شرٌّ فأهلك ثم إنه أفاق فقال: والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بي لكان أيسر(٣) بي، فدنا من الذين يبيعون الطعام فأخرج الوَرِقَ التي كانت معه فأعطاها رجلاً منهم، فقال: بعني بهذه الورق طعاماً فأخذها الرجل فنظر إلى ضرب الورق ونقشها فعجب منها ثم طرحها إلى رجل من أصحابه فنظر إليها ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل يتعجبون منها، ثم جعلوا يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض: إن هذا أصاب كنزاً خبيئاً في الأرض منذ زمان ودهر طويل فلما رآهم يمليخا يتشاورون من أجله فرق فَرَقاً شديداً، وجعل يرتعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه، وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقيانوس، وجعل

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) في «ب»: يخبئون.

(٣) في «ب»: أكيس.

أناس آخرون يأتونه فيتعرفونه [فلا يعرفونه][(١)]، فقال لهم وهو شديد الفَرَق منهم: افضلوا عليّ قد أخذتم ورقي، فأمسكوها وأما طعامكم فلا حاجة لي به، فقالوا له: من أنت يافتى، وما شأنك؟ والله لقد وجدتَ كنزاً من كنوز الأولين، وأنت تريد أن تخفيه عنا[(٢)]، فانطلِقْ معنا وأَرِنا وشاركنا فيه. نُخْفِ عليك ما وجدت، فإنك إن لم تفعل نأت بك إلى السلطان فنسلمك إليه فيقتلك، فلما سمع قولهم قال في نفسه[(٣)]: قد وقعت في كل شيء كنت أحذر منه، فقالوا: يافتى إنك والله لا تستطيع أن تكتم ما وجدت، فجعل يمليخا لا يدري ما يقول لهم وما يرجع إليهم، وفرق حتى ما [وجد ما][(٤)] يخبر إليهم شيئاً، فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطرحوه في عنقه، ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة [صغيرهم وكبيرهم][(٥)] حتى سمع به من فيها [فسألوه: ما الخبر؟][(٦)]، فقيل: هذا رجل عنده كنز، فاجتمع إليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم فجعلوا ينظرون إليه، ويقولون: والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة، وما رأيناه فيها قط وما نعرفه قط، فجعل يمليخا لا يدري ما يقول لهم، فلما اجتمع إليه أهل المدينة فرق فسكت فلم يتكلم، وكان مستيقناً أن أباه وإخوته بالمدينة، وأن حَسَبَه ونسبه من أهل المدينة من عظماء أهلها وأنهم سيأتونه إذا سمعوا به فبينا هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض أهله فيخلصه من أيديهم إذ اختطفوه وانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها، وهما رجلان صالحان اسم أحدهما «أريوس» واسم الآخر «طنطيوس»[(٧)]، فلما انطلق به إليهما ظن يمليخا أنه ينطلق به إلى دقيانوس الجبار، فجعل يلتفت يميناً وشمالاً، وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون، وجعل يمليخا يبكي ثم رفع رأسه إلى السماء فقال في نفسه[(٨)]: اللهم إله السماء وإله الأرض أفرغ اليوم عليّ صبراً وأولج معي روحاً منك تؤيدني به عند هذا الجبار، وجعل يبكي ويقول في نفسه: فرق بيني وبين إخوتي ياليتهم يعلمون ما لقيت ولو أنهم يعلمون فيأتوني فنقوم جميعاً بين يدي هذا الجبار، فإنا كنا تواثقنا لنكوننَّ معاً، لا نكفر بالله ولا نشركَ به شيئاً، فرق بيني وبينهم فلن يروني ولن أراهم أبداً، وكنّا تواثقنا أن لا نفترق في حياة ولا موت أبداً، يحدِّث به نفسه يمليخا، فيما أخبر أصحابه حين رجع إليهم، حتى انتهى إلى الرجلين الصالحين «أريوس» و«طنطيوس»[(٧)] فلما رأى يمليخا أنه لا يذهب به إلى دقيانوس

---

(١)، (٢) ساقط من « أ » .

(٣)، (٤) ساقط من « أ » .

(٥) ساقط من «ب» .

(٦) ساقط من « أ » .

(٧) في « أ »: أسطيوس .

(٨) ساقط من « أ » .

أفاق وذهب[1] عنه البكاء، فأخذ أريوس [وطنطيوس][2] الوَرِقَ فنظرا إليها وعجبا منها، ثم قال له أحدهما: أين الكنز الذي وجدت يافتى؟ فقال يمليخا: ما وجدت كنزاً ولكن هذا وَرِق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها، ولكن والله ما أدري ما شأني وما أقول لكم، فقال أحدهما: فمن أنت؟ فقال يمليخا: أما أنا فكنت أرى أني من أهل هذه المدينة، فقالوا: ومن أبوك ومن يعرفك فيها؛ فأنبأهم باسم أبيه، فلم يجدوا أحداً يعرفه ولا أباه، فقال له أحدهما: أنت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق، فلم يدر يمليخا ما يقول لهم، غير أنه نكس رأسه [وأطرق بصره][3] إلى الأرض، فقال بعض من حوله: هذا رجل مجنون، وقال بعضهم: ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمداً لكي ينفلت منكم، فقال له أحدهما ونظر إليه نظراً شديداً: أتظن أنا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك ونقش هذا الورق وضربها أكثر من ثلثمائة سنة، وإنما أنت غلام شاب أتظن أنك تأفكنا وتسخر بنا ونحن شمط كما ترى، وحولك سراة أهل المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه البلدة بأيدينا، وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار، وإني لأظنني سآمر بك فتعذب عذاباً شديداً، ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته. فلما قال ذلك قال لهم يمليخا: أنبئوني عن شيء أسألكم عنه فإن فعلتم صدقتكم عمّا عندي، قالوا: سل لا نكتمك شيئاً، قال لهم: ما فعل الملك دقيانوس؟ قالوا: لا نعرف اليوم على وجه الأرض ملكاً يسمى دقيانوس، ولم يكن إلا ملك هلك منذ زمان ودهر طويل وهلكت بعده قرون كثيرة، فقال يمليخا: إني إذاً لحيران وما يصدقني أحد من الناس بما أقول، لقد كنا فتية [على دين واحد وهو الإسلام][4] وإن الملك أكرهنا على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فنمنا، فلما انتبهنا خرجت لأشتري لهم طعاماً وأتجسس الأخبار فإذا أنا كما ترون، فانطلقوا معي إلى الكهف الذي في جبل بنجلوس أريكم أصحابي، فلما سمع أريوس ما يقول يمليخا، قال: ياقوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم على يدي هذا الفتى، فانطلقوا بنا معه يرينا أصحابه، فانطلق معه أريوس وأسطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم، ولما رأى الفتية أصحاب الكهف يمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتي به ظنوا أنه قد أخذ فذهب به إلى ملكهم دقيانوس، فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه إذ سمعوا الأصوات وجلب الخيل مصعدة نحوهم، فظنوا أنهم رسل الجبار دقيانوس بعث إليهم ليؤتى لهم، فقاموا إلى الصلاة وسلّم بعضهم على بعض، وأوصى بعضهم بعضاً، وقالوا: انطلقوا بنا نأت أخانا يمليخا فإنه الآن بين يدي الجبار ينتظر متى نأتيه، فبينما هم يقولون ذلك

---

(١) في «أ» وسكن.

(٢) في «أ» أسطيوس.

(٣) ساقط من «ب».

(٤) ساقط من «أ».

وهم جلوس بين ظهري الكهف لم يروا إلا أريوس وأصحابه وقوفاً على باب الكهف. وسبقهم يمليخا فدخل عليهم وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه، ثم سألوه عن شأنه فأخبرهم، وقصّ عليهم النبأ كله، فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياماً بأمر الله ذلك الزمان كله بأمر الله، وإنما أُوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقاً للبعث، وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، ثم دخل على أثر يمليخا أريوس فرأى تابوتاً من نحاس مختوماً بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجلاً من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عندهم[1]، فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوباً فيهما: أن مكسلمينا، ومخشلمينا، ويمليخا، ومرطونس، وكشطونس، ويبرونس، وديموس، وبطيوس، وحالوش كانوا فتية هربوا من مهلكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف، فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وإنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم إن عثر عليهم فلما قرؤوه وعجبوا، وحمدوا الله الذي أراهم آية البعث فيهم، ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية إلى الكهف فوجدوهم جلوساً بين طهرانيهم مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم، فخرّ أريوس وأصحابه سجوداً، وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته، ثم كلم بعضهم بعضاً وأنبأهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس [من إكراههم على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت وإخفاء
٢١٦/ب إيمانهم عنه وهربهم إلى الكهف][2]، / ثم إن أريوس وأصحابه بعثوا بريداً إلى ملكهم الصالح بيدروس أن عجل إلينا لعلك تنظر إلى آية من آيات الله جعلها الله في ملكك، وجعلها آية للعالمين لتكون لهم نوراً وضياءً وتصديقاً للبعث، فاعجل إلى فتية بعثهم الله عزّ وجلّ، وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة، فلما أتى الملك الخبر رجع إليه عقله وذهب همُّه فقال: أحمدك الله ربَّ السموات والأرض، وأعبدك، وأسبح لك، تطوّلت علي ورحمتني فلم تطفىء النور الذي كنت جعلته لآبائي للعبد الصالح اسطنطينوس الملك، فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا إليه وساروا معه حتى أتوا مدينة أفسوس، فتلقاهم أهل المدينة وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف، فلما رأى الفتية بيدروس فرحوا به وخرّوا سُجَّداً على وجوههم، وقام بيدروس فاعتنقهم وبكى، وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه، ثم قال الفتية لبيدروس: نستودعك الله [إيمانك وخواتيم أعمالك][3] والسلام عليك ورحمة الله، حفظك الله وحفظ ملكك، ونعيذك بالله من شرّ الإنس والجن. فبينما الملك قائم إذ رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفى الله تعالى أنفسهم، وقام الملك إليهم فجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب فلما أمسى ونام أتوه في المنام، فقالوا له :

(١) ساقط من «أ».
(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».
(٣) ساقط من «ب».

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ۝١٢﴾

إننا لم نخلق من ذهب ولا من فضة ولكنا خلقنا من تراب وإلى التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه، فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد على أن يدخل عليهم فأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجداً يصلى فيه وجعل لهم عيداً عظيماً وأمر أن يؤتى كل سنة .

وقيل: إن يمليخا لما حمل إلى الملك الصالح قال له الملك: من أنت قال: أنا رجل من أهل هذه المدينة، وذكر أنه خرج أمس أو منذ أيام، وذكر منزله وأقواماً لم يعرفهم أحد، وكان الملك قد سمع أن فتية فقدوا في الزمن الأول وأن أسماءهم مكتوبة على اللوح بالخزانة، فدعا باللوح وقد نظر في أسمائهم فإذا هو من أولئك القوم، وذكر أسماء الآخرين فقال يمليخا هم أصحابي، فلما سمع الملك ذلك ركب ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال يمليخا: دعوني حتى أدخل على أصحابي فأبشرهم فإنهم إن رأوكم معي أرعبتموهم، فدخل فبشّرهم، فقبض الله أرواحهم وأعمى عليهم أثرهم فلم يهتدوا إليهم، وذلك قوله عزّ وجلّ :

﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾ أي: صاروا إلى الكهف، يقال: أوى فلان إلى موضع كذا، أي: اتخذه منزلاً إلى الكهف، وهو غار في جبل بنجلوس واسم الكهف: «خيرم»[1] .

﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة﴾. ومعنى الرحمة: الهداية في الدين. وقيل: الرزق، ﴿وهيء لنا﴾، يسر لنا، ﴿من أمرنا رشداً﴾، أي: ما يلتمس من رضاك وما فيه رشدنا، وقال ابن عباس: رشداً أي: مخرجاً من الغار في سلامة .

﴿فضربنا على آذانهم﴾، أي: أنمناهم وألقينا عليهم النوم. وقيل: معناه منعنا نفوذ الأصوات إلى مسامعهم، فإن النائم إذا سمع الصوت ينتبه، ﴿في الكهف سنين عدداً﴾، أي: أنمناهم سنين معدودة وذكر العدد على سبيل التأكيد. وقيل: ذكره يدل على الكثرة فإن القليل لا يعد في العادة .

﴿ثم بعثناهم﴾، يعني من نومهم، ﴿لنعلم﴾ أي: علم المشاهدة، ﴿أيُّ الحزبين﴾، أي الطائفتين، ﴿أحصى لِما لبثوا أمداً﴾. وذلك أن أهل القرية تنازعوا في مدة لبثهم في الكهف. واختلفوا في قوله: «أحصى لِما لبثوا» أحفظ لما مكثوا في كهفهم نياماً أمداً، أي: غاية. وقال مجاهد: عدداً، ونصبه على التفسير .

---

(١) راجع فيما سبق ص (١٤٥) تعليق (٢) من نفس السورة .

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾
وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن
دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً
لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾
وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن
رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾

﴿**نحن نقص عليك**﴾ [نقرأ عليك][(١)] ﴿**نبأهم**﴾، خبر أصحاب الكهف. ﴿**بالحق**﴾، بالصدق ﴿**إنهم فتية**﴾، شبان، ﴿**آمنوا بربهم وزدناهم هدى**﴾، إيماناً وبصيرة .

﴿**وربطنا**﴾، شددنا، ﴿**على قلوبهم**﴾، بالصبر والتثبيت وقوّيناهم بنور الإيمان حتى صبروا على هجران دار قومهم، ومفارقة ما كانوا فيه من العز وخصب العيش وفرّوا بدينهم إلى الكهف، ﴿**إذ قاموا**﴾، بين يدي دقيانوس حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم، ﴿**فقالوا ربُّنا ربُّ السموات والأرض لن ندعوَ من دونه إلهاً**﴾، قالوا ذلك لأن قومهم كانوا يعبدون الأوثان، ﴿**لقد قلنا إذا شططاً**﴾، يعني:إن دعونا غير الله لقد قلنا إذاً شططاً، قال ابن عباس: جوراً. وقال قتادة: كذباً. وأصل الشطط والإشطاط مجاوزة القدر والإفراط .

﴿**هؤلاء قومنا**﴾، يعني: أهل بلدهم، ﴿**اتخذوا من دونه**﴾، أي: من دون الله، ﴿**آلهة**﴾، يعني: الأصنام يعبدونها، ﴿**لولا**﴾، أي: هلا، ﴿**يأتون عليهم**﴾، أي: على عبادتهم، ﴿**بسلطان بيِّن**﴾، بحجة واضحة [تبين وتوضح أن الأصنام لا تستحق العبادة من دون الله][(٢)]، ﴿**فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً**﴾، وزعم أن له شريكاً وولداً .

ثم قال بعضهم لبعض : ﴿**وإذ اعتزلتموهم**﴾، يعني قومهم[(٣)]، ﴿**وما يعبدون إلا الله**﴾، قرأ ابن مسعود «وما تعبدون من دون الله»، وأما القراءة المعروفة فمعناها: أنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون

---

(١) ساقط من « أ » .
(٢) ساقط من «ب» .
(٣) في «ب»: قومكم .

﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨﴾

معه الأوثان، يقولون[1]: وإذ اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون إلا الله فإنكم لم تعتزلوا عبادته ﴿فأووا إلى الكهف﴾، فالجأوا إليه، ﴿ينشرْ لكم﴾، يبسط لكم، ﴿ربُّكم من رحمته ويهيىءْ لكم﴾، يسهل لكم، ﴿من أمركم مرفقاً﴾ أي: ما يعود إليه يسركم ورفقكم. قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر «مرفقاً» بفتح الميم وكسر الفاء، وقرأ الآخرون بكسر الميم وفتح الفاء، ومعناهما واحد، وهو ما يرتفق به الإنسان.

قوله تعالى: ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب: «تزوَرّ» بسكون الزاي وتشديد الراء على وزن تَحْمَرّ، وقرأ أهل الكوفة: بفتح الزاي خفيفة وألف بعدها، وقرأ الآخرون بتشديد الزاي /، وكلها بمعنى واحد، أي: تميل وتعدل، ﴿عن كهفهم ذات اليمين﴾ أي: ٢١٧/ أ
جانب اليمين، ﴿وإذا غربت تقرضهم﴾، أي: تتركهم وتعدل عنهم، ﴿ذات الشمال﴾، أصل القرض القطع، ﴿وهم في فجوة منه﴾ أي: متسع من الكهف وجمعها فجوات، قال ابن قتيبة: كان كهفهم مستقبل بنات نعش، لا تقع فيه الشمس عند الطلوع ولا عند الغروب ولا فيما بين ذلك، قال: اختار الله لهم مضجعاً[2] في مقناة لا تدخل عليهم الشمس فتؤذيهم بحرِّها وتغير ألوانهم، وهم في متسع ينالهم برد الريح ونسيمها، ويدفع عنهم كرب الغار وغمومه.

وقال بعضهم[3]: هذا القول خطأ وهو أن الكهف كان مستقبل بنات نعش فكانت الشمس لا تقع عليهم، ولكن الله صرف الشمس عنهم بقدرته وحال بينها وبينهم، ألا ترى أنه قال:

﴿ذلك من آيات الله﴾، من عجائب صنع الله ودلالات قدرته التي يعتبر بها، ﴿من يهدِ اللّهُ فهو المهتدِ ومن يضلل﴾، أي: من يضلله الله ولم يرشده، ﴿فلن تجد له ولياً﴾، معيناً، ﴿مرشداً﴾.

قوله تعالى: ﴿وتحسبهم أيقاظاً﴾ أي: منتبهين جمع يَقِظ، ويَقُظ، ﴿وهم رقود﴾، نيام، جمع

---

(١) في «ب»: يقول.

(٢) في «ب»: مضطجعاً.

(٣) انظر: زاد المسير: ٥/١١٧-١١٨.

راقد مثل قاعد وقعود، وإنما اشتبه حالهم لأنهم كانوا مفتَّحي الأعين[١] يتنفسون ولا يتكلمون .

﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾، مرة للجنب الأيمن ومرة للجنب الأيسر. قال ابن عباس: كانوا يقلبون في السنة مرة من جانب إلى جانب لئلا تأكل الأرض لحومهم. وقيل كان يوم عاشوراء يوم تقلبهم. وقال أبو هريرة: كان لهم في كل سنة تقلبان .

﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾، أكثر أهل التفسير على أنه كان من جنس الكلاب .

وروي عن ابن جريج: أنه كان أسداً وسمى الأسد كلباً، فإن النبي ﷺ دعا على عتبة بن أبي لهب فقال: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» فافترسه أسد[٢] .

والأول أصح[٣] .

قال ابن عباس: كان كلباً أغر. ويُروى عنه: فوق القلطي[٤] ودون الكردي، [والقلطي: كلب صيني][٥] .

وقال مقاتل: كان أصفر. وقال القرظي: كان شدة[٦] صفرته تضرب إلى الحمرة. وقال الكلبي: لونه كالخلنج. وقيل: لون الحجر .

قال ابن عباس: كان اسمه قطمير. وعن علي: اسمه ريان. وقال الأوزاعي: بتور. وقال السدي: تور. وقال كعب: صهيلة[٧] .

قال خالد بن معدان: ليس في الجنة شيء من الدواب سوى كلب أصحاب الكهف وحمار بلعام .

قوله ﴿بالوصيد﴾ قال مجاهد والضحاك: «والوصيد»: فناء الكهف. وقال عطاء: «الوصيد» عتبة الباب. وقال السدي: «الوصيد» الباب، وهو رواية عكرمة عن ابن عباس .

فإن قيل: لم يكن للكهف باب ولا عتبة ؟

قيل: معناه موضع الباب والعتبة، كان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم .

قال السدي: كان أصحاب الكهف إذا انقلبوا انقلب الكلب معهم، وإذا انقلبوا إلى اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى ورقد عليها، وإذا انقلبوا إلى الشمال كسر أذنه اليسر ورقد عليها .

---

(١) في «ب»: مفتحة أعينهم .

(٢) صححه الحاكم في المستدرك: ٥٣٩/٢ ووافقه الذهبي، وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ٣٩/٤ وعزاه أيضاً للبيهقي في الدلائل. انظر: الكافي الشاف ص (١٦٠) .

(٣) في «ب»: المعروف .

(٤) في الدر المنثور: القبطي، والقَلَطِيُّ: القصير من الناس والسنانير والكلاب .

(٥) ساقط من «ب» .

(٦) ساقط من «ب» .

(٧) انظر: التعليق (٢) ص (١٤٥) من السورة .

وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾

﴿لو اطلعت عليهم﴾، يامحمد، ﴿لوَلَّيْتَ منهم فراراً﴾، لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل إليهم أحد، حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقظهم الله تعالى من رقدتهم، ﴿ولَمُلِئْتَ منهم رعباً﴾، خوفاً، قرأ أهل الحجاز بتشديد اللام والآخرون بتخفيفها .

واختلفوا في أن الرعب كان لماذا[1]: قيل من وحشة المكان .

وقال الكلبي: لأن أعينهم كانت[2] مفتحة، كالمستيقظ الذي يريد-أن يتكلم، وهم نيام .

وقيل: لكثرة شعورهم، وطول أظفارهم، ولتقلبهم من غير حس ولا إشعار .

وقيل: إن الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد .

ورُوي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف، فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم. فقال ابن عباس رضي الله عنهم: لقد منع ذلك من هو خير منك، فقال: «لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً» فبعث معاوية ناساً فقال: اذهبوا فانظروا، فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم[3] .

قوله تعالى: ﴿وكذلك بعثناهم﴾، أي: كما أنمناهم في الكهف وحفظنا أجسادهم من البلىٰ على طول الزمان، فكذلك[4] بعثناهم من النومة التي تشبه الموت، ﴿ليتساءلوا بينهم﴾، ليسأل بعضهم بعضاً، واللام فيه لام العاقبة، لأنهم لم يبعثوا للسؤال .

﴿قال قائل منهم﴾: وهو رئيسهم مكسلمينا، ﴿كم لبثتم﴾ في نومكم؟ وذلك أنهم استنكروا طول نومهم. ويقال: إنهم راعهم ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك .

﴿قالوا لبثنا يوماً﴾، وذلك أنهم دخلوا الكهف غدوة فقالوا فانتبهوا [حين انتبهوا][5] عشية،

(١) في «ب»: ماذا .
(٢) زيادة من «ب» .
(٣) ذكره الثعلبي: انظر تفسير القرطبي: ١٠/٣٨٩ .
(٤) ساقط من «أ» .
(٥) ساقط من «أ» .

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾

فقالوا: لبثنا يوماً، ثم نظروا وقد بقيت من الشمس بقية، فقالوا: ﴿أو بعض يوم﴾، فلما نظروا إلى طول شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم.

﴿قالوا ربُّكم أعلم بما لبثتم﴾، وقيل: إن رئيسهم مكسلمينا لما سمع الاختلاف بينهم قال: دعوا الاختلاف ربكم أعلم بما لبثتم، ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه﴾، يعني يمليخا.

قرأ أبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر: بورْقكم ساكنة الراء والباقون بكسرها، ومعناهما واحد، وهي الفضة مضروبةً كانت أو غير مضروبة.

﴿إلى المدينة﴾، قيل: هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية أفسوس فسموها في الإسلام طرسوس.

﴿فلينظر أيّها أزكى طعاماً﴾ أي: أحلُّ طعاماً حتى لا يكون من غصْب أو سبب حرام، وقيل: أمروه أن يطلب ذبيحة مؤمن ولا يكون من ذبيحة من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون إيمانهم. وقال الضحاك: أطيب طعاماً. وقال مقاتل بن حيان: أجود طعاماً. وقال عكرمة أكثر، وأصل الزكاة الزيادة. وقيل: أرخص طعاماً.

﴿فليأتِكُمْ برزقٍ منه﴾، أي: قوت وطعام تأكلونه، ﴿وليتلطف﴾، وليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكتمان /، ﴿ولا يُشْعِرَنَّ﴾، ولا يعلمن، ﴿بكم أحداً﴾، من الناس. ٢١٧/ب

﴿إنهم إن يَظْهَرُوا عليكم﴾، أي: يعلموا بمكانكم، ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ قال ابن جريج: يشتمونكم ويؤذونكم بالقول. وقيل: يقتلوكم، وقيل: كان من عاداتهم القتل بالحجارة وهو أخبث القتل. وقيل يضربوكم، ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ أي: إلى الكفر، ﴿ولن تفلحوا إذاً أبداً﴾، إن عدتم إليه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وكذلك أعْثَرْنا﴾ أي: أطلعنا، ﴿عليهم﴾، يقال: عَثَرْتُ على الشيء: إذا اطلعت عليه، وأعْثَرْتُ غيري، أي: أطلعته، ﴿لِيَعْلَمُوا أنّ وعد الله حق﴾، يعني قوم[1] بيدروس الذين أنكروا البعث، ﴿وأنّ الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾، قال ابن عباس:

---

(١) في «ب»: اصحاب.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

يتنازعون في البنيان، فقال: المسلمون: نبني عليهم مسجداً يصلي فيه الناس لأنهم على ديننا، وقال المشركون: نبني عليهم[1] بنياناً لأنهم من أهل نسبنا .

وقال عكرمة: تنازعوا في البعث، فقال المسلمون: البعث للأجساد والأرواح معاً، وقال قوم: للأرواح دون الأجساد، فبعثهم الله تعالى وأراهم أن البعث للأجساد والأرواح .

وقيل: تنازعوا في مدة لبثهم. وقيل: في عددهم .

﴿فقالوا ابنُوا عليهم بنياناً ربُّهم أعلمُ بهم، قال الذين غلبوا على أمرِهم﴾، بيدروس الملك وأصحابه، **﴿لَنَتخِذَنّ عليهم مَسْجِداً﴾** .

﴿سيقولون ثلاثةٌ رابعهم كلبهم﴾، رُوي أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى أهل نجران كانوا عند النبي ﷺ فجرى ذكر أصحاب الكهف، فقال السيد ـ وكان يعقوبياً ـ: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وقال العاقب ـ وكان نسطورياً ـ: كانوا خمسة سادسهم كلبهم، وقال المسلمون: كانوا سبعة ثامنهم كلبهم، فحقق الله قول المسلمين بعد ما حكى قول النصارى، فقال: **﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب﴾**[2]، أي: ظنّاً وحَدْساً من غير يقين، ولم يقل هذا في حق السبعة، فقال: **﴿ويقولون﴾** يعني: المسلمين، **﴿سبعة وثامنهم كلبهم﴾** .

اختلفوا في الواو في قوله: **﴿وثامنهم﴾** قيل: تركها وذكرها سواء .

وقيل: هي واو الحكم والتحقيق، كأنه حكى اختلافهم، وتم الكلام عند قوله ويقولون سبعة، ثم حقق هذا القول بقوله **﴿وثامنهم كلبهم﴾** والثامن لا يكون إلا بعد السابع .

وقيل: هذه واو الثمانية، وذلك أن العرب تعدّ فتقول واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية، لأن العقد كان عندهم سبعة كما هو اليوم عندنا عشرة، نظيره قوله تعالى[3]: «التائبون

---

(١) ساقط من « أ » .

(٢) انظر: زاد المسير: ١٢٤/٥، القرطبي: ٣٨٢/١٠ .

(٣) انظر: زاد المسير: ١٢٥/٥، القرطبي: ٣٨٢/١٠-٣٨٣ .

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾

العابدون الحامدون» إلى قوله: «والناهون عن المنكر» (التوبة ــ ١١٢)، وقال في أزواج النبي ﷺ «عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكنّ مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً» (التحريم ــ ٥).

﴿قل ربي أعلم بعدَّتهم﴾، أي: بعددهم **﴿ما يعلمهم إلا قليل﴾**، أي: إلا قليل من الناس. قال ابن عباس: أنا من القليل، كانوا سبعة.

وقال محمد بن إسحاق: كانوا ثمانية. قرأ: **﴿وثامنهم كلبهم﴾** أي: حافظهم، والصحيح هو الأول.

وروي عن ابن عباس أنه قال: هم مكسلمينا، ويمليخا، ومرطونس، وبينونس، وسارينونس، وذو نوانس، وكشفيططنونس، وهو الراعي، والكلب قطمير[1].

﴿فلا تمار فيهم﴾، أي: لا تجادل ولا تقل في عددهم وشأنهم، **﴿إلاّ مراءً ظاهراً﴾**، إلا بظاهر ما قصصنا عليك، يقول: حسبك ما قصصت عليك، فلا تزد عليه، وقِفْ عنده، **﴿ولا تَسْتَفْتِ فيهم منهم﴾**، من أهل الكتاب، **﴿أحداً﴾** أي: لا ترجع إلى قولهم بعد أن أخبرناك.

﴿ولا تقولنّ لشيء إني فاعل ذلك غداً . إلا أن يشاء الله﴾، يعني: إذا عزمت على أن تفعل غداً شيئاً تقل: أفعل غداً، حتى تقول إن شاء الله، وذلك أن أهل مكة سألوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين، فقال: أخبركم غداً ولم يقل إن شاء الله، فلبث الوحي أياماً ثم نزلت هذه الآية[2].

﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾، قال ابن عباس ومجاهد والحسن: معناه إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن.

وجوَّز ابنُ عباس الاستثناءَ المنقطع، وإن كان إلى سنة. وجوَّزه الحسن ما دام في المجلس، وجوزه بعضهم إذا قرب الزمان، فإن بَعُدَ فلا يصح. ولم [يجوِّز باستثناء][3] جماعة حتى يكون متصلاً بالكلام[4].

---

(١) انظر فيما سبق ص (١٤٥) تعليق (٢).
(٢) انظر: الدر المنثور: ٥/٣٣٧، زاد المسير: ٥/١٢٧، تفسير ابن كثير: ٣/٧٢–٧٣.
(٣) في «ب»: يجوِّزه.
(٤) قال الطبري في التفسير: (٥/٢٢٩–٢٣٠): «وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: واذكر ربك إذا تركت =

وقال عكرمة: معنى الآية: واذكر ربك إذا غضبت[(١)] .

وقال وهب: مكتوب في الإنجيل: ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب .

وقال الضحاك والسدي: هذا في الصلاة .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنبأنا الحسن بن أحمد المخلدي، حدثنا أبو العباس السراج، حدثنا قتيبة، حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس قال: قال النبي ﷺ: «من نسي صلاة فَلْيُصَلِّها إذا ذكرها»[(٢)] .

= ذكره، لأن أحد معاني النسيان في كلام العرب: التَّرك .

فإن قال قائل: أفجائز للرجل أن يستثني في يمينه، إذْ كان معنى الكلام ما ذكرت بعد مدة من حال حلفه؟

قيل: بل الصواب أن يستثني ولو بعد حنثه في يمينه، فيقول: إن شاء الله ليخرج بقيله ذلك مما ألزمه الله في ذلك بهذه الآية، فيسقط عنه الحرج بتركه ما أمره بقيله من ذلك، فأما الكفارة فلا تسقط عنه بحال، إلا أن يكون استثناؤه موصولاً بيمينه» .

ثم وجَّه رأي ابن عباس رضي الله عنهما، ورأي من قال بأن له الاستثناء ما دام في مجلسه، فقال: «إن معناهم في ذلك نحو معنانا في أن ذلك له، ولو بعد عشر سنين، وأنه استثنائه وقيله إن شاء الله بعد حين من حال حلفه، يسقط عنه الحرج الذي لو لم يقله كان لازماً له؛ فأما الكفارة: فله لازمة بالحنث بكل حال، إلا أن يكون استثناؤه كان موصولاً بالحلف، وذلك: أنا لا نعلم قائلاً ممن قال: له الثُّنيا بعد حين يزعم أن ذلك يضع عنه الكفارة إذا حنث، ففي ذلك أوضح الدليل على صحة ما قلنا في ذلك..» . وهذا ما رجحه ابن كثير أيضاً: ٨٠/٣ .

وقال الجصاص في «أحكام القرآن»: (٤١/٥-٤٢): «هذا الضرب من الاستثناء يدخل لرفع حكم الكلام حتى يكون وجوده وعدمه سواء، وذلك لأن الله تعالى ندبه الاستثناء بمشيئة الله تعالى لئلا يصير كاذباً بالحلف، فدلَّ على أن حكمه ما وصفنا. ويدل عليه أيضاً قوله عز وجل حاكياً عن موسى عليه السلام: «ستجدني إن شاء الله صابراً» فلم يصبر ولم يك كاذباً؛ لوجود الاستثناء في كلامه، فدلَّ على أن معناه ما وصفنا من دخوله في الكلام لرفع حكمه، فوجب أن لا يختلف حكمه في دخوله على اليمين أو على إيقاع الطلاق أو على العتاق...» .

ثم رجح أن الاستثناء لا يصح ولا يكون له هذا الأثر الذي وصفه إلا بأن يكون متصلاً باليمين — وهي نقطة الاتفاق مع تأويل الطبري — وهو قول إبراهيم وعطاء والشعبي، «لأن الاستثناء بمنزلة الشرط، لا يصلح ولا يثبت حكمه إلا موصولاً بالكلام من غير فصل، مثل قوله: أنت طالق إن دخلت الدار. فلو قال: أنت طالق، ثم قال: إن دخلتِ الدار بعدما سكت، لم يوجب ذلك تعلق الطلاق بالدخول، ولو جاز هذا لجاز أن يقول لامرأته أنت طالق ثلاثاً. ثم يقول بعد سنة: إن شاء الله، فيبطل الطلاق، ولا تحتاج إلى زوج ثانٍ في إباحتها للزوج الأول، وفي تحريم الله تعالى إياها عليه بالطلاق الثلاث إلا بعد زوج دلالة على بطلان الاستثناء بعد السكوت...» .

وانظر قصة احتجاج أبي حنيفة لذلك على المنصور في: أضواء البيان للشنقيطي: ٧٩/٤. وراجع القرطبي: ٣٨٦/١٠. فقد رجح أن الآية ليست في اليمين بشيء وإنما هي استفتاح كلام، على الأصح .

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص: ٤٢/٥. ونقل الطبري (٢٢٩/١٥) عن عكرمة أيضاً: اذكر ربك إذا عصيت (بالعين والصاد المهملتين) .

(٢) أخرجه البخاري في المواقيت، باب من نسي صلاة فليصلِّ إذا ذكر: ٧٠/٢، ومسلم في المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة، واستحباب تعجيل قضائها، برقم (٥٩٧): ٢٤١/٢. والمصنف في شرح السنة: ٢٤١/٢ .

﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ٢٥﴾

﴿وقل عسى أن يَهْدِيَنِ ربي لأقربَ من هذا رشداً﴾، أي: يثبتني على طريق هو أقرب إليه وأرشد[1].

وقيل: أمر الله نبيه أن يذكره إذا نسي شيئاً، ويسأله أن يهديه لما هو خير له من ذكر ما نسيه[2].

ويقال: هو أن القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله عزّ وجلّ أن يخبرهم أن الله سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو أدلُّ لهم من قصة أصحاب الكهف، وقد فعل، حيث آتاه من علم الغيب المرسلين ما كان أوضح لهم في الحجة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف[3].

وقال بعضهم: هذا شي أمر أن يقوله مع قوله «إن شاء الله» إذا ذكر الاستثناء بعد النسيان، وإذا نسي الإنسان «إن شاء الله» فتوبته من ذلك أن يقول: «عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً»[4].

قوله عزّ وجلّ : ﴿ولبثوا في كهفهم﴾، يعني: أصحاب الكهف. قال بعضهم: هذا خبر عن أهل الكتاب أنهم قالوا ذلك. ولو كان خبراً من عند الله عزّ وجلّ عن قدر لبثهم لم يكن لقوله «قل الله أعلم بما لبثوا» وَجْهٌ، وهذا قول قتادة. ويدل عليه قراءة ابن مسعود: «وقالوا لبثوا في كهفهم» ثم ردّ الله تعالى عليهم فقال: «قل الله أعلم بما لبثوا»[5].

وقال الآخرون: هذا إخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف وهو الأصح.

[وأما قوله: «قل الله أعلم بما لبثوا» فمعناه: أن الأمر من مدة لبثهم][6] كما ذكرنا، فإن نازعوك فيها فأجِبْهم، وقل: الله أعلم بما لبثوا، أي: هو أعلم منكم، وقد أخبرنا بمدة لبثهم.

---

(١) وهذا ما اعتمده ابن كثير، ولم يذكر غيره.

(٢) انظر: البحر المحيط: ١١٦/٦.

(٣) انظر: زاد المسير: ١٢٩/٥، البحر المحيط: ١١٦/٦.

(٤) وهذا ما اعتمده الطبري: ٢٣٠/١٥.

(٥) وفي هذا الذي قاله قتادة نظر، فإن الذي بأيدي أهل الكتاب: أنهم لبثوا ثلاثمائة سنة، من غير تسع، يعنون بالشمسية. ولو كان الله تعالى قد حكى قولهم لما قال: «وازدادوا تسعاً». والظاهر من الآية إنما هو إخبار من الله، لا حكاية عنهم ـ كما في القول الآتي الذي رجحه المصنف ـ وهو اختيار الطبري رحمه الله.
ورواية قتادة قراءة ابن مسعود منقطعة، ثم هي شاذة بالنسبة إلى قراءة الجمهور، فلا يحتجّ بها. والله أعلم.
تفسير ابن كثير: ٨٠/٣ـ٨١، وانظر: الطبري: ٢٣١/١٥ـ٢٣٢.

(٦) ما بين القوسين ساقط من « أ ».

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾

وقيل: إن أهل الكتاب قالوا: إن هذه المدة من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلثمائة وتسع سنين، فردّ الله عليهم وقال: «قل الله أعلم بما لبثوا» يعني: بعد قبض أرواحهم إلى يومنا هذا لا يعلمه إلا الله / . ٢١٨/ أ

قوله تعالى: ﴿ثلاث مائة سنين﴾ قرأ حمزة والكسائي «ثلثمائة» بلا تنوين، وقرأ الآخرون بالتنوين .

فإن قيل: لِمَ قال ثلثمائةِ سنين [ولم يقل سنة؟](١) .

قيل: نـزلَ قوله: «ولبثوا في كهفهم ثلثمائة»، فقالوا: أياماً أو شهوراً أو سنين؟ فنزلت «سنين» .

قال الفرَّاء: ومن العرب من يضع سنين في موضع سنة .

وقيل: معناه ولبثوا في كهفهم سنين ثلثمائة .

﴿وازدادوا تِسْعاً﴾، قال الكلبي(٢): قالت نصارى نجران أما ثلثمائة فقد عرفنا، وأما التسع فلا علم لنا بها فنزلت .

﴿قلِ الله أعلم بما لبثوا﴾ روي عن علي أنه قال: عند أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلثمائة شمسية، والله تعالى ذكر ثلثمائة قمرية، والتفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مائة سنة ثلاث سنين، فيكون في ثلثمائة تسع سنين، فلذلك قال: «وازدادوا تسعاً» .

﴿له غيب السموات والأرض﴾، فالغيب ما يغيب عن إدراك، والله عزّ وجلّ لا يغيب عن إدراكه شيء .

﴿أبصِرْ به وأسمِعْ﴾ أي: ما أبصر الله بكل موجود وأسمعه لكل مسموع! أي: لا يغيب عن سمعه وبصره شيء .

﴿مالهم﴾ أي: ما لأهل السموات والأرض، ﴿من دونه﴾ أي من دون الله، ﴿من وليٍّ﴾ ناصر، ﴿ولا يُشْرِكُ في حكمِهِ أحداً﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب: ﴿ولا تشركْ﴾ بالتاء على المخاطبة والنهي، وقرأ الآخرون بالياء، أي: لا يشركُ الله في حكمه أحداً. وقيل: «الحُكْم» هنا عِلْمُ الغيب، أي: لا يشرك في علم غيبه أحداً .

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٢) الكلبي، هو محمد بن السائب، ضعيف. وانظر: زاد المسير: ٥/١٣١ .

وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ
مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ
عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿**واتلُ**﴾ أي: واقرأ يامحمد، ﴿**ما أُوحي إليك من كتاب ربك**﴾، يعني القرآن، واتبع ما فيه، ﴿**لا مبدّل لكلماته**﴾، قال الكلبي: لا مغيّر للقرآن. وقيل: لا مغير لما أوعد بكلماته أهل معاصيه، ﴿**ولن تجد**﴾، أنت، ﴿**من دونه**﴾، إن لم تتبع القرآن، ﴿**مُلْتَحداً**﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: حرزاً. وقال الحسن: مدخلاً. وقال مجاهد: ملجأ. وقيل: مَعْدِلاً. وقيل: مهرباً. وأصله من الميل.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**واصبْر نفسك**﴾ الآية، نزلت في عيينة بن حصن الفزاري أتى النبي ﷺ قبل أن يسلم، وعنده جماعة من الفقراء، فيهم سلمان وعليه شملةٌ قد عرق فيها، وبيده خوصة يشقها ثم ينسجها، فقال عيينة للنبي ﷺ: أمَا يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها، فإن أسلمنا أسلم الناس، وما يمنعنا من اتّباعك إلا هؤلاء فنحهم عنك حتى نتبعك، أو اجعل لنا مجلساً ولهم مجلساً، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**واصبر نفسك**﴾[1]، أي: احبس يامحمد نفسك ﴿**مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**﴾، طرفي النهار، ﴿**يريدون وجهه**﴾، أي: يريدون الله، لا يريدون به عَرَضاً من الدنيا.

قال قتادة: نزلت في أصحاب الصُّفَّة، وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله ﷺ، لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا ضرع، يصلُّون صلاة وينتظرون أخرى، فلما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أُمرت أن أصبر نفسي معهم»[2].

﴿**ولا تَعْدُ**﴾ أي: لا تصرف ولا تتجاوز، ﴿**عيناك عنهم**﴾، إلى غيرهم، ﴿**تريد زينة الحياة الدنيا**﴾، أي: طلب مجالسة الأغنياء والأشراف وصحبة أهل الدنيا.

﴿**ولا تُطِعْ من أغفلنا قلبَهُ عن ذِكْرِنا**﴾، أي: جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا، يعني: عيينة ابن

(١) انظر: الدر المنثور: ٥/٣٨٠-٣٨٢، الطبري: ١٥/٢٣٤-٢٣٦، أسباب النزول للواحدي ص (٣٤٤-٣٤٥)، زاد المسير: ٥/١٣٢.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٥/٣٨٠، أسباب النزول ص (٣٤٥)، ابن كثير: ٣/٨٢.

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾

حصن. وقيل: أمية بن خلف، ﴿واتبع هواه﴾، أي مراده في طلب الشهوات، ﴿وكان أمره فُرُطاً﴾، قال قتادة ومجاهد: ضياعاً. وقيل: معناه ضيع عمره[١] وعطل أيامه. وقيل: ندماً. وقال مقاتل ابن حيان: سرفاً. وقال الفراء: متروكاً. وقيل باطلاً. وقيل: مخالفاً للحق. وقال الأخفش: مجاوزاً للحد[٢]. قيل: معنى التجاوز في الحد، هو قول عيينة: إن أسلمنا أسلم الناس، وهذا إفراط عظيم.

﴿وقلِ الحق من ربكم﴾، أي: ما ذكر من الإيمان والقرآن، معناه: قل يامحمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا: أيها الناس [قد جاءكم من ربكم الحق][٣] وإليه التوفيق والخذلان، وبيده الهدى والضلال، ليس إليَّ من ذلك شيء.

﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾، هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله: «اعلموا ما شئتم» (فصلت ـ ٤٠)[٤].

وقيل معنى الآية: وقل الحق من ربكم، ولست بطارد المؤمنين لِهَواكم، فإن شئتم فآمنوا وإن شئتم فاكفروا، فإن كفرتم فقد أعدّ لكم ربكم ناراً أحاط بكم سرادقها، وإن آمنتم فلكم ما وصف الله عزّ وجلّ لأهل طاعته[٥].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الآية: من شاء الله له الإيمان آمن، ومن شاء له الكفر، كفر[٦]، وهو قوله: «وما تشاؤون إلا أن يشاء الله» (الإنسان ـ ٣٠).

﴿إنا أعْتَدْنا﴾: أعددنا، وهيَّأنا، من الإعداد[٧]، وهو العدة، ﴿للظالمين﴾ للكافرين، ﴿ناراً أحاط بهم سُرادقها﴾ «السُّرادق»: الحجرة التي تطيف[٨] بالفساطيط.

---

(١) في «ب»: أمره.
(٢) انظر: زاد المسير: ٥/١٣٣.
(٣) في «ب»: الحق من ربكم.
(٤) قاله الزجاج: انظر: زاد المسير: ٥/١٣٤، ابن كثير: ٣/٨٢.
(٥) وهو ما اعتمده الطبري: ١٥/٢٣٧.
(٦) أخرجه الطبري عن ابن عباس: ١٥/٢٣٧ـ٢٣٨.
(٧) في «ب»: العتاد.
(٨) في «ب»: تحيط.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث، أنبأنا محمد ابن يعقوب الكسائي، أنبأنا عبدالله بن محمود، أنبأنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، أنبأنا عبدالله بن المبارك، عن رشدين بن سعد، حدثني عمرو بن الحارث، عن دراج بن أبي السمح، عن أبي الهيثم بن عبدالله، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «سرادق النار أربعة جُدُر كثف كل جدار مثل مسيرة أربعين سنة»(١) .

قال ابن عباس: هو حائط من نار .

وقال الكلبي: هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة .

وقيل: هو دخان يحيط بالكفار وهو الذي ذكره الله تعالى: «انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب» (المرسلات ـــ ٣٠) .

﴿وإن يستغيثوا﴾، من شدة العطش، ﴿يُغاثُوا بماءٍ كالمُهْل﴾ .

أخبرنا محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث، أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي، أنبأنا عبدالله بن محمود، أنبأنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، حدثنا عبدالله بن المبارك عن
٢١٨/ب رِشْدين / بن سعد، حدثنا عمرو بن الحارث، عن دراج بن أبي السمح، عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «﴿بماء كالمهل﴾ قال كعكر الزيت، فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه»(٢) .

وقال ابن عباس: هو ماء غليظ مثل دُرْدِيّ الزيت .

وقال مجاهد: هو القيح والدم .

وسئل ابن مسعود عن: «المهل» فدعا بذهب وفضة فأوقد عليهما النار حتى ذابا، ثم قال: هذا أشبه شيء بالمهل(٣) .

﴿يشوي الوجوه﴾، ينضج الوجوه من حرّه .

﴿بئس الشراب وساءت﴾ النار، ﴿مرتفقاً﴾، قال ابن عباس: منزلاً. وقال مجاهد: مجتمعاً. وقال عطاء: مقراً. وقال القتيبي: مجلساً. وأصل «المرتفق»: المُتَّكَأُ(٤) .

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار: ٣٠٦/٧، وقال: «هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين، وفي رشدين بن سعد مقال»، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٢٩/٣، والحاكم: ٦٠١/٤، والطبري: ٢٣٩/١٥، والمصنف في شرح السنة: ٢٤٥/١٥ .

وإسناده ضعيف لضعف رشدين، ودرَّاج ضعيف .

(٢) أخرجه الترمذي في الموضع السابق: ٣٠٥/٧ـ٣٠٦، وأحمد: ٧٠/٣ـ٧١، والحاكم: ٦٠٤/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٤٥/١٥، بنفس الإسناد، وهو ضعيف .

(٣) انظر هذه الأقوال في: زاد المسير: ١٣٥/٥ .

(٤) انظر زاد المسير: ١٣٦/٥ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾
أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى
الْأَرَآئِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا
جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنَّا لا نُضيعُ أجرَ مَنْ أحسن عملاً**﴾، فإن قيل: أين جواب قوله: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾؟

قيل: جوابه قوله: ﴿**أولئك لهم جنات عدن تجري**﴾، وأما قوله: ﴿**إنّا لا نضيع**﴾ فكلام معترض[1].

وقيل: فيه إضمار، معناه: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإنا لا نضيع أجرهم بل نجازيهم، ثم ذكر الجزاء فقال[2].

﴿**أولئك لهم جنَّاتُ عدن**﴾، أي: إقامة، يقال: عَدَنَ فلان بالمكان إذا أقام به، سمِّيتْ عَدْنًا لخلود المؤمنين فيها، ﴿**تجري من تحتهم الأنهار يُحلَّوْن فيها من أساورَ من ذهبٍ**﴾، قال سعيد بن جبير: يحلى كل واحد منهم ثلاث أساور، واحد من ذهب، وواحد من فضة، وواحد من لؤلؤ ويواقيت، ﴿**ويَلْبَسُون ثياباً خُضْراً من سُنْدُسٍ**﴾، وهو مارقَّ من الديباج، ﴿**وإستبرقٍ**﴾، وهو ما غلظ منه، ومعنى الغلظ في ثياب الجنة: إحكامه. وعن أبي عمران الجوني قال: السندس هو الديباج المنسوج بالذهب، ﴿**متكئين فيها**﴾، في الجنان، ﴿**على الأرائك**﴾، وهي السُّرر في الحِجَال، واحدتُها أَرِيكَة، ﴿**نِعْمَ الثوابُ**﴾، أي نِعْمَ الجزاء، ﴿**وحَسُنَتْ**﴾، الجنان ﴿**مُرْتَفَقاً**﴾ أي: مجلساً ومقراً.

﴿**واضربْ لهم مثلاً رجلين**﴾ الآية، قيل: نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم، أحدهما مؤمن، وهو أبو سلمة عبدالله بن عبد الأسد بن عبد ياليل[3] [وكان زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ

(١) زاد المسير: ٥/١٣٧.
(٢) المرجع السابق.
(٣) انظر: البحر المحيط: ٦/١٢٤.

والآخر كافر وهو الأسود بن عبد الأسد بن عبد ياليل][1] .

وقيل: هذا مَثَلٌ لعيينة بن حصن وأصحابه مع سلمان، وأصحابه، شبههما برجلين من بني إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس، وقال مقاتل: يمليخا، والآخر كافر واسمه قطروس، وقال وهب: قطفير. وهما اللذان وصفهما الله تعالى في سورة «والصافات»، وكانت قصتهما، على ما حكى عبدالله بن المبارك عن معمر عن عطاء الخراساني قال: كان رجلان شريكين لهما ثمانية آلاف دينار، وقيل: كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها، فعمد أحدهما فاشترى أرضاً بألف دينار، فقال صاحبه: اللهم إن فلاناً قد اشترى أرضاً بألف دينار، فإني أشتري منك أرضاً في الجنة بألف دينار، فتصدق بألف دينار، ثم إن صاحبه بنى داراً بألف دينار، فقال هذا: اللهم إن فلاناً بنى داراً بألف دينار، فإني اشتري منك داراً في الجنة بألف دينار، فتصدق بذلك ثم تزوج صاحبه امرأة فأنفق عليها ألف دينار، فقال هذا المؤمن: اللهم إني أخطب إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار، فتصدق بألف دينار، ثم اشترى صاحبه خدماً ومتاعاً بألف دينار، فقال هذا: اللهم إني أشتري منك متاعاً وخدماً في الجنة بألف دينار، فتصدق بألف دينار، ثم أصابته حاجة شديدة، فقال: لو أتيتُ صاحبي لغله ينالني منه معروف، فجلس على طريقه حتى مرَّ به في حشمه، فقام إليه فنظر إليه الآخر فعرفه، فقال: فلان؟ قال: نعم، فقال: ما شأنك؟ قال: أصابتني حاجة بعدك فأتيتك لتصيبني بخير، فقال: ما فعل مالك وقد اقتسمنا مالاً واحداً[2] وأخذت شطره؟ فقصّ عليه قصته، فقال: وإنك لمن المصدقين بهذا[3]؟ اذهب فلا أعطيك شيئاً، فطرده فقضي لهما أن توفيا، فنزل فيهما: «فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم إني كان لي قرين» (الصافات ـ ٥٠،٥١) .

وروي أنه لما أتاه أخذ بيده وجعل يطوف به ويريه أموال نفسه، فنزل فيهما[4] .

﴿واضرب لهم مثلاً رجلين﴾ اذكر لهم خبر رجلين، **﴿جعلنا لأحدهما جنتين﴾**، بستانين، **﴿من أعناب وحففْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾**، أي: أطفناهما من جوانبهما بنخل، والحِفَاف: الجانب، وجمعه أَحِفَّة، يقال: حفَّ به القوم، أي: طافوا بجوانبه، **﴿وجعلنا بينهما زرعاً﴾**، أي: جعلنا حول الأعناب النخيل، ووسط الأعناب الزرع .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٢) ساقط من « أ » .

(٣) ساقط من «ب» .

(٤) انظر: زاد المسير: ١٣٨/٥ـ١٣٩، البحر المحيط: ١٢٤/٦، تفسير القرطبي: ٣٩٩/١٠ـ٤٠٠. والقصة من رواية الكلبي، وهو ضعيف .

كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ
ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ
وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً
وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾

وقيل: «بينهما» أي بين الجنتين زرعاً، يعني: لم يكن بين الجنتين موضع خراب.

﴿كلتا الجنّتين آتت﴾، أي أعطتْ كلُّ واحدة من الجنتين، ﴿أُكُلَها﴾، ثمرها تاماً، ﴿ولم تَظْلِمْ﴾ لم تنقص، ﴿منه شيئاً، وفجَّرْنا﴾، قرأ العامة بالتشديد، وقرأ يعقوب بتخفيف الجيم، ﴿خِلالهما نَهَراً﴾ يعني: شققنا وأخرجنا وسطهما نهراً.

﴿وكان له﴾، لصاحب البستان، ﴿ثُمر﴾ قرأ عاصم وأبو جعفر ويعقوب: ﴿ثَمَر﴾ بفتح الثاء والميم، وكذلك: «بثمره»، وقرأ أبو عمرو: بضم الثاء ساكنة الميم، وقرأ الآخرون بضمهما.

فمن قرأ بالفتح هو جمع ثَمَرَة، وهو ما تخرجه الشجرة من الثمار المأكولة.

ومن قرأ بالضم فهي الأموال الكثيرة المثمَّرة من كل صنف، جمع ثمار. وقال مجاهد: ذهب وفضة. وقيل: جميع الثمرات.

قال الأزهري: «الثَّمَرَة» تجمع على «ثَمَر»، ويجمع «الثَّمَر» على «ثِمار»، ثم تجمع «الثِّمار» على «ثُمُر»[1].

﴿فقال﴾، يعني صاحب البستان، ﴿لصاحبه﴾، المؤمن، ﴿وهو يُحاوره﴾، يخاطبه ويجاوبه: ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾ أي: عشيرة ورهطاً. وقال قتادة: خدماً وحشماً. وقال مقاتل: ولداً، تصديقه قوله تعالى: «إن ترنِ أنا أقلَّ منك مالاً وولداً» (الكهف ـ ٣٩).

﴿ودخل جنته﴾، يعني الكافر، أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به فيها ويريه أثمارها، ﴿وهو ظالم لنفسه﴾، بكفره، ﴿قال ما أظن أن تَبِيْدَ﴾، تهلك، ﴿هذه أبداً﴾، قال أهل المعاني: راقَهُ حُسنها وغرَّتْهُ زهرتُها، فتوهَّم أنها لا تفنى أبداً، وأنكر البعث.

فقال: ﴿وما أظنُّ الساعةَ قائمةً﴾، كائنة، ﴿ولئن رُدِدْتُ إلى ربي لأجدنَّ خيراً منها مُنْقَلَباً﴾، قرأ أهل الحجاز والشام هكذا على التثنية، يعني من الجنتين، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ الآخرون ﴿منها﴾ أي: من الجنة التي دخلها، ﴿منقلباً﴾ أي: مرجعاً.

---

(١) انظر لسان العرب: ٤/١٠٧ مادة «ثمر».

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾﴾

إن قيل: كيف قال: «ولئن رددت إلى ربي»، وهو منكر البعث؟

قيل: معناه: ولئن رددت إلى ربي ـ على ما تزعم أنت ـ يعطيني هنالك خيراً منها، فإنه لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلا ليعطيني في الآخرة أفضل منها.

﴿قال له صاحبه﴾، المسلم، ﴿وهو يُحاوره أكفرتَ بالذي خلقك من تراب﴾، أي خلق أصلك من تراب، ﴿ثم﴾، خلقك، ﴿من نطفة ثم سوَّاك رجلاً﴾ أي: عدلك بشراً / سوياً ذكراً. ٢١٩/ أ

﴿لكنَّا هو الله ربِّي﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب: «لكنَّا» بالألف في الوصل، وقرأ الباقون بلا ألف، واتفقوا على إثبات الألف في الوقف، وأصله: «لكن أنا»، فحذفت الهمزة طلباً للتخفيف، لكثرة استعمالها، ثم أدغمت إحدى النونين في الأخرى، قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير، مجازه: لكن الله هو ربي، ﴿ولا أشرك بربي أحداً﴾.

﴿ولولا إذْ دخلتَ جنتك﴾، أي: هلا إذ دخلت جنتك، ﴿قلت ما شاء الله﴾ أي: الأمر ما شاء الله. وقيل: جوابه مضمر، أي: ما شاء الله كان، وقوله: ﴿لا قوة إلا بالله﴾، أي: لا أقدر على حفظ مالي أو دفع شيء عنه إلا [بإذن الله](1).

وروي عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان إذا رأى من ماله شيئاً يعجبه أو دخل حائطاً من حيطانه. قال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله(2).

ثم قال: ﴿إن ترنِ أنا أقلَّ منك مالاً وولداً﴾ و«أنا» عماد، ولذلك نصب أقلَّ(3)، معناه: إن ترني أقل منك مالاً وولداً فتكبرت وتعظمت عليّ.

﴿فعسى ربي﴾، فلعلّ ربي، ﴿أن يُؤْتِيَنِ﴾، يعطيني في الآخرة، ﴿خيراً من جنتك ويرسل

---

(1) في «ب»: بالله.
(2) أخرجه سعيد بن منصور، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «شعب الإيمان». انظر: الدر المنثور: ٥/٣٩١.
(3) انظر: تفسير الطبري: ١٥/٢٤٩، زاد المسير: ٥/١٤٥.

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

عليها﴾، أي على جنتك، **﴿حُسْبَاناً﴾**، قال قتادة: عذاباً. وقال ابن عباس رضي الله عنه: ناراً. وقال القتيبي: مرامي[1]. **﴿من السماء﴾**، وهي مثل صاعقة أو شيء يهلكها، واحدتها: «حسبانة»، **﴿فتصبح صعيداً زَلقاً﴾**، أي أرضاً جرداء ملساء لا نبات فيها. وقيل: تزلق فيها الأقدام. وقال مجاهد: رملاً هائلاً.

﴿أو يُصبح ماؤها غوراً﴾، أي: غائراً، منقطعاً ذاهباً، لا تناله الأيدي، ولا الدِّلاء، و«الغور»: مصدرٌ وُضع موضع الاسم، مثل: زور وعدل، **﴿فلن تستطيعَ له طَلَباً﴾**، يعني: إن طلبته لم تجده.

﴿وأُحِيْطَ بثمرِه﴾، أي: أحاط العذاب بثمر جنته، وذلك أن الله تعالى أرسل عليها ناراً فأهلكتها وغار ماؤها، **﴿فأصبح﴾**، صاحبها الكافر، **﴿يقلِّب كفَّيْه﴾**، أي: يصفق بيده على الأخرى، ويقلب كفيه ظهراً لبطن، تأسفاً وتلهفاً، **﴿على ما أنفق فيها وهي خاويةٌ﴾**، أي ساقطة، **﴿على عُرُوشِها﴾**، سقوفها، **﴿ويقولُ ياليتني لم أشركْ بربي أحداً﴾**.

قال الله تعالى: **﴿ولم تكن له فئة﴾**، جماعة، **﴿ينصرونه من دون الله﴾**، يمنعونه من عذاب الله، **﴿وما كان منتصراً﴾**، ممتنعاً منتقماً، أي: لا يقدر على الانتصار لنفسه. وقيل: لا يقدر على ردِّ ما ذهب عنه.

﴿هنالك الوَلاَيَةُ لله الحقِّ﴾، يعني: في القيامة، قرأ حمزة والكسائي **﴿الولاية﴾** بكسر الواو، يعني السلطان، وقرأ الآخرون بفتح الواو، من: الموالاة والنصر، كقوله تعالى: «الله ولي الذين آمنوا» (البقرة ــ ٢٥٧)، قال القتيبي: يريد أنهم يولُّونه يومئذ ويتبرؤون مما كانوا يعبدون.

وقيل: بالفتح: الربوبية، وبالكسر: الإمارة.

﴿الحقُّ﴾ برفع القاف: أبو عمرو والكسائي على نعت الولاية، وتصديقه قراءة أُبيّ: **﴿هنالك الولاية الحق لله﴾**، وقرأ الآخرون بالجر على صفة الله كقوله تعالى: «ثم رُدُّوا إلى الله مولاهم الحقِّ» (الأنعام ــ ٦٢).

---

(١) في «ب»: مراملاً.

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾﴾

﴿هو خيرٌ ثواباً﴾، أفضل جزاء لأهل طاعته لو كان غيره يثيب، ﴿وخيرٌ عقباً﴾، أي: عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره، فهو خير إثابة، «وعاقبة»: طاعة، قرأ حمزة وعاصم ﴿عُقْباً﴾ ساكنة القاف، وقرأ الآخرون بضمها .

قوله تعالى: ﴿واضربْ لهم﴾، يامحمد، أي: لقومك ﴿مَثَلَ الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء﴾، يعني: المطر، ﴿فاختلط به نباتُ الأرضِ﴾، خرج منه كل لون وزهرة، ﴿فأصبح﴾، عن قريب، ﴿هشيماً﴾، يابساً. قال ابن عباس وقال الضحاك: كسيراً. والهشيم: ما يبس وتفتت من النباتات فأصبح هشيماً، ﴿تذروه الرياح﴾، قال ابن عباس: تثيره[1] الرياح. وقال أبو عبيدة: تفرقه. وقال القتيبي تنسفه، ﴿وكان الله على كل شيء مقتدراً﴾، قادراً .

﴿المالُ والبنونَ﴾، التي يفتخر بها عتبة وأصحابه الأغنياء، ﴿زينةُ الحياةِ الدنيا﴾، ليست من زاد الآخرة .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: المال والبنون حَرْث الدنيا، والأعمال الصالحة حرث الآخرة، وقد يجمعها الله لأقوام .

﴿والباقيات الصالحات﴾، اختلفوا فيها، فقال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد: هي قول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر. وقد روينا أن النبي ﷺ قال: «أفضل الكلام أربع كلمات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»[2] .

أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن محمد الحنفي، أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسن الحيري، أخبرنا أبو جعفر عبدالله بن إسماعيل الهاشمي، أنبأنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي، حدثنا أبو معاوية، عن

(١) في «ب»: تديره .

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً في الأيمان والنذور: ١١/٥٦٦، ووصله النسائي من طريق ضرار بن مرة عن أبي صالح عن أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعاً بلفظه، وأخرجه مسلم من حديث سمرة بن جندب: ٣/١٦٧٥ بلفظ: «أحب» بدل: أفضل. وأخرجه ابن حبان من هذا الطريق بلفظ: «أفضل» ولحديث أبي هريرة طرق أخرى أخرجها النسائي، وصححها ابن حبان . انظر: فتح الباري: ١١/٥٦٧ .

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾

الأعمش، عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس»[(١)] .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنبأنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أنبأنا أبو جعفر محمد ابن أحمد بن عبدالجبار، أنبأنا حميد بن زنجويه، حدثنا عثمان عن أبي صالح، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «استكثروا من الباقيات الصالحات»، قيل: وما هن يارسول الله؟ [قال: «الملة» قيل: وما هي يارسول الله؟][(٢)] قال: «التكبير، والتهليل، والتسبيح، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[(٣)] .

وقال سعيد بن جبير، ومسروق، وإبراهيم: «الباقيات الصالحات» هي: الصلوات الخمس. ويروى هذا عن ابن عباس[(٤)] .

وعنه رواية أخرى: أنها الأعمال الصالحة[(٥)] وهو قول قتادة .

قوله تعالى: ﴿خيرٌ عند ربك ثواباً﴾، أي جزاء، المراد ﴿وخيرٌ أملاً﴾، أي ما يأمله الإنسان .

قوله عزّ وجلّ : ﴿ويوم نُسيِّر الجبال﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: «تُسَيَّر» بالتاء وفتح الياء (الجبالُ) رفعٌ، دليله: قوله تعالى: «وإذا الجبال سُيِّرت» (التكوير ـ ٣) .

وقرأ الآخرون بالنون وكسر الياء، «الجبالَ» نصبٌ، وتسييرُ الجبال: نقلُها من مكان إلى مكان .

﴿وترى الأرض بارزةً﴾، أي: ظاهرة، ليس عليها شجر، ولا جبل، ولا نبات، كما قال: «فيذرها قاعاً صَفْصَفاً لا ترى فيها عِوَجاً ولا أَمْتاً» (طه ـ ١٠٧) .

---

(١) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم (٢٦٩٥): ٢٠٧٢/٤. والمصنف في شرح السنة: ٦٠/٥ .

(٢) ما بين القوسين زيادة من «ب» .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٧٥/٣، وابن حبان ص (٥٧٩) من موارد الظمآن، والحاكم: ٥١٢/١ وقال: «هذا أصح إسناد المصريين فلم يخرجاه». قال الهيثمي في المجمع: (٨٧/١٠): «رواه أحمد وأبو يعلى... وإسنادهما حسن». وعزاه المنذري في الترغيب والترهيب: (٤٣١/٢) لأحمد وأبي يعلى والنسائي وابن حبان والحاكم ونقل تصحيحه له .
وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٦٤/٥-٦٥. وفيه دراج عن أبي الهيثم. وهو ضعيف لكن للحديث شواهد .

(٤) انظر: الدر المنثور: ٣٩٩/٥، زاد المسير: ١٤٩/٥ .

(٥) الدر المنثور: ٣٩٩/٥ .

﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾

قال عطاء: هو بُروز ما في باطنها من الموتى وغيرهم، فترى باطن الأرض ظاهراً.

﴿وحشرناهم﴾، جميعاً إلى الموقف والحساب، ﴿فلم نُغادرْ منهم﴾، أي: نترك منهم، ﴿أحداً﴾.

﴿وعُرِضُوا على ربِّك صفاً﴾، أي صفاً صفاً فوجاً فوجاً، لا أنهم صف واحد. وقيل: قياماً، ثم يقال لهم، يعني الكفار: ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة﴾، يعني أحياءً، وقيل: فُرادى كما ذكر في سورة الأنعام[1]. وقيل: غرلاً.

﴿بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً﴾، يوم القيامة، يقوله لمنكري البعث.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا معلى بن أسد، حدثنا وهب عن ابن طاووس، عن أبي هريرة رضي / الله عنه ٢١٩/ب عن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ الناسُ على ثلاثِ طرائقَ، راغبينَ وراهبينَ، واثنان على بعير، وثلاثةٌ على بعير، وأربعةٌ على بعير، وعَشَرَةٌ على بعير، وتحشر بَقِيَّتَهُم النارُ، تَقِيْل معهم حيث قالوا، وتَبيتُ معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أَمْسَوا»[2].

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سفيان بن المغيرة بن النعمان، حدثني سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إنكم محشورون حفاةً عراةً غُرْلاً»، ثم قرأ، «كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنّا كنا فاعلين» (الأنبياء ـ ١٠٤)، وأول من يُكْسَىٰ يومَ القيامة إبراهيمُ، وإن ناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول أصحابي أصحابي، فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدِّين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: «وكنتُ عليهم شهيداً ما دمتُ فيهم» إلى قوله: «العزيز الحكيم»[3] (المائدة ١١٧ـ١١٨).

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، [أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي][4] أخبرنا أبو القاسم جعفر

(١) انظر تفسير الآية (٩٤) من سورة الأنعام: /

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق، باب الحشر: ٣٧٧/١١، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، برقم (٢٨٦١): ٢١٩٥/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٢٤/١٥ـ١٢٥.

(٣) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قول الله تعالى: «واتخذ الله إبراهيم خليلاً»: ٣٨٦/٦، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان يوم الحشر، برقم (٢٦٨٠): ٢١٩٤/٤ـ٢١٩٥، والمصنف في شرح السنة: ١٢٣/١٥.

(٤) ساقط من «أ».

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾

ابن محمد بن المغلّس، ببغداد، حدثنا هارون بن إسحاق الهمذاني، أنبأنا أبو خالد الأحمر، عن حاتم بن أبي صغير، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: قلت يارسول الله كيف يحشر الناس يوم القيامة؟ قال: «عُراةً حفاةٍ»، قالت: قلت والنساء؟ قال: «والنساء» قالت: قلت يارسول الله نستحي، قال: «ياعائشة الأمر أشد من ذلك أن يَهُمَّهُم أن ينظر بعضُهم إلى بعضٍ»(١) .

قوله عزّ وجلّ : ﴿ووُضع الكتاب﴾، يعني: كتب [أعمال العباد](٢) توضع في أيدي الناس، في أيمانهم وشمائلهم، وقيل: معناه توضع بين يدي الله تعالى. ﴿فترى المجرمين مشفقين﴾، خائفين، ﴿مما فيه﴾، من الأعمال السيئة، ﴿ويقولون﴾، إذا رأوها، ﴿ياويلتنا﴾، ياهلاكنا، و«الويل» و«الويلة»: الهلكة، وكل من وقع في هلكة دعا بالويل، ومعنى النداء تنبيه المخاطبين، ﴿مال هذا الكتابِ لا يُغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً﴾، من ذنوبنا. قال ابن عباس: «الصغيرة»: التبسم، و«الكبيرة»: القهقهة. وقال سعيد بن جبير: «الصغيرة»: اللمم، واللمس، والقبلة، و«الكبيرة»: الزنا. ﴿إلاّ أحصاها﴾، عدَّها(٣)، قال السدي: كتبها وأثبتها. قال مقاتل بن حيان: حفظها .

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أنبأنا أبو العباس عبدالله بن محمد بن هارون الطيسفوني، أنبأنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي، أنبأنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو بن بسطام، أنبأنا أبو الحسن أحمد بن يسار القرشي، حدثنا يوسف بن عدي المصري، حدثنا أبو ضمرة أنس بن عياض، عن أبي حازمٍ قال: لا أعلمه إلاّ عن سهل بن سعدٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «إيّاكم ومحقَّراتِ الذنوب، فإنما مَثَلُ محقَّراتِ الذنوب مَثَلُ قومٍ نزلوا بطنَ وادٍ فجاء هذا بعودٍ، وجاء هذا بعودٍ، فأنضجوا خُبزَتَهُمْ، وإنَّ محقراتِ الذنوبِ لَمُوبقاتٌ»(٤) .

---

(١) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر، برقم (٢٨٥٩): ١٥/١٢٤ .

(٢) في «ب»: أعمالهم .

(٣) ساقط من «ب» .

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند: ٥/٣٣١، ورجاله رجال الصحيح، ورواه الطبراني في الثلاثة من طريقين، ورجال أحدهما رجال الصحيح غير عبدالوهاب بن عبدالحكم وهو ثقة. انظر: مجمع الزوائد: ١٠/١٩٠، . وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٤/٣٩٩ .

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿ووجدوا ما عَمِلُوا حاضراً﴾، مكتوباً مثبتاً في كتابهم، ﴿ولا يَظْلِمُ ربُّك أحداً﴾، أي لا ينقص ثواب أحد عمل خيراً.

وقال الضحاك: لا يؤاخذ أحداً بجرم لم يعمله.

وقال عبدالله بن قيس: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما العرضتان: فجدال ومعاذير، وأما العرضة الثالثة: فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فآخِذٌ بيمينه، وآخذ بشماله» ورفعه بعضهم عن أبي موسى[(١)].

قوله عزّ وجلّ: ﴿وإذْ قلنا للملائكة اسجدُوا لآدم﴾، يقول: واذكر يامحمد إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، ﴿فسجدوا إلا إبليس كان من الجن﴾، قال ابن عباس: كان من حي من الملائكة يقال لهم الجن، خُلقوا من نار السموم[(٢)]. وقال الحسن: كان من الجن ولم يكن من الملائكة، فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس[(٣)]، ﴿ففسق﴾، أي خرج، ﴿عن أمر ربه﴾، عن طاعة ربه، ﴿أفتتخذونه﴾، يعني يابني آدم ﴿وذريّتَهُ أولياءَ من دوني، وهم لكم عدوٌّ﴾، أي أعداء.

---

(١) أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في العرض: ١١١/٧ عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً، وقال: «ولا يصح هذا الحديث من قِبَل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة [فهو منقطع] وقد رواه بعضهم عن عليٍّ بن علي، وهو الرفاعي عن الحسن عن أبي موسى عن النبي ﷺ».
ومن هذا الوجه رواه ابن ماجه في الزهد، برقم (٤٢٧٧): ١٤٣٠/٢، قال في الزوائد: «إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع...»
والإمام أحمد في المسند: ٤١٤/٤.
وأخرجه البيهقي في «البعث» بسند حسن عن عبدالله بن مسعود موقوفاً.
انظر: فتح الباري: ٤٠٣/١١.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٠٢/١ (دار المعارف).

(٣) أخرجه الطبري: ٥٠٦/١ وقال ابن كثير: (٨٩/٣) هذا إسناد صحيح عن الحسن. هذا، وقد رجح الطبري رحمه الله الرأي الأول، وكأنه رجح غير الراجح كما فعل المصنف في: ٨٢/١ (من هذه الطبعة).
وظاهر القرآن أن إبليس كان من الجن، وأنه خلق من نار، وإذا أطلقت كلمة الجن فإنها تنصرف إلى الجن المعهودين، وليس إلى قبيل من الملائكة اسمهم «الجن»، وإن كان غير مستنكر أن يخلق الله خلقاً من الملائكة يقال لهم «الجن» من نار السموم، ولكن لم يقم الدليل على صحة ذلك... ولذلك بعد أن عرض الحافظ ابن كثير الروايات في ذلك قال: (٩٠/٣): «وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف، إشارة إلى الروايات عن ابن عباس أن إبليس من الملائكة الذين خلقوا من نار واسمهم الجن ـ وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها، ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق =

روى مجالد عن الشعبي قال: إني لقاعد يوماً إذْ أقبل رجل فقال: أخبرني هل لإبليس زوجة؟ قلت: إن ذلك العرس ما شهدته، ثم ذكرت قوله تعالى: ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني﴾، فعلمت أنه لا تكون الذرية إلا من الزوجة، فقلت: نعم.

وقال قتادة: يتوالدون كما يتوالد بنو آدم.

وقيل: إنه يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين.

قال مجاهد: من ذرية إبليس: «لاقيس» و«ولهان»، وهما صاحبا الطهارة والصلاة، و«الهفاف» و«مُرَّة» وبه يكنى، و«زَلَنْبُور» وهو صاحب [الأسواق، يزين اللغو والحلف الكاذبة ومدح السلع، و«ثبر» وهو صاحب المصائب][(1)] يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب، و«الأعور» وهو صاحب الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعجز المرأة، و«مطوس» وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس، لا يجدون لها أصلاً، و«داسم» وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله بصره من المتاع مالم يرفع أو يحتبس موضعه، وإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه[(2)].

قال الأعمش: ربما دخلت البيت ولم أذكر اسم الله ولم أسلم، فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصمتهم، ثم أذكر اسم الله فأقول: داسم داسم[(3)].

وروي عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال: «إن للوضوء شيطاناً يقال له الولهان. فاتقوا وسواس الماء»[(4)].

= الذي بأيدينا، وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان. وقد وضع فيها أشياء كثيرة، وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء والسادة والأتقياء، والبررة، والنجباء من الجهابذة النقاد، والحفاظ الجياد الذين دوّنوا الحديث وحرروه، وبينوا صحيحه من حسنه من ضعيفه من منكره وموضوعه ومتروكه ومكذوبه، وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين، وغير ذلك من أصناف الرجال. كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدي، خاتم الرسل، وسيد البشر ﷺ، أن ينسب إليه كذب، أو يحدث عنه بما ليس منه، فرضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم».

(1) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(2) أخرج ذلك عن مجاهد، الطبري: ٢٦٢/١٥، وذكرها ابن الجوزي: ١٥٤/٥ وغيره، وفي هجاء بعض الأسماء خلاف لم نشر إليه، إذ لا فائدة في ذلك، وكل هذه الروايات لا يصح لها إسناد إلى المعصوم فنحن في غنية عنها. والله أعلم.

(3) الطبري: ٢٦٢/١٥، أي يقول في نفسه إن «داسم» هو الذي بصّره بالمتاع.

(4) أخرجه الترمذي في الطهارة، باب كراهية الإسراف في الماء: ١٨٨/١-١٨٩، وابن ماجه في الطهارة، باب ما جاء في القصد في الوضوء: ١٤٦/١، وأحمد في المسند: ١٣٦/٥، والمصنف في شرح السنة: ٥٣/٢.
قال الترمذي في الموضع السابق: حديث أُبَيّ حديث غريب، وليس إسناده بالقويّ والصحيح عند أهل الحديث؛ لأنا لا نعلم أحداً أسنده غيرَ خارجة.
وقد روي هذا الحديث من غير وجهٍ عن الحسن من قوله، ولا يصح في هذا الباب عن النبي ﷺ شيء. وخارجة ليس بالقوي عند أصحابنا، وضعفه ابن المبارك». =

﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنبأنا عبد الغافر بن محمد، أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي، أنبأنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنبأنا مسلم بن الحجاج، حدثنا يحيى بن خلف الباهلي، أنبأنا عبد الأعلى، عن سعيد الجُرَيْرِيِّ، عن أبي العلاء؛ أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي ﷺ فقال: يارسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي، يَلْبِسُها عليَّ، فقال رسول الله ﷺ : «ذاك شيطان يقال له خِنْزِبٌ، فإذا أَحْسَسْتَه فتعوَّذْ بالله منه، واتْفُلْ عن يسارك ثلاثاً» قال: ففعلتُ ذلك فأذهبه الله عني(١) .

وأخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنبأنا عبد الغافر بن محمد، حدثنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنبأنا مسلم بن الحجاج، حدثنا أبو كريب محمد بن علاء، أنبأنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبليس يضع عَرْشَه على الماء ثم يبعث سَرَايَاه، فأدناهم منه منزلةً أعظمُهم فتنةً، يجيء أحدُهم فيقول: فعلتُ كذا وكذا، فيقول: ما صنعتَ شيئاً، قال: ثم يجيء أحدُهم فيقول: ما تركتُه حتى فَرَّقْتُ بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه، ويقول: نِعْمَ أنت». قال الأعمش أُراه قال: فَيَلْتَزِمُه(٢) .

قوله تعالى : ﴿بئس للظالمين بدلاً﴾، قال قتادة: بئس ما استبدلوا طاعة إبليس وذريته بعبادة ربهم .

٢٢٠/ أ ﴿ما أَشْهَدتُهم﴾، ما أحضرتهم، وقرأ أبو / جعفر «ما أشهدناهم» بالنون والألف على التعظيم، أي: أحضرناهم، يعني إبليس وذريته. وقيل: الكفار. وقال الكلبي: يعني الملائكة، ﴿خلق السموات والأرض ولا خلْقَ أنفسهم﴾، يقول: ما أَشهدتهم خلقاً فأستعين بهم على خلقها وأُشاورهم فيها، ﴿وما كنتُ متَّخِذَ المضلِّين عَضُداً﴾، أي: الشياطين الذين يضلون الناس عضداً، أي: أنصاراً وأعواناً .

= وقال الذهبي في «ميزان الاعتدال»: (٦٢٥/١): خارجة بن مصعب: وهّاه أحمد، وقال ابن معين: ليس بثقة، كذاب... انفرد بخبر «إن للوضوء شيطاناً يقال له الولهان» .

(١) أخرجه مسلم في السلام، باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة، برقم (٢٢٠٣): ١٧٢٨/٤-١٧٢٩ .

(٢) أخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه، برقم (٢٨١٣): ٢١٦٧/٤، والمصنف في شرح السنة: ٤١٠/١٤ .

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿ويوم يقول﴾ قرأ حمزة بالنون والآخرون بالياء، أي: يقول الله لهم يوم القيامة: ﴿نادوا شركائي﴾، يعني الأوثان ﴿الذين زعمتم﴾، أنهم شركائي، ﴿فدَعَوْهم﴾، فاستغاثوا بهم، ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾، أي لم يجيبوهم ولم ينصروهم، ﴿وجعلنا بينهم﴾، يعني: بين الأوثان وعبدتها. وقيل: بين أهل الهدى وأهل الضلالة، ﴿مَوْبِقاً﴾ مهلكاً، قاله عطاء والضحاك. وقال ابن عباس: هو وادٍ في النار. وقال مجاهد: واد في جهنم.

وقال عكرمة: هو نهر في النار، يسيل ناراً، على حافته حيَّات مثل البغال الدُّهْم.

قال ابن الأعرابي: وكل حاجز بين شيئين فهو مَوْبِق، وأصله الهلاك يقال: أوبقه، أي: أهلكه.

قال الفراء: وجعلنا تواصلهم في الدنيا مهلكاً لهم في الآخرة، والبين على هذا القول التواصل كقوله تعالى: «لقد تقطَّع بينُكم» (الأنعام ـ ٩٤). على قراءة من قرأ بالرفع[١].

﴿ورأى المجرمون النار﴾، أي: المشركون، ﴿فظنوا﴾، أيقنوا، ﴿أنهم مواقعوها﴾، داخلوها وواقعون فيها، ﴿ولم يجدوا عنها مَصْرِفاً﴾، معدلاً، لأنها أحاطت بهم من كل جانب.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ولقد صرّفنا﴾، بيّنا، ﴿في هذا القرآنِ للناس من كل مَثَلٍ﴾، أي ليتذكروا ويتعظوا، ﴿وكان الإنسان أكثرَ شيءٍ جدلاً﴾، خصومة في الباطل.

قال ابن عباس: أراد النضر بن الحارث وجداله في القرآن.

قال الكلبي: أراد به أُبيّ بن خلف الجمحي[٢].

وقيل: المراد من الآية الكفار، لقوله تعالى: «ويجادل الذين كفروا بالباطل» (الكهف ـ ٥٦).

وقيل: هي على العموم، وهذا أصح.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، أنبأنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، أنبأنا علي بن الحسين، أن

---

(١) انظر في هذه الأقوال: زاد المسير: ٥/١٥٨ـ١٥٩.
(٢) زاد المسير: ٥/١٥٩.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ
ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟
ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ
مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن
تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾

الحسين بن علي أخبره: أن علياً أخبره أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ليلة، فقال: «ألاَ تُصلّيان؟ فقلت: يارسول الله إن أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله ﷺ حين قلتُ له ذلك ولم يُرجعْ إليّ شيئاً، ثم سمعته وهو مولٍّ يضرب فخذه وهو يقول: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾[1].

قوله عزّ وجلّ: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذْ جاءَهُمُ الهُدَىٰ﴾، القرآن، والإسلام، والبيان من الله عزّ وجلّ، وقيل: إنه الرسول ﷺ. ﴿ويستغفروا ربّهم إلاّ أن تأتيهم سُنّةُ الأولين﴾، يعني: سنتنا في إهلاكهم إن لم يؤمنوا.

وقيل: إلا طَلَبُ أن تأتيهم سنة الأولين من معاينة العذاب، كما قالوا: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطِرْ علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» (الأنفال ــ ٣٢).

﴿أو يأتيهم العذاب قُبُلاً﴾، قال ابن عباس: أي: عياناً من المقابلة. وقال مجاهد: فجأة، وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة: ﴿قُبلاً﴾ بضم القاف والباء، جمع قبيل أي: أصناف العذاب نوعاً نوعاً.

﴿وما نُرسل المرسلين إلاّ مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل﴾، ومجادلتهم قولهم: «أبعث الله بشراً رسولاً» (الإسراء ــ ٩٤). «ولولا نُزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» (الزخرف ــ ٣١)، وما أشبهه، ﴿لِيُدْحِضُوا﴾، ليبطلوا، ﴿به الحقّ﴾، وأصل الدحض الزلق يريد ليزيلوا به الحق، ﴿واتخذوا آياتي وما أُنذِرُوا هزواً﴾، فيه إضمار يعني وما أنذروا به وهو القرآن، هزواً أي استهزاء.

﴿ومن أظلم ممن ذُكِّر﴾، وعُظ، ﴿بآيات ربه فأعرض عنها﴾، تولى عنها وتركها ولم يؤمن

(١) أخرجه البخاري في التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على قيام الليل والنوافل من غير إيجاب: ٣/١٠.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ۝٥٨ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۝٦٠﴾

بها، **﴿ونسي ما قدمت يداه﴾**، أي: ما عمل من المعاصي من قبل، **﴿إنّا جعلنا على قلوبهم أكِنَّةً﴾**، أغطية، **﴿أن يفقهوه﴾**، أي: يفهموه يريد لئلا يفهموه، **﴿وفي آذانهم وَقْراً﴾**، أي صمماً وثقلاً، **﴿وإن تَدْعُهُمْ﴾**، يامحمد **﴿إلى الهدى﴾**، إلى الدين، **﴿فلن يهتدوا إذاً أبداً﴾**، وهذا في أقوام علم الله منهم أنهم لا يؤمنون.

﴿وربُّك الغفورُ ذُو الرحمة﴾، ذو النعمة **﴿لو يُؤاخذهم﴾**، يعاقب الكفار، **﴿بما كسبوا﴾**، من الذنوب **﴿لعجّل لهم العذاب﴾**، في الدنيا، **﴿بل لهم موعد﴾**، يعني البعث والحساب[1]، **﴿لن يجدوا من دونه موئلاً﴾**، ملجأ.

﴿وتلك القرى أهلكناهم﴾، يعني: قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم، **﴿لمّا ظلموا﴾**، كفروا، **﴿وجعلنا لِمَهْلِكِهِم موعداً﴾**، أي: أجلاً، قرأ أبو بكر **﴿لمَهْلَكِهِم﴾** بفتح الميم واللام، [وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام، وكذلك في النمل «مهلك» أي لوقت هلاكهم][2]، وقرأ الآخرون بضم الميم وفتح اللام أي: لإهلاكهم.

قوله عزّ وجلّ: **﴿وإذ قال موسى لفتاه لا أبرحُ حتى أبلغَ مَجْمَعَ البحرينِ﴾**، عامة أهل العلم قالوا: إنه موسى بن عمران. وقال بعضهم: هو موسى بن ميشا من أولاد يوسف، والأول أصح.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو بن دينار، أخبرني سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نَوْفاً البَكَالِيّ يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدو الله[3]، حدثنا أُبيّ بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) في «ب»: النشور.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) قال الحافظ ابن حجر نقلاً عن ابن التين: «لم يرد ابن عباس إخراج نوف عن ولاية الله، ولكن قلوب العلماء تنفر إذا سمعت غير الحق، فيطلقون أمثال هذا الكلام لقصد الزجر والتحذير منه، وحقيقته غير مرادة».
ثم قال ابن حجر: «ويجوز أن يكون ابن عباس اتهم نوفاً في صحة إسلامه، فلهذا لم يقل في حقّ الحر بن قيس هذه المقالة مع تواردهما عليه». فتح الباري: (١/٢١٩).

«إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعَتَبَ الله عليه، إذْ لم يَرُدَّ العلمَ إليه، فأوحى الله إليه أنَّ لي عبداً بمجمع البحرين، هو أعلم منك، قال موسى: ياربِّ فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مِكْتَل فحيث ما فقدت الحوت فهو ثَمَّ. فأخذ حوتاً فجعله في مكتل ثم انطلق، وانطلق معه فتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سَرَباً، وأمسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق[١]، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد، قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نَصَباً، قال: ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أُمِرَ به[٢]، وقال له فتاه: أرأيتَ إذْ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله في البحر عجباً، قال: فكان للحوت سرباً ولموسى ولفتاه عجباً، وقال موسى: ذلك ما كنا نبغ. قال: رجعا يقصّان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجًّى بثوب، فسلَّم عليه موسى، فقال الخضر عليه السلام: وأنّى بأرضك السلام، فقال: أنا موسى، قال: موسى بني
٢٢٠/ب / إسرائيل؟ قال: نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً، قال: إنك لن تستطيع معي صبراً ياموسى، إني على علمٍ من علم الله علَّمَنِيْهِ لا تعلمه أنت، وأنت على علمٍ من علم الله علمك الله، لا أعلمُه، فقال موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً، فقال له الخضر: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أُحْدِث لك منه ذكراً، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرّت سفينة فكلَّموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نَوْلٍ، فلما ركبا في السفينة لم يضح إلاّ والخضر قد قلع[٣] لوحاً من ألواح السفينة بالقَدُوم، فقال له موسى: قد حملونا بغير نَوْلٍ عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟ لقد جئت شيئاً إمراً!، قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال: لا تؤاخذني بما نسيتُ ولا تُرهقني من أمري عُسراً، قال: وقال رسول الله ﷺ: «كانت الأولى من موسى نسياناً [والوسطى شرطاً والثالثة عمداً»][٤]، قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نَقْرَةً فقال له الخضر: ما [نقص][٥] علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة، فبينا هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر

---

(١) الطاق: عقد البناء، وما عقد أعلاه من البناء وبقي تحته خالياً، أو هي: الكوة .

(٢) في «ب»: أمره الله به .

(٣) في «ب»: خرق .

(٤) ساقطة من نسخة « أ » .

(٥) ساقط من « أ » .

غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله[١]، فقال له موسى: أقتلت نفساً زكية بغير نفس؟ لقد جئت شيئاً نكراً، قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال: وهذه أشد من الأولى، قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني، قد بلغتَ من لَدُنّي عذراً، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبَوْا أن يضيفوهما، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض، فأقامه، قال: كان مائلاً، فقال الخضر بيده فأقامه، فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا، ولم يضيفونا، لو شئت لاتخذت عليه أجراً، قال: «هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبراً» فقال رسول الله ﷺ: «وَدِدْنا أنَّ موسى كان صبر حتى يُقَصَّ علينا من خبرهما»[٢].

قال سعيد بن جبير: فكان ابن عباس يقرأ: «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة[٣] غصباً»، وكان يقرأ: «وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين»[٤].

وعن سعيد بن جبير في رواية أخرى عن ابن عباس عن أُبيّ بن كعب، قال رسول الله ﷺ: «[قام موسى][٥] رسول الله فذكَّر الناس يوماً حتى إذا فاضتِ العيون ورقَّتِ القلوب ولَّى فأدركه رجل فقال: أيْ رسولَ الله هل في الأرض أحد أعلم منك؟ قال لا ــ فعَتَبَ الله عليه، إذ لم يردَّ العلمَ إلى الله ــ قيل: بلى [عبدنا الخضر][٦] قال: أي ربِّ وأين؟ قال: بمجمع البحرين، [قال: ربِّ اجعل لي علماً أعلم بك منه][٧] قال: خذ حوتاً ميِّتاً حيث ينفخ فيه الروح، وفي رواية قيل له: تزود حوتاً مالحاً فإنه حيث تفقد الحوت، فأخذ حوتاً فجعله في مكتل»[٨].

رجعنا إلى التفسير؛ قوله عزّ وجلّ: ﴿**وإذْ قال موسى لفتاه**﴾، يوشع بن نون، ﴿**لا أبرح**﴾، أي لا أزال أسير[٩] ﴿**حتى أبلغ مجمع البحرين**﴾، قال قتادة: بحر فارس وبحر[٩] الروح، مما يلي المشرق. وقال محمد بن كعب: طنجة. وقال أُبيّ بن كعب: أفريقية[١٠].

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) أخرجه البخاري في العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم، فيكل العلم إلى الله: ١/٢١٧-٢١٨، ومسلم في الفضائل، باب فضائل الخضر: ٤/١٨٤٧-١٨٥٠.

(٣) ساقط من «ب».

(٤) صحيح مسلم: ٤/١٨٥٠.

(٥) ساقط من «أ».

(٦) زيادة من «أ» وليست في الصحيح.

(٧) ما بين القوسين من صحيح البخاري.

(٨) أخرج هذه الرواية البخاري في تفسير سورة الكهف، باب «فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما...» ٨/٤١١-٤١٢.

(٩) ليست في «أ».

(١٠) انظر: زاد المسير: ٥/١٦٤، قال الحافظ في الفتح: ٨/٤١٠، والسند إلى أبي بن كعب، ضعيف، وهذا اختلاف شديد.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۝٦١ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ۝٦٢﴾

﴿أو أمضي حُقُباً﴾، وإن كان حُقُباً أي دهراً طويلاً وزماناً، وجمعه أحقاب، والحُقب: جمع الحَقب. قال عبدالله بن عمر: والحقب ثمانون سنة، فحملا خبزاً وسمكة مالحة حتى انتهيا إلى الصخرة التي عند مجمع البحرين ليلاً وعندها عين تسمى ماء الحياة لا يصيب ذلك الماء شيئاً إلا حي، فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده[1] اضطربت في المكتل وعاشت ودخلت البحر.

فذلك قوله تعالى: ﴿فلما بلغا﴾، يعني موسى وفتاه، ﴿مجمع بينهما﴾ أي: بين البحرين، ﴿نسيا﴾، تركا، ﴿حوتهما﴾، وإنما كان الحوت مع يوشع، وهو الذي نسيه، وأضاف النسيان إليهما لأنهما جميعاً تزوّداه لسفرهما، كما يقال: خرج القوم إلى موضع كذا، وحملوا من الزاد كذا، وإنما حمله واحد منهم.

﴿فاتخذ﴾، أي الحوت، ﴿سبيله في البحر سرباً﴾، أي مسلكاً. [وروي عن أُبيّ ابن كعب عن رسول الله ﷺ: «انجاب الماء عن مسلك][2] الحوت فصار كوة لم يلتئم، فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فإذا هو بالخضر»[3].

قال ابن عباس: جعل الحوت لا يمس شيئاً من البحر إلا يبس حتى صار صخرة[4].

وقال الكلبي: توضأ يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح على الحوت المالح في المكتل من ذلك الماء فعاش ثم وثب في ذلك الماء فجعل يضرب بذنبه فلا يضرب بذنبه شيئاً من الماء وهو ذاهب إلا يبس.

وقد روينا أنهما لما انتهيا إلى الصخرة، وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت فخرج وسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ موسىٰ نسي صاحبه أن يخبره فانطلقا حتى إذا كان من الغد[5].

قوله تعالى: ﴿فلما جاوزا﴾، يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين، ﴿قال﴾، موسى، ﴿لفتاه آتنا غداءنا﴾، أي طعامنا، والغداء ما يعد للأكل غدوة، والعشاء ما يعد للأكل عشية، ﴿لقد لقينا

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) انظر: الدر المنثور: ٤٢٣/٥، ابن كثير: ٩٣/٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٩٣/٣.

(٥) انظر: البخاري ٤٢٣/٨.

قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾

من سفرنا هذا نصباً﴾، أي: تعباً وشدة، وذلك أنه ألقي على موسى الجوع بعد مجاوزة الصخرة، ليتذكر الحوت ويرجع إلى مطلبه.

﴿قال﴾ له فتاه وتذكَّر ﴿أرأيتَ إذْ أوينا إلى الصخرة﴾، وهي صخرة كانت بالموضع الموعود، قال معقل بن زياد: هي الصخرة التي دون نهر الزيت، ﴿فإني نسيتُ الحوتَ﴾، أي تركته وفقدته، وذلك أن يوشع حين رأى ذلك من الحوت قام ليدرك موسى فيخبره، فنسي أن يخبره، فمكثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد.

قيل في الآية إضمار، معناه: نسيت أن أذكر لك أمر الحوت، ثم قال:

﴿وما أنسانيه إلاّ الشيطان أن أذكره﴾، أي: وما أنسانيه أن أذكر لك أمر الحوت إلاّ الشيطان، وقرأ حفص: ﴿أنسانيهُ﴾، وفي الفتح: «عليهُ اللهَ» بضم الهاء.

وقيل معناه أنسانية لئلا أذكره.

﴿واتخذ سبيله في البحر عَجَباً﴾، قيل: هذا من قول يوشع، ويقول: طفر الحوت إلى البحر، فاتخذ فيه مسلكاً، فعجبت من ذلك عجباً.

وروينا في الخبر: كان للحوت سرباً ولموسى وفتاه عجباً[1].

وقيل: هذا من قول موسى لما قال له يوشع واتخذ سبيله في البحر، قال له موسى: عجباً، كأنه قال: أعجب عجباً.

قال ابن زيد: أي شيء أعجب من حوت يؤكل منه جهراً[2]، ثم صار حياً بعدما أُكِل بعضُه؟.

﴿قال﴾، موسى، ﴿ذلك ما كنا نبغ﴾، أي نطلب، ﴿فارتدّا على آثارِهما قَصَصاً﴾ أي: رجعا يقصان الأثر الذي جاء منه، أي: يتبعانه، فوجدا عبداً من عبادنا، قيل: كان مَلَكاً من الملائكة،

(١) في رواية البخاري: «... فوجدا في البحر كالطّاق ممّر الحوت، فكان لفتاه عجباً، وللحوت سَرَباً» كتاب التفسير؛ باب «قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة»: ٨/٤٢٣.

(٢) في «ب»: دهراً.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥﴾

٢٢١/ أ والصحيح الذي جاء في التواريخ، وثبت عن النبي ﷺ / أنه الخضر[١]، واسمه بَلْيَا بنُ مَلْكَان[٢]، قيل: كان من نسل بني إسرائيل. وقيل: كان من أبناء الملوك الذين تزهدوا في الدنيا. والخضر لقب له سمي بذلك لِما :

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي، أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، حدثنا أحمد بن يوسف السلمي، حدثنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال، حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما سُمي خَضِرَاً لأنه جلس على فروةٍ بيضاء فإذا هي تهتزُّ تحته خضراء»[٣] .

قال مجاهد: سمي خضراً لأنه إذا صلى اخضر ما حوله .

وروينا: أن موسى رأى الخضر مسجى بثوب فسلم عليه فقال الخضر: وأنَّى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً[٤] .

وفي رواية أخرى لقيه مسجى بثوب مستلقياً على قفاه بعض الثوب تحت رأسه وبعضه تحت رجليه. وفي رواية لقيه وهو يصلي. ويروى لقيه على طنفسة خضراء على كبد البحر، فذلك قوله تعالى :

﴿فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة﴾، أي نعمة، **﴿من عندنا وعلَّمناه من لَدُنَّا علماً﴾**، أي علم الباطن إلهاماً، ولم يكن الخضر نبياً عند أكثر أهل العلم[٥] .

---

(١) تقدم ذلك في الأحاديث السابقة، وانظر: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليه السلام: ٦/٤٣١ـ٤٣٣، وهو بفتح الخاء وكسر الضاد، ويجوز إسكان الضاد مع كسر الخاء وفتحها .

(٢) انظر: المعارف لابن قتيبة ص ٤٢، تهذيب الأسماء واللغات للنووي: ١/١٧٦، فتح الباري: ٦/٤٣٣ .

(٣) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى: ٦/٤٣٣ .

(٤) تقدم تخريج هذه الرواية والتي تليها .

(٥) بين أهل العلم خلاف في شأن الخضر، هل هو بني أم لا؟ وفي كونه باقياً إلى الآن ثم إلى يوم القيامة، ومال ابن الصلاح إلى بقائه، وذكروا في ذلك حكايات وآثاراً عن السلف وغيرهم، وجاء في ذكره في بعض الأحاديث ـ أي بقاؤه حياً ـ ولا يصح شيء من ذلك، وأشهرها حديث التعزية، وإسناده ضعيف، ورجح آخرون من المُحَدِّثين خلاف ذلك، وبأنه لم ينقل أنه جاء إلى رسول الله ﷺ ولا حضر عنده، ولا قاتل معه، ولو كان حياً لكان من أتباع النبي ﷺ وأصحابه، لأنه عليه السلام كان مبعوثاً إلى جميع الثقلين: الجن والإنس، وقد قال: «لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعي»، وأخبر قبل موته بقليل: أنه لا يبقى ممن هو على وجه الأرض إلى مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف إلى غير ذلك من الدلائل . انظر: تفسير ابن كثير: ٣/١٠٠ـ١٠١، تفسير القرطبي: ١١/٤١ـ٤٤، المنار المنيف لابن القيم ص (٦٧ـ٧٦) مع تعليق المحقق، فتح الباري: ٦/٤٣٤ـ٤٣٦، الزهر النضر في نبأ الخضر، للحافظ ابن حجر العسقلاني، وهي رسالة منشورة في مجموعة الرسائل المنيرية: ٢/١٩٥ـ٢٣٤، تهذيب الأسماء واللغات، للنوي: ١/١٧٦ـ١٧٧ .

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن
تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ
حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾

فلما ﴿**قال له موسى هل أتبعك**﴾ يقول: جئتك لأتبعك وأصحبك، ﴿**على أن تعلِّمَنِ مما عُلِّمْتَ رشداً**﴾، قرأ أبو عمرو ويعقوب: ﴿**رَشَداً**﴾ بفتح الراء والشين، وقرأ الآخرون: بضم الراء وسكون الشين، أي صواباً. وقيل: علماً ترشدني به .

وفي بعض الأخبار أنه لما قال له موسى هذا قال له الخضر: كفى بالتوراة علماً وببني إسرائيل شغلاً، فقال له موسى: إن الله أمرني بهذا فحينئذ :

﴿**قال**﴾، الخضر، ﴿**إنك لن تستطيع معي صبراً**﴾، وإنما قال ذلك لأنه علم أنه يرى أموراً منكرة، ولا يجوز للأنبياء أن يصبروا على المنكرات، ثم بيّن عذره في ترك الصبر، فقال:

﴿**وكيف تصبرُ على مالم تُحطْ به خُبْراً**﴾، أي علماً .

﴿**قال**﴾، موسى، ﴿**ستجدني إن شاء الله صابراً**﴾، إنما استثنى لأنه لم يثق من نفسه بالصبر ﴿**ولا أعصي لك أمراً**﴾، أي: لا أخالفك فيما تأمر .

﴿**قال فإن اتبعتني**﴾، فإن صحبتني، ولم يقل: اتبعني، ولكن جعل الاختيار إليه إلا أنه شرط عليه شرطاً فقال: ﴿**فلا تسألني**﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر بفتح اللام وتشديد النون، والآخرون بسكون اللام وتخفيف النون، ﴿**عن شيء**﴾ أعمله مما تنكره ولا تعترض عليه، ﴿**حتى أُحْدِثَ لك منه ذكراً**﴾، حتى أبتدىء لك بذكره فأبيّن لك شأنه .

﴿**فانطلقا**﴾، يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانها، فوجدا سفينة فركباها، فقال أهل السفينة: هؤلاء لصوص، وأمروهما بالخروج، فقال صاحب السفينة: ما هم بلصوص، ولكني أرى وجوه الأنبياء .

وروينا عن أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ: «مرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً
بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

الخَضِرَ، فحملوهم بغير نَوْل، فلما لججوا البحر أخذ الخضر فأساً فخرق لوحاً من السفينة»[١] فذلك قوله تعالى :

﴿حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال﴾، له موسى، ﴿أخرقتها لتغرق أهلها﴾، قرأ حمزة والكسائي: «لِيَغْـرَق» بالياء وفتحها وفتح الراء، ﴿أهلُها﴾ بالرفع على اللزوم، وقرأ الآخرون: بالتاء ورفعها وكسر الراء ﴿أهلَها﴾ بالنصب على أن الفعل للخضر .

﴿لقد جئت شيئاً إمْراً﴾ أي: منكراً، والإمر في كلام العرب الداهية، وأصله: كلُّ شيء شديد كثير[٢]، يقال: أَمِرَ القومُ: إذا كثروا، واشتدَّ أمرهم .

وقال القتيبي ﴿إمْراً﴾ أي: عجباً .

ورُوي أن الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء. وروي أن موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فحشى به الخرق. وروي أن الخضر أخذ قدحاً من الزجاج ورقع به خرق السفينة .

﴿قال﴾، العالِم، وهو الخضر، ﴿ألم أقل إنك لن تستطيع معيَ صبراً﴾ .

﴿قال﴾، موسى، ﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾، قال ابن عباس: إنه لم يَنْسَ، ولكنه من معاريض الكلام، فكأنه نسي شيئاً آخر[٣]. وقيل: معناه بما تركت من عهدك، والنسيان: الترك. وقال أُبيّ ابن كعب عن النبي ﷺ: «كانت الأولى من موسى نسياناً والوسطى شرطاً والثالثة عمداً»[٤]. ﴿ولا ترهقني﴾، ولا تغشني، ﴿من أمري عسراً﴾، وقيل: لا تكلفني مشقة، يقال: أرهقته عسراً، أي: كلفته ذلك، يقول: لا تضيِّق علي أمري، وعامِلْني باليسر، ولا تعاملني بالعسر .

﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله﴾، في القصة أنهما خرجا من البحر يمشيان، فمرَّا بغلمانٍ يلعبون، فأخذ الخضر غلاماً ظريفاً وضيء الوجه فأضجعه ثم ذبحه بالسكين .

قال السدي: كان أحسنهم وجهاً، كان وجهه يتوقد حسناً .

---

(١) تقدم تخريجه، وهو في البخاري، كتاب العلم: ٢١٨/١ .

(٢) في «ب»: كبير .

(٣) انظر: البحر المحيط: ١٥٠/٦، القرطبي: ٢٢/١١ .

(٤) تقدم تخريجها ضمن رواية كعب في الصحيحين، وانظر البخاري: ٣٢٦/٥، مسلم: ١٨٤٧/٤-١٨٥٠ .

وروينا أنه أخذ برأسه فاقتلعه بيده. وروى عبدالرزاق هذا الخبر، وأشار بأصابعه الثلاث الإبهام والسبابة والوسطى، وقلع رأسه .

وروي أنه رضخ رأسه بالحجارة .

وقيل: ضرب رأسه بالجدار فقتله[1] .

قال ابن عباس: كان غلاماً لم يبلغ الحنث، وهو قول الأكثرين، قال ابن عباس: لم يكن نبي الله يقول: أقتلت نفساً زكية إلاّ وهو صبي لم يبلغ .

وقال الحسن: كان رجلاً. وقال شعيب الجبائي: كان اسمه حيسور .

وقال الكلبي: كان فتى يقطع ويأخذ المتاع ويلجأ إلى أبويه[2] .

وقال الضحاك: كان غلاماً يعمل بالفساد وتأذى منه أبواه[3] .

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، أنبأنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، أنبأنا عبدالله بن مسلمة بن معتب، حدثنا معمر بن سليمان، عن أبيه، عن رقبة بن مصقلة، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغلام الذي قتله الخضر طُبِعَ كافراً، ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً»[4] .

﴿قال﴾، موسى، ﴿أقتلت نفساً زكيةً﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو جعفر وأبو عمرو: «زاكية» بالألف، وقرأ الآخرون: «زكية»، قال الكسائي والفراء: معناهما واحد، مثل: القاسية والقَسِيَّة، وقال أبو عمرو بن العلاء: «الزاكية»: التي لم تذنب قط، و«الزكية»: التي أذنبت ثم تابت .

﴿بغير نفس﴾، أي: لم تقتل نفساً [بشيء][5] وجب به عليها القتل .

﴿لقد جئتَ شيئاً نُكْراً﴾، أي: منكراً. قال قتادة: النكر أعظم من الإمْرِ، لأنه حقيقة الهلاك، وفي خرق السفينة كان خوف الهلاك .

وقيل: الإمر: أعظم، لأنه كان فيه تغريق جمع كثير .

---

(١) في البخاري أنه ذبح بالسكين، وفي الصحيحين والترمذي أن الخضر أخذ برأسه فاقتلعه بيده فقتله، وفي لفظ أنه أخذ حجراً فضرب به رأسه. قال القرطبي: (٢١/١١) «ولا اختلاف بين هذه الأحوال، فإنه يحتمل أن يكون دفعه أولاً بالحجر، ثم أضجعه فذبحه، ثم اقتلع رأسه، والله أعلم بما كان من ذلك، وحسبك بما جاء في الصحيح» .

(٢) قال أبو حيان في البحر المحيط: (١٥٠/١) واختلف في اسم هذا الغلام واسم أبيه واسم أمه، ولم يرد شيء من ذلك في الحديث .

(٣) انظر البحر المحيط: ١٥٠/٦ .

(٤) أخرجه مسلم في القدر، باب معنى: «كل مولود يولد على الفطرة» برقم (٢٦٦١): ٢٠٥٠/٤ .

(٥) زيادة من «ب» .

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾

قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وأبو بكر هاهنا: ﴿نكراً﴾ وفي سورة الطلاق بضم الكاف، والآخرون بسكونها.

﴿قال﴾، يعني الخضر: ﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معيَ صبراً﴾، قيل: زاد «لك» لأنه نقض العهد مرتين. وفي القصة أن يوشع كان يقول لموسى: يانبي / الله اذكر العهد الذي أنت عليه. ٢٢١/ب

﴿قال﴾، موسى، ﴿إن سألتك عن شيء بعدها﴾، بعد هذه المرة، ﴿فلا تصاحبني﴾، وفارقني، وقرأ يعقوب: ﴿فلا تصحبني﴾ بغير ألف من الصحبة.

﴿قد بلغتَ من لدنّي عُذراً﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وأبو بكر ﴿من لدني﴾ خفيفة النون، وقرأ الآخرون، بتشديدها، قال ابن عباس: أي قد أعذرتَ فيما بيني وبينك.

وقيل: حذرتني أني لا أستطيع معك صبراً. وقيل: اتضح لك العذر في مفارقتي.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنبأنا عبد الغافر بن محمد، أنبأنا محمد بن عيسى، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا محمد بن عبدالله القيسي، حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه عن رقبة، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أُبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «رحمة الله علينا وعلى موسى»، وكان إذا ذكر أحداً من الأنبياء بدأ بنفسه، «لولا أنه عجَّل لرأى العجب، ولكنه أخذته من صاحبه ذَمَامَةٌ[1]»، قال: ﴿إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغتَ من لدني عذراً﴾ فلو صبر لرأى العجب»[2].

قوله عزّ وجلّ: ﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية﴾، قال ابن عباس: يعني: «أنطاكية». وقال ابن سيرين: هي «الأُبُلَّة» وهي أبعد الأرض من السماء. وقيل: «برقة». وعن أبي هريرة: بلدة بالأندلس[3] ﴿استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما﴾.

---

(١) أي: حياء وإشفاق، من الذم واللوم.
(٢) أخرجه مسلم في الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، برقم (١٧٢/٢٣٨٠): ٤/١٨٥١.
(٣) أقوال مضطربة، بحسب اختلاف المفسرين في أي ناحية من الأرض كانت القصة، والله أعلم بحقيقة ذلك. انظر: البحر المحيط ٦/١٥١، القرطبي: ١١/٢٤.

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ٧٨﴾

قال أُبيّ بن كعب عن النبي ﷺ: «حتى إذا أتيا أهل قرية لئاماً فطافا في المجالس فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما»[١].

وروي أنهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما، واستضافوهم فلم يضيفوهما.

قال قتادة: شر القرى التي لا تضيف الضيف.

وروي عن أبي هريرة قال: أطعمتهما امرأة من أهل بربر بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهما. فدعا لنسائهم ولعن رجالهم.

قوله تعالى: ﴿**فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقضّ**﴾، أي يسقط، وهذا من مجاز كلام العرب، لأن الجدار لا إرادة له، وإنما معناه: قَرُبَ ودنا من السقوط، كما تقول العرب: داري تنظر إلى دار فلان إذا كانت تقابلها.

﴿**فأقامه**﴾، أي سوّاه. وروي عن أُبيّ بن كعب عن النبي ﷺ فقال الخضر بيده فأقامه[٢]. وقال سعيد بن جبير: مسح الجدار بيده فاستقام. وروي عن ابن عباس: هدمه ثم قعد يبنيه. وقال السدي: بلّ طيناً وجعل يبني الحائط.

﴿**قال**﴾، موسى، ﴿**لو شئتَ لاتّخذت عليه أجراً**﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: «لَتخِذْتَ» بتخفيف التاء وكسر الخاء، وقرأ الآخرون: «لَتَّخذْتَ» بتشديد التاء وفتح الخاء، وهما لغتان: مثل اتبع وتبع ﴿**عليه**﴾ يعني على إصلاح الجدار، ﴿**أجراً**﴾ يعني جعلاً، معناه: إنك قد علمت أننا جياع، وأن أهل القرية لم يطعمونا، فلو أخذت على عملك أجراً.

﴿**قال**﴾، الخضر: ﴿**هذا فراق بيني وبينك**﴾، يعني هذا وقت فراق بيني وبينك. وقيل: هذا الإنكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا. وقال الزجاج: معناه هذا فراق بيننا أي فراق اتصالنا وكرر «بين» تأكيداً.

﴿**سأنبّئك**﴾، أي سوف أخبرك ﴿**بتأويل مالم تستطِعْ عليه صبراً**﴾، وفي بعض التفاسير أن موسى أخذ بثوبه، فقال: أخبرني بمعنى ما عملت قبل أن تفارقني، فقال:

---

(١) قطعة من الحديث السابق.

(٢) أي: أشار بيده فأقامه، وهذا تعبير عن الفعل بالقول، وهو شائع، وهذا قطعة من حديث أُبي السابق عند مسلم. وبهذا يترجح هذا القول على الأقوال الأخرى.

وانظر: الطبري: ١٥/٢٩٠-٢٩١.

أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾

﴿**أمّا السفينةُ فكانت لمساكين يعملون في البحر**﴾، قال كعب: كانت لعشرة إخوة خمسة زَمْنَى(١)، وخمسة يعملون في البحر. وفيه دليل على أن المسكين وإن كان يملك شيئاً فلا يزول عنه اسم المسكنة إذا لم يقم ما يملكه بكفايته، ﴿**يعملون في البحر**﴾ أي: يؤاجرون ويكتسبون بها، ﴿**فأردتُ أن أعيبها**﴾، أجعلها ذات عيب.

﴿**وكان وراءهم**﴾، أي أمامهم، ﴿**مَلِكٌ**﴾، كقوله: «من ورائه جهنم» (إبراهيم – ١٦).

وقيل: «وراءهم» خلفهم، وكان رجوعهم في طريقهم عليه، والأول أصح، يدل عليه قراءة ابن عباس «وكان أمامهم ملك»(٢).

﴿**يأخذ كلَّ سفينة غصباً**﴾، أي: كل سفينة صالحة غصباً، وكان ابن عباس يقرأ كذلك، فخرقها وعيَّبها الخضر حتى لا يأخذها الملك الغاصب، وكان اسمه الجلندي وكان كافراً.

قال محمد بن إسحاق: اسمه «متوله بن جلندي الأزدي».

وقال شعيب الجبائي: اسمه «هُدَدُ بنُ بُدَد»(٣).

وروي أن الخضر اعتذر إلى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب، ولم يكونوا يعلمون بخبره، وقال: أردت إذا هي مرت به أن يدعها لعيبها(٤)، فإذا جاوزه أصلحوها فانتفعوا بها، قيل: سدُّوها بقارورة. وقيل: بالقار.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا**﴾، أي فعلمنا، [وفي قراءة ابن عباس: «وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين فخشينا» أي: فعلمنا](٥)، ﴿**أنْ يرهقهما**﴾، يغشيهما، وقال الكلبي: يكلفهما، ﴿**طغياناً وكفراً**﴾، قال سعيد بن جبير: فخشينا أن يحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه.

---

(١) أي مصابون بمرض مزمن، يقال: (زَمِنَ) الشخص (زَمَناً) و(زَمَانَة) فهو (زَمِنٌ) من باب تَعِب، وهو مرض يدوم زماناً طويلاً. والقوم (زَمْنَى) مثل مرضى.

(٢) انظر: الطبري ١٦/١–٢، زاد المسير: ٥/١٧٨.

(٣) انظر: البخاري، تفسير سورة الكهف: ٨/٤٢١.

(٤) انظر: البخاري، الموضع السابق.

(٥) ما بين القوسين ساقط من «ب».

فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

﴿**فأردنا أن يُبدلهما**﴾، قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو: بالتشديد هاهنا وفي سورة «التحريم» و«القلم»، وقرأ الآخرون بالتخفيف، وهما لغتان، وفرق بعضهم فقال: «التبديل»: تغيير الشيء، أو تغيير حاله وعين الشيء قائم، و«الإبدال»: رفع الشيء ووضع شيء آخر مكانه، ﴿**ربهما خيراً منه زكاة**﴾، أي صلاحاً وتقوى، ﴿**وأقرب رُحماً**﴾، قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: بضم الحاء، والباقون بجزمها، أي: عطفاً من الرحمة. وقيل: هو من الرِّحِم والقرابة، قال قتادة: أي أوصل للرحم وأبر بوالديه[1].

قال الكلبي: أبدلهما الله جارية فتزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبياً، فهدى الله على يديه أمة من الأمم.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: أبدلهما الله جارية ولدت سبعين نبياً[2].

وقال ابن جريج: أبدلهما بغلام مسلم[3].

قال مطرف: فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل. ولو بقي لكان فيه هلاكهما، فليرضَ امرؤٌ بقضاء الله تعالى، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**وأمّا الجدارُ فكان لغلامين يتيمين في المدينة**﴾، وكان اسمهما أصرم وصريم، ﴿**وكان تحته كَنْزٌ لهما**﴾، اختلفوا في ذلك الكنز: روي عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «كان ذهباً وفضة»[4].

---

(١) قال الطبري: (٤/١٦) «ولا وجه للرُّحم في هذا الموضع، لأن المقتول كان الذي أبدل الله منه والديه ولداً لأبوي المقتول، فقرابتهما من والديه، وقربهما منه في الرُّحم سواء».

(٢) قال ابن عطية: وهذا بعيد، ولا تعرف كثرة الأنبياء إلا في بني إسرائيل، ولم تكن هذه المرأة منهم. (البحر المحيط: ١٥٥/٦).

(٣) انظر هذه الأقوال في الطبري: ١٦/٣-٤، زاد المسير: ١٨٠/٥، وقد مال الطبري إلى أن المقصود بالآية أن الله تعالى أبدلهما بالغلام جارية.

(٤) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الكهف: ٦٠٠/٨، والحاكم في المستدرك ٣٦٩/٢، وأخرجه البخاري في تاريخه، والطبراني. (تحفة الأحوذي: ٦٠١/٨). ويزيد بن يوسف الصنعاني ضعيف، قال الذهبي: «متروك» وإن كان حديثه أشبه بمعنى الكنز.

وقال عكرمة: كان مالاً[1].

وعن سعيد بن جبير: كان الكنز صحفاً فيها علم[2].

وعن ابن عباس: أنه قال كان لوحاً من ذهب مكتوباً فيه: «عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح! عجباً لمن أيقن بالحساب كيف يغفل! عجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب! عجباً لمن أيقن بالقدر كيف ينصب! عجباً لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها! لا إله إلا الله محمد رسول الله». وفي الجانب الآخر مكتوب: «أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، خلقت الخير
٢٢٢/ أ والشر، فطوبى / لمن خلقته للخير وأجريته على يديه والويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه»[3] وهذا قول أكثر المفسرين[4]. وروي أيضاً ذلك مرفوعاً.

قال الزجاج: الكنز إذا أطلق ينصرف إلى كنز المال، ويجوز عند التقييد أن يقال عنده كنز علم، وهذا اللوح كان جامعاً لهما.

﴿وكان أبوهما صالحاً﴾، قيل: كان اسمه «كاسح» وكان من الأتقياء. قال ابن عباس: حُفِظا بصلاح أبويهما.

وقيل: كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء[5].

قال محمد بن المنكدر: إن الله يحفظ بصلاح العبد ولده [وولد ولده][6]، وعترته وعشيرته وأهل دويراتٍ حوله، فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم.

قال سعيد بن المسيب: إني لأصلي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي.

قوله عزّ وجلّ: ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشُدَّهما﴾، أي: يبلغا ويعقلا. وقيل: أن يدركا شدتهما وقوتهما. وقيل: ثمان عشرة سنة.

﴿ويستخرجا﴾ حينئذ ﴿كنزهما رحمةً﴾، نعمة، ﴿من ربك﴾.

---

(١) أخرجه عنه الطبري: ١٦/٦، وهو بمعنى حديث أبي الدرداء.

(٢) أخرجه الحاكم وصححه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: ٢/٣٦٩.

(٣) أخرجه الطبري: ١٦/٥-٦، وانظر: تفسير ابن كثير: ٣/١٠٠.

(٤) وهذا يتنافى مع ظاهر الآية الكريمة ومع إطلاق لفظ الكنز الذي ذكره المصنف أيضاً عن الزجاج عند الإطلاق، ولعل الراجح هو القول الأول، وإن كان الحديث فيه ضعيفاً لكنه يتسق مع ظاهر الآية وإطلاق اللفظ، وسائر الأخبار ليست مرفوعة، ولذلك قال الطبري رحمه الله: (٦/١٦).

«وأولى التأويلين في ذلك بالصواب القول الذي قال به عكرمة، لأن المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال، وأن كل ما كنز فقد وقع عليه اسم كنز، فإن التأويل مصروف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل، مالم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلى غير ذلك...».

(٥) انظر في هذين القولين: زاد المسير: ٥/١٨٢.

(٦) ساقط من «ب».

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾

﴿وما فعلته عن أمري﴾، أي باختياري ورأيي، بل فعلته بأمر الله وإلهامه، **﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾**، أي لم تطق عليه صبراً، و«استطاع» و«اسطاع» بمعنًى واحد.

روي أن موسى لما أراد أن يفارقه قال له: أوصني، قال: لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به.

واختلفوا في أن الخضر حيّ أم ميت(١)؟ قيل: إن الخضر وإلياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم(٢). وكان سبب حياته فيما يحكَى أنه شرب من عين الحياة، وذلك أن ذا القرنين دخل الظلمات لطلب عين الحياة. وكان الخضر على مقدمته، فوقع الخضر على العين فنزل واغتسل وتوضأ(٣) وشرب وصلى شكراً لله عزّ وجلّ، وأخطأ ذو القرنين الطريق فعاد(٤).

وذهب آخرون إلى أنه ميت لقوله تعالى: «وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد» (الأنبياء ـ ٣٤).

وقال النبي ﷺ بعدما صلى العشاء ليلة: «أَرَأَيْتَكُمْ ليلتكم هذه؟ فإنَّ على رأسِ مائةِ سنةٍ منها لا يبقى ممن هو اليوم حيٌّ على ظهرِ الأرض أحدٌ»(٥). ولو كان الخضر حياً لكان لا يعيش بعده».

قوله عزّ وجلّ: **﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً﴾**، خبراً، واختلفوا في نبوته: فقال بعضهم: كان نبياً(٦).

[وقال أبو الطفيل: سئل علي رضي الله عنه عن ذي القرنين أكان نبياً](٧) أم ملكاً؟ قال: لم يكن نبياً ولا ملكاً، ولكن كان عبداً أحبَّ الله وأحبه الله، ناصَحَ الله فناصحه الله(٨).

---

(١) انظر فيما سبق التعليق على الآية (٦٥) من السورة.

(٢) خبر ضعيف. انظر: الزهر النضر لابن حجر: ٢٠١/٢ (مجموعة الرسائل المنيرية).

(٣) زيادة من «ب».

(٤) المرجع السابق: ٢٠٠/٢ـ٢٠١، وانظر: ابن كثير: ١٠١/٣ وأشار إلى ضعف القصة من رواية الطبري بنحوه، القرطبي: ٤١/١١ وقال عن هذه الروايات كلها: لا تقوم على ساقٍ.

(٥) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة، باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء: ٧٣/٢ـ٧٤، ومسلم في فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ: «لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة» برقم (٢٥٣٧): ١٩٦٥/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٩٢/٢ـ١٩٣.

وانظر: الزهر النضر لابن حجر: ٢٠٥/٢ـ٢٠٧ (مجموعة الرسائل المنيرية) قال ابن عمر رضي الله عنهما ـ في الرواية نفسها: «فوَهَل الناس من مقالة رسول الله ﷺ تلك، فيما يتحدثون من هذه الأحاديث، عن مائة سنة، وإنما قال رسول الله ﷺ: لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد، يريد بذلك: أن ينخرم ذلك القرن» أي: ينقطع وينقضي.

(٦) قاله عبدالله بن عمرو، والضحاك بن مزاحم. انظر: زاد المسير: ١٨٤/٥، البداية والنهاية: ١٠٣/٢.

(٧) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٨) انظر: الطبري: ٨/١٦.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ٨٤﴾

وروي أن عمر رضي الله عنه سمع رجلاً يقول لآخر: ياذا القرنين فقال: تسميتم بأسماء النبيين فلم ترضوا حتى تسميتم بأسماء الملائكة[1] .

والأكثرون على أنه كان مَلِكاً عادلاً صالحاً[2] .

واختلفوا في سبب تسميته بـ «ذي القرنين»: قال الزهري: لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها .

وقيل: لأنه ملك الروم وفارس .

وقيل: لأنه دخل النور والظلمة .

وقيل لأنه رأى في المنام كأنه أخذ بقرني الشمس .

وقيل: لأنه كانت له ذؤابتان حسنتان .

وقيل: لأنه كان له قرنان تواريهما العمامة .

وروى أبو الطفيل عن علي أنه [قال: سمي «ذا القرنين» لأنه»][3] أمر قومه بتقوى الله، فضربوه على قرنه الأيمن فمات فبعثه الله، ثم أمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الأيسر فمات، فأحياه الله[4] .

واختلفوا في اسمه؛ قيل: اسمه «مرزبان بن مرزبة اليوناني» من ولد يونان بن يافث بن نوح. وقيل علي: اسمه «الاسكندر بن فيلفوس بن ياملوس[5] الرومي»[6] .

قوله عزّ وجلّ : ﴿**إنّا مكنّا له في الأرض**﴾، أوطأنا، والتمكين: تمهيد الأسباب. قال علي: سخر له السحاب فحمله عليها، ومدّ له في الأسباب، وبسط له النور، فكان الليل والنهار عليه سواء، فهذا معنى تمكينه في الأرض، وهو أنه سهل عليه السير فيها وذلّل له طُرقَها .

﴿**وآتيناه من كل شيء**﴾ أي: أعطيناه من كل شيء يحتاج إليه الخلق .

---

(١) ذكره السهيلي عن عمر رضي الله عنه، وقال الحافظ ابن كثير: إنه غريب، البداية والنهاية: ١٠٣/٢، وذكر مثله القرطبي عن علي رضي الله عنه: ٤٦/١١ .

(٢) وهو مروي عن ابن عباس، ورجحه أيضاً الحافظ ابن كثير، ورواه الطبري عن علي رضي الله عنه .

(٣) زيادة من نسخة «ب» .

(٤) انظر هذه الأقوال وأقوالاً أخرى في تسميته: الطبري: ٨/١٦ـ٩، زاد المسير: ١٨٣/٥ـ١٨٤، الدر المنثور: ٤٣٦/٥ وما بعدها، تفسير القرطبي: ٤٧/١١ـ٤٨، تفسير ابن كثير: ١٠٢/٣، البداية والنهاية: ١٠٣/٢ .

(٥) في «ب»: الاسكندر بن قيليس بن فيلوس الرومي .

(٦) انظرها مع أقوال أخرى في: زاد المسير ١٨٣/٥، البداية والنهاية: ١٠٤/٢ـ١٠٥ .
هذا، وليس على هذه الأقوال، ولا على سابقتها، خبر صحيح عن المعصوم ﷺ .

فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ
عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾

وقيل: من كل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الأعداء.

﴿سبباً﴾، أي: علماً يتسبب به إلى كل ما يريد، ويسير به في أقطار الأرض، والسبب: ما يوصل به الشيء إلى الشيء.

وقال الحسن: بلاغاً إلى حيث أراد. وقيل: قربنا إليه أقطار الأرض[1].

﴿فأتبع سبباً﴾، أي: سلك وسار، قرأ أهل الحجاز، والبصرة: «فاتَّبع» و«ثم اتَّبَعَ» موصولاً مشدداً، وقرأ الآخرون بقطع الألف وجزم التاء؛ وقيل: معناهما واحد.

والصحيح: الفرق بينهما، فمن قطع الألف فمعناه: أدرك ولحق، ومن قرأ بالتشديد فمعناه: سار، يقال: ما زلت أتَّبعه حتى أتبعته، أي: ما زلت أسير خلفه حتى لحقته.

وقوله: «سبباً» أي: طريقاً. وقال ابن عباس: منزلاً.

﴿حتى إذا بلغ مَغْرِبَ الشمسِ وجدَها تَغْرُبُ في عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، قرأ أبو جعفر، وأبو عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر: ﴿حامية﴾ بالألف غير مهموزة، أي: حارَّة، وقرأ الآخرون: ﴿حَمِئة﴾ مهموزاً بغير الألف، أي: ذات حَمْأةٍ، وهي الطينة السوداء.

وسأل معاوية كعباً: كيف تجد في التوراة أن تغرب الشمس؟ قال: نجد في التوراة أنها تغرب في ماء وطين.

قال القتيبي: يجوز أن يكون معنى قوله: ﴿في عين حمئة﴾ أي: عندها عين حمئة، أو في رأي العين.

﴿ووجد عندها قوماً﴾، أي: عند العين أُمَّة، قال ابن جريج: مدينة لها اثنا عشر ألف باب، لولا ضجيج أهلها لسمعت وجبة الشمس حين تجب[2].

﴿قلنا ياذا القرنين﴾، يستدل بهذا من زعم أنه كان نبياً؛ فإن الله تعالى خاطبه، والأصح: أنه لم يكن نبياً، والمراد منه: الإلهام[3].

---

(١) قال الحافظ ابن كثير: (١٠٢/٣): «... وهكذا ذو القرنين، يسَّر الله له الأسباب، أي: الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم والرساتيق والبلاد والأرض، وكسر الأعداء، وكبت ملوك الأرض، وإذلال أهل الشرك، قد أوتي من كل شيء مما يحتاج إلى مثله سبباً، والله أعلم».

(٢) في «ب»: تغيب. وانظر: تفسير ابن كثير: ١٠٣/٣ وقد أشار إلى أنها من الإسرائيليات.

(٣) انظر: زاد المسير: ١٨٩/٥.

قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾

﴿إمّا أن تعذب﴾، يعني: إمّا أن تقتلهم إن لم يدخلوا في الإسلام، ﴿وإمّا أن تتخذ فيهم حُسناً﴾، يعني: تعفو وتصفح وقيل: تأسرهم فتعلمهم الهدى[1]. خيّره اللَّهُ بين الأمرين.

﴿قال أمّا من ظلم﴾ أي: كفر، ﴿فسوف نعذّبه﴾، أي: نقتله، ﴿ثم يُرَدُّ إلى ربّه﴾، في الآخرة ﴿فيعذّبه عذاباً نُكْراً﴾ أي: منكراً، يعني: بالنار، والنار أنكر من[2] القتل.

﴿وأما مَنْ آمن وعَمِلَ صالحاً فله جزاءً الحُسْنى﴾، قرأ حمزة، والكسائي وحفص، ويعقوب: ﴿جزاءً﴾ منصوباً منوناً أي: فله الحسنى ﴿جزاءً﴾ نصب على المصدر [وهو مصدر وقع موقع الحال، أي: فله الحسنى مجزياً بها][3].

وقرأ الآخرون: بالرفع على الإضافة، فالحسنى: الجنة أضاف الجزاء إليها، كما قال: «ولدار الآخرة خيرٌ» (يوسف ـ ٩)، والدار هي الآخرة.

وقيل: المراد بـ «الحسنى» على هذه القراءة: الأعمال الصالحة. أي له جزاءُ الأعمال الصالحة.

﴿وسنقول له من أمرنا يُسراً﴾، أي: نلين له القول، ونعامله باليسر من أمرنا. وقال مجاهد: «يسراً» أي: معروفاً.

﴿ثم اتبع سبباً﴾، أي: سلك طرقاً ومنازل.

﴿حتى إذا بلغ / مَطْلِعَ الشمس﴾، أي موضع طلوعها، ﴿وجدها تَطْلُعُ على قوم لم نجعل لهم من دونها سِتْراً﴾، قال قتادة، والحسن: لم يكن بينهم وبين الشمس ستر، وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء، فكانوا يكونون في أسرابٍ لهم، حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معايشهم وحروثهم. ٢٢٢/ب

---

(١) المرجع السابق.
(٢) ساقط من «أ».
(٣) ساقط من «ب».

كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ
وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ
إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
سَدًّا ﴿٩٤﴾

وقال الحسن: كانوا إذا طلعت الشمس يدخلون الماء، فإذا ارتفعت عنهم خرجوا يتراعون(١) كالبهائم .

وقال الكلبي: هم قوم عراة، يفترش أحدهم إحدى أذنيه، ويلتحف بالأخرى(٢) .

قوله عزّ وجلّ : ﴿كذلك﴾، قيل: معناه كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها، والصحيح أن معناه: كما حكم في القوم الذين هم عند مغرب الشمس كذلك حكم في الذين هم عند مطلع الشمس، ﴿وقد أحطْنا بما لَدَيْه خُبْراً﴾، يعني: بما عنده ومعه(٣) من الجند، والعدة، والآلات «خبراً» أي: علماً .

﴿ثم أتبعَ سبباً﴾ .

﴿حتى إذا بلغ بين السَّدَّيْن﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو، وحفصٌ: ﴿السدين﴾ و ﴿سداً﴾ هاهنا بفتح السين، وافق حمزة والكسائي في «سَداً»، [وقرأ الباقون: بضم السين، وفي يسٓ «سداً» بالفتح حمزة والكسائي، وحفص](٤) وقرأ الباقون بالضم، منهم من قال: هما لغتان، معناهما واحد. وقال عكرمة: ما كان من صنعة بني آدم فهو السَّد بالفتح، وما كان من صنع الله فهو سُدٌّ(٥) بالضم، وقاله أبو عمرو. وقيل: «السَّد»: بالفتح مصدر، وبالضم اسم، وهما هاهنا: جبلان، سدَّ ذو القرنين ما بينهما، حاجزاً بين يأجوج ومأجوج ومن ورائهم. ﴿وَجَدَ من دونهما قوماً﴾ يعني: أمام السَّدَّيْن. ﴿لا يكادون يفقهون قولاً﴾، قرأ حمزة، والكسائي: «يُفْقِهُون» بضم الياء وكسر القاف على معنى لا يفقهون غيرهم قولاً، وقرأ الآخرون: بفتح الياء والقاف، أي لا يفقهون كلام غيرهم، قال ابن عباس: لا يفقهون كلام أحد، ولا يفهم الناس كلامهم .

﴿قالوا ياذا القرنين﴾ فإن قيل: كيف قالوا ذلك وهم لا يفقهون ؟ .

---

(١) في «ب»: فتراعوا .
(٢) ليس على هذه الأقوال دليل ثابت، وهي قضية غيبية تحتاج إلى نص عن المعصوم .
(٣) ساقط من « أ » .
(٤)، (٥) زيادة من «ب» .

قيل: كلِّم عنهم مترجم، دليله: قراءة ابن مسعود: لا يكادون يفقهون قولاً قال الذين من دونهم ياذا القرنين .

﴿إن يأجوج ومأجوج﴾، قرأهما عاصم بمهزتين [وكذلك في الأنبياء، «فتحت يأجوج ومأجوج»][١]، والآخرون بغير همز [في السورتين][٢]، وهما لغتان، أصلهما من أجيج النار، وهو ضوؤها وشررها، شُبِّهوا به لكثرتهم وشدتهم .

وقيل: بالهمزة من شدة[٣] أجيج النار، وبترك الهمز اسمان أعجميان، مثل: هاروت وماروت، وهم من أولاد يافث بن نوح .

قال الضحاك: هم جيل من الترك. قال السدي: الترك سرية من يأجوج ومأجوج، خرجت فضَرَب ذو القرنين السد، [فبقيت خارجه، فجميع الترك منهم. وعن قتادة: أنهم اثنان وعشرون قبيلة، بنى ذو القرنين السدّ][٤] على إحدى وعشرين قبيلة فبقيت قبيلة واحدة فهم الترك، سموا الترك لأنهم تُركوا خارجين .

قال أهل التواريخ: أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث، فسام أبو العرب والعجم والروم، وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة، ويافث أبو الترك والخزر والصقالبة، ويأجوج ومأجوج، قال ابن عباس في رواية عطاء: هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء. روي عن حذيفة مرفوعاً: إن يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة ألف أمة، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه، كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد آدم، يسيرون إلى خراب الدنيا. وقيل[٥]: هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز، شجر بالشام، طوله عشرون ومائة ذراع في السماء، وصنف منهم عرضه وطوله سواء، عشرون ومائة ذراع، وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش أحدهم [إحدى أذنيه][٦] ويلتحف الأخرى، لايمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان، يشربون أنهار المشارق وبحيرة طبرية[٧] .

وعن علي أنه قال: منهم من طوله شبر، ومنهم من هو[٨] مفرط في الطول .

---

(١) ساقط من «ب» .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) زيادة من «ب» .

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٥) يبدو أن في الرواية سقطاً، فقد جاء في الدر المنثور: (٤٥٧/٥): قيل: يارسول الله صفهم لنا. قال: هم ثلاثة أصناف. . .

(٦) في «ب»: أذنه .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور: (٤٥٧/٥) لابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عدي، وابن عساكر، وابن النجار .

(٨) في «ب»: طوله .

وقال كعب: هم نادرة في ولد آدم وذلك أن آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب، فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم يتصلون بنا من جهة الأب دون الأم[1] .

وذكر وهب بن منبه: أن ذا القرنين كان رجلاً من الروم ابن عجوز، فلما بلغ كان عبداً صالحاً. قال الله له: إني باعثك إلى أمم مختلفة ألسنتهم، منهم أمتان بينهما طول الأرض: إحداهما عند مغرب الشمس، يقال لها ناسك، والأخرى عند مطلعها، يقال لها منسك، وأمتان بينهما عرض الأرض، إحداهما: في القطر الأيمن، يقال لها: هاويل، والأخرى في قطر الأرض الأيسر يقال لها: تأويل، وأمم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج، فقال ذو القرنين: بأي قوة أكابرهم؟ وبأي جمع أكاثرهم؟ وبأي لسان أناطقهم؟ قال الله عزّ وجلّ: إني سأطوقك وأبسط لك لسانك، وأشد عضدك فلا يهولنّك شيء، وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء، وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما من جنودك، يهديك النور من أمامك وتحوطك الظلمة من ورائك، فانطلق، حتى أتى مغرب الشمس فوجد جمعاً وعدداً لا يحصيه إلا الله، فكابرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد، فدعاهم إلى الله وعبادته، فمنهم من آمن، ومنهم من صدَّ عنه، فعمد إلى الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت في أجوافهم وبيوتهم فدخلوا في دعوته، فجنّد من أهل المغرب جنداً عظيماً فانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هاويل فعمل فيهم كعمله في ناسك، ثم مضى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس، فعمل فيها وجنّد منها جنوداً كفعله في الأمتين، ثم أخذ ناحية الأرض اليسرى فأتى تاويل فعمل فيها كعمله فيما قبلها، ثم عمد إلى الأمم التي في وسط الأرض، فلما دنا مما يلي منقطع الترك نحو المشرق، قالت له أمة صالحة من الإنس: ياذا القرنين إن بين هذين الجبلين خلقاً أشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش، [لهم أنياب وأضراس][2] كالسباع، يأكلون الحيات والعقارب، وكل ذي روح، خلق في الأرض وليس يزداد خلق كزيادتهم، ولا شك أنهم سيملؤون الأرض ويظهرون عليها ويفسدون فيها، فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً، قال ما مكنّي فيه ربي خير، قال: أعدوا إلي الصخور والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم، فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا، لهم مخاليب كالأظفار في أيدينا وأنياب وأضراس كالسباع، ولهم هدب من الشعر في

---

(١) قال الحافظ ابن كثير: (٣/١٠٤-١٠٥): وقد حكى النووي رحمه الله، في «شرح مسلم» عن بعض الناس أن يأجوج ومأجوج خلقوا من منيّ خرج من آدم فاختلط بالتراب، فخلقوا من ذلك.
فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم، وليسوا من آدم وحواء، وهذا قول غريب جداً. ثم لا دليل عليه، لا من عقل ولا من نقل، ولا يجوز الاعتماد هاهنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب، لما عندهم من الأحاديث المفتعلة، والله أعلم.

(٢) زيادة من «ب».

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ٩٥﴾

أجسادهم ما يواريهم ويتقون به من الحر والبرد، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان يفترش إحداهما
٢٢٣/ أ ويلتحف بالأخرى يصيف في إحداهما ويشتو في / الأخرى، يتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا، فلما عاين ذلك ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصدفين، فقاس ما بينهما، فحفر له الأساس حتى بلغ الماء وجعل حشوه الصخر وطينه النحاس، يذاب فيصب عليه، فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض(١) .

قوله تعالى : **﴿قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض﴾**، قال الكلبي: فسادهم أنهم كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم فلا يدعون فيها شيئاً أخضر إلاّ أكلوه ولا شيئاً(٢) يابساً إلاّ احتملوا، وأدخلوه أرضهم، وقد لقوا منهم أذى شديداً وقتلاً .

وقيل: فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس .

وقيل: معناه أنهم سيفسدون في الأرض عند خروجهم(٣) .

﴿فهل نجعل لك خَرْجاً﴾، قرأ حمزة والكسائي **﴿خراجاً﴾** بالألف، وقرأ الآخرون **﴿خرجاً﴾** بغير ألف، وهما لغتان بمعنًى واحد، أي جُعْلاً وأجراً من أموالنا .

وقال أبو عمرو: «الخرج»: ما تبرعت به، و«الخراج»: ما لزمك أداؤه. وقيل: «الخراج»: على الأرض، و«الخرج»: على الرقاب. يقال: أدِّ خَرْجَ رأسك وخراج مدينتك .

﴿على أن تجعل بيننا وبينهم سداً﴾، أي حاجزاً، فلا يصلون إلينا .

﴿قال﴾، لهم ذو القرنين: **﴿ما مكنِّي فيه﴾**، قرأ ابن كثير **﴿مكنني﴾** بنونين ظاهرين، وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة على الإدغام، أي: ما قوَّاني عليه، **﴿ربي خير﴾**، من جعلكم، **﴿فأعينوني بقوة﴾**، معناه: إني لا أريد المال، بل أعينوني بأبدانكم وقوتكم، **﴿أجعلْ بينكم وبينهم رَدْماً﴾**، أي: سداً، قالوا وما تلك القوة؟ قال: فَعَلَةٌ وصُنَّاع يحسنون البناء والعمل، والآلة. قالوا وما تلك الآلة؟ قال:

---

(١) أخرجه الطبري عن وهب بن منبه: ١٦/١٧-٢١، وعقَّب عليه الحافظ ابن كثير في التفسير: (١٠٥/٣) فقال: ذكر ابن جرير هنا أثراً غريباً طويلاً عجيباً في سير ذي القرنين وبنائه السد، وكيفية ما جرى له، وفيه طول وغرابة ونكارة، في أشكالهم وصفاتهم، وطولهم، وقصر بعضهم، وآذانهم، وروى ابن أبي حاتم في ذلك عن أبيه أحاديث غريبة، لا تصح أسانيدها والله أعلم».

(٢) ساقط من «أ» .

(٣) وهو ما رجحه الطبري: ٢٢/١٦ .

ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا
قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟
لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى
حَقًّا ﴿٩٨﴾

﴿آتوني﴾: أعطوني، وقرأ أبو بكر: ﴿ائتوني﴾ أي جيئوني، ﴿زُبَرَ الحديد﴾، أي قِطَع الحديد، واحدتهما زُبْرَة، فأتوه بها وبالحطب، وجعل بعضها على بعض، فلم يزل يجعل الحديد على الحطب والحطب على الحديد، ﴿حتى إذا ساوىٰ بين الصَّدَفَيْنِ﴾، قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، ويعقوب: بضم الصاد والدال، وجزم أبو بكر الدال، وقرأ الآخرون بفتحها، وهما الجبلان، ساوىٰ: أي: سوى بين طرفي الجبلين .

﴿قال انفخوا﴾، وفي القصة: أنه جعل الفحم والحطب في خلال زبر الحديد، ثم قال: انفخوا، يعني: في النار .

﴿حتى إذا جعله ناراً﴾، أي صار الحديد ناراً، ﴿قال آتوني﴾، قرأ حمزة وأبو بكر وصلاً، وقرأ الآخرون بقطع الألف. ﴿أُفرِغْ عليه قِطْراً﴾، أي: [آتوني قطراً أفرغ عليه، و«الإفراغ»: الصبّ، و«القِطْر»: هو النحاس المذاب، فجعلت النار تأكل الحطب، ويصير النحاس][1] مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس .

قال قتادة: هو كالبُرْدِ المحبَّر، طريقة سوداء وطريقة حمراء. وفي القصة: أن عرضه كان خمسين ذراعاً وارتفاعه مائتي ذراع وطوله فرسخ .

﴿فما آسْطَاعوا أَنْ يَظْهَرُوه﴾، أن يعلوه من فوقه لطوله وملاسته، ﴿وما استطاعوا له نَقْباً﴾، من أسفله، لشدَّته ولصلابته. وقرأ حمزة: ﴿فما استطاعوا﴾ بتشديد الطاء أدغم تاء الافتعال في الطاء .

﴿قال﴾، يعني ذا القرنين، ﴿هذا﴾، أي السد، ﴿رحمة﴾، أي: نعمة، ﴿من ربي فإذا جاء وعد ربي﴾، قيل: القيامة. وقيل: وقت خروجهم. ﴿جعله دَكَّاءَ﴾، قرأ أهل الكوفة ﴿دكاء﴾ بالمد والهمز، أي: أرضاً ملساء، وقرأ الآخرون بلا مدّ، أي: جعله مدكوكاً مستوياً مع وجه الأرض، ﴿وكان وَعْدُ ربي حقاً﴾، وروى قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة يرفعه: «أن يأجوج ومأجوج يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

فيعيده الله كما كان، حتى إذا بلغت مدتهم حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله، واستثنى فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه فيخرجون على الناس، فيتبعون المياه ويتحصن الناس في حصونهم منهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فيرجع فيها كهيئة الدم، فيقولون: قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليها نَغَفاً في أَقْفَائِهم(١) فيهلكون، وإن دواب الأرض لتسمن وتَشْكَرُ(٢) من لحومهم شكراً»(٣) .

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر، أنبأنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا محمد بن مهران الرازي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، عن يحيى بن جابر الطائي، عن عبدالرحمن ابن جُبَيْر بن نُفَيْر، عن أبيه جبير بن نفير، عن النوّاس بن سمعان قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفَّض فيه ورفَّع حتى ظننَّاه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يارسول الله ذكرت الدجال ذات غداة فخفَّضْتَ فيه ورفَّعْتَ، حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: «غيرُ الدجَّالِ أخوفني عليكم؟ إنْ يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فكل امرىءٍ حجيجُ نفسه، والله خليفتي على كلِّ مسلم، إنه شاب قَطَطٌ(٤) عينه اليمنى(٥) طافية، كأني أشبهه بعبد العُزَّى بن قَطَنٍ، فمَنْ أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خَلَّةً بين الشام والعراق، فعاث يميناً وعاث شمالاً، ياعباد الله! فاثبتوا» قلنا: يارسول الله فما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم» قلنا: يارسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اَقْدُرُوا له

---

(١) «النَّغف»: بفتح النون والغين المعجمة؛ دود يكون في أنوف الإبل والغنم، مفرده: «نَغَفَة». و«الأقفاء»: جمع «قفا»، وهو وراء العنق .

(٢) يقال: شكرت الناقة ـ من باب سَمِع ـ إذا امتلأ ضرعها باللبن، وشكرت الدابة: إذا سمنت .

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير: ٥٩٧/٨-٥٩٩، وقال: «هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه..»، وابن ماجه في الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم... برقم (٤٠٨٠): ١٣٦٤/٢-١٣٦٥، وابن حبان ص (٤٧٠) من موارد الظمآن، وصححه الحاكم على شرط الشيخين: ٤٨٨/٤، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٥١٠/٢ .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره:(١٠٦/٣): «إسناده جيد قوي، ولكن متنه في رفعه نكارة، لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نقبه لإحكام بنائه وصلابته وشدته، ولكن هذا قد روي عن كعب الأحبار: أنهم قبل خروجهم يأتونه فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل، فيقولون: غداً نفتحه، فيأتون من الغد، وقد عاد كما كان.. مرتين ويلهمون أن يقولوا: إن شاء الله، فيصبحون وهو كما فارقوه، فيفتحونه. وهذا متجه، ولعلَّ أبا هريرة تلقاه من كعب، فإنه كان كثيراً مَّا كان يجالسه ويحدّثه، فحدَّث به أبو هريرة، فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع، فرفعه. وَالله أعلم» .

(٤) «قَطَط»: شديد جعودة الشعر، مباعد للجعودة المحبوبة .

(٥) ساقط من «ب» .

قَدْرَه، قلنا: يارسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبَرَتْهُ الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنوا به ويستجيبوا له، فيأمر السماء فتمطر الأرض، فتنبت فتروح عليهم سَارِحَتُهُم أطول ما كانت ذُرىً وأسبغه ضُروعاً وأمدَّه خواصر[1]، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، قال: فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين[2] ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخَرِبَةِ، فيقول لها: أَخْرجي كنوزك، فيتبعه كنوزها كيعاسيب النَّحْل[3]، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جَزْلتين رمية الغَرَض[4]، ثم يدعوه فيُقْبِل ويتهلَّل وجهه ويضحك، فبينما هو كذلك إذْ بعث الله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، فينزل عند المنارة البيضاء شرقيَّ باب دمشق، بين مَهْرُورَتَيْن[5]، واضِعاً كفَّيْه على أجنحة مَلَكين، إذا طأطأ رأسه قَطَرَ، وإذا رفعه تحدَّر منه مثل جُمَانِ اللؤلؤ، فلا يحلُّ لكافر يجد من ريح نَفَسِه إلا مات، ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طَرْفُه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ فيقتله، ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدِّثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذْ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت / عباداً لي لا يَدَانِ ٢٢٣/ب
لأحد بقتالهم فَحَرِّزْ عبادي إلى الطُّور[6]، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حَدَبٍ يَنْسِلون، فيمر أوائلُهم على بحيرة طبريَّة فيشربون ما فيها، ويمرّ آخرهم فيقول: لقد كان بهذه مرةً ماء، ويُحْصَرُ نبيُّ الله وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدِكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النَّغَفَ في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا مَلأَه زَهَمُهُم[7] وَنَتْنُهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البُخْتِ[8]،

---

(١) «تروح»: ترجع آخر النهار. و«السارحة»: هي الماشية التي تسرح، أي: تذهب أول النهار إلى المرعى، والذُّرى: الأعالي والأسنمة، جمع ذروة، بالضم وبالكسر. و«أسبغه ضروعاً»: أطْوَله، لكثرة اللَّبن، وكذا «أمدّه خواصر»، لكثرة امتلائها من الشِّبَع.

(٢) أي: أصابهم المَحْل، وهو الجدب والقحط.

(٣) هي ذكور النحل، أو: جماعة النحل، لا ذكورها خاصة، لكنه كنّى عن الجماعة باليعسوب، وهو أميرها.

(٤) «الجَزْلة» ـ بالفتح، ويحكى بالكسر ـ القطعة. ومعنى «رمية الغرض»: أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رمية. هذا هو الظاهر المشهور، وقيل غير ذلك.

(٥) «مهرورتين» ـ بالدال المهملة، وروي بالمعجمة ـ ومعناه: لابس مهرورتين، أي: ثوبين مصبوغين بوَرْس ثم بزعفران. وقيل: هما شقتان، والشقة: نصف الملاءة.

(٦) «يدان»: تثنية يد، معناه: لا قدرة ولا طاقة. «فحرِّز»: أي ضمّهم، واجعله لهم حِرْزاً، يقال: أحرزت الشيء أحرزه إحرازاً، إذا حفظته وضممته إليك، وصنته عن الأخذ.

(٧) «زهمهم»: أي: دسمهم.

(٨) «البُخْت»: قال ابن منظور في «لسان العرب»: البخت والبختية، دخيل في العربية، أعجمي معرّب. وهي: الإبل الخراسانية، تنتج من عربية وفالج، وهي جمال طوال الأعناق.

فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يَكُنُّ[١] منه بيتُ مدرٍ ولا وَبَرٍ فيغسل الأرضَ، حتى يتركها كالزَّلَفةِ[٢]. ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، ورُدِّي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرُّمَّانة، ويستظلُّون بقِحْفها، ويُبَارَك في الرِّسْل حتى أن اللِّقْحَة[٣] من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللِّقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي لتكفي الفَخِذَ من النَّاس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيِّبةً، فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كلِّ مؤمنٍ وكل مسلم، ويبقى شِرَارُ الناس يَتهارَجُونَ تَهارُجَ الحُمُرِ[٤]، فعليهم تقوم الساعة»[٥].

وبهذا الإسناد حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا علي بن حجر السعدي، حدثنا عبدالله بن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، والوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بهذا الإسناد نحو ما ذكرنا وزاد بعد قوله: ـ لقد كان بهذه مرة ماء ـ: ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخَمْرِ[٦] وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا مَنْ في الأرض هَلُمَّ فلنقتل مَنْ في السماء، فيرمون بنُشَّابِهم[٧] إلى السماء، فيرُدُّ الله عليهم نُشَّابهم مخضوبةً دماً»[٨].

وقال وهب: إنهم كانوا يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه، ثم يأكلون الخشب والشجر، ومن ظفروا به من الناس، ولا يقدرون أن يأتوا مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، أنبأنا أحمد، أنبأنا أبي، أنبأنا إبراهيم عن الحجاج بن حجاج، عن قتادة عن عبدالله ابن أبي عتبة، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «ليحجنّ البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج»[٩].

وفي القصة: أن ذا القرنين دخل الظلمة فلما رجع توفي بشهر زور. وذكر بعضهم: أن عمره كان نيفاً وثلاثين سنة.

---

(١) أي: لا يمنع نزول الماء.

(٢) وروي بلفظ: «الزَّلَقة» وبلفظ: «الزُّلْفة» وكلها صحيحة، قيل معناه: كالمرآة، وقيل: كمصانع الماء، لأن الماء يستنقع فيها حتى تصير كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء. وقيل: كالإجانة الخضراء. وقيل: كالروضة.

(٣) «الرِّسل» هو اللبن، و«اللِّقحة» ـ بالكسر وبالفتح ـ القريبة العهد بالولادة.

(٤) أي يجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس، كما يفعل الحمير، ولا يكترثون لذلك، و«الهَرْج» ـ بإسكان الراء ـ الجماع.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفة ما معه، برقم (٢١٣٧): ٤/٢٢٥٠ـ٢٢٥٥.

(٦) في «أ»: (أحمر)، وفي «ب»: (الحمر) بالمهملة، والمثبت من صحيح مسلم. و«الخمر» هو الشجر الملتف الذي يستر من فيه. وقد فسرّه في الحديث بأنه جبل بيت المقدس، لكثرة شجره.

(٧) أي: سهامهم، والواحدة: «نشابة».

(٨) أخرجه مسلم في الموضع السابق: ٤/٢٢٥٥.

(٩) أخرجه البخاري في الحج، باب قول الله تعالى: «جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس»: ٣/٤٥٤، والمصنف في شرح السنة: ١٥/٨٣.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾

قوله عزّ وجلّ ﴿**وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض**﴾، قيل: هذا عند فتح السد، يقول: تركنا يأجوج ومأجوج يموج، أي: يدخل، بعضهم في بعض، كموج الماء، ويختلط بعضهم ببعض لكثرتهم .

وقيل: هذا عند قيام الساعة، يدخل الخلق بعضهم في بعض، ويختلط إنسيهم بجنيِّهم حيارى. ﴿**ونفخ في الصور**﴾، لأن خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة، ﴿**فجمعناهم جمعاً**﴾، في صعيد واحد .

﴿**وعرضنا**﴾، أبرزنا، ﴿**جهنّم يومئذٍ للكافرين عَرْضاً**﴾، حتى يشاهدوها عياناً .

﴿**الذين كانت أعينهم في غطاء**﴾، أي: غشاء، و«الغطاء»: ما يغطى به الشيء ويستره، ﴿**عن ذكري**﴾، يعني: عن الإيمان والقرآن، وعن الهدى والبيان. وقيل: عن رؤية الدلائل .

﴿**وكانوا لا يستطيعون سمعاً**﴾، أي: سَمْعَ القَبُولِ والإيمانِ، لغلبة الشقاوة عليهم .

وقيل: لا يعقلون وقيل: كانوا لا يستطيعون، أي: لا يقدرون أن يسمعوا من رسول الله ﷺ ما يتلوه عليهم لشدة عداوتهم له، كقول الرجل: لا أستطيع أن أسمع من فلان شيئاً، لعداوته .

قوله عزّ وجلّ : ﴿**أفحسب**﴾، أفظن، ﴿**الذين كفروا أن يتَّخِذوا عبادِي مِنْ دوني أولياءَ**﴾، أرباباً، يريد بالعباد: عيسى، والملائكة، كلا بل هم لهم أعداء ويتبرؤون منهم .

قال ابن عباس: يعني الشياطين أطاعوهم من دون الله. وقال مقاتل: الأصنام سُمُّوا[1] عباداً، كما قال: «إن الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم» (الأعراف ـ ١٩٤) وجواب هذا الاستفهام محذوف .

قال ابن عباس: يريد إني لأغضب لنفسي، يقول: أفظنَّ الذين كفروا أن يتخذوا غيري أولياء وإني لا أغضب لنفسي ولا أعاقبهم .

---

(١) في «ب»: سميت .

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾

وقيل: أفظنوا أنهم ينفعهم أن يتخذوا عبادي[1] من دوني أولياء.

﴿إنا أعتدنا جهنّم للكافرين نُزُلاً﴾، أي: منزلاً، قال ابن عباس: هي مثواهم. وقيل: النزل ما يهيأ للضيف، يريد[2]: هي معدة لهم عندنا كالنزل للضيف.

قوله عزّ وجلّ: ﴿قل هل نُنبِّئُكم بالأخسرينَ أعمالاً﴾، يعني: الذين أتعبوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلاً ونَوالاً، فنالوا هلاكاً وبواراً، كمن يشتري سلعة يرجو عليها ربحاً فخسر وخاب سعيه.

واختلفوا فيهم: قال ابن عباس، وسعد بن أبي وقاص: هم اليهود والنصارى. وقيل: هم الرهبان ﴿الذين﴾ حبسوا أنفسهم في الصوامع. وقال علي بن أبي طالب: هم أهل حروراء[3]. ﴿ضلّ سعيهم﴾، بطل عملهم واجتهادهم، ﴿في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾، أي عملاً.

﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحَبِطَتْ﴾، بطلت، ﴿أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾، أي لا نجعل لهم خطراً وقدراً، تقول العرب: «ما لفلان عندي وزن» أي: قدرٌ، لخسّته.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا أحمد عن محمد بن يوسف، عن محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن عبدالله، حدثنا سعيد بن مريم، أنبأنا المغيرة عن أبي الزناد،

---

(١) ساقط من «أ».
(٢) ساقط من «أ».
(٣) ومعنى هذا عن علي رضي الله عنه: أن هذه الآية الكريمة تشمل الحرورية كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم، لا أنها نزلت في هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء، بل هي أعمُّ من هذا، فإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى وقبل وجود الخوارج بالكلية، وإنما هي عامة في كُلِّ مَنْ عبد الله على غير طريقة مرضية، يحسب أنه مصيب فيها وأن عمله مقبول، وهو مخطىء وعمله مردود، كما قال تعالى: «وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية»، وقال تعالى: «وقدمنا إلى ما عملوا فجعلناه هباءً منثوراً» انظر: تفسير ابن كثير: ٣/١٠٨.
وهو ما قاله الطبري أيضاً حيث رجح أنه عني بها كل عامل عملاً يحسبه فيه مصيباً، وأنه لله بفعله ذلك مطيع مرضٍ، وهو بفعله ذلك لله مسخط، وعن طريق أهل الإيمان به جائر، كالرهابنة والشمامسة وأمثالهم من أهل الاجتهاد في ضلالتهم، وهم مع ذلك من فعلهم واجتهادهم بالله كفرة، من أهل أي دين كانوا.
انظر: تفسير الطبري: ١٦/٣٤.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾

عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لَيَأْتِي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يَزِنُ عند الله جناح بعوضة»، وقال اقرؤوا إن شئتم: **﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾**(١) .

قال أبو سعيد الخدري: يأتي أناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العِظَم كجبال تهامة، فإذا وزنوها لم تزن شيئاً، فذلك قوله تعالى: **﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾** .

﴿ذلك﴾ الذي ذكرتُ من حبوط أعمالهم وخسة أقدارهم، ثم ابتدأ فقال: **﴿جزاؤهم جهنم بما كفروا واتَّخذُوا آياتي﴾**، يعني القرآن، **﴿ورسُلي هُزُواً﴾**، أي سخرية ومهزوءاً بهم .

قوله عزّ وجلّ : **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنَّاتُ الفردوسِ﴾**، روينا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»(٢) .

قال كعب: ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر(٣) .

وقال قتادة: «الفردوس»: ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها(٤) .

قال كعب: «الفردوس»: هو البستان الذي فيه الأعناب(٥) .

وقال مجاهد: هو البستان بالرومية .

وقال عكرمة: هي الجنة بلسان الحبش(٦) .

قال الزجَّاج: هو بالرومية منقول إلى / لفظ العربية . ٢٢٤/ أ

وقال الضحاك: هي الجنة الملتفة الأشجار .

وقيل: هي الروضة المستحسنة .

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب «أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه...»: ٤٢٦/٨، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب صفة القيامة والجنة والنار، برقم (٢٧٨٥): ٢١٤٧/٤ .

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري في التوحيد، باب «وكان عرشه على الماء، وهو ربُّ العرش العظيم»: ٤٠٤/١٣ .

(٣) أخرجه الطبري: ٣٦/١٦ .

(٤) الطبري: ٣٦/١٦، ورواه أيضاً مرفوعاً عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب: ٣٨/١٦ .

(٥) المرجع السابق ٣٦/١٦ .

(٦) انظر: الطبري ٣٦/١٦، وساق جملة أحاديث تؤيد أن المعنى بالآية: إن الذين صدقوا بالله ورسوله، وأقروا بتوحيد الله وما أنزل من كتبه، وعملوا بطاعته، كانت لهم بساتين الفردوس، والفردوس معظم الجنة. انظر: ٣٧/١٦-٣٨ .

خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي
لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴿١٠٩﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ
يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا
وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾

وقيل: هي التي تنبت ضروباً من النبات، وجمعه فراديس.

﴿نُزُلاً﴾، قيل أي: منزلاً. وقيل: ما يهيأ للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلاً، ومعنى «كانت لهم» أي: في علم الله قبل أن يُخلقوا.

﴿خالدين فيها لا يبغون﴾، لا يطلبون، ﴿عنها حِوَلاً﴾، أي تحولاً إلى غيرها. قال ابن عباس: لا يريدون أن يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار إذا توافقه إلى دار أخرى.

قوله عزّ وجلّ: ﴿قل لو كان البحر مِدَاداً لكلماتِ ربي﴾، قال ابن عباس: قالت اليهود [يامحمد][1] تزعم أنا قد أوتينا الحكمة، وفي كتابك ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، ثم تقول: وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً؟ فأنزل الله هذه الآية[2].

وقيل: لما نزلت: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً»، قالت اليهود: أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء، فأنزل الله تعالى[3]: ﴿قل لو كان البحر مداداً﴾ سُمي المداد مداداً لإمداد الكاتب، وأصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء.

قال مجاهد: لو كان البحر مداداً للقلم والقلم يكتب، ﴿لنفد البحر﴾، أي ماؤه، ﴿قبل أن تنفَدَ﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿ينفد﴾ بالياء لتقدم الفعل، والباقون بالتاء، ﴿كلماتُ ربي﴾، أي علمه وحكمه، ﴿ولو جئنا بمثله مدداً﴾، معناه: لو كان الخلائق يكتبون، والبحر يمدُّهم لنفد البحر و لم تنفد كلمات ربي[4]، ولو جئنا بمثل ماء البحر في كثرته مدداً أو زيادة، [و«مدداً» منصوب على التمييز][5] نظيره قوله تعالى: «ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحرُ يمدُّه من بعده سبعة أبحر ما نفدتْ كلمات الله» (لقمان ــ ٢٧).

قوله عزّ وجلّ: ﴿قل إنّما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد﴾، قال ابن عباس

(١) ساقط من «ب».
(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٣٤٦)، تفسير القرطبي: ٦٨/١١، البحر المحيط: ١٦٨/٦، تفسير الخازن: ١٩٢/٤.
(٣) انظر: زاد المسير: ٢٠١/٥.
(٤) في «ب»: الله.
(٥) ساقط من «ب».

علَّم الله رسوله التواضع لئلا يزهو على خلقه، فأمره أن يقر فيقول: إني آدمي مثلكم، إلاّ أني خُصصت بالوحي وأكرمني الله به، يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد لا شريك له. ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه**﴾، أي يخاف المصير إليه. وقيل: يأمل رؤية ربه، فالرجاء يكون بمعنى الخوف والأمل جميعاً، قال الشاعر:

ولا كُلُّ ما تَرْجُو مِنَ الخَيْرِ كَائِنٌ ولا كُلّ ما ترجُو مِنَ الشَرِّ واقِعُ

فجمع بين المعنيين.

﴿**فليعمل عملاً صالحاً ولا يشركْ بعبادةِ ربِّه أحداً**﴾، أي: لا يُرائي بعمله.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، أنبأنا أبو نعيم، أخبرنا سفيان عن سلمة، هو ابن كهيل، قال: سمعت جُنْدُباً يقول: قال النبي ﷺ: «من سمَّعَ سمَّعَ الله به، ومن يُرائي يُرائي الله به»[(١)].

وروينا عن النبي ﷺ أنه قال: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: يارسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء»[(٢)].

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أنبأنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، حدثنا أبي، حدثنا شعيب قال: حدثنا الليث عن أبي الهاد، عن عمرو، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى يقول: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري فأنا منه بريء، هو للذي عمله»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق، باب الرياء والسمعة: ١١/٣٣٥-٣٣٦، ومسلم في البر والصلة، باب إذا أُثني على الصالح فهي بشرى لا تضره، برقم (٢٦٤٢): ٤/٢٠٣٤-٢٠٣٥، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٣٢٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد: ٥/٤٢٨، ٤٢٩. والمصنف في شرح السنة: ١٤/٣٢٤، قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح» وقال المنذري: «إسناده جيد» ورواه ابن أبي الدنيا، والبيهقي في الزهد، وغيره. ومحمود بن لبيد رأى النبي ﷺ، ولم يصح له منه سماع فيما أرى، وقد خرّج أبو بكر بن خزيمة حديث محمود المتقدم في «صحيحه» مع أنه لا يخرج فيه شيئاً من المراسيل. وذكر ابن أبي حاتم أن البخاري قال: له صحبة. قال: وقال أبي: لا يعرف له صحبة. ورجح ابن عبد البر أن له صحبة. وقد رواه الطبراني بإسناد جيد عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج، وقيل: إن حديث محمود هو الصواب دون ذكر رافع فيه. والله أعلم». انظر: الترغيب والترهيب: ١/٦٩، مجمع الزوائد: ١/١٠٢، وقارن بـ: النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد ص (٤٦).

(٣) أخرجه مسلم في الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، برقم (٢٩٨٥): ٤/٢٢٨٩ بلفظ: «.. تركته وشركه»، ورواه ابن ماجه في الزهد، باب الرياء والسمعة، برقم (٤٢٠٢): ٢/١٤٠٥، وقال في الزوائد: «إسناده صحيح». وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٤/٣٢٥، وانظر: الترغيب والترهيب: ١/٦٩ وراجع تفسير ابن كثير: ٣/١٠٩-١١١ فقد ساق جملة أحاديث في الرياء.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، حدثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا حفص بن عمر، حدثنا همام عن قتادة، حدثنا سالم بن أبي الجعد الغطفاني، عن معدان بن أبي طلحة، عن أبي الدرداء يرويه عن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من فتنة الدجال»(١) .

وأخبرنا عبد الواحد المليحي، أنبأنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا أبو الأسود، حدثنا ابن لهيعة عن زياد عن سهل ـ هو ابن معاذ ـ عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدميه إلى رأسه(٢)، ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء»(٣)(*) .

---

(١) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، برقم (٨٠٩): ١/٥٥٥. والمصنف في شرح السنة: ٤/٤٦٩ .

(٢) في « أ »: «من قرنه إلى قدميه» .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٣/٤٣٩، قال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني، وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف وقد يحسّن حديثه». انظر: مجمع الزوائد: ٧/٥٢ .
وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٤/٤٦٩ـ٤٧٠ .

(*) في آخر نسخة مكتبة الحرم المكي: «تم النصف الأول من تفسير البغوي بحمد الله وعونه، وافق الفراغ منه بقدس الشريف، في مدرسة الصلاحية ـ عمرها الله تعالى ـ يوم الثالث عشر من شوال من شهور سنة خمس وعشرين وثمانمائة هجرية . كاتبه العبد الفقير إلى الله الغني: سليمان بن أحمد بن أحمد بن سليمان الحدادي القرشي حامداً لله تعالى ومصلياً على نبيه محمد وآله وأصحابه وأزواجه. يتلوه النصف الثاني؛ أول سورة مريم ـ غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين أجمعين. آمين» . ثم يلي هذا سطر فيه تملك النسخة لراجي عفو ربه وغفرانه: محمد بن محمد الحَزيري عفا الله عنه .

سُورَةُ مَرْيَمَ

سُورَةُ مَرْيَم

مكية، وهي ثمان وتسعون آية[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾

قوله عزّ وجلّ : ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قرأ أبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء، وضدُّه ابنُ عامرٍ، وحمزة، وبكسرهما: الكسائي وأبو بكر، والباقون بفتحهما .

ويظهِرُ الدال عند الذال من «صاد ذكر» ابنُ كثيرٍ، ونافع، وعاصم [ويعقوب][2]، والباقون بالإدغام[3] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو اسم من أسماء الله تعالى .

وقال قتادة: هو اسم من أسماء القرآن .

وقيل: اسم للسورة. وقيل: هو قَسَمٌ أقسم الله به .

ويروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ﴿كهيعص﴾ قال: الكاف من كريم وكبير، والهاء من هادٍ، والياء من رحيم، والعين من عليم، وعظيم، والصاد من صادق .

---

(١) سورة مريم مكية بالإجماع، فقد أخرج النحاس وابن مردويه عن ابن الزبير قال: نزلت سورة مريم بمكة .
وأخرج ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها قالت: نزلت سورة مريم بمكة. وأخرج الإمام أحمد، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الدلائل» عن أم سلمة: أن النجاشي قال لجعفر بن أبي طالب: هل معك مما جاء به ـ يعني رسول الله ﷺ ـ من الله شيء؟ قال: نعم، فقرأ عليه صدراً من «كهيعص» فبكى النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلي عليهم. ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى لَيَخرج من مشكاة واحدة .
انظر: «الدر المنثور»: ٤٧٦/٥، «تفسير القرطبي»: ٧٢/١١ـ٧٣ .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي: ٢٠٤/٥ـ٢٠٥ «البحر المحيط»: ١٧٢/٦ .

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾

وقال الكلبي: معناه: كافٍ لخلقه، هادٍ لعباده، يده فوق أيديهم، عالم ببريَّتِهِ، صادق في وعده[١].

﴿**ذكرُ**﴾، رفع بالمضمر، أي: هذا الذي نتلوه عليك ذكر ﴿**رحمةِ ربِّك**﴾، [وفيه تقديم وتأخير][٢] معناه: ذكر ربك، ﴿**عبده زكريا**﴾، برحمته.

﴿**إذْ نادى**﴾، دعا، ﴿**ربَّه**﴾، في محرابه، ﴿**نداءً خفياً**﴾، دعا سراً من قومه في جوف الليل.

﴿**قال ربِّ إنّي وَهَنَ**﴾، ضَعُفَ ورقَّ، ﴿**العظمُ منّي**﴾، من الكِبَر. قال قتادة: اشتكى سقوط الأضراس، ﴿**واشتعل الرأسُ**﴾، أي: ابيضَّ شعر الرأس، ﴿**شيْباً**﴾، شمطاً، ﴿**ولم أكنْ بدعائك ربِّ شقِيّاً**﴾، يقول: عوّدتني الإجابة فيما مضى ولم تخيِّبني.

وقيل: معناه لما دعوتني إلى الإيمان آمنت ولم أشقَ بترك الإيمان[٣].

﴿**وإنّي خفتُ الموالي**﴾، و«الموالي»: بنو العم. قال مجاهد: العصبة. وقال أبو صالح: الكلالة. وقال الكلبي: الورثة[٤]. ﴿**من ورائي**﴾ أي: من بعد موتي.

قرأ ابن كثير: ﴿**من ورائَي**﴾ بفتح الياء، والآخرون بإسكانها.

﴿**وكانت امرأتي عاقراً**﴾، لا تلد، ﴿**فهبْ لي من لدنك**﴾، أعطني من عندك ﴿**ولياً**﴾ ابناً.

﴿**يرثني ويرثُ من آل يعقوب**﴾، قرأ أبو عمرو، والكسائي: بجزم الثاء فيهما، على جواب الدعاء، وقرأ الآخرون بالرفع على الحال والصفة، أي: ولياً وارثاً.

واختلفوا في هذا الإرث؛ قال الحسن: معناه يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة والحبورة.

---

(١) انظر هذه الأقوال في: «الطبري» ١٦/٤١-٤٥، «الدر المنثور» ٥/٤٧٧-٤٧٨، «زاد المسير» ٥/٢٠٥-٢٠٦ وتقدم الكلام على الحروف المقطعة في فواتح السور فيما سبق: ١/٥٨-٥٩، وراجع «تفسير الطبري»: ١/٢٠٥-٢٢٤، «تفسير الواحدي» ١/٢٥-٢٦.

(٢) ساقط من «أ».

(٣) اعتمد الطبري القول الأول ولم يذكر غيره، وهو ما ذكره عامة المفسرين.

(٤) هذه المعاني متقاربة، فالورثة هم العصبة، وبنو العم من الورثة، والكل من الأقارب.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾

وقيل: أراد ميراث النبوة والعلم.

وقيل: أراد إرث الحبورة، لأن زكريا كان رأس الأحبار[1].

قال الزجاج: والأَوْلى أن يحمل على ميراث غير المال لأنه يبعد أن يشفق زكريا وهو نبي من الأنبياء أن يرثه بنو عمه ماله.

والمعنى: إنه خاف تضييع بني عمه دين الله وتغيير أحكامه على ما كان شاهده من بني إسرائيل من تبديل الدين وقتل الأنبياء، فسأل ربه ولياً[2] صالحاً يأمنه على أُمّتِهِ، ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع الدين. وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما[3].

﴿**واجعله ربِّ رضياً**﴾، أي بَرّاً تقياً مرضياً.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**يازكريا إنا نبشرك**﴾، وفيه اختصار، معناه: فاستجاب الله دعاءه، فقال: يازكريا إنا نبشرك، ﴿**بغلام**﴾، بولد ذكر[4]، ﴿**اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً**﴾، قال قتادة والكلبي: لم يُسمَّ أحد قبله يحيى[5].

---

(١) انظر هذه الأقوال في: «تفسير الطبري»: ١٦/٤٧-٤٨، «زاد المسير»: ٥/٢٠٧-٢٠٨، «الدر المنثور»: ٥/٤٨٠.

(٢) في «ب»: ولداً.

(٣) وهذا الذي مال إليه المصنف - رحمه الله - هو ما رجحه ابن كثير وأيّده من وجوه، فقال: (٣/١١٢):
«وجه خوفه أنه خشي أن يتصرفوا من بعده في الناس تصرفاً سيئاً، فسأل الله ولداً يكون نبياً من بعده، ليسوسهم بنبوته ما يوحى إليه، فأجيب في ذلك، لا أنه خشي من وراثتهم له ماله، فإن النبي أعظم منزلة، وأجلّ قدراً من أن يشفق على ماله إلى ما هذا حدُّه، وأن يأنف من وراثة عصباته له، ويسأل أن يكون له ولد ليحوز ميراثه دونهم. هذا وجه.
والوجه الثاني: أنه لم يذكر أنه كان ذا مال، بل كان نجاراً يأكل من كسب يديه. ومثل هذا لا يجمع مالاً، ولا سيما الأنبياء، فإنهم كانوا أزهد شيء في الدنيا.
والوجه الثالث: أنه قد ثبت في «الصحيحين» من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركناه صدقة» وفي رواية عند الترمذي بإسناد صحيح: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» وعلى هذا فتعين حمل قوله: (فهب لي من لدنك ولياً يرثني) على ميراث النبوة، ولهذا قال: (ويرث من آل يعقوب)، كقوله: (وورث سليمان داود) أي في النبوة، إذ لو كان في المال لما خصَّه من بين إخوته بذلك، ولما كان في الإخبار بذلك كبير فائدة، إذ من المعلوم المستقر في جميع الشرائع والملل: أن الولد يرث أباه. فلولا أنها وراثة خاصة لما أخبر بها.
وكل هذا يقرره ويثبته ما صحَّ في الحديث: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا فهو صدقة».
ثم ساق - ابن كثير - بعض الآثار والروايات فيها ما يدل على أن الوراثة وراثة مال، وقال عنها: «وهذه مرسلات لا تعارض الصحاح» والله أعلم. وانظر: «مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل» ص (٢٠٩).

(٤) زيادة من «ب».

(٥) رجح الطبري هذا التأويل في «التفسير»: ١٦/٥٠. فإن اعترض معترض فقال: ما وجه المِدْحة باسمٍ لم يُسَمَّ به أحد قبله، ونرى كثيراً من الأسماء لم يسبق إليها؟.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ٩ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ١٠﴾

وقال سعيد بن جبير وعطاء: لم نجعل له شبهاً ومثلاً، كما قال الله تعالى: «هل تعلم له سمياً»، أي مثلاً .

والمعنى: أنه لم يكن له مثل، لأنه لم يعص ولم يهمَّ بمعصية قط .

وقيل: لم يكن له مثل في أمر النساء، لأنه كان سيداً وحصوراً .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أي لم تلد العواقر مثله ولداً .

وقيل: لم يرد الله به اجتماع الفضائل كلها ليحيى، إنما أراد بعضها، لأن الخليل والكليم كانا قبله، وهما أفضل منه .

﴿قال ربِّ أنّى﴾، من أين، ﴿يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً﴾ أي: وامرأتي عاقر[1]. ﴿وقد بلغتُ من الكبر عِتِيّاً﴾، أي: يبساً، قال قتادة: يريد نحولَ العظمِ، يقال: عَتَا الشيخ يَعْتُو عِتِيّاً وعِسِيّاً: إذا انتهى سنُّه وكبر، وشيخ عاتٍ وعاسٍ: إذا صار إلى حالة اليبس والجفاف .

وقرأ حمزة والكسائي: عتياً وبكياً وصلياً وجثياً بكسر أوائلهن، والباقون برفعها، وهما لغتان .

﴿قال كذلكِ قال ربُّك هو عليّ هَيِّنٌ﴾، يسير، ﴿وقد خلقتُك﴾، قرأ حمزة والكسائي ﴿خلقناك﴾ بالنون والألف على التعظيم، ﴿منْ قبلُ﴾، أي من قبل يحيى، ﴿ولم تكُ شيئاً﴾ .

﴿قال ربِّ اجعلْ لي آية﴾، دلالة على حمل امرأتي، ﴿قال آيتك ألاّ تكلّم الناسَ ثلاثَ ليالٍ سويّاً﴾، أي: صحيحاً سليماً من غير ما بأس ولا خَرَس .

قال مجاهد: أي لا يمنعك من الكلام مرض .

= فالجواب: أن وجه الفضيلة أن الله تعالى تولّى تسميته، ولم يكل ذلك إلى أبويه، فسمّاه باسم لم يُسْبق إليه .
انظر: «زاد المسير»: ٥/٢١٠-٢١١ .

(١) وعلى هذا فـ «كانت»: توكيد للكلام، كقوله تعالى: (كنتم خير أمة) (آل عمران - ١١٠) أي: أنتم خير أمة . وقيل معنى الآية: أنها كانت منذ كانت عاقراً، لم يحدث ذلك بها. ذكر هذين القولين ابن الأنباري واختار الأول منهما. انظر: «زاد المسير»: ٥/٢١١ .

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾﴾

وقيل: ثلاث ليال سويّاً أي متتابعات، والأول أصح[1].

وفي القصة: أنه لم يقدر فيها أن يتكلم مع الناس فإذا أراد ذكر الله تعالى انطلق لسانه[2].

قوله عزّ وجلّ: ﴿فخرَج على قومِهِ من المحراب﴾، وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه أن يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون، إذْ خرج عليهم زكريا متغيِّراً لونه فأنكروه، وقالوا: مالك يازكريا؟ ﴿فأوحى إليهم﴾ فأومأ إليهم، قال مجاهد: كتب لهم في الأرض، ﴿أَنْ سبِّحُوا﴾، أي: صلُّوا لله[3]، ﴿بُكْرَةً﴾، غدوة، ﴿وعَشِيًّا﴾، ومعناه: أنه كان يخرج على قومه بكرةً وعشياً فيأمرهم بالصلاة، فلما كان وقت حمل امرأته ومنع الكلام حتى[4] خرج إليهم فأمرهم بالصلاة إشارة.

قوله عزّ وجلّ: ﴿يا يحيى﴾، قيل: فيه حذف معناه: ووهبنا له يحيى وقلنا له: يايحيى، ﴿خذِ الكتابَ﴾، يعني التوراة، ﴿بقوّة﴾، بجد، ﴿وآتيناه الحكم﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: النبوّة، ﴿صبياً﴾، وهو ابن ثلاث سنين.

وقيل: أراد بالحكم فهم الكتاب[5]، فقرأ التوراة وهو صغير.

وعن بعض السلف: من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أوتي الحكم صبياً[6].

﴿وحناناً من لَدُنَّا﴾، رحمة من عندنا، قال الحطيئة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه:

تَحنَّنْ عليَّ هَدَاكَ المَلِيْكُ		فإنَّ لكلِّ مقامٍ مَقَالاً[7]

---

(١) وهو أيضاً ما رجحه الطبري: ٥٢/١٦. وحكى القول الثاني عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية العوفي.
وانظر: «تفسير ابن كثير»: ١١٣/٣.

(٢) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد قال: حبس لسانه فكان لا يستطيع أن يكلّم أحداً، وهو في ذلك يسبّح ويقرأ التوراة، فإذا أراد كلام الناس لم يستطع أن يكلمهم.
انظر: «الدر المنثور»: ٤٨٣/٥، «البحر المحيط»: ١٧٦/٦ وراجع فيما سبق: ٣٦/٢.

(٣) ساقط من «أ».

(٤) ساقط من «ب».

(٥) وهو الراجح عند الطبري وغيره من العلماء.

(٦) أخرجه ابن مردويه والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عباس مرفوعاً. وأخرجه ابن أبي حاتم والديلمي موقوفاً على ابن عباس أيضاً انظر: «الدر المنثور»: ٤٨٥/٥، «كشف الخفاء» للعجلوني: ٨٦/٢، كنز العمال برقم (٢٤٥٢).

(٧) انظر: «ديوان الحطيئة» ص (٢٢٢)، «تفسير الطبري»: ٥٧/١٦، «البحر المحيط»: ١٧٧/٦.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۝١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝١٥ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝١٦﴾

أي: ترحّمْ.

﴿وزكاة﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني بالزكاة الطاعة والإخلاص.

وقال قتادة رضي الله عنه: هي العمل الصالح، وهو قول الضحاك.

ومعنى الآية: وآتيناه رحمة من عندنا وتحنناً على العباد، ليدعوهم إلى طاعة ربهم ويعمل عملاً صالحاً في إخلاص.

وقال الكلبي: يعني صدقة تصدق الله بها على أبويه.

﴿وكان تقياً﴾، مسلماً ومخلصاك مطيعاً، وكان من تقواه أنه لم يعمل خطيئة ولا همّ بها[1].

﴿وبراً بوالديه﴾، أي باراً لطيفاً بهما محسناً إليهما. ﴿ولم يكن جباراً عصياً﴾، و«الجبّار»: المتكبر، وقيل: «الجبار»: الذي يضرب ويقتل على الغضب، و«العَصِيُّ»: العاصي.

﴿وسلامٌ عليه﴾، أي: سلامة له، ﴿يومَ وُلِدَ ويومَ يموتُ ويومَ يُبْعثُ حيّاً﴾، قال سفيان بن عيينة:

٦/ب[2] أوحش / ما يكون الإنسان في هذه الأحوال: يوم ولد فيخرج مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر لم يرَ مثله. فخصَّ يحيى بالسلامة في هذه المواطن[3].

• قوله عزّ وجلّ: ﴿وآذكُرْ في الكتابِ﴾، في القرآن، ﴿مريمَ إذِ انتبذتْ﴾، تنحَّتْ واعتزلت، ﴿من أهلها﴾، من قومها، ﴿مكاناً شرقياً﴾، أي: مكاناً في الدار مما يلي المشرق، وكان يوماً شاتياً شديد البرد، فجلست في مشرقة تفلي رأسها.

وقيل: كانت طهرت من المحيض، فذهبت لتغتسل.

---

(١) أخرج الطبري في التفسير: ١٦/٥٨، وأحمد في «الزهد» وعبدالرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة قال: كان سعيد بن المسيب يقول: قال النبي ﷺ: «ما من أحد يلقى الله يوم القيامة إلا ذا ذنب، إلا يحيى بن زكريا». وقال الحسن: قال النبي ﷺ: «ما أذنب يحيى بن زكريا قطُّ ولا همَّ بامرأة».

وكلاهما مرسل: انظر: «الدر المنثور»: ٥/٤٨٦–٤٨٧، «تفسير ابن كثير»: ٣/١١٤–١١٥، فقد ساق هذه الروايات وغيرها وأشار إلى ضعفها.

(٢) ٦/ب بداية الصفحة الأولى في المجلد الثاني لمخطوط الظاهرية.

(٣) أخرجه الطبري عن سفيان بن عيينة: ١٦/٥٨–٥٩.

﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا
﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي
بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾

قال الحسن: ومن ثم اتخذت النصارى المشرقَ قبلةً[١].

﴿**فاتَّخذتْ**﴾، فضربتْ، ﴿**من دونهم حجاباً**﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ستراً.

وقيل: جلست وراء جدار. وقال مقاتل: وراء جبل.

وقال عكرمة: إن مريم كانت تكون في المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها، حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد، فبينما هي تغتسل من المحيض قد تجردت، إذْ عرض لها جبريل في صورة شابٍّ أمرد، وضيء الوجه، جعد الشعر، سويِّ الخلق، فذلك قوله:

﴿**فأرسلنا إليها روحنا**﴾، يعني: جبريل عليه السلام، ﴿**فتمثَّل لها بشراً سويّاً**﴾، وقيل: المراد من الروح عيسى عليه السلام، جاء في صورة بشر فحملت به. والأول أصح. فلما رأت مريم جبريل يقصد نحوها نادته من بعيد، فـ: ﴿**قالت إني أعوذُ بالرحمنِ منك إن كنتَ تقيًّا**﴾ مؤمناً مطيعاً.

فإن قيل: إنما يستعاذ من الفاجر، فكيف قالت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً؟.

قيل: هذا كقول القائل: إن كنت مؤمناً فلا تظلمني. أي: ينبغي أن يكون إيمانك مانعاً من الظلم، كذلك هاهنا.

معناه: ينبغي أن تكون تقواك مانعاً لك من الفجور[٢].

﴿**قال**﴾، لها جبريل: ﴿**إنَّما أنا رسولُ ربِّك لأَهَبَ لكِ**﴾، قرأ نافع وأهل البصرة: «ليهب لك» بالياء، أي: ليهب لكِ ربُّك، وقرأ الآخرون: «لأهب لك» أسند الفعل إلى الرسول، وإن كانت الهبة من الله تعالى، لأنه أرسل به.

﴿**غلاماً زكياً**﴾، ولداً صالحاً طاهراً من الذنوب.

﴿**قالت**﴾، مريم: ﴿**أنّى**﴾، من أين، ﴿**يكون لي غلامٌ ولم يَمْسَسْنِي بشرٌ**﴾، لم يقربني زوج، ﴿**ولم أكُ بغياً**﴾، فاجرةً؟ تريد أن الولد يكون من نكاح أو سفاح، ولم يكن هنا واحد منهما.

---

(١) انظر في هذه الأقوال وغيرها: الطبري ١٦/٥٩ـ٦٠، «الدر المنثور»: ٥/٤٩٤، «زاد المسير»: ٦/٢١٦ـ٢١٧.

(٢) انظر بتفصيل أوسع: «مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل» ص (٢١٠ـ٢١١).

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾

﴿قال﴾، جبريل: ﴿كَذَلِكِ﴾، قيل: معناه كما قلت يامريم ولكن، ﴿قال ربُّكِ﴾. وقيل هكذا قال ربك، ﴿هو عليَّ هيِّنٌ﴾، أي: خَلْق ولد بلا أب، ﴿ولنجعله آيةً﴾، علامة، ﴿للناس﴾، ودلالة على قدرتنا، ﴿ورحمةً منّا﴾، ونعمة لمن تبعه على دينه، ﴿وكان﴾ ذلك، ﴿أمراً مقضياً﴾، محكوماً مفروغاً عنه لا يُرَدُّ ولا يبدَّل .

قوله عزّ وجلّ : ﴿فحملتْهُ﴾، قيل: إن جبريل رفع درعها فنفخ في جيبه[1] فحملت حين لبست .

وقيل: مدَّ جيب درعها بأصبعه ثم نفخ في الجيب .

وقيل: نفخ في كم قميصها. وقيل: في فيها .

وقيل: نفخ جبريل عليه السلام نفخاً من بعيد فوصل الريح إليها فحملت بعيسى في الحال[2]، ﴿فانتبذتْ به﴾، أي تنحَّتْ بالحمل وانفردت، ﴿مكاناً قصياً﴾، بعيداً من أهلها .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أقصى الوادي، وهو وادي بيت لحم، فراراً من قومها أن يعيِّروها بولادتها من غير زوج .

واختلفوا في مدة حملها ووقت وضعها؛ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الحمل والولادة في ساعة واحدة .

وقيل: كان مدة حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء .

---

(١) في «ب»: جيبها .

(٢) قال الشيخ الشنقيطي في «أضواء البيان»: (٤/٢٤١) .

أشار الله تعالى إلى كيفية حمل مريم: أنه نفخ فيها، فوصل النفخ إلى فرجها، فوقع الحمل بسبب ذلك، كما قال: «ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا» (سورة التحريم ـ ١٢) وقال: «والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا» (سورة الأنبياء ـ ٩١) :

والذي عليه الجمهور من العلماء: أن المراد بذلك النفخ نفخ جبريل فيها بإذن الله فحملت، كما تدل لذلك قراءة الجمهور في قوله تعالى: «إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً»، ولا ينافي ذلك إسنادُ الله جلَّ وعلا النفخَ المذكور لنفسه في قوله: «فنفخنا»، لأن جبريل إنما أوقعه بإذنه وأمره ومشيئته، وهو تعالى الذي خلق الحمل من ذلك النفخ، فجبريل لا قدرة له على أن يخلق الحمل من ذلك النفخ، ومن أجل كونه بإذنه ومشيئته وأمره تعالى، ولا يمكن أن يقع النفخ المذكور ولا وجود الحمل منه إلا منه إلا بمشيئته جل وعلا ـ أسنده إلى نفسه .

وقول من قال: إن فرجها الذي نفخ فيه الملك هو جيب درعها ظاهر السقوط. بل النفخ الواقع في جيب الدرع وصل إلى الفرج المعروف فوقع الحمل .

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾

وقيل: كان مدة حملها ثمانية أشهر، وكان ذلك آية أخرى لأنه لا يعيش ولد يولد لثمانية أشهر، وولد عيسى لهذه المدة وعاش.

وقيل: ولدت لستة أشهر.

وقال مقاتل بن سليمان: حملته مريم في ساعة، وصوِّر في ساعة، ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها، وهي بنت عشر سنين[(١)]، وكانت قد حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى[(٢)].

﴿فأجاءها﴾، أي ألجأها وجاء بها، **﴿المَخاضُ﴾**، وهو وجع الولادة، **﴿إلى جذع النخلة﴾** وكانت نخلة يابسة في الصحراء، في شدة الشتاء، لم يكن لها سعف.

وقيل: التجأت إليها لتستند إليها وتتمسك بها على وجع الولادة، **﴿قالت ياليتني مِتُّ قبل هذا﴾**، تمنت الموت استحياءً من الناس وخوف الفضيحة، **﴿وكنتُ نَسْيًا﴾**، قرأ حمزة وحفص **﴿نَسْيًا﴾** بفتح النون، [والباقون بكسرها][(٣)]، وهما لغتان، مثل: الوَتْر والوِتْر، والجسْر والجَسْر، وهو الشيء المنسي، و«النسيُّ» في اللغة: كل ما أُلقي ونُسي ولم يذكر لحقارته.

﴿منسيًا﴾، أي: متروكًا قال قتادة: شيء لا يعرف ولا يذكر. قال عكرمة والضحاك ومجاهد: جيفة ملقاة. وقيل: تعني لم أخلق.

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) أوصل بعض المفسرين الأقوال في مدة حملها إلى سبعة أقوال، والظاهر من الآية المتبادر من التعقيب بحرف الفاء هو قول ابن عباس رضي الله عنه حيث قال: لم يكن إلا أن حملت فوضعت. واستغربه ابن كثير رحمه الله لأن الفاء وإن كانت للتعقيب، لكن تعقيب كل شيء بحسبه.

ثم رجح رأي الجمهور فقال: فالمشهور الظاهر، والله على كل شيء قدير، أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهنّ، وإن كان منشؤه خارقًا للعادة. والسياق لا يذكر كيف حملته ولا كم حملته، هل كان حملاً عاديًا كما تحمل النساء، وتكون النفخة قد بعثت الحياة والنشاط في البويضة، فإذا هي علقة فمضغة فعظام ثم تكسى العظام باللحم ويستكمل الجنين أيامه المعهودة؟.

إن هذا جائز، فبويضة المرأة تبدأ بعد التلقيح في النشاط والنمو حتى تستكمل تسعة أشهر قمرية، والنفخة تكون قد أدّت دور التلقيح فسارت البويضة سيرتها الطبيعية.

كما أنه من الجائز في مثل هذه الحالة الخاصة أن لا تسير البويضة بعد النفخة سيرة عادية، فتختصر المراحل اختصارًا، ويعقبها تكوُّن الجنين ونموه واكتماله في فترة وجيزة.. وليس في النص ما يدل على إحدى الحالتين، فلا نجري طويلاً وراء تحقيق القضية التي لا سند لنا فيها. والله أعلم.

انظر: «زاد المسير»: ٢١٩/٥، «ابن كثير»: ١١٧/٣، «في ظلال القرآن» ٢٣٠٦/٤ـ٢٣٠٧، طبعة دار الشروق، «أضواء البيان»: ٢٤٤/٤.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤﴾

﴿فناداها مِنْ تحتِها﴾، قرأ أبو جعفر، ونافع، وحمزة، والكِسائي، وحفصٌ: ﴿مِنْ تحتِها﴾ بكسر الميم والتاء، يعني جبريل عليه السلام، وكانت مريم على أَكَمَةٍ، وجبريل وراء الأكمة تحتها فناداها.

وقرأ الآخرون بفتح الميم والتاء، وأراد جبريل عليه السلام أيضاً، ناداها من سفح الجبل.

وقيل: هو عيسى لما خرج من بطن أمه ناداها: ﴿ألا تحزني﴾، وهو قول مجاهد والحسن[1].

والأول قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، والسدي، وقتادة، والضحاك، وجماعة: أن المنادي كان جبريل لما سمع كلامها وعرف جزعها ناداها ألاّ تحزني.

﴿قد جعل ربك تحتكِ سَرِيًّا﴾، و«السَّرِيّ»: النهر الصغير.

وقيل: تحتك أي جعله الله تحت أمرك إن أمرتيه أن يجري جرى، وإن أمرتيه بالإمساك أمسك.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ضرب جبريل عليه السلام ـ ويقال: ضرب عيسى عليه الصلاة والسلام ـ برجله الأرض فظهرت عين ماء عذب وجرى[2].

وقيل: كان هناك نهر يابس أجرى الله سبحانه وتعالى فيه الماء وحييت النخلة اليابسة، فأورقت وأثمرت وأرطبت.

وقال الحسن: «تحتك سريًّا» يعني: عيسى، وكان والله عبداً سرياً، يعني: رفيعاً[3].

---

(١) واختار هذا التفسير ابن زيد وابن جرير الطبري في التفسير: (٦٨/١٦) وذلك أنه من كناية ذكره أقرب منه من ذكر جبرائيل، فردُّه على الذي هو أولى من ردِّه على الذي هو أبعد منه، ألا ترى في سياق قوله: «فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً» يعني به: فحملت عيسى فانتبذت به، ثم قيل: «فناداها» نسقاً على ذلك من ذكر عيسى والخبر عنه، ولعلّةٍ أخرى، وهي قوله: «فأشارت إليه» ولم تشر إليه إن شاء الله إلا وقد علمت أنه ناطق في حاله تلك، وللذي كانت قد عرفت ووثقت به منه بمخاطبته إياها بقوله لها: «أنْ لا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً» وما أخبر الله عنه أنه قال لها: أشيري للقوم إليه، ولو كان ذلك قولاً من جبرائيل، لكان خليقاً أن يكون في ظاهر الخبر، مبيناً أن عيسى سينطق، ويحتج عنها للقوم، وأمر منه لها بأن تشير إليه للقوم إذا سألوها عن حالها وحاله.

(٢) انظر: «تفسير الخازن»: ١٩٧/٤.

(٣) ورجح الطبري: (٧١/١٦) القول الأول فقال: «وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قِيْلُ مَنْ قال: عني به الجدول، وذلك أنه أعلمها ما قد أعطاها الله من الماء الذي جعله عندها، وقال لها: «وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً فكلي» من هذا الرطب، «واشربي» من هذا الماء «وقرّي عيناً» بولدك. و«السَّرِيُّ» معروف من كلام العرب أنه النهر الصغير».

وقد رويت أحاديث مرفوعة في ذلك لا يصح منها شيء، وإن كان هو الأقرب إلى الصواب من قول من قال أن المراد بالسري «عيسى» عليه السلام، وإن كان من معاني «السَّري»: الرفيع مكانةً.

انظر: «الكافي الشاف» ص (١٠٥ـ١٠٦)، «تفسير ابن كثير»: ١١٨/٣، «مجمع الزوائد»: ٥٤/٧ـ٥٥، «أضواء البيان» للشنقيطي: ٢٤٨/٤ـ٢٤٩.

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي
وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ
أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦﴾

﴿وهُزّي إليك﴾، يعني قيل لمريم: حرّكي ﴿بجذع النخلة﴾، تقول العرب: هزَّه وهزَّ به، كما يقول: حزّ رأسه وحزّ برأسه، وأَمْدَدَ الحبل وأمدَدَ به، ﴿تساقطْ عليك﴾، القراءة المعروفة بفتح التاء والقاف وتشديد السين، أي: تتساقط، فأُدغمتْ إحدى التاءين في السين أي: تسقط عليك النخلة رطباً، وخفف حمزة السين وحذف التاء التي أدغمها غيره.

وقرأ حفص بضم التاء وكسر القاف خفيف على وزن تُفاعِل. وتساقط بمعنى أسقط، والتأنيث لأجل النخلة.

وقرأ يعقوب: «يساقط» بالياء مشددة ردّة إلى الجذع.

﴿رُطباً جنياً﴾، مجنياً. وقيل: الجني هو الذي بلغ الغاية، وجاء أوان اجتنائه. قال الربيع بن خُثَيم: ما للنفساء عندي خير من الرطب، ولا للمريض خير من العسل[1].

قوله سبحانه وتعالى: ﴿فكلي واشربي﴾، أي: فكلي يامريم من الرُّطَبِ، وآشربي من ماء[2] النهر، ﴿وقَرّي عيناً﴾، أي: طيبي نفساً. وقيل: قرى عينك بولدك عيسى. يقال: أقر الله عينك / أي: صادف فؤادك ما يرضيك، فتقر عينك من النظر إلى غيره. وقيل: أقر الله عينه: يعني أنامها، يقال: قرّ يقرّ إذا سكن. ٧/أ

وقيل: إن العين إذا بكت من السرور فالدمع بارد، وإذا بكت من الحزن فالدمع يكون حاراً، فمن هذا قيل: أقرَّ الله عينه وأسخن الله عينه.

﴿فإما تَرَينَّ من البشر أحداً﴾، أي: تري، فدخل عليه نون التأكيد فكسرت الياء لالتقاء الساكنين.

معناه: فإما ترين من البشر أحداً فيسألك عن ولدك ﴿فقولي إني نذرتُ للرحمن صوماً﴾، أي: صمتاً، وكذلك كان يقرأ ابن مسعود رضي الله عنه.

والصوم في اللغة الإمساك عن الطعام والشراب[3] والكلام[4].

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، انظر: «الدر المنثور»: ٥/٥٠٥.

(٢)، (٣) ساقط من «أ».

(٤) انظر: «لسان العرب»: ١٢/٣٥٠-٣٥١.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾

قال السدي: كان في بني إسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام، كما يصوم عن الطعام، فلا يتكلم حتى يمسي.

وقيل: إن الله تعالى أمرها أن تقول هذا إشارةً.

وقيل: أمرها أن تقول هذا القدر نطقاً، ثم تمسك عن الكلام بعده.

﴿فلن أكلّمَ اليوم إنسياً﴾، يقال: كانت تكلم الملائكة، ولا تكلم الإنس.

﴿فأتتْ به قومَها تحملُه﴾، قيل: إنها ولدته، ثم حملته في الحال إلى قومها.

وقال الكلبي: حمل يوسف النجار مريم وابنها عيسى [عليهما السلام][1] إلى غار، ومكثت أربعين يوماً حتى طهرت من نفاسها[2]، ثم حملته مريم عليها السلام إلى قومها. فكلمها عيسى عليه السلام في الطريق فقال: يا أماه أبشري فإني عبد الله ومسيحه، فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بَكَوا وحزنوا، وكانوا أهل بيت صالحين[3]، **﴿قالوا يامريمُ لقد جئت شيئاً فرياً﴾**، عظيماً منكراً، قال أبو عبيدة: كل أمر فائق من عجب أو عمل فهو فَرِيّ.

قال النبي ﷺ في عمر: «فلم أرَ عبقرياً يفري فريه»[4] أي: يعمل عمله.

﴿يا أختَ هارون﴾، يريد ياشبيهة هارون، قال قتادة وغيره: كان هارون رجلاً صالحاً عابداً في بني إسرائيل. روي أنه اتبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً كلهم يسمى «هارون» من بني إسرائيل سوى سائر الناس، [شبهوها به على][5] معنى إنا ظننا أنك مثله في الصلاح. وليس المراد منه الأخوّة في النسب، كما قال الله تعالى: «إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين» (الإسراء: ٢٧) أي أشباههم.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير،

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) عزاه السيوطي في الدر: (٥٠٦/٥) لسعيد بن منصور وابن عساكر عن ابن عباس، دون أن يذكر يوسف النجار. وتقدم أن الكلبي ضعيف.

(٣) انظر: «البحر المحيط»: ١٨٧/٦.

(٤) أخرجه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: ٦٢٩/٦-٦٣٠، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل عمر رضي الله عنه، برقم (٢٣٩٣): ١٨٦٢/٤.

(٥) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ٢٩﴾

حدثنا ابن إدريس عن أبيه، عن سماك بن حرب، عن علقمة بن وائل، عن المغيرة بن شعبة قال: لما قدمت نجران سألوني، فقالوا: إنكم تقرؤون: ﴿يا أخت هارون﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا! فلمّا قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال: «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»(١) .

وقال الكلبي: كان هارون أخا مريم من أبيها، وكان أَمْثل رجل في بني إسرائيل .

وقال السدي: إنما عنوا به هارون أخا موسى، لأنها كانت من نسله، كما يقال للتميمي: يا أخا تميم .

وقيل: كان هارون رجلاً(٢) فاسقاً في بني إسرائيل عظيم الفسق فشبهوها به(٣) .

﴿ما كان أبوك﴾، عمران، ﴿امرأ سَوْءٍ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: زانياً، ﴿وما كانت أمّك﴾، حنّة، ﴿بغياً﴾، أي زانية، فمن أين لك هذا الولد؟ .

﴿فأشارت﴾، مريم، ﴿إليه﴾، أي إلى عيسى عليه السلام: أن كلّموه .

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لما لم يكن لها حجة أشارت إليه، ليكون كلامه حجةً لها(٤) .

وفي القصة: لما أشارت إليه غضب القوم، وقالوا مع ما فعلت تسخرين بنا؟(٥) .

﴿قالوا كيف نُكلّم من كان في المهد صبياً﴾ أي: من هو في المهد، وهو حجرها .

وقيل: هو المهد بعينه، و«كان» بمعنى: هو. وقال أبو عبيدة: «كان» صلة، أي: كيف نكلم صبياً في المهد. وقد يجيء «كان» حشواً في الكلام لا معنى له كقوله «هل كنت إلاّ بشراً رسولاً» (الإسراء: ٩٣) أي: هل أنا(٦)؟

قال السدي: فلما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم .

وقيل: لما أشارت إليه ترك الثدي واتكأ على يساره، وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه :

---

(١) أخرجه مسلم في الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، برقم (٢١٣٥): ٣/١٦٨٥، والمصنف في شرح السنة: ١٢/٣٢٨ .

(٢) ساقط من «أ» .

(٣) انظر في هذه الأقوال: «تفسير الطبري»: ١٦/٧٧-٧٨، «الدر المنثور»: ٥/٥٠٧-٥٠٨، «زاد المسير»: ٥/٢٢٧ . قال الطبري: «والصواب من القول في ذلك ما جاء به الخبر عن رسول الله ﷺ الذي ذكرناه، وأنها نسبت إلى رجل من قومها» .

(٤) انظر «تفسير الخازن»: ٤/١٩٨ .

(٥) انظر «البحر المحيط»: ٦/١٨٧ .

(٦) انظر في هذا كله: «تفسير الطبري»: ١٦/٧٩، «البحر المحيط»: ٦/١٨٧، «زاد المسير»: ٥/٢٢٨ .

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ الْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

﴿قال إني عبد الله﴾، وقال وهب: أتاها زكريا عند مناظرتها اليهود، فقال لعيسى: انطق بحجتك إن كنت أمرت بها، فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوماً ــ وقال مقاتل: بل هو يوم ولد ــ: إني عبد الله، أقرّ على نفسه بالعبودية لله عزّ وجلّ أول ما تكلم لئلا يتخذ إلهاً[1]، **﴿آتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾**، قيل: معناه سيؤتيني الكتاب ويجعلني نبياً.

وقيل: هذا إخبار عما كتب له في اللوح المحفوظ، كما قيل للنبي ﷺ: متى كنت نبياً؟ قال: «كنتُ نبياً وآدم بين الروح والجسد»[2].

وقال الأكثرون أوتيَ الإنجيل وهو صغير طفل، وكان يعقل عقل الرجال.

وعن الحسن: أنه قال: أُلهِم التوراة وهو في بطن أمه[3].

﴿وجعلني مباركاً أينما كنتُ﴾، أي نفّاعاً حيث ما توجهت. وقال مجاهد: معلماً للخير. وقال عطاء: أدعو إلى الله وإلى توحيده وعبادته. وقيل: مباركاً على من تبعني.

﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة﴾، أي: أمرني بهما.

فإن قيل: لمْ يكن لعيسى مال. فكيف يؤمر بالزكاة؟

قيل: معناه بالزكاة لو كان لي مال وقيل: بالاستكثار من الخير.

﴿ما دمتُ حياً﴾.

﴿وبَرّاً بوالدتي﴾ أي وجعلني براً بوالدتي، **﴿ولم يجعلني جباراً شقياً﴾**، أي عاصياً لربه. قيل: «الشَّقِيُّ»: الذي يذنب ولا يتوب.

﴿والسلام عليَّ يوم ولدت﴾، أي: السلامة عند الولادة من طعن الشيطان. **﴿ويوم أموت﴾**،

---

(١) انظر: «زاد المسير»: ٥/٢٢٨، «البحر المحيط»: ٦/١٨٧.

(٢) صححه الحاكم في «المستدرك»: ٢/٦٠٩، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٥/٣٧٩، والبخاري في تاريخه: ٧/٣٧٤.

(٣) والصواب في ذلك أنه سبحانه وتعالى عبرَّ في الآية بالفعل الماضي عن المستقبل تنزيلاً لتحقق وقوعه منزلة الوقوع بالفعل، ولهذا نظائر كثيرة في القرآن، فيكون التأويل الأول هو الراجح وما عداه فهو ضعيف.
انظر: «أضواء البيان»: ٤/٢٧٣-٢٧٤.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾

أي عند الموت من الشرك، ﴿ويوم أبعث حياً﴾، من الأهوال. ولما كلّمهم عيسى بهذا علموا براءة مريم، ثم سكت عيسى عليه السلام، فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان.

﴿ذلك عيسى ابنُ مريمَ﴾، [قال الزجاج: أي ذلك الذي قال إني عبدالله عيسى ابن مريم][1]، ﴿قَوْلَ الحقِّ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب: ﴿قولَ الحق﴾ بنصب اللام وهو نصب على المصدر، أي: قالَ قَوْلَ الحقِّ، ﴿الذي فيه يمترون﴾ أي: يختلفون، فقائل يقول: هو ابن الله، وقائل يقول: هو الله، وقائل يقول: هو ساحر كاذب.

وقرأ الآخرون برفع اللام، يعني: هو قولُ الحق، أي هذا الكلام هو قولُ الحق، أضاف القولَ إلى الحق، كما قال: «حق اليقين»، و«وعْد الصدق».

وقيل: هو نعت لعيسى ابن مريم، يعني ذلك عيسى ابن مريم كلمة الله والحق هو الله ﴿الذي فيه يمترون﴾ يشكُّون، ويختلفون، ويقولون غير الحق. ثم نفى عن نفسه الولد، فقال:

﴿ما كانَ لله أن يتَّخِذَ مِنْ ولدٍ﴾، أي ما كان من صفته اتخاذ الولد. وقيل: اللام منقولة أي ما كان الله ليتخذ من ولد، ﴿سبحانه إذا قضىٰ أمراً﴾، أذا أراد أن يحدث أمراً، ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾.

﴿وإنّ الله ربِّي وربُّكم﴾، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو: ﴿أن الله﴾ بفتح الألف، يرجع إلى قوله: ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة﴾ وبأن الله ربي وربكم، وقرأ أهل الشام والكوفة ويعقوب بكسر الألف على الاستئناف / ﴿فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾. ٧/ب

﴿فاختلف الأحزابُ من بينهم﴾، يعني: النصارى، سُمُّوا أحزاباً لأنهم تحزَّبوا ثلاث فرقٍ في أمر عيسى: النسطورية، والملكانية، واليعقوبية. ﴿فويلٌ للذين كفروا من مَشْهَدِ يوم ٍ عظيم ٍ﴾، يعني يوم القيامة.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٣٨ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٩﴾

﴿أسمِعْ بهم وأبصِرْ﴾، أي ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم[1] السمع والبصر! أخبرَ أنهم يسمعون ويبصرون في الآخرة مالم يسمعوا ولم يبصروا في الدنيا.

قال الكلبي: لا أحد يوم القيامة أسمع منهم ولا أبصر حين[2] يقول الله تعالى لعيسى: «أأنت قلتَ للناس» الآية (مريم ـــ ١١٦). ﴿يوم يأتوننا لكنِ الظالمون اليومَ في ضلالٍ مبين﴾، أي: في خطأ بيّن.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وأنذرهم يومَ الحَسْرَةِ إذْ قُضِيَ الأمرُ﴾، فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وذبح الموت.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عمرو بن حفص بن غياث، أخبرنا أبي أنبأنا الأعمش، أخبرنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبشٍ أملح فينادي منادٍ: يا أهل الجنة فيشرفون[3] وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلُّهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار فيشرفون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت» ثم قرأ: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾[4].

ورواه أبو عيسى عن أحمد بن منيع، عن النضر بن إسماعيل، عن الأعمش بهذا الإسناد، وزاد: «فلولا أن الله تعالى قضى لأهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحاً، ولولا أن الله تعالى قضى لأهل النار الحياة والبقاء لماتوا ترحاً»[5].

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا معاذ بن أسد، أخبرنا عبد الله، أخبرنا عمر بن محمد بن زيد عن

---

(١) في «ب»: لا ينفع.
(٢) ساقط من «أ».
(٣) في «ب»: فيشرئبون.
(٤) أخرجه البخاري في التفسير، باب «وأنذرهم يوم الحسرة»: ٤٢٨/٨، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون.. برقم (٢٨٤٩): ٢١٨٨/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٩٨/١٥.
(٥) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب سورة مريم: ٦٠٢/٨-٦٠٣، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾﴾

أبيه أنه حدثه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا صار أهلَ الجنة إلى(1) الجنة، وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار. ثم يذبح ثم ينادي منادٍ: ياأهل الجنة لا موت، وياأهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم(2) .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، أخبرنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يدخل أحدٌ الجنة إلّا أُري مقعدَه من النار لو أساء ليزداد شكراً، ولا يدخل النار أحدٌ إلّا أُري مقعدَه من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة »(3) .

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداوودي، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أخبرنا الحسين بن الحسن، أخبرنا ابن المبارك، أخبرنا يحيى بن عبيد الله(4) قال: سمعت أبي قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: « ما من أحد يموت إلّا ندم »، قالوا: فما ندمه يارسول الله؟ قال: « إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع »(5) .

قوله عزّ وجلّ: ﴿وهم في غفلة﴾، أي: عمّا يُفعل بهم في الآخرة، ﴿وهم لا يؤمنون﴾، لا يصدقون.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ إنّا نحن نرثُ الأرضَ ومَنْ عليها ﴾ أي: نميت سكان الأرض ونهلكهم جميعاً، ويبقى الربُّ وحده فيرثهم، ﴿ وإلينا يُرجعون ﴾، فنجزيهم بأعمالهم .

قوله عزّ وجلّ: ﴿ واذكرْ في الكتاب إبراهيمَ إنه كان صدّيقاً نبياً ﴾ « الصدّيق »: الكثير الصدق القائم عليه. وقيل: من صدّق الله في وحدانيته، وصدّق أنبياءه ورسله، وصدّق بالبعث،

---

(1) ساقط من «أ» .

(2) أخرجه البخاري في الرقاق، باب صفة الجنة والنار: ٤١٥/١١ ومسلم في الجنة، الموضع السابق: ٢١٨٩/٤. والمصنف في شرح السنة: ١٩٩/٥ .

(3) أخرجه البخاري في الرقاق، باب صفة الجنة والنار: ٤١٨/١١، والمصنف في شرح السنة: ٢٠٠/١٥ .

(4) في « أ » عبد الله . والذي أثبتناه ما جاء في شرح السنة، وكذلك أبو الحسن عبد الحميد بن محمد الداوودي هكذا جاء في المخطوط والذي أثبتناه في شرح السنة.

(5) أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في ذهاب البصر: ٨٤/٧، وقال: « هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه، ويحيى بن عبيد الله قد تكلم فيه شعبة » .
قال ابن حجر في « التقريب » ص (٥٩٤): « متروك، وأفحش الحاكم فرماه بالوضع » .
وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١١٧/١٥ - ١١٨ .

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ
إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ
لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن
يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ
ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾

وقام[1] بالأوامر فعمل بها، فهو الصديق. و« النبيُّ »: العالي في الرتبة بإرسال الله تعالى إيّاه.

﴿ **إذ قال** ﴾، إبراهيم، ﴿ **لأبيه** ﴾، آزر وهو يعبد الأصنام، ﴿ **ياأبتِ لمَ تَعْبُدُ مالا يسمع** ﴾، صوتاً، ﴿ **ولا يُبْصِرُ** ﴾، شيئاً، ﴿ **ولا يُغْني عنك** ﴾، أي لا يكفيك، ﴿**شيئاً**﴾.

﴿ **ياأبتِ إنّي قد جاءني من العلم** ﴾، بالله والمعرفة، ﴿ **مالم يأتِك فاتّبِعْني** ﴾، على ديني، ﴿ **أهدِك صراطاً سويّاً** ﴾، مستقيماً.

﴿**يا أبتِ لا تعبدِ الشيطانَ**﴾، لا تطعه فيما يزيِّن لك من الكفر والشرك، ﴿**إن الشيطان كان للرحمن عَصِيّاً**﴾: عاصياً، «كان» بمعنى الحال، أي: هو كذلك.

﴿ **يا أبتِ إنّي أخاف** ﴾، أي أعلم، ﴿ **أن يمسَّك** ﴾، يصيبك، ﴿ **عذابٌ من الرحمن** ﴾ أي: إن أقمتَ على الكفر، ﴿ **فتكونَ للشيطان ولياً** ﴾، قريناً في النار.

﴿ **قال** ﴾ أبوه مجيباً له: ﴿ **أراغبٌ أنتَ عن آلهتي ياإبراهيمُ. لئن لم تَنْتَهِ** ﴾، لئن لم تسكت وترجع عن عيبك آلهتنا وشتمك إيّاها، ﴿ **لأرْجُمَنّكَ** ﴾، قال الكلبي، ومقاتل، والضحاك: لأشتمنّك، ولأُبْعِدَنّك عني بالقول القبيح[2].

قال ابن عباس لأضربنّك. وقال عكرمة: لأقتلنّك بالحجارة.

﴿ **واهجرني ملياً** ﴾، قال الكلبي: اجتنبني طويلاً. وقال مجاهد وعكرمة: حيناً.

وقال سعيد بن جبير: دهراً وأصل « الحين »: المكث، ومنه يقال: فمكثت حيناً، « والمَلَوان »: الليل والنهار.

(١) ساقط من « أ ».
(٢) وهو ما مال إليه الطبري، ولم يذكر غيره. ١٦/٩٠ - ٩١.

قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ
وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا
﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا

وقال قتادة وعطاء: سالماً. وقال ابن عباس: اعتزلني سالماً لا تصيبك مني معرّة، يقال: فلان ملي بأمر كذا: إذا كان كافياً(١).

﴿ **قال** ﴾ إبراهيم ﴿ **سلامٌ عليك** ﴾، أي: سلمت مني لا أصيبك بمكروه، وذلك أنه لم يؤمر بقتاله على كفره.

وقيل: هذا سلام هجران ومفارقة. وقيل: سلام برٌّ ولطف، وهو جواب الحليم للسفيه. قال الله تعالى: « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » (الفرقان: ٦٣).

قوله تعالى: ﴿ **سأستغفرْ لك ربّي** ﴾، قيل: إنه لما أعياه أَمْرُهُ ووعده أن يراجع الله فيه، فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له. معناه: سأسأل الله تعالى لك توبة تنال بها المغفرة.

﴿**إنه كان بي حفياً**﴾، برّاً لطيفاً. قال الكلبي: عالماً يستجيب لي إذا دعوته. قال مجاهد: عوَّدني الإجابة لدعائي.

﴿ **وأعتزلُكم وما تَدْعُونَ من دونِ الله** ﴾، أي: أعتزل ما تعبدون من دون الله: قال مقاتل: كان اعتزاله إيّاهم أنه فارقهم من « كوثىٰ » فهاجر منها إلى الأرض المقدسة، ﴿ **وأدعو ربي** ﴾، أي: أعبدُ ربي، ﴿ **عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً** ﴾، أي: عسى أن لا أشقى بدعائه وعبادته، كما تشقون أنتم بعبادة الأصنام.

وقيل: عسى أن يجيبني إذا دعوته ولا يخيبني.

﴿**فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله**﴾، فذهب مهاجراً، ﴿**وهبنا له**﴾ بعد الهجرة ﴿ **إسحاق ويعقوب** ﴾ آنسنا وحشته [من فراقهم](٢)، وأقررنا عينه، بأولادٍ كرام على

---

(١) ساق الطبري هذه الأقوال، ثم قال: (١٦/٩٢): « وأولى القولين بتأويل الآية عندي قول من قال: معنى ذلك: واهجرني سوياً، سليماً من عقوبتي، لأنه عقيب قوله: ﴿لئن لم تنته لأرجمنّك﴾ وذلك وعيد منه له إن لم ينته عن ذكر آلهته بالسوء أن يرجمه بالقول السيء، والذي هو أولى بأن يتبع ذلك التقدم إليه بالانتهاء عنه قبل أن تناله العقوبة، فأما الأمر بطول هجره فلا وجه له ».

(٢) ساقط من « ب ».

جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾
وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ
الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾

الله عز وجل، ﴿ وكُلاًّ جعلنا نبياً ﴾ يعني: إسحاق ويعقوب .

﴿ ووهبنا لهم من رحمتنا ﴾. قال الكلبي: المال والولد، وهو قول الأكثرين، قالوا: ما بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق. وقيل: الكتاب والنبوّة .

٨/أ ﴿ وجعلنا لهم / لسانَ صدقٍ علياً ﴾، يعني ثناءً حسناً رفيعاً في كل أهل الأديان، فكلُّهم يتولَّونهم، ويثنون عليهم .

قوله عزّ وجلّ: ﴿ واذكرْ في الكتاب موسى إنه كان مُخلِصاً ﴾، غير مُراءٍ، أخلص العبادة والطاعة لله عزّ وجلّ[1]. وقرأ أهل الكوفة ﴿ مخلَصاً ﴾ بفتح اللام أي: مختاراً اختاره الله عزّ وجلّ. وقيل: أخلصه الله من الدنس. ﴿ وكان رسولاً نبياً ﴾ .

﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن ﴾، يعني: يمين موسى[2]، والطور: جبل بين مصر ومدين. ويقال: اسمه « الزُّبَيْر » وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار نودي « أن ياموسى إني أنا اللهُ ربُّ العالمين » (القصص: ٣٠) .

﴿ وقرّبناه نجيّاً ﴾، أي: مناجياً، فالنجي المناجي، كما يقال: جليس ونديم .

قال ابن عباس: معناه: قرَّبه فكلَّمه، ومعنى التقريب: إسماعه كلامه .

---

(١) هذا التفسير لقراءة ﴿مخلِصاً﴾ بكسر اللام. ثم قال المصنف « وقرأ أهل الكوفة.. بفتح اللام.. » فكأن الأصل أنه قدم القراءة بكسر اللام وفسر الآية عليها أولاً .

(٢) نقل ابن الجوزي في « زاد المسير »: (٢٣٩/٥) عن ابن الأنباري قال: « إنما خاطب الله العربَ بما يستعملون في لغتهم، ومن كلامهم: عن يمين القبلة وشمالها، يعنون: مما لي يمين المستقبل لها وشماله، فنقلوا الوصف إلى ذلك اتّساعاً عند انكشاف المعنى، لأن الوادي لا يـد له فيكون له يمين .
وقال المفسرون: جاء النداء عن يمين موسى، فلهذا قال: ﴿الأيمن﴾، ولم يُرِدْ به يمين الجبل » .

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۝٥٣ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ
كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۝٥٥ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا
نَّبِيًّا ۝٥٦﴾

وقيل: رفعه على الحجب حتى سمع صرير القلم[1].

﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً﴾، وذلك حين دعا موسى فقال: «واجعلْ لي وزيراً من أهلي هارونَ أخي»، (طه: ٢٩-٣٠)، فأجاب الله دعاءه وأرسل هارون، ولذلك سماه هبة له[2].

قوله عزّ وجلّ: ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل﴾، وهو إسماعيل بن إبراهيم جدُّ النبي ﷺ ﴿إنّه كان صادق الوَعْدِ﴾، قال مجاهد: لم يَعِدْ شيئاً إلاَّ وفَّىٰ به.

وقال مقاتل: وعد رجلاً أن يقيم مكانه حتى يرجع إليه الرجل، فأقام إسماعيل مكانه ثلاثة أيام للميعاد حتى رجع إليه الرجل.

وقال الكلبي: انتظره حتى حَالَ عليه الحَوْل[3].

﴿وكان رسولاً﴾، إلى جُرْهُم، ﴿نبياً﴾، مخبراً عن الله عزّ وجلّ.

﴿وكان يأمر أهله﴾ أي: قومه. وقيل: أهله وجميع أمته، ﴿بالصلاة والزكاة﴾، قال ابن عباس: يريد التي افترضها الله تعالى عليهم، وهي الحنيفية التي افترضت علينا، ﴿وكان عند ربه مَرْضِيّاً﴾، قائماً بطاعته. قيل: رضيه الله عزّ وجلّ لنبوته ورسالته.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱذْكُرْ في الكتابِ إدريسَ﴾، وهو جَدّ أبي نوح، واسمه «أخنوخ»، سمي إدريس لكثرة درسه الكتب. وكان خياطاً وهو أول من خطّ بالقلم، وأول من خاط الثياب، ولبس المخيط، وكانوا من قبله يلبسون الجلود، وأول من اتخذ السلاح، وقاتل الكفار، وأول من نظر في علم

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي»: ٩٤/١٦ - ٩٥، «تفسير ابن كثير» ١٢٥/٣ - ١٢٦.

(٢) قال الطبري: (٩٥/١٦) يقول: ووهبنا لموسى رحمة منا أخاه هارون ﴿نبياً﴾، يقول: أيدناه بنبوته وأعناه بها.
وعن ابن عباس قال: كان هارون أكبر من موسى، ولكن أراد: وهب له نبوته.

(٣) انظر: الطبري: ٩٦/١٦، ابن كثير: ١٢٦/٣؛ ففيهما جملة آثار. وقال ابن جريج: لم يَعِدْ ربَّه عِدَةً إلا أنجزها. يعني ما التزم عبادة بنذر قط إلا قام بها ووفَّاها حقها.

﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧ ﴾

النجوم[1] والحساب، ﴿ إنه كان صديقاً نبياً ﴾ .

﴿ ورفعناه مكاناً عَلِيّاً ﴾، قيل: يعني الجنة. وقيل: هي الرفعة بعلو الرتبة في الدنيا .

وقيل: هو أنه رفع إلى السماء الرابعة[2] .

روى أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ أنهْ رأى إدريس في السماء الرابعة ليلة المعراج[3] .

وكان سبب رفع إدريس [إلى السماء][4] على ما قاله كعب وغيره: أنه سارَ ذات يومٍ في حاجة فأصابه وهج الشمس، فقال: يارب أنا مشيت يوماً، فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد! اللّهمّ خفّف عنه من ثقلها وحرّها[5]، فلما أصبح المَلَك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف. فقال[6]: يارب ما الذي قضيت فيه؟ فقال: إن عبدي إدريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبته، فقال: رب اجعل بيني وبينه خُلَّه، فأذن له حتى أتى إدريس، فكان يسأله إدريس، فقال له: إني أخبرت أنك أكرم الملائكة وأمكنهم عند مَلَك الموت، فاشفع لي إليه ليؤخر أجلي، فأزداد شكراً وعبادة، فقال الملك: لا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها، وأنا مكلمة فرفعه إلى السماء ووضعه عند مطلع الشمس، ثم أتى ملك الموت فقال لي حاجة إليك؛ صديقٌ لي من بني آدم تشفَّع بي إليك لتؤخر أجله، قال: ليس ذلك إليَّ ولكن إن أحببت أعلمته أجله، فيقدم لنفسه، قال: نعم، فنظر في ديوانه فقال: إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبداً، قال: وكيف؟ قال: لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس، قال فإني أتيتك وتركته هناك، قال: فانطلق فلا أراك تجده إلاَّ وقد مات، فوالله ما بقي من أجل إدريس شيء، فرجع الملك فوجده ميتاً[7] .

---

(١) زيادة من « ب » .

(٢) ساقط من «أ» .

(٣) قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري: ٢٠١/٧ - ٢٠٢، ومسلم: ١٤٩/١ - ١٥١. وقد تقدم تخريجه في سورة الإسراء: .

(٤) ما بين المعكوفين ساقط من «أ» .

(٥) يعني به الملك الموكل بالشمس .

(٦) أي: المَلَك الموكل بها .

(٧) ساق هذه الرواية القرطبي في التفسير: ١١٨/١١، وابن الجوزي في « زاد المسير »: (٢٤٣/٥) وقال: وهذا المعنى مروي عن ابن عباس وكعب في آخرين .
وعقّب ابن كثير على هذه الروايات وأمثالها بأن فيها غرابة ونكارة، وهي من أخبار كعب الأحبار من الإسرائيليات .
انظر: تفسير ابن كثير: ١٢٧/٣ .

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ

واختلفوا في أنه حي في السماء أم ميت؟ فقال قوم: هو ميت، وقال قوم: هو حي[1]، وقالوا: أربعة من الأنبياء في الأحياء اثنان في الأرض: الخضر وإلياس، واثنان في السماء: إدريس وعيسى .

وقال وهب: كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض في زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت، فاستأذن ربَّه عزّ وجلّ في زيارته، فأذن له فأتاه في صورة بني آدم، وكان إدريس يصوم الدهر، فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل معه، ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس، فقال له الليلة الثالث: إني أريد أن أعلم من أنت؟ فقال: أنا ملك الموت استأذنت ربّي أن أصحبك، قال: فلي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: تقبض روحي، فأوحى الله إليه أن أقبض روحه، فقبض روحه وردها الله إليه بعد ساعة، قال ملك الموت: ما في سؤالك من قبض الروح؟ قال لأذوق كرب الموت وغمته فأكون أشد استعداداً له، ثم قال إدريس له: إن لي إليك حاجة أخرى، قال: وما هي؟ قال: ترفعني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة والنار، فأذن الله في رفعه، فلما قرب من النار قال لي حاجة أخرى، قال: وما تريد؟ قال: تسأل مالكاً حتى فأوحى الله إليه أن أقبض روحه، فقبض روحه وردها الله إليه بعد ساعة، قال له ملك الموت: ما في ففتحت أبوابها، فأدخله الجنة، ثم قال ملك الموت: أخرج لتعود إلى مقرك، فتعلق بشجرة وقال: لا أخرج منها، فبعث الله ملكاً حكماً بينهما، فقال له الملك: مالك لا تخرج؟ قال: لأن الله تعالى قال: « كل نفس ذائقة الموت » (آل عمران: ١٨٥)، وقد ذقتُه، وقال: « وإنْ منكم إلّا واردها » (مريم: ٧١)، وقد وردتُها، وقال: « وما هم منها بمخرجين » (الحجر: ٤٨)، فلست أخرج، فأوحى الله إلى ملك الموت بإذني دخل الجنة وبأمري لا يخرج، فهو حي هناك، فذلك قوله تعالى: ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾[2].

﴿ **أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم** ﴾، يعني: إدريس ونوحاً، ﴿ **ومن حملنا مع نوح** ﴾، أي ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة، يريد إبراهيم؛ لأنه ولد من سام بن نوح، ﴿ **ومن ذرية إبراهيم** ﴾، يريد إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب .

(١) القول الأول هو الذي يتفق مع الروايات، والثاني مروي عن مجاهد قال: إدريس رفع ولم يمت، كما رفع عيسى. فإن أراد: أنه لم يمت إلى الآن ففي هذا نظر، وإن أراد أنه رفع حياً إلى السماء ثم قبض هناك، فلا ينافي ما تقدم عن كعب الأحبار، والله أعلم . انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير: ١/١٠٠ .

(٢) أنظر: « الدر المنثور »: ٥/٥١٩ - ٥٢٣، « زاد المسير »: ٥/٢٤١ - ٢٤٢. وهذا الخبر من الإسرائيليات وقد أشار إلى ذلك ابن كثير رحمه الله .

﴿خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ٥٨ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾

قوله: ﴿ **وإسرائيل** ﴾، أي ومن ذرية إسرائيل، وهم موسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى، .

قوله: ﴿ **وممن هدينا واجتبينا** ﴾، هؤلاء كانوا ممن أرشدنا واصطفينا، ﴿ **إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرُّوا سُجَّداً وبُكِيّاً** ﴾، «سُجَّداً»: جمع ساجد، «وبكياً»: جمع باكٍ، أخبر الله أن الأنبياء كانوا إذا سمعوا بآيات الله سجدوا وبكوا .

٨/ب قوله عزّ وجلّ: ﴿ **فخلف من بعدهم / خَلْف** ﴾، أي: من بعد النبيين المذكورين خَلْف، وهم قوم سوء، « والخَلَف » - بالفتح - الصالح، وبالجزم الطالح[1] .

قال السدي: أراد بهم اليهود ومن لحق بهم .

وقال مجاهد وقتادة: هم في هذه الأمة[2] .

---

(١) وهو قول ابن الأعرابي، واستشهدوا له بقول لَبِيْد :

ذَهَب الذين يُعَاشُ في أكْنَافِهم		وبَقِيْتُ في خَلْفٍ كجِلْدِ الأجْرَبِ

ومنه قيل للردي من الكلام: خَلْف. ومنه المثل السائر: « سكت ألفاً ونطق خَلْفاً ». فخلْف في الذم بالإسكان، وخَلَف بالفتح في المدح، هذا هو المستعمل المشهور. قال ﷺ: « يحمل هذا العلم من كل خلَف عدوله ». (رواه البيهقي، وقال الإمام أحمد: لا بأس به) .

وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر، قال حسان بن ثابت:

لنا القَدَمُ الأولَى إليك وخَلْفُنا		لأوّلِنا في طاعةِ اللهِ تابعُ

وقال آخر:

إنا وجدنا خَلَفاً بئس الخَلَفْ		أغلقَ عنّا بابَه ثم حلف

لا يُدْخِل البَوابُ إلا مَنْ عرف		عبداً إذا ما ناء بالحِمل وقف

انظر: « تفسير القرطبي »: ٣١٠/٧ - ٣١١، وراجع فيما سبق، تفسير سورة الأعراف، الآية (١٦٩) .

(٢) انظر: « تفسير القرطبي »: ١٢٢/١١، « زاد المسير »: ٢٤٥/٥، وساق السيوطي جملة روايات في ذلك: ٥٢٦/٥ .

وكونهم من أمة محمد ﷺ ليس بوجيه - عند الشيخ الشنقيطي - لأن قوله تعالى: ﴿ فخلف من بعدهم ﴾ صيغة تدل على الوقوع في الزمن الماضي، ولا يمكن صرفها إلى المستقبل إلا بدليل يجب الرجوع إليه كما ترى، والظاهر أنهم اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار الذين خلفوا أنبيائهم وصالحيهم قبل نزول الآية، فأضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات. وعلى كل حال فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات يدخلون في الذم والوعيد المذكور في هذه الآية، واتباع الشهوات المذكور في الآية عام في اتباع كل مشتهى يشغل عن ذكر الله وعن الصلاة .

انظر: « أضواء البيان » ٣٠٨/٤ .

﴿ أضاعوا الصلاة ﴾، تركوا الصلاة المفروضة[1] .

وقال ابن مسعود وإبراهيم: أخّروها عن وقتها .

وقال سعيد بن المسيب: هو أن لا يصلى الظهر حتى يأتي العصر، ولا العصر حتى تغرب الشمس[2] .

﴿ واتبعوا الشهوات ﴾، أي: المعاصي، وشرب الخمر، يعني آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله. وقال مجاهد: هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزو بعضهم على بعض في الأسواق والأزقة .

﴿ فسوف يلقون غَيّاً ﴾، قال وهب: « الغيُّ » نهر في جهنم، بعيدٌ قعره، خبيث طعمه .

وقال ابن عباس: « الغي » وادٍ في جهنم، وإن أودية[3] جهنم لتستعيذ من حرِّه، أُعد للزاني المصرِّ عليه، ولشارب الخمر المدمن عليها، ولآكل الربا الذي لا ينزع عنه، ولأهل العقوق، ولشاهد الزور[4] .

وقال عطاء: « الغيّ »: وادٍ في جهنم يسيل قيحاً ودماً .

وقال كعب: هو وادٍ في جهنم أبعدها قعراً، وأشدها حراً، في بئر تسمى « الهيم »، كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فيسعر بها جهنم[5] .

أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا محمد بن أحمد الحارثي، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، وأخبرنا عبد الله بن المبارك عن هشيم بن بشير، أخبرنا زكريا بن أبي مريم الخزاعي قال: سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: « إن ما بين شفير جهنم إلى قعرها مسيرة سبعين خريفاً من حَجَرٍ يهوي، أو قال صَخْرَةٍ تهوي عظمها كعشر عشروات عظام سمان، فقال له مولى لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد: هل تحت ذلك شيء يا أبا أمامة؟

---

(١) وهو مروي عن محمد بن كعب القرظي واختاره الزجاج .
انظر: الطبري: ١٦/٩٨، زاد المسير: ٥/٢٤٥، الدر المنثور: ٥/٥٢٦ .

(٢) وهو مروي عن القاسم بن مخيمرة، وعمر بن عبد العزيز والنخعي ومجاهد .
هذا، وكل ما روي عن السلف - رحمهم الله - في تأويل الآية داخل في معناها، لأن تأخيرها عن وقتها، وعدم إقامتها في الجماعة، والإخلال بشروطها، وجحد وجوبها، وتعطيل المساجد منها - وهذه كلها أقوال في تفسير الآية - كل ذلك إضاعة لها، وإن كانت أنواع الإضاعة تتفاوت .
انظر: « تفسير القرطبي »: ١١/١٢٢ - ١٢٥، « أضواء البيان »: ٤/٣٠٨ .

(٣) ساقط من « أ » .

(٤) انظر: القرطبي: ١١/١٢٥ .

(٥) انظر القرطبي: نفسه .

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ٦٠ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ٦١ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ٦٢﴾

قال: نعم غي وآثام»[١] .

وقال الضحاك: غياً وخسراناً. وقيل: هلاكاً. وقيل: عذاباً[٢] .

وقوله: ﴿فسوف يلقون غياً﴾ ليس معناه يرون فقط، بل معناه الاجتماع والملابسة[٣] مع الرؤية.

﴿ إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يُظْلَمون شيئاً ﴾ .

﴿ جناتِ عدنٍ التي وَعَدَ الرحمنُ عبادَه بالغيب ﴾،ولم يروها، ﴿ إنّه كان وعده مَأْتِيًّا ﴾، يعني: آتياً، مفعول بمعنى فاعل .

وقيل: لم يقل آتياً لأن كل ما أتاك فقد أتيته، والعرب لا تفرق بين قول القائل: أتت عليّ خمسون سنة وبين قوله: أتيت على خمسين سنة، ويقول: وصل إليَّ الخير ووصلت إلى الخير .

وقال ابن جرير: «وعــده» أي: موعده، وهو الجنة، «مأتيــاً» يأتيه أولياؤه [أهل الجنة][٤]، وأهل طاعته[٥] .

﴿ لايَسْمَعُون فيها ﴾، في الجنة ﴿ لغواً ﴾، باطلاً وفحشاً وفضولاً من الكلام .

وقال مقاتل: هو اليمين الكاذبة .

﴿ إلاّ سلاماً ﴾، استثناءٌ من غير جنسه، يعني: بل يسمعون فيها سلاماً. أي: قولاً يسلمون منه، « والسلام » اسم جامع للخير، لأنه يتضمن السلامة .

---

(١) أخرجه نحوه عن أبي أمامة مرفوعاً: الطبري في التفسير: ١٦/١٠٠، وزاد السيوطي نسبته لابن مردويه، والبيهقي في «البعث» والطبراني.
قال الهيثمي في « المجمع »: (١٠/٣٨٩): « وفيه ضعفاء، وقد وثقهم ابن حبان وقال يخطئون » .
وقال ابن كثير: (٣/١٢٩): « هذا حديث غريب ورفعه منكر » .

(٢) قال الطبري: (١٦/١٠٠): « وكل هذه الأقوال متقاربات المعاني وذلك أن من ورد البئرين اللتين ذكرهماالنبي ﷺ، والوادي الذي ذكره ابن مسعود في جهنم، فدخل ذلك، فقد لاقى خسراناً وشراً، حَسْبُه به شراً »!

(٣) في « ب » الملامسة. (٤) زيادة من « ب » وليست في الطبري.

(٥) عبارة الطبري في التفسير: (١٦/١٠١): ﴿إن الله كان﴾، ووعده في هذا الموضع: موعوده، وهو الجنة ﴿مأتياً﴾ يأتيه أولياؤه وأهل طاعته الذين يدخلهموها الله .
وقال بعض نحويي الكوفة: خرج الخبر على أن الوعد هو المأتي ومعناه: أنه هو الذي يأتي. ولم يقل: وكان وعده آتياً، لأن كل ماأتاك فأنت تأتيه، وقال: ألا ترى أنك تقول: أتيتُ على خمسين سنة وأتتْ عليَّ خمسون سنة، وكل ذلك صواب.. » .

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ﴾

معناه: إن أهل الجنة لا يسمعون ما يؤثمهم، إنما يسمعون ما يسلمهم.

وقيل: هو تسليم بعضهم على بعض، وتسليم الملائكة عليهم.

وقيل: هو تسليم الله عليهم.

﴿ولهم رزقهم فيها بُكْرَةً وعَشِيّاً﴾، قال أهل التفسير: ليس في الجنة ليل يعرف به البكرة والعشي، بل هم في نور أبداً، ولكنهم يأتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار.

وقيل: إنهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب، ووقت الليل بإرخاء الحجب.

وقيل: المراد منه رفاهية العيش، وسعة الرزق من غير تضييق.

وكان الحسن البصري يقول: كانت[1] العرب لا تعرف من العيش أفضل من الرزق بالبكرة والعشي، فوصف الله عزّ وجلّ جنته بذلك[2].

﴿تلك الجنةُ التي نورِثُ مِنْ عبادنا﴾ أي: نعطي وننزل. وقيل: يورث عباده المؤمنين المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا، ﴿مَنْ كان تقياً﴾، أي: المتقين من عباده.

قوله عز وجل: ﴿وما نتنزل إلّا بأمرِ ربِّك﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمدُ بن إسماعيل، أخبرنا خلاد بن يحيى، أخبرنا عمر بن ذر قال: سمعت أبي يحدّث عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «ياجبريل ما يمنعك أن تزورنا» فنزلت: **﴿وما نتنزل إلّا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا﴾** الآية: قال: كان هذا الجواب لمحمد ﷺ»[3].

وقال عكرمة، والضحاك، وقتادة، ومقاتل، والكلبي: احتبس جبريل عن النبي ﷺ حين سأله قومه عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، فقال: أخبركم غداً، ولم يقل: إن شاء الله، حتى شقّ على النبي ﷺ، ثم نزل بعد أيام، فقال له رسول الله ﷺ: «أبطأت عليّ حتى ساء ظني واشتقت إليك»، فقال له جبريل: إني كنت أشْوَق، ولكني عبد مأمور، إذا بُعثت نزلت، وإذا حُبست

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) انظر هذه الأقوال وجملة آثار في ذلك، في: «الدر المنثور»: ٥/٥٢٨ – ٥٢٩، «تفسير ابن كثير»: ٣/١٢٠ – ١٢١.

(٣) أخرجه البخاري في تفسير سورة مريم، باب ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾ ٨/٤٢٨ – ٤٢٩، وفي التوحيد، باب ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾: ١٣/٤٤٠، والمصنف في شرح السنة: ١٣/٣٢٥.

﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾

احتبست، فأنزل الله: ﴿ وما نتنزل إلاّ بأمر ربك ﴾ وأنزل: « والضحى والليل إذا سجى ما ودّعك ربّك وما قلى »[1] .

﴿ له ما بين أيدينا وما خلْفَنا وما بين ذلك ﴾،أي: له علم ما بين أيدينا. واختلفوا فيه: فقال سعيد بن جبير، وقتادة، ومقاتل: ﴿ ما بين أيدينا ﴾: من أمر الآخرة والثواب والعقاب، ﴿وما خلفنا﴾: ما مضى من الدنيا. ﴿وما بين ذلك﴾: ما يكون من هذا الوقت إلى قيام الساعة[2].

وقيل ﴿ما بين أيدينا﴾: ما بقي من الدنيا، ﴿وما خلفنا﴾: ما مضى منها، ﴿وما بين ذلك﴾: أي: ما بين النفختين، وبينهما أربعون سنة .

وقيل: ما بين أيدينا﴿ ما بقي من الدنيا، ﴿ وما خلفنا ﴾: ما مضى منها، ﴿ وما بين ذلك ﴾: مدة حياتنا .

وقيل: ﴿ ما بين أيدنيا ﴾: بعد أن نموت، ﴿ وما خلفنا ﴾: قبل أن نخلق، ﴿ وما بين ذلك ﴾: مدة الحياة[3] .

وقيل: ﴿ ما بين أيدينا ﴾: الأرض إذا أردنا النزول إليها، ﴿ وما خلفنا ﴾: السماء إذا نزلنا منها، ﴿ وما بين ذلك ﴾: الهواء، يريد: أن ذلك كله لله عزّ وجلّ، فلا نقدر على شيء إلاّ بأمره .

﴿ وما كان ربك نَسِيًّا ﴾، أي:ناسياً، يقول: ما نسيك ربك، أي: ما تركك، والناسي التارك .

﴿ ربُّ السموات والأرض وما بينهما فاعبُدْهُ واصطَبِرْ لعبادته ﴾، أي: اصبر على أمره ونهيه، ﴿ هل تعلم له سَمِيًّاً ﴾، قال ابن عباس رضى الله عنهما: مِثْلاً[4] .

وقال الكلبي: هل تعلم أحداً يُسمىٰ «الله» غيره[5]؟

---

(١) أخرجه الطبري: ١٦/١٠٣ - ١٠٤، وابن إسحاق: ١/٣٠٠ - ٣٠١ (سيرة ابن هشام)، وعزاه ابن حجر في الكافي الشاف ص (١٠٧) لأبي نعيم في الدلائل، وقال: وذكره الثعلبي عن عكرمة والضحاك .
وانظر: الدر المنثور: ٥/٥٣٠، تفسير القرطبي: ١١/١٢٨، أسباب النزول للواحدي ص (٣٤٨) .

(٢) انظر: الدر المنثور: ٥/٥٣١ .

(٣) انظر: زاد المسير: ٥/٢٥٠ .

(٤) انظر: الطبري: ١٦/١٠٦، الدر المنثور: ٥/٥٣١ .

(٥) انظر: زاد المسير: ٥/٢٥١ .

وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ويقول لإنسان** ﴾، يعني: أُبيّ بن خلف الجمحي، كانَ منكراً للبعث[1]، قال: ﴿ **أئذا ما مِتُّ لسوف أُخرَج حياً** ﴾ قاله استهزاءً وتكذيباً للبعث .

قال الله عزّ وجلّ: ﴿ **أَوَلا يَذْكُرُ** ﴾، أي: يتذكر ويتفكر[2]، وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، ويعقوب ﴿ **يَذْكُر** ﴾ خفيف، ﴿ **الإنسانُ** ﴾، يعني: أبيّ بن خلف ﴿ **أَنَّا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً** ﴾، أي: لا يتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الإعادة، ثم أقسم بنفسه، فقال:

﴿ **فوربِّك لنحشرنهم** ﴾ لنجمعنَّهم في المعاد، يعني: المشركين المنكرين للبعث، ﴿ **والشياطين** ﴾، مع الشياطين، وذلك أنه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة، ﴿ **ثم لَنُحضِرَنَّهم حول جهنم** ﴾، قيل في جهنم، / ﴿ **جِثِيًّا** ﴾، قال ابن عباس رضى الله عنه: جماعات، جمع جثوة . ٩/أ

وقال الحسن والضحاك: جمع « جاثٍ »، أي: جاثين على الرُّكَبِ .

قال السدي: قائمين على الرُّكَبِ لضيق المكان .

﴿ **ثم لَنَنْزِعَنَّ** ﴾، لنخرجنّ، ﴿ **من كل شيعةٍ** ﴾، أي: من كل أمة وأهل دين من الكفار. ﴿ **أيُّهم أشدُّ على الرحمن عِتياً** ﴾، عتواً، قال ابن عباس رضى الله عنهما: يعني جرأة. وقال مجاهد: فجوراً، يريد: الأعتى فالأعتى .

وقال الكلبي: قائدهم ورأسهم في الشر يريد أنه يقدم في إدخال من هو أكبر جرماً وأشد كفراً.

في بعض الآثار: أنهم يحشرون جميعاً حول جهنم مسلسلين مغلولين، ثم يقدم الأكفر فالأكفر .

ورفع ﴿ **أيُّهم** ﴾ على معنى: الذي يقال لهم: أيهم أشد على الرحمن عتياً .

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٣٤٨)، والقرطبي: ١٣١/١١، وقال المهدوي: نزلت في الوليد بن المغيرة وأصحابه، وهو قول ابن عباس، وعن ابن جريج أنها نزلت في العاص بن وائل .
انظر: الدر المنثور: ٥٣٢/٥، القرطبي: ١٣١/١١ .

(٢) هذا تفسير لقراءة ﴿يذكر﴾ بالتشديد بدليل ما بعده، وكأن المصنف رحمه الله يرجح أو يقدم هذه القراءة، ثم فسَّر الآية على القراءة بالتخفيف فيما بعد .

عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾

وقيل: على الاستئناف ثم لننزعن [يعمل في موضع « من كل شيعة »][1] .

﴿ ثم لَنَحْنُ أعلمُ بالذين هم أولى بها صِلِيّاً ﴾، أي: أحق بدخول النار، يقال: صلي يصلي صِلِيّاً، مثل: لقي يلقىٰ لِقِيّاً، وصلى يَصْلِي صُلِيّاً مثل مضى يمضى مضياً، إذا دخل النار وقاسى حرَّها .

قوله عز وجل: ﴿وإنْ منكم إلَّا وارِدُها﴾، وما منكم إلا واردها، وقيل: القسم فيه مضمر، أي: والله ما منكم من أحد إلا واردها، والورود هو موافاة المكان .

واختلفوا في معنى الورود هاهنا، وفيما تنصرف إليه الكناية في قوله: ﴿ واردها ﴾: قال ابن عباس رضى الله عنهما وهو قول الأكثرين؛ معنى الورود هاهنا هو الدخول، والكناية راجعة إلى النار، وقالوا: النار يدخلها البر والفاجر، ثم ينجي الله المتقين[2]، فيخرجهم منها .

والدليل على أن الورود هو الدخول: قول الله عزّ وجلّ حكاية عن فرعون: « يَقْدُمُ قومَه يوم القيامة فأَوْرَدَهُم النَّارَ » (هود: ٩٨) .

وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار أن نافع بن الأزرق مَارَىٰ ابن عباس رضى الله عنهما في الورود، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الدخول. وقال نافع: ليسَ الورود الدخول، فتلا عبدالله ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى: « إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون » (الأنبياء: ٩٨) أدخلها هؤلاء أم لا؟ ثم قال: يانافع أما والله أنت وأنا سَترِدُها، وأنا أرجو أن يخرجني الله وما أرى الله عزّ وجلّ أن يخرجك منها بتكذيبك[3] .

وقال قوم: ليس المراد من الورود الدخول، وقالوا: النار لا يدخلها مؤمن أبداً، لقوله تعالى: « إن الذين سبقت لهم منّا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها » (الأنبياء: ١٠١ – ١٠٢)، وقالوا: كل من دخلها لا يخرج منها. والمراد من قوله: ﴿ وإن منكم إلاَّ واردها ﴾، الحضور والرؤية،

(١) جاءت العبارة في « ب » هكذا: تعمل، ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً، في موضع من كل شيعة .
(٢) في « ب » الذين اتقوا .
(٣) أخرجه الطبري: ١١١/١٦، وهنّاد في الزهد: ٢٣١/١، والمروزي في زوائد الزهد ص (٤٩٩)، والبيهقي في البعث وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد وابن المنذر، وسنده حسن .
وانظر: الدر المنثور: ٥٣٥/٥، ابن كثير: ١٣٣/٣ .

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ٧٢﴾

لا الدخول كما قال الله تعالى: « ولما وَرَدَ ماءَ مَدينَ » (القصص: ٢٣) أراد به الحضور[١] .

وقال عكرمة: الآية في الكفار فإنهم يدخلونها ولا يخرجون منها[٢] .

وروي عن ابن مسعود رضى الله عنه، أنه قال: ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ يعني: القيامة[٣]، والكناية راجعة إليها .

والأول أصح. وعليه أهل السنة، أنهم جميعاً يدخلون النار ثم يخرج الله عزّ وجلّ منها أهل الإيمان، بدليل قوله تعالى: ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾، أي اتقوا الشرك، وهم المؤمنون. والنجاة إنّما تكون مما دخلت فيه[٤] .

وقرأ الكسائي، ويعقوب: ﴿ نُنْجِي ﴾ بالتخفيف. والآخرون: بالتشديد .

والدليل على هذا: ما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي، أخبرنا عبد الرحيم بن منيب، أخبرنا سفيان، عن الزهري، عن

---

(١) وهو قول عبيد بن عمير. انظر: زاد المسير: ٢٥٦/٥ .

(٢) انظر: الطبري: ١١١/١٦، وهو مروي أيضاً عن ابن عباس .

(٣) اختلفت الرواية عن ابن مسعود رضى الله عنه في الآية فنقل عنه هذا، ونقل أنه فسّرها بدخول النار، وفسّرها ثالثة بالمرور على الصراط .
انظر: الطبري: ١١١/١٦، فتح القدير للشوكاني: ٣٤٦/٣، تفسير الخازن: ٢٠٧/٤ .

(٤) اختلف المفسرون في تفسير الورود ورجوع الضمير، على ما رأيت، وهذا الذي رجحه المصنف رحمه الله وقال: إنه مذهب أهل السنة، ردّه أبو حيان والطبري وغيرهما .
وأصول الأقوال في ذلك:
١ - أن الخطاب للكافرين، وعلى هذا فهم الذين يدخلون النار .
٢ - الخطاب عام في حق المؤمنين والكافرين واختلفوا في تفسير الورود على أقوال خمسة: أحدها: الدخول، الثاني: المرور عليها، الثالث: الحضور، الرابع: أن ورود المسلمين عليها هو مرورهم على الصراط، وورود المشركين: دخولهم النار، والخامس: أن ورود المؤمنين إليها: ما يصيبهم من الحمّى في الدنيا .
انظر: زاد المسير: (٢٥٤/٥-٢٥٧) .
وأرجح هذه الأقوال: ما ذهب إليه الطبري رحمه الله، حيث قال: (١١٢/١٦): «يَرِدُها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار، وورودهموها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم فناج مسلَّم ومكدس فيها ».. ثم ساق الأحاديث...
وهو أيضاً ما رجحه صاحب شرح العقيدة الطحاوية، فقال: ص (٤٧٨) « والأظهر الأقوى: أنه المرور على الصراط » .
وانظر: تفسير ابن كثير: ١٣٢/٣ - ١٣٤، البحر المحيط: ٢٠٩/٦ - ٢١٠ .

سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يموت لمسلمٍ ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلَّة القسم »(١).

وأراد بالقسم قوله: ﴿ وإنّ منكم إلاّ واردها ﴾.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا مسلم بن إبراهيم، أخبرنا هشام، أخبرنا قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن بُرَّة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير »(٢)، وقال أبان عن قتادة: « منْ إيمان » مكان « خير ».

أخبرنا أبو المظفر محمد بن إسماعيل بن علي الشجاعي، أخبرنا أبو نصر النعمان بن محمد بن محمود الجرجاني، أخبرنا أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصري، أخبرنا محمد بن عبد الوهاب، أخبرنا محمد بن الفضل أبو النعمان، أخبرنا سلام بن مسكين، أخبرنا أبو الظلال عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ: « أن رجلاً في النار ينادي ألف سنة ياحنان يامنان، فيقول الله عزّ وجلّ لجبريل: اذهب فائتني بعبدي هذا، قال: فذهب جبريل فوجد أهل النار منكبِّين يبكون، قال: فرجع فأخبر ربه عزّ وجلّ، قال اذهب فإنه في موضع كذا وكذا، قال: فجاء به، قال: ياعبدي كيف وجدتَ مكانك ومقيلك؟ قال: يارب شرّ مكان وشرّ مقيل، قال: ردوا عبدي، قال: ما كنت أرجو أن تعيدني إليها إذْ أخرجتني منها، قال الله تعالى للملائكة: دعوا عبدي »(٣).

وأما قوله عزّ وجلّ: « لا يسمعون حسيسها » (الأنبياء: ١٠٢) قيل: إن الله عزّ وجلّ أخبر عن وقت كونهم في الجنة أنهم لا يسمعون حسيسها، فيجوز أن يكونوا قد سمعوا ذلك قبل دخولهم الجنة، لأنه لم يقل: لم يسمعوا حسيسها. ويجوز أن لا يسمعوا حسيسها عند دخولهم إيّاها، لأن الله عزّ وجلّ يجعلها عليهم برداً وسلاماً.

---

(١) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى: ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ ٥٤١/١١، ومسلم في البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه برقم (٢٦٣٢): ٢٠٢٨/٤، والمصنف في شرح السنة: ٤٥١/٥.

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصه: ١٠٣/١، ومسلم في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم (١٩٣): ١٨٢/١، والمصنف في شرح السنة: ١٩١/١٥.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٢٣٠/٣، والمصنف في شرح السنة: ١٩٣/١٥ - ١٩٤.

وفيه أبو ظِلال، واسمه: هلال القَسْمَلِيّ البصري، ضعفه ابن معين وأبو داود والنسائي. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات (التهذيب: ٧٥/١١ - ٧٦).

وقال خالد بن معدان: يقول أهل الجنة ألم يَعِدْنا ربُّنا أن نرد النار؟ فيقال: بلى، ولكنكم مررتم بها، وهي خامدة[1] .

وفي الحديث: تقول النار للمؤمن: « جُزْ يامؤمن فقد أطفأ نورُك لهبي »[2] .

وروي عن مجاهد في قوله عزّ وجلّ: ﴿ وإن منكم إلاّ واردها ﴾ قال: مَنْ حُمَّ من المسلمين فقد وردها[3] .

وفي الخبر: « الحمى كير من جهنم، وهي حظُّ المؤمن من النار »[4] .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا محمد بن المثنى، أخبرنا يحيى، عن هشام، أخبرني أبي عن عائشة، عن النبي ﷺ قال: « الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء »[5] .

﴿كان على ربِّك حتماً مقضياً﴾، أي: كان ورودكم جهنم حتماً لازماً، ﴿مقضيًّا﴾: قضاه الله عليكم .

﴿ ثم نُنجِّي الذين اتقوا ﴾، أي اتقوا الشرك، وقرأ الكسائيُّ ﴿ نُنْجِي ﴾ بالتخفيف، والباقون بالتشديد، ﴿ ونذر الظالمين فيها جثياً ﴾، جميعاً. وقيل: جاثين على الركب، وفيه دليل على أن الكل دخلوها ثم أخرج الله منها المتقين، وترك فيها الظالمين، وهم المشركون .

أخرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري، أخبرني سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي

---

(١) رواه ابن إسحاق، وأبو عبيد في «الغريب»، وابن المبارك في الزهد عن خالد بن معدان .
انظر: الكافي الشاف ص (١٠٧) .

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية: ٣٢٩/٩، والخطيب في تاريخ بغداد: ١٩٤/٥، ٢٣٣/٩، والطبراني في الكبير، وابن عدي في الكامل والحكيم الترمذي في نوادر الأصول .
وفي سنده: سليم بن منصور بن عمار، وهو ضعيف .
انظر: مجمع الزوائد: ٣٦٠/١٠، كشف الخفاء: ٣٧٣/١ - ٣٧٤ .

(٣) رواه الطبري: ١١١/١٦ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد: ٢٥٢/٥، والطحاوي في مشكل الآثار: ٦٨/٣، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: ٤٣٧/٤ - ٤٣٨ .
وانظر: الكافي الشاف ص (١٠٧) .

(٥) أخرجه البخاري في الطب، باب الحمى من فيح جهنم: ١٧٤/١٠، ومسلم في السلام، باب لكل داء دواء، برقم (٢٢١٠): ١٧٣٢/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٥٣/١٢ .

أن أبا هريرة أخبرهما أن الناس قالوا: يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: « هل تضارُّون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب »؟ قالوا: لا يارسول الله، قال: « فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب »، قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك، يحشر الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله عزّ وجلّ فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول: / أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيدعوهم، ويُضرب الصراط بين ٩/ب ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز[1] من الرسـل بأمته، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ اللهم سلِّمْ سلِّمْ، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدرعظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يجردل ثم ينجو، حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله، فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود، وحرَّم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود، فيُخرجون من النار قد آمْتَحَشُوا[2]، فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحِبَّة في حَمِيْل السيل[3]، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل بين الجنة والنار، وهو آخر أهل النار دخولاً الجنة، مقبل بوجهه قِبَلَ النار، فيقول: ياربِّ اصرف وجهي عن النار، قد قَشَبَني ريحها وأحرقني ذُكاؤها[4]، فيقول: هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا، وعزتِك. فيعطي الله ماشاء من عهدٍ وميثاق، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أُقبل به على الجنة رأى بهجتها، سكت ماشاء الله أن يسكت، ثم قال: ياربِّ قدمني عند باب الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى: أليس قد أعطيتَ العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت، فيقول: يارب لا أكون أشقى خلقك، فيقول: فما عسيتَ إن أُعطيت ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتِك لا أسألك غير ذلك، فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا بلغ بابها ورأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور، فسكت ما شاء الله أن يسكت، فيقول يارب أدخِلْني الجنة، فيقول الله تعالى: ويحك ياابن آدم ما أغدرك، أليس قد أعطيتَ العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي أُعطيتَ؟ فيقول: يارب لا تجعلني أشقى خلقك، فيضحك الله منه، ثم يأذن له في دخول الجنة، فيقول: تمنَّ، فيتمنى حتى إذ انقطع

---

(١) ساقط من « أ ».

(٢) احترقوا.

(٣) « الحِبَّة » هي بزر البقول والعشب تنبت في البراري وجوانب السيول، وجمعها « حبب » و« حميل السيل »: ما جاء به السيل من الطين أو غثاء.

(٤) « قشبني ريحها، وأحرقني ذكاؤها » معناها: سمَّني وآذاني وأهلكني لهبها وشدة وهجها.

أمنيتُه، قال الله تعالى: تمنَّ كذا وكذا، أقبل يُذكّره ربه، حتى إذا انتهت به الأماني، قال الله تعالى: لك ومثله معه. قال أبو سعيد لأبي هريرة: إن رسول الله ﷺ قال: « قال الله تعالى لك ذلك وعشرة أمثاله » قال أبو هريرة لم أحفظ من رسول الله ﷺ إلا قوله: لك ذلك ومثله معه. قال أبو سعيد إني سمعته يقول: « ذلك لك وعشرة أمثاله »(١) .

ورواه محمد بن إسماعيل عن محمود بن غيلان، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عطاء بن يزيد، عن أبي هريرة بمعناه، وقال: فيأتيهم الله عزّ وجلّ في غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه(٢) .

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي، أخبرنا محمد بن حماد، أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: « يُعَذَّبُ أناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا حُمَمَاً، ثم تدركهم الرحمة، قال: فيُخرون فيُطرحون على أبواب الجنة، قال: فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما تنبت القثاء في حمالة السيل، ثم يدخلون الجنة »(٣) .

أخبرنا أبو محمد بن عبد الصمد الجوزجاني، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب، أخبرنا أبو عيسى الترمذي، أخبرنا هناد بن السَّري، أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم عن عَبِيْدَة السلْماني، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: « إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار رجل يخرج منها زحفاً فيقال له: انطلق فادخل الجنة، قال فيذهب ليدخل الجنة فيجد الناس قد أخذوا المنازل، فيرجع فيقول: يارب قد أخذ الناس المنازل، فيقال: أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول: نعم فيقال له: تمنَّ، فيتمنى، فيقال له: فإن لك الذي تمنيته وعشرة أضعاف الدنيا، قال فيقول: أتسخر بي وأنت الملك؟ قال: فقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه »(٤) .

---

(١) أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة...﴾ ١٣/٤١٩ - ٤٢٠، ومسلم في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، برقم (١٨٢): ١/١٦٣ - ١٦٧، والمصنف في شرح السنة: ١٥/١٧٣ .

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق، باب الصراط جسر جهنم: ١١/٤٤٤ - ٤٤٥ .

(٣) أخرجه الترمذي في صفة جهنم، باب ما جاء أن للنار نَفَسَيْن وماذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد: ٧/٣٢٤ - ٣٢٥، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والإمام أحمد: ٣/٧٧، والمصنف في شرح السنة: ١٥/١٩١- ١٩٢ .

(٤) رواية الترمذي هذه، أخرجها في صفة جهنم، باب ما جاء أن للنار نَفَسين: ٧/٢٢١-٢٢٣، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والحديث أخرجه أيضاً: البخاري في الرّقاق، باب صفة الجنة والنار: ١١/٤١٨-٤١٩، والمصنف في شرح السنة: ١٥/١٨٨-١٨٩.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي، أخبرنا محمد بن حماد، أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « إني لأرجو أن لا يدخل النارَ إن شاء الله أحدٌ شهد بدراً والحديبية »، قال: قلت يارسول الله أليس قد قال تعالى: ﴿ **وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً** ﴾؟ قال: أفلم تسمعيه يقول: ﴿ **ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً** ﴾[1].

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وإذا تتلىٰ عليهم آياتُنا بيّناتٍ** ﴾، واضحات، ﴿ **قال الذين كفروا** ﴾، يعني: النضر بن الحارث وذويه من قريش، ﴿ **للذين آمنوا** ﴾، يعني فقراء[2] أصحاب النبي ﷺ، وكانت فيهم قشافة، وفي عيشهم خشونة، وفي ثيابهم رثاثة، وكان المشركون يرجلون شعورهم، ويدهنون رؤوسهم ويلبسون حرير ثيابهم، فقالوا للمؤمنين: ﴿ **أيّ الفريقين خير مقاماً** ﴾، منزلاً ومسكناً، [وهو موضع الإقامة .

وقرأ ابن كثير: ﴿ **مقاماً** ﴾ بضم الميم أي إقامة][3] .

﴿ **وأحسن ندياً** ﴾، أي مجلساً، ومثله النادي، فأجابهم الله تعالى فقال:

﴿ **وكم أهلكنا قبلَهم من قرنٍ هم أحسنُ أثاثاً** ﴾، أي متاعاً وأموالاً. وقال مقاتل: لباساً وثياباً، ﴿ **ورءيا** ﴾، قرأ أكثر القراء بالهمز، أي: منظراً، من « الرؤية »، وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر، ونافع غير ورش: « ورِيًّا » مشدداً بغير همز، وله تفسيران: أحدهما هو الأول، بطرح الهمز، والثاني: من الرِّي ، الذي هو ضد العطش، ومعناه: الارتواء من النعمة، فإن المتنعم يظهر فيه ارتواء النعمة، والفقير يظهر عليه ذيول الفقر .

---

(١) أخرجه ابن ماجة في الزهد، باب ذكر البعث: ١٤٣١/٢، والإمام أحمد في المسند: ٢٨٥/٦، وهنّاد في الزهد: ٣٢٨/١، وابن جرير في التفسير: ١١٢/١٦، وابن أبي عاصم في السنة: ٤١٤/٢، وأخرجه من طريق أخرىٰ الإمام مسلم في فضائل الصحابة بنحوه؛ برقم (٢٤٩٦): ١٩٤٢/٤، والإمام أحمد في المسند: ٤٢٠/٦، وأخرجها المصنف في شرح السنة: ١٩٣/١٤ .

(٢) في « أ » نفراً من .

(٣) ساقط من « أ » .

أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ﴿٧٤﴾ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا
رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا
وَأَضۡعَفُ جُندٗا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ
خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ
لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٧٨﴾

﴿ **قل مَن كان في الضلالة فَلْيَمْدُدْ له الرحمن مَدّاً** ﴾، هذا أمر بمعنى الخبر، معناه: يدعه في طغيانه ويمهله في كفره، ﴿ **حتى إذا رَأَوْا ما يُوعدون إمَّا العذابَ** ﴾، وهو الأسر والقتل في الدنيا، ﴿ **وإمّا الساعةَ** ﴾، يعني: القيامة، فيدخلون النار، ﴿ **فسيعلمون** ﴾، عند ذلك ﴿ **من هو شرٌّ مكاناً**﴾، منزلاً، ﴿**وأضعف جنداً**﴾، أقل ناصراً أهم أم المؤمنون؟ لأنهم في النار، والمؤمنون في الجنة وهذا ردٌّ عليهم في قوله ﴿ **أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً** ﴾ .

١٠/أ قول عزّ وجلّ: ﴿ **وَيَزِيدُ اللهُ الذينَ اهتدَوا هُدًى** ﴾، أي إيماناً وإيقاناً على يقينهم /، ﴿ **والباقياتُ الصالحاتُ** ﴾، الأذكار والأعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها، ﴿ **خيرٌ عند ربِّك ثواباً وخيرٌ مَرَدّاً** ﴾ عاقبة ومرجعاً .

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **أفرأيتَ الذي كفر بآياتنا وقال لَأُوتَيَنَّ مالاً وولداً** ﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عمرو بن حفص، أخبرنا أبي، أخبرنا الأعمش بن مسلم، عن مسروق، حدثنا خباب قال: كنت قَيْناً، فعملت للعاص بن وائل، فاجتمع مالي عنده فأتيته أتقاضاه، فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: أما والله حتى تموتَ ثم تُبْعَثَ فَلا، قال: وإني لميت ثم مبعوث؟ قلت: نعم، قال: فإنه سيكون لي ثَمَّ مال وولد فأقضيك، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ **أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتينّ مالاً وولداً** ﴾[١] .

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **أَطّلَع الغيبَ** ﴾، قال ابن عباس: أنظرَ في اللوح المحفوظ؟ وقال مجاهد: أَعَلِمَ علم الغيب حتى يعلم أفي الجنة هو أم لا؟

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، سورة مريم، باب ﴿ كلا سنكتب ما يقول ونمدّ له من العذاب مداً ﴾: ٨/٤٣٠ - ٤٣١ . وانظر: أسباب النزول للواحدي ص (٣٤٩) .

كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ
وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا
سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ

﴿ **أم اتَّخذَ عند الرحمنِ عَهْداً** ﴾، يعني قال لا إله إلا الله. وقال قتادة: يعني عملاً صالحاً قدَّمه. وقال الكلبي: أُعْهِدَ إليه أن يدخل الجنة؟.

﴿ **كلا** ﴾، ردٌّ عليه، يعني: لم يفعل ذلك، ﴿ **سنكتبُ** ﴾، سنحفظ عليه، ﴿ **ما يقول** ﴾، [فنجازيه به في الآخرة. وقيل: نأمر به الملائكة حتى يكتبوا ما يقول][1]. ﴿ **ونمُدّ له من العذاب مَدّاً** ﴾، أي: نزيده عذاباً فوق العذاب. وقيل: نطيل مدة عذابه.

﴿ **ونرثه ما يقول** ﴾، أي ما عنده من المال والولد بإهلاكنا إيّاه وإبطال ملكه وقوله ما يقول، لأنه زعم أن له مالاً وولداً « في الآخرة »[2]، أي: لا نعطيه ونعطي غيره، فيكون الإرث راجعاً إلى ما تحت القول لا إلى نفس القول.

وقيل: معنى قوله: ﴿ **ونرثه ما يقول** ﴾ أي: نحفظ ما يقول حتى نجازيه به.

﴿ **ويأتينا فرداً** ﴾، يوم القيامة بلا مال ولا ولد.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **واتَّخذُوا من دونِ الله آلهةً** ﴾ يعني: مشركي قريش اتخذوا الأصنام آلهة يعبدونها، ﴿ **ليكونُوا لهم عِزّاً** ﴾، أي منعة، حتى يكونوا لهم شفعاء يمنعونهم من العذاب.

﴿ **كلا** ﴾، أي ليس الأمر كما زعموا، ﴿ **سيكفرون بعبادتهم** ﴾، أي تجحد الأصنام والآلهة التي كانوا يعبدونها عبادةَ المشركين ويتبرؤون منهم، كما أخبر الله تعالى « تبرأنا إليك ما كانوا إيّانا يعبدون » (القصص: ٦٣).

﴿ **ويكونون عليهم ضِدّاً** ﴾، أي أعداءً لهم، وكانوا أولياءهم في الدنيا.

وقيل: أعواناً عليهم يكذبونهم ويلعنونهم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ألم تَرَ أنّا أرسلْنا الشياطينَ على الكافرين** ﴾، أي سلَّطْناهم عليهم، وذلك حين قال لإبليس: «واستفزز من استطعت منهم بصوتك»، الآية (الإسراء: ٦٤)، ﴿ **تؤزهم أزاً** ﴾،

(١) ساقط من «أ».
(٢) ساقط من «أ».

عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ
نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾
لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾

تزعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية، « والأزّ » « والهزّ »: التحريك، أي: تحركهم وتحثهم على المعاصي .

﴿ **فلا تعجلْ عليهم** ﴾، أي لا تعجل بطلب عقوبتهم، ﴿ **إنما نعدّ لهم عَدّاً** ﴾، قال الكلبي: يعني الليالي والأيام والشهور والأعوام .

وقيل: الأنفاس التي يتنفسون بها في الدنيا إلى الأجل الذي أجل لعذابهم .

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وَفْداً** ﴾ أي: اذكر لهم يامحمد اليوم الذي يجمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته إلى الرحمن، إلى جنته وفداً، أي: جماعات، جمع «وافد»، مثل: راكب وركب، وصاحب وصحب .

وقال ابن عباس: ركباناً. وقال أبو هريرة: على الإبل .

وقال علي بن أبي طالب: ما يحشرون والله على أرجلهم، ولكن على نوقٍ، رحالها الذهب، ونجائبِ سرجها يواقيت، إن همُّوا بها سارت، وإن همُّوا بها طارت[1] .

﴿ **ونسوق المجرمين** ﴾، الكافرين، ﴿ **إلى جهنم وِرْدَاً** ﴾، أي مشاة. وقيل: عطاشاً قد تقطعت أعناقهم من العطش. « والوِرْدُ » جماعة يردون الماء، ولا يرد أحدٌ الماءَ إلا بعد عطش .

﴿ **لا يملكون الشفاعةَ إلاّ من اتّخذَ عند الرحمنِ عَهْداً** ﴾، يعني لا إله إلا الله .

وقيل: معناه لا يشفع الشافعون إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهداً، يعني: المؤمنين، كقوله: « لا يشفعون إلا لمن ارتضى » (الأنبياء: ٢٨) .

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في « الكافي الشاف » ص (١٠٨): « رواه ابن أبي شيبة، وعبد الله بن أحمد في زيادات المسند، والطبري وابن أبي حاتم من رواية عبد الرحمن بن إسحاق بن النعمان بن سعد بن علي، نحوه. وأخرجه ابن أبي داود في كتاب البعث من هذا الوجه مرفوعاً. ورواه ابن عدي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، مرفوعاً أيضاً » .
وانظر: « تفسير ابن كثير »: ١٣٨/٣ - ١٣٩، ففية جملة روايات في ذلك .

وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾

وقيل: لا يشفع إلا من شهد أن لا إله إلا الله، أي لا يشفع إلا المؤمن(١).

﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾، يعني اليهود والنصارى، ومن زعم أن الملائكة بنات الله.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿وُلْداً﴾ بضم الواو وسكون اللام، هاهنا وفي الزخرف وسورة نوح، ووافق ابنُ كثير، وأبو عمرو، ويعقوب في سورة نوح، والباقون بفتح الواو واللام. وهما لغتان مثل: العَرَب، والعُرْب، والعَجَم، والعُجْم.

﴿لقدْ جئتُم شيئاً إدّاً﴾، قال ابن عباس منكراً. وقال قتادة ومجاهد: عظيماً. وقال مقاتل: لقد قلتم قولاً عظيماً. «والإدّ» في كلام العرب: أعظم الدواهي(٢).

﴿تكادُ السموات﴾، قرأ نافع ﴿يكاد﴾ بالياء هاهنا وفي حمٓعسٓق لتقدم الفعل، وقرأ الباقون بالتاء لتأنيث السموات، ﴿يتفطّرنَ منه﴾، هاهنا وفي «حمعسق» بالنون من الانفطار، أبوعمرو وأبو بكر ويعقوب وافق ابن عامر وحمزة هاهنا لقوله تعالى: «إذا السماء انفطرت» (الانفطار: ١) و« السماء منفطر» (المزمل: ١٨)، وقرأ الباقون بالتاء من التفطر ومعناهما واحد، يقال: انفطر الشيء وتفطر أي تشقق.

﴿وتنشقُّ الأرض وتَخِرُّ الجبالُ هَدّاً﴾، أي: تنكسر كسراً.

وقيل: ﴿تنشق الأرض﴾ أي: تنخسف بهم، «والانفطار» في السماء: أن تسقط عليهم، ﴿وتخر الجبال هدّاً﴾: أي تنطبق عليهم.

---

(١) وهذه الأوجه كلها حقٌ، وكل واحد منها يشهد له آيات كريمة وأحاديث شريفة، فالمجرمون لا يملكون الشفاعة، أي: لا يستحقون أن يشفع فيهم شافع يخلصهم مما هم فيه من الهول والعذاب، وبالأحرىٰ أن المجرمين لا يشفعون في غيرهم، لأنهم إذا كانوا لا يستحقون أن يشفع فيهم غيرهم لكفرهم فشفاعتهم في غيرهم ممنوعة من باب أولىٰ.
وكذلك: لا تملك الشفاعة إلا المؤمنون الذين اتخذوا عند الله تعالى عهداً بشهادة التوحيد وبالعمل الصالح – وما في معنى هذا – فإنهم يشفع بعضهم في بعض كما قال تعالى: ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولاً﴾. وقد بين في مواضع أُخر أن المعبودات التي يعبدونها من دون الله لا تملك الشفاعة، وأن من شهد بالحق يملكها بإذن الله له في ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿ولا يملك الذين يدعون من دون الله الشفاعة إلا من شهد الحق﴾.
انظر: «أضواء البيان»: ٤/٤٩٤ – ٤٩٥، وراجع: ابن كثير: ٣/١٣٩، القرطبي: ١١/١٥٤.

(٢) والعرب تقول لكل أمر عظيم: «إدّ»، و«إمْر». وفي «الإدّ» ثلاث لغات: «إدّ» بكسر الألف، و«أدّ» بفتح الألف، و«آدّ» بفتح الألف ومدها. انظر: تفسير الطبري: ١٦/١٢٩.

أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن
فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا
﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾

﴿ **أَنْ دَعَوا** ﴾، أي من أجل أن جعلوا ﴿ **للرحمنِ وَلَداً** ﴾، قال ابن عباس وكعب: فزعت السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين، وكادت أن تزول، وغضبت الملائكة، واستعرت جهنم حين قالوا: اتخذ الله ولداً[1] .

ثم نفى الله عن نفسه الولد فقال: .

﴿ **وما ينبغي للرحمنِ أن يَتَّخِذَ وَلَداً** ﴾، أي ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به .

﴿ **إنْ كلُّ مَنْ في السموات والأرض إلاَّ آتي الرحمنِ** ﴾، أي إلا آتيه يوم القيامة، ﴿ **عَبْداً** ﴾ ذليلاً خاضعاً يعني: أن الخلق كلهم عبيده .

﴿ **لقد أحصاهم وعدَّهم عَدّاً** ﴾، أي: عدَّ أنفاسهم وأيامهم وآثارهم، فلا يخفى عليه شيء .

﴿ **وكلُّهم آتيه يومَ القيامةِ فرداً** ﴾، وحيداً ليس معه من الدنيا شيء .

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ سيجعلُ لهمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً** ﴾ أي: محبة. قال مجاهد: يحبهم الله ويحبِّبهم إلى عباده المؤمنين . .

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداوودي، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك ، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إذا أحب الله العبد قال لجبرائيل: قد أحببتُ فلاناً فأحبَّهُ، فيحبه جبرائيل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله عزّ وجلّ قد أحب فلاناً فأحِبُّوه، فيحبُّه أهل السماء ثم يُوْضَعُ له القَبول في الأرض، وإذا أبغض العبد » .

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٦/١٣٠، فقد روى أثراً مطولاً عن ابن عباس وآخر عن كعب، وقد جمع بينهما المصنف هنا باختصار .

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾﴾

قال مالك: لا أحسبه إلاَّ قال في البغض مثل ذلك[١].

قال هرم بن حيان: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله عزّ وجلّ إلاَّ أقبل الله بقلوب أهل الإيمان إليه حتى يرزقه مودتهم[٢].

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **فإنما يَسَّرْناه بلسانك** ﴾، أي سهلنا القرآن بلسانك يامحمد، ﴿ **لتبشِّر به المتّقين** ﴾، يعني المؤمنين، ﴿ **وتُنذِرَ به قوماً لُدّاً** ﴾ شداداً في الخصومة، جمع «الألَدّ».

وقال الحسن: صماً عن الحق[٣].

١٠/ب قال مجاهد /: «الألَدُّ»: الظالم الذي لا يستقيم[٤].

قال أبو عبيدة: «الألدُّ» الذي لا يقبل الحق، ويدَّعي الباطل.

﴿ **وكم أهلكنا قبْلَهم مِنْ قَرنٍ هل تُحِسُّ** ﴾، هل ترى، وقيل هل تجد، ﴿ **منهم من أحدٍ أو تَسْمَعُ لهم رِكْزاً** ﴾، أي صوتاً، «والرِّكز»: الصوت الخفي[٥]. قال الحسن: بادوا جميعاً، فلم يبق منهم عين ولا أثر[٦].

* * *

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الشعر، باب المتحابّين في الله: ٢/٩٥٣، والبخاري في الأدب، باب المِقَةُ (المحبة) من الله: ١٠/٤٦١، ومسلم في البر والصلة والأدب، باب إذا أحب الله عبداً حبَّبه إلى عباده، برقم (٢٦٣٧): ٤/٢٠٣٠، والمصنف في شرح السنة: ١٣/٥٥. وانظر فتح الباري: ١٠/٤٦٢ - ٤٦٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٦/١٣٣.

(٣) أخرجه الطبري: ١٦/١٣٤.

(٤) الطبري: ١٦/١٣٣ - ١٣٤.

(٥) كما قال الشاعر لبيد بن ربيعة العامري:

فتوجَّسَتْ ذِكْرَ الأنيسِ فَراعَها عن ظَهْرِ غَيْبٍ، والأَنِيسُ سَقامُها

انظر: تفسير الطبري: ١٦/١٣٥.

(٦) أخرجه عبد بن حميد بنحوه. انظر: الدر المنثور: ٥/٥٤٧.

سُورَةُ طٰهٰ

سُورَةُ طه

مكيـة(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طه ۝١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۝٢﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي(٢)، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرَّيَّاني، أخبرنا حميد بن زنجوية، أخبرنا ابن أبي أويس، حدثني أبي عن أبي بكر الهزلي، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: « أُعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الأول، وأعطيتُ طة والطواسين من ألواح موسى، وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي ذكرت فيها البقرة من تحت العرش، وأعطيت المُفصَّل نافلةً »(٣) .

﴿ طه ﴾، قرأ أبو عمرو بفتح الطاء وكسر الهاء، ويكسرهما حمزة والكسائي وأبو بكر، والباقون بفتحهما .

---

(١) مكية كلها في قول الجميع، فقد أخرج النحاس وابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة طه بمكة. وأخرجه أيضاً ابن مردويه عن ابن الزبير .
انظر: الدر المنثور: ٥٤٨/٥، زاد المسير: ٢٦٨/٥، تفسير القرطبي: ١٦٣/١١ .

(٢) جاء هذا الحديث في نسخة « ب » عقب الآية الأولىٰ .

(٣) عزاه السيوطي في « الدر المنثور »: ٥٤٨/٥ لابن مردويه، وفيه أبو بكر الهذلي، قال عنه ابن حجر: أخباري متروك الحديث .
وأخرجه مطولاً عن معقل بن يسار: البيهقي في السنن: ٩/١٠، والحاكم في المستدرك: ٥٦١/١، ٥٦٨، و٢٥٩/٢، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص: (٣٢٢) .
وفيه عبيد الله بن أبي حميد وهو متروك .
وانظر: فيض القدير للمناوي: ٥٦٤/١ .

قيل: هو قَسَمٌ(1). وقيل: اسم من أسماء الله تعالى(2).

وقال مجاهد، والحسن، وعطاء، والضحاك: معناه يا رجل.

وقال قتادة: هو يا رجل بالسريانية.

وقال الكلبي: هو يا إنسان بلغة عك(3).

وقال مقاتل بن حيان: معناه طَإِ الأرضَ بقدميك، يريد: في التهجد(4).

وقال محمد بن كعب القرظي: أقسم الله عزّ وجلّ بَطْوله وهدايته(5).

قال سعيد بن جبير: الطاء افتتاح اسمه الطاهر، والهاء افتتاح اسمه هادٍ(6).

وقال الكلبي: لما نزل على رسول الله ﷺ الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه، وكان يصلي الليل كلَّه، فأنزل الله هذه الآية(7)، وأمره أن يخفف على

---

(1) رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
انظر: زاد المسير: ٢٠٥/٥، ٢٧٠.

(2) الطبري ٣٦/١٦، البحر المحيط: ٢٢٤/٦، زاد المسير: ٢٧٠/٥.

(3) انظر: الطبري: ١٣٥/١٦ – ١٣٦، زاد المسير: ٢٧٠/٥، البحر المحيط: ٢٢٤/٦.
وهذا القول رجحه الطبري لأنها كلمة معروفة في قبيلة عك، وأن معناها فيهم: يا رجل. وأنشدت لمتمم بن نُويرة:
هَتَفْتُ بطَهَ في القتالِ فلم يُجِبْ فَخِفْتُ عليهِ أن يكون مُوَائِلا

(4) نقله عنه أيضاً: ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٧٠/٥.
وروى عن عبد بن حميد في تفسره، عن الربيع بن أنس قال: كان النبي ﷺ إذا صلى قام على رِجْل ورفع الأخرى، فأنزل الله تعالى: ﴿طه﴾، يعني: طَإِ الأرض بقدميك يا محمد.
وروى ابن مردويه من طريق قيس بن الربيع عن علي: لما نزل «يأيها المزمل» قام الليل كله حتى ورمت قدماه، فجعل يرفع رجلاً ويضع الأخرى فهبط عليه جبريل فقال: طه طَإِ الأرض بقدميك يامحمد.
وأخرجه البزار من وجه آخر عن علي رضى الله عنه.
وأخرجه البيهقي في الشُّعَب من وجه آخر عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما.
انظر: الكافي الشاف لابن حجر ص (١٠٨)، ابن كثير: ١٤٢/٣.

(5) وهذا القول قريب المعنى من قول ابن عباس الذي رواه علي بن أبي طلحة.
انظر: زاد المسير: ٢٧٠/٥.

(6) وأخرج البزار عن علي نحوه: قال الهيثمي: ٥٦/٧: «وفيه يزيد بن بلال، وقال البخاري: فيه نظر، وكيسان أبو عمرو: وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين. وبقية رجاله رجال الصحيح».

(7) انظر: زاد المسير: ٢٦٩/٥ – ٢٧٠. وقارن بأضواء البيان: ٤٠٠/٤ فقد ضعف هذا القول. وتقدم أن الطبري رجح أن المراد بها: يارجل ولم يعهد هذا النداء في الكتاب الكريم، ولذلك رجح أبو حيان في البحر المحيط: (٢٢٤/٦) «أن ﴿طه﴾ من الحروف المقطعة نحو ﴿يس﴾ و﴿الر﴾ وما أشبهها».
وقال الشيخ الشنقيطي في «أضواء البيان»: (٣٩٩/٤): وأظهر الأقوال فيه أنه من الحروف المقطعة في أوائل السور، ويدل =

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ۝٤
الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ۝٦﴾

نفسه فقال: ﴿ **ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى** ﴾ .

وقيل: لما رأى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا ما أنزل عليك القرآن يامحمد إلا لشقائك، فنزلت ﴿ **ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى** ﴾[1] أي لتتعنى وتتعب، وأصل الشقاء في اللغة العناء .

﴿ **إلّا تذكرة لمن يخشى** ﴾، [أي لكن أنزلناه عظة لمن يخشى. وقيل: تقديره ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ما أنزلناه إلا تذكرة لمن يخشى][2] .

﴿ **تنزيلاً** ﴾، بدل من قوله « تذكرةً » ﴿ **مِمَّنْ خلق الأرضَ** ﴾ أي: من الله الذي خلق الأرض، ﴿ **والسمواتِ العُلىٰ** ﴾، يعني: العالية الرفيعة، وهي جمع العليا كقوله: كبرى وكُبَر، وصغرى وصُغَر .

﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ .

﴿ **له ما في السموات وما في الأرضِ وما بينهما** ﴾، يعني الهواء، ﴿ **وما تحت الثَّرىٰ** ﴾، والثرى هو: التراب الندي. قال الضحاك: يعني ما وراء الثرى من شيء .

وقال ابن عباس: إن الأرضين على ظهر النون، والنون على بحر، ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش، والبحر على صخرة خضراء، خضرةُ السماءِ منها، وهى الصخرة التى ذكر الله في قصة لقمان «فتكن في صخرة» والصخرة على قرن ثور، والثور على الثرى، وما تحت الثرى لا يعلمه إلا الله عزّ وجلّ، وذلك الثور فاتح فاه فإذا جعل الله عزّ وجلّ البحار بحراً واحداً سالت في جوف ذلك الثور، فإذا وقعت في جوفه يبست[3].

= لذلك أن الطاء والهاء المذكورتين في فاتحة هذه السورة جاءتا في مواضع أُخر لا نزاع فيها في أنهما من الحروف المقطعة. أما الطاء ففي فاتحة الشعراء « طسم » وفاتحة النمل « طسٓ » وفاتحة القصص. وأما الهاء ففي فاتحة مريم في قوله تعالى: « كهيعص »... وخير ما يفسر به القرآن القرآن » .

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٣٧/١٦، أسباب النزول للواحدي ص (٣٥١) – القرطبي: ١٦٧/١١ .

(٢) ساقط من « ب » .

(٣) ذكر هذه الرواية القرطبي: ١٦٩/١١ – ١٧٠. وهذه الرواية من الإسرائيليات التي لا يعوّل عليها في تفسير كتاب الله تعالى، =

﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾

﴿ وإن تجهر بالقول ﴾، [أي: تعلن به](١)، ﴿ فإنه يعلمُ السرَّ وأخفىٰ ﴾، قال الحسن: « السرّ »: ما أسرَّ الرجل إلى غيره، « وأخفى » من ذلك: ما أسرَّ في نفسه .

وعن ابن عباس، وسعيد بن جبير: « السرّ » ما تُسِرُّ في نفسك « وأخفى » من السر: ما يلقيه الله عزّ وجلّ في قلبك من بُعْدٍ، ولا تعلم أنك ستحدّث به نفسك، لأنك تعلم ما تسرُّ به اليوم ولاتعلم ما تسرُّ به غداً، والله يعلم ما أسررت اليوم وما تسرُّ به غداً .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: « السرّ »: ما أسرَّ ابن آدم في نفسه، « وأخفىٰ » ما خفي عليه مما هو فاعله قبل أن يعلمه .

وقال مجاهد: « السرّ »العمل الذي تسرون من الناس، « وأخفى »: الوسوسة .

وقيل: « السرُّ »: هو العزيمة [« وأخفى »: ما يخطر على القلب ولم يعزم عليه .

وقال زيد بن أسلم: « يعلم السر](٢) وأخفى »: أي يعلم أسرار العباد، وأخفى سرَّه من عباده، فلا يعلمه أحد(٣) .

ثم وحَّدَ نفسه، فقال: .

﴿ الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ﴾ .

قوله عز وجل: ﴿وهل أتاك حديثُ موسىٰ﴾، أي: قد أتاك، استفهام بمعنى التقرير .

= ولو صحت نسبتها لابن عباس رضى الله عنهما، لأن صحة نسبتها إليه لا تفي صحتها في واقع الأمر لأنها متلقاة من الإسرائيليات .
وانظر ما كتبه الحافظ ابن كثير رحمه الله في التفسير: ٤٠١/٤ - ٤٠٢ .

(١ - ٢) ساقط من «أ» .

(٣) انظر هذه الأقوال في: الطبري: ١٣٩/١٦ - ١٤١، زاد المسير: ٢٧١/٥ .
قال الطبري: والصواب من القول في ذلك قول من قال: معناه يعلم السر وأخفى من السر، لأن ذلك هو الظاهر من الكلام، ولو كان معنى ذلك ما تأوله ابن زيد لكان الكلام: وأخفى الله سرّه، لأن أخفى فعل واقع متعدٍ؛ إذ كان بمعنى « فعل » - على ما تأوله ابن زيد - وفي انفراد « أخفى » من مفعوله - والذي يعمل فيه لو كان بمعنى فعل - الدليل الواضح على أنه بمعنى « أفعل »، وأن تأويل الكلام: فإنه يعلم السرَّ وأخفى منه، فإذا كان ذلك تأويله فالصواب من القول في معنى أخفى من السر، أن يقال: هو ما علم الله مما أخفى عن العباد ولم يعلموه، مما هو كائن ولما يكن، لأن ما ظهر وكان فغير سرٍّ، وأن ما لم يكن وهو غير كائن، فلا شيء، وأن لم يكن وهو كائن: فهو أخفى من السر، لأن ذلك لا يعلمه إلا الله ثم من أعلمه ذلك من عباده .

إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾

﴿ **إذ رأى ناراً** ﴾، وذلك أن موسى استأذن شعيباً في الرجوع من مدين إلى مصر لزيارة والدته وأخته، فأذن له فخرج بأهله وماله، وكان أيام الشتاء، وأخذ على غير الطريق مخافةَ ملوكِ الشام، وامرأته في سقمها، لا تدري أليلاً أم نهاراً. فسار في البرية غير عارف بطرقها، فألجأه المسير إلى جانب الطور الغربي الأيمن في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد، وأخذ امرأته الطَّلْق، فقدح زنده فلم يُوره .

وقيل: إن موسى كان رجلاً غيوراً فكان يصحب الرفقة بالليل ويفارقهم بالنهار، لئلا ترى امرأته، فأخطأ مرةً الطريق في ليلة مظلمةٍ شاتية، لما أراد الله عزّ وجلّ من كرامته، فجعل يقدح الزند فلا يوري، فأبصر ناراً من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور، ﴿ **فقال لأهله امكثوا** ﴾[1]، أقيموا، قرأ حمزة بضم الهاء هاهنا وفي القصص، ﴿ **إني آنستُ** ﴾ أي: أبصرت، ﴿ **ناراً، لعلي آتيكم منها بقَبَسٍ** ﴾، شعلة من نار، والقبس قطعة من النار تأخذها في طرف عمود من معظم النار، ﴿ **أو أجدُ على النّار هدىً** ﴾، أي: أجد عند النار من يدلني على الطريق .

﴿ **فلمَّا أتاها** ﴾، رأى شجرة خضراء من أسفلها [إلى أعلاها، أطافت بها نار بيضاء تتقد كأضوأ ما يكون، فلا ضوء النار يغيّر][2] خضرة الشجرة، ولا خضرة الشجرة تغيِّر ضوء النار .

قال ابن مسعود: كانت الشجرة سَمُرَة خضراء .

وقال قتادة، ومقاتل، والكلبي: كانت من العوسج .

وقال وهب: كانت من العليق .

وقيل: كانت شجرة العناب، رُوي ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما[3] .

قال أهل التفسير: لم يكن الذي رآه موسى ناراً بل كان نوراً، ذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه ناراً.

وقال أكثر المفسرين: إنه نور الرب عزّ وجلّ، وهو قول ابن عباس، وعكرمة، وغيرهما .

---

(١) انظر: الطبري: ١٦/١٤٢ – ١٤٣، القرطبي: ١١/١٧١، البحر المحيط: ٦/٢٣٠ .

(٢) ساقط من « أ » .

(٣) انظر: الطبري: ١٦/١٤٣، البحر المحيط: ٦/٢٣٠، القرطبي: ١١/١٧١ .
وهذه الأقوال في الشجرة مما لم يرد نص عن النبي ﷺ في تعيينها، وقد أعرض الحافظ ابن كثير عنها فلم يذكر شيئاً منها في تفسير الآية .

﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ١٢﴾

وقال سعيد بن جبير: هى النار بعينها، وهي إحدى حجب الله تعالى، يدلُّ عليه: ما روينا عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: « حجابُهُ النار لو كشفها لأحرقت سُبُحَاتُ وجهه ما انتهى إليه بصرهُ من خَلْقِه »(١) .

وفي القصة أن موسى أخذ شيئاً من الحشيش اليابس وقصد الشجرة وكان كلما دنا نأَتْ منه النار، وإذا نأى دنتْ، فوقف متحير، وسمع تسبيح الملائكة، وأُلْقِيَتْ عليه السكينة(٢) .

﴿ نُودي ياموسى إني أنا ربُّك ﴾، قرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو، « أَني » بفتح الألف، على معنى: نودي بأني. وقرأ الآخرون بكسر الألف، أي: نودي، فقيل: إني أنا ربُّك .

قال وهب نودي من الشجرة، فقيل: ياموسى، فأجاب سريعاً ما يدري مَنْ دعاه، فقال: إني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت؟ / قال: أنا فوقك ومعك، وأمامك وخلفك، وأقرب إليك من نفسك، فعلم أن ذلك لا ينبغي إلا لله، فأيقن به(٣) . ١١/أ

قوله عزّ وجلّ: ﴿ فاخلعْ نعليك ﴾، وكان السبب فيه ما رُوى عن ابن مسعود مرفوعاً في قوله: ﴿ فاخلع نعليك ﴾، قال: كانتا من جلد حمار ميت. ويروى غير مدبوغ(٤) .

وقال عكرمة ومجاهد: أُمر بخلع النعلين ليباشر بقدمه تراب الأرض المقدسة، فيناله بركتها لأنها قُدِّست مرتين، فخلعهما موسى وألقاهما من وراء الوادي(٥) .

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب في قوله عليه السلام: إن الله لا ينام.. برقم (١٧٩): ١/١٦١ - ١٦٢ .

(٢) انظر: البحر المحيط: ٦/٢٣٠ .

(٣) عزاه السيوطي: ٥/٥٥٤ - ٥٥٥ للإمام أحمد في الزهد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم .

(٤) أخرجه الترمذي في اللباس، باب ما جاء في لبس الصوف: ٥/٤١٠ وقال: « هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث حميد الأعرج، وحميد هو ابن علي الأعرج، منكر الحديث » .
ورواه الحاكم في المستدرك: ٢/٣٧٩ وصححه على شرط البخاري، فتعقبه الذهبي بقوله: « بل ليس على شرط البخاري، وإنما غرّه أن في الإسناد حميد بن قيس كذا وهو خطأ إنما هو حميد الأعرج الكوفي ابن علي، أو ابن عمار، أحد المتروكين، فظنه المكيّ الصادق » .

(٥) قال الطبري مرجحاً: « وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: أمر الله - تعالى ذكره - بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادي، إذ كان وادياً مقدساً، وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب لأنه لا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار، ولا لنجاستهما، ولا خبر بذلك عمن يلزم بقوله الحجة. وإن في قوله: ﴿ إنك بالوادي المقدس ﴾ بعقبه دليلاً واضحاً على أنه إنما أمره بخلعهما لما ذكرنا » .
انظر: الطبري: ١٦/١٤٤. وانظر المعنى نفسه عند أبي حيان: ١٦/٢٣١ .

وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ
ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا

﴿ إنك بالوادِ المقدَّس ﴾، أي المطهر، ﴿ طوىً ﴾، وطوى اسم الوادي، وقرأ أهل الكوفة والشام: ﴿ طوىً ﴾ بالتنوين هاهنا وفي سورة النازعات، وقرأ الآخرون بلا تنوين لأنه معدول عن « طاوٍ » فلما كان معدولاً عن وجهه كان مصروفاً عن إعرابه، مثل عُمَر، وزُفَر، وقال الضحاك: ﴿ طوى ﴾: وادٍ مستدير عميق مثل الطوي في استدارته .

﴿ وأنا اخترتُك ﴾، اصطفيتك برسالاتي، قرأ حمزة: ﴿ وأنّا ﴾ مشددة النون، « اخترناك » على التعظيم. ﴿ فاستَمِعْ لما يُوحى ﴾، إليك: .

﴿ إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ﴾، ولا تعبد غيري، ﴿ وأقِمِ الصلاةَ لِذِكْرِي ﴾، قال مجاهد: أقم الصلاة لتذكرني فيها، وقال مجاهد: إذا تركت الصلاة ثم ذكرتها، فأقمها .

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحين أخبرنا أبو عمرو بكر بن محمد المزني، أخبرنا أبو بكر بن محمد ابن عبد الله الحفيد، أخبرنا الحسين بن الفضل البجلي، أخبرنا عفان، أخبرنا قتادة عن أنس قال: قال النبي ﷺ: « من نسي صلاةً فَلْيصلّها إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك »(1)، ثم قال: سمعته يقول بعد ذلك: ﴿ أقم الصلاة لذكري ﴾ .

﴿ إنّ الساعةَ آتيةٌ أكادُ أُخفيها ﴾، قيل معناه إن الساعة آتية أخفيها. ﴿ وأكاد ﴾ صلة. وأكثر المفسرين قالوا: معناه: أكاد أخفيها من نفسي، وكذلك في مصحف أُبَي بن كعب، وعبد الله بن مسعود: أكاد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق .

وفي بعض القراءات: فكيف أظهرها لكم. وذكر ذلك على عادة العرب إذا بالغوا في كتمان الشيء يقولون: كتمت سرَّك من نفسي، أي: أخفيته غايةَ الإخفاء، والله عز اسمه لا يخفى عليه شيء .

= ونقل الحافظ ابن كثير: (١٤٤/٣) عن سعيد بن جبير أنه – عليه السلام – أُمر بخلع نعليه كما يؤمر الرجل أن يخلع نعليه إذا أراد أن يدخل الكعبة .

وأبدى الشيخ الشنقيطي: (٢٩٢/٤) حكمة أخرى فقال: وأظهر الأقوال – والله تعالى أعلم –: أن الله أمره بخلع نعليه من قدميه ليعلّمه التواضع لربه حين ناداه، فإن نداء الله لعبده أمر عظيم يستوجب من العبد كمال التواضع والخشوع. والله تعالى أعلم .

(1) أخرجه البخاري في المواقيت، باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكر..: ٧٠/٢ ومسلم في المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها برقم (٦٨٤) ٤٧٧/١، والمصنف في شرح السنة: ٢٤١/٢ .

تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا
تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا
عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾

وقال الأخفش: أكاد: أي أريد، ومعني الآية: أن الساعة آتية أريد أخفيها .

والمعنى في إخفائها التهويلُ والتخويفُ، لأنهم إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذرٍ منها كلَّ وقت .

وقرأ الحسن بفتح الألف أي أظهرها، يقال: خفيت الشيء: إذا أظهرته، وأخفيته: إذا سترته .

قوله تعالى: ﴿ **لتجزى كل نفس بما تسعى** ﴾، أي بما تعمل من خير وشر .

﴿ **فلا يَصُدَّنَّكَ عنها** ﴾، فلا يصرفنك عن الإيمان بالساعة، ﴿ **من لا يُؤمنُ بها واتَّبَعَ هواه** ﴾، مراده خالف أمر الله ﴿ **فَتَرْدَىٰ** ﴾، أي: فتهلك .

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وما تلك بيمينكِ ياموسىٰ** ﴾، سؤال تقرير، والحكمة في هذا السؤال: تنبيهه وتوقيفه على أنها عصا حتى إذا قلبها حيةً علم أنه معجزة عظيمة. وهذا على عادة العرب، يقول الرجل لغيره: هل تعرف هذا؟ وهو لا يشك أنه يعرفه، ويريد أن ينضم إقراره بلسانه إلى معرفته بقلبه .

﴿ **قال هِيَ عَصَايَ** ﴾، قيل: وكانت لها شعبتان، وفي أسفلها سنان، ولها محجن. قال مقاتل: اسمها نبعة .

﴿ **أتوكأ عليها** ﴾: أعتمد عليها إذا مشيت وإذا أعييت وعند الوثبة، ﴿ **وأهشُّ بها على غنمي** ﴾، أضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم .

وقرأ عكرمة ﴿ **وأهس** ﴾ بالسين غير المعجمة، أي: أزجرُ بها الغنم، و«الهَسُّ»: زجر الغنم .

﴿ **وليَ فيها مآرِبُ أخرىٰ** ﴾، حاجات ومنافع أخرى، جمع «مأربة» بفتح الراء وضمها، ولم يقل: ﴿ **أخر** ﴾ لرؤوس الآي. وأراد بالمآرب: ما يستعمل فيه العصا في السفر، وكان يحمل بها الزاد ويشدُّ بها الحبل[1] فيستقي الماء من البئر، ويقتل بها الحيات، ويحارب بها السّباع، ويستظلُّ بها إذا قعد

---

(١) في «ب» الدلو .

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ١٩ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ٢٠﴾

وغير ذلك .

وروى عن ابن عباس: أن موسى كان يحمل عليها زاده وسقاءه، فجعلت تماشيه وتحدّثه، وكان يضرب بها الأرض فيخرج ما يأكل يومَهُ، ويركزها فيخرج الماء، فإذا رفعها ذهب الماء، وإذا اشتهى ثمرة ركزها فتغصنت غصن الشجرة وأورقت وأثمرت، وإذا أراد الاستقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كالدلو حتى يستقي، وكانت تضيء بالليل بمنزلة السراج، وإذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه[1] .

﴿ قال ﴾، الله تعالى: ﴿ أَلْقِهَا ياموسى ﴾ ، انبذها، قال وهب: ظن موسى أنه يقول ارفضها .

﴿ فألقاها ﴾، على وجه الرفض[2] ثم حانت منه نظرة، ﴿ فإذا هي حيّة ﴾، صفراء من أعظم ما يكون من الحيّات، ﴿ تَسْعَىٰ ﴾، تمشي بسرعة على بطنها وقال في موضع آخر: « كأنها جان » (النمل – ١٠) وهى الحية الصغيرة الخفيفة الجسم، وقال في موضع: « ثعبان »، وهو أكبر ما يكون من الحيّات .

فأما الحية: فإنها تجمع الصغير والكبير والذكر والأنثى. وقيل: « الجانّ »: عبارة عن ابتداء حالها، فإنها كانت حية على قدر العصا، ثم كانت تتورم وتنتفخ حتى صارت ثعباناً، « والثعبان »: عبارة عن انتهاء حالها .

وقيل: إنها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان .

قال محمد بن إسحاق: نظر موسى فإذا العصَا حيّة من أعظم ما يكون من الحيات صارت شعبتاها شدقين لها، والمحجنُ عنقاً وعرفاً، تهتزُّ كالنيازك، وعيناها تتقدان كالنّار تمرّ بالصخرة العظيمة مثل الخَلِفَةِ من الإبل، فتلقمها وتقصف الشجرة العظيمة بأنيابها، ويسمع لأسنانها صريف عظيم. فلما عاين ذلك موسى ولّى مُدْبِراً وهرب، ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه، ثم نُودي: أنْ يا موسى أقْبِل وارجع حيث كنت، فرجع وهو شديد الخوف[3] .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير:(١٤٦/٣): « وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التى أبهمت، فقيل: كانت تضيء له بالليل، وتحرس له الغنم إذا نام، ويغرسها فتصير شجرة تظله، وغير ذلك من الأقوال الخارقة للعادة .
والظاهر: أنها لم تكن كذلك، ولو كانت كذلك لما استنكر موسى عليه السلام صيرورتها ثعباناً، فما كان يفرُّ منها هارباً. ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية » .

(٢) في « ب »: الأرض .

(٣) انظر التعليق السابق .

قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ
جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى
﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾

﴿ **قال خذها** ﴾، بيمينك، ﴿ **ولا تخف سنعيدها سيرَتَها الأولى** ﴾، هيئتها الأولى، أي: نَرُدُّها عصاً كما كانت، وكان على موسى مدرعة من صوف قد خلَّها بعِيْدَانٍ، فلما قال الله تعالى: خذها، لَفَّ طرف المدرعة على يده، فأمره الله تعالى أن يكشف يده فكشف.

وذكر بعضهم: أنّه لمّا لفَّ كمّ المدرعة على يده قال له مَلَكٌ: أرأيت لو أذن الله بما تحاذره أكانت المدرعة تغني عنك. شيئاً؟ قال: لا، ولكني ضعيف، ومن ضعفٍ خُلِقْتُ، فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فإذا هى عصا كما كانت، ويده في شعبتها في الموضع الذي كان يضعها إذا توكأ[1].

قال المفسرون: أراد الله عزّ وجلّ أن يُري موسى ما أعطاه من الآية التى لا يقدر عليها مخلوق لئلا / يفزع منها إذا ألقاها عند فرعون. ١١/ب

وقوله: ﴿ **سيرتَها الأولى** ﴾ نصب بحذف « إلى »، يريد: إلى سيرتها الأولى.

قوله تعالى: ﴿**واضممْ يدكَ إلى جناحك**﴾ أي: إبطك، قال مجاهد: تحت عضدك، وجناح الإنسان عضده إلى أصل إبطه. ﴿ **تخرج بيضاء** ﴾، نيرة مشرقة، ﴿ **من غير سوء** ﴾، من غير عيب والسوء هاهنا بمعنى البَرَص. قال ابن عباس: كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر، ﴿ **آيةً أخرى** ﴾، أي: دلالة أخرى على صدقك سوى العصا.

﴿ **لِنُرِيَكَ من آياتِنا الكبرىٰ** ﴾، ولم يقل الكُبَر لرؤوس الآي. وقيل: فيه إضمار، معناه: لنريك من آياتنا الكبرى، دليله قول ابن عباس: كانت يد موسى أكبر آياته.

قال تعالى: ﴿**اذهب إلى فرعون إنّه طغى**﴾، أي: جاوز الحدّ في العصيان والتمرد، فادعه إلى عبادتي.

﴿ **قال** ﴾، موسى: ﴿ **ربِّ ٱشْرَحْ لِي صَدرِي** ﴾، وسِّعه للحقِّ، قال ابن عباس: يريد حتى لاأخاف غيرك، وذلك أن موسى كان يخاف فرعون خوفاً شديداً لشدة شوكته وكثرة جنوده، وكان يضيق صدراً بما كُلّف من مقاومة فرعون وحده، فسأل الله أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم أن أحداً لا يقدر على مضرّته إلا بإذن الله، وإذا علم ذلك لم يَخَفْ فرعونَ وشدَّةَ شوكته وكثرة جنوده.

---

(١) انظر التعليق السابق.

﴿ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿ ويسّر لي أمري ﴾، أي: سهّل عليّ ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون .

﴿ واحْلُلْ عقدةً من لساني ﴾، وذلك أن موسى كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره، فلطم فرعون لطمة وأخذ بلحيته، فقال فرعون لآسية امرأته: إن هذا عدوي وأراد أن يقتله، فقالت آسية: إنه صبي لا يعقل ولا يميّز. وفي رواية أن أمّ موسى لما فطمته رَدَّتْهُ، فنشأ موسى في حجر فرعون وامرأته آسية يربيانه، واتخذاه ولداً، فبينما هو يلعب يوماً بين يدي فرعون وبيده قضيب يلعب به إذ رفع القضيب فضرب به رأس فرعون، فغضب فرعون وتطيّر بضربه، حتى همّ بقتله، فقالت آسية: أيها الملك إنه صغير لا يعقل فَجَرِّبْه إن شئت، وجاءت بطشتين: في أحدهما الجمر، وفي الآخر الجواهر، فوضعتهما بين يدي موسى فأراد أن يأخذ الجوهر، فأخذ جبريل بيد موسى فوضعها على النار فأخذ جمرة فوضعها في فمه فاحترق لسانه وصارت عليه عقدة[1] .

﴿ يفقهوا قولي ﴾، يقول: احْلِلِ العقدة كي يفقهوا كلامي .

﴿ واجعلْ لي وزيراً ﴾، مُعِيناً وظهيراً، ﴿ من أهلي ﴾ والوزير من يوازرك ويعينك ويتحمل عنك بعض ثقل عملك، ثم بيّن من هو فقال :

﴿ هارون أخي ﴾، وكان هارون أكبر من موسى بأربع سنين، وكان أفصح منه لساناً وأجمل وأوسم، وأبيض اللون، وكان موسى آدم أقنى جعداً .

﴿ اشْدُدْ به أَزْرِي ﴾، قوّ به ظهري .

﴿ وأشرِكْهُ في أمري ﴾، أي: في النبوة وتبليغ الرسالة، وقرأ ابن عامر ﴿ أشدد ﴾ بفتح الألف ﴿ وأشركه ﴾ بضمها على الجواب، حكايةً عن موسى، أي: أفعل ذلك، وقرأ الآخرون على الدعاء.

(١) جزء من حديث « الفتون » عن ابن عباس موقوفاً عليه، رواه الطبري في التفسير: ١٦/١٦٤ - ١٦٧، وعزاه الهيثمي لأبي يعلى، وقال: « رجاله رجال الصحيح غير أصبغ بن زيد، والقاسم بن أبي أيوب وهما ثقتان » .
وقال ابن كثير: « رواه النسائي في السنن الكبرى، وأخرجه أبو جعفر ابن جرير، وابن أبي حاتم في تفسيرهما، كلهم من حديث يزيد بن هارون، وهو موقوف من كلام ابن عباس، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه، وكأنه تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره. والله أعلم، وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضاً » .
انظر: مجمع الزوائد: ٧/٦٦، وتفسير ابن كثير: ٣/١٥٤ .

كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ
سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ
﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى
وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾

والمسألة، عطفاً على ما تقدم من قوله: ﴿ **ربِّ اشرح لي صدري ويسِّر لي أمري** ﴾ .

﴿ **كي نسبِّحَكَ كثيراً** ﴾، قال الكلبي: نصلي لك كثيراً .

﴿ **ونذكرك كثيراً** ﴾، نحمدك ونثني عليك بما أوليتنا من نعمك .

﴿ **إنك كنت بنا بصيراً** ﴾، خبيراً عليماً .

﴿ **قال** ﴾، الله تعالى: ﴿ **قد أوتيتَ** ﴾، أعطيتَ، ﴿ **سُؤْلك** ﴾، جميع ما سألته، ﴿ **يا موسى** ﴾ .

﴿ **ولقد مَنَنَّا عليك** ﴾، أنعمنا عليك، ﴿ **مرّة أخرى** ﴾، يعني قبل هذه المرة وهي:

﴿ **إذ أوحينا إلى أمك** ﴾، وحي إلهام، ﴿ **ما يُوحَىٰ** ﴾، ما يلهم. ثم فسر ذلك الإلهام وعدد نعمه عليه :

﴿ **أنِ اقْذِفِيه في التابوت** ﴾: أي: ألهمناها أنِ اجعليه في التابوت، ﴿ **فاقذفيه في اليمّ** ﴾، يعني نهر النيل، ﴿ **فَلْيُلْقِه اليمُّ بالساحل** ﴾، يعني شاطيء النهر، لفظه أمرٌ ومعناه خبر، مجازه: حتى يلقيه اليم بالساحل: ﴿**يأخذْهُ عدوٌ لي وعدوٌ له**﴾، يعني فرعون. فاتخذت تابوتاً وجعلت فيه قطناً محلوجاً ووضعت فيه موسى، وقيَّرت رأسه وخصاصه – يعني شقوقه – ثم ألقته في النيل، وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون، فبينما فرعون جالس على رأس البركة مع امرأته آسية إذا بتابوت يجيء به الماء، فأمر الغلمان والجواري بإخراجه، فأخرجوه وفتحوا رأسه فإذا صبي من أصبح الناس وجهاً، فلما رآه فرعون أحبَّه بحيث لم يتمالك، فذلك قوله تعالى: .

﴿ **وألقيت عليك محبّةً مني** ﴾، قال ابن عباس: أحبه وحبَّبه إلى خلقه. قال عكرمة: ما رآه أحد إلا أحبه. قال قتادة: ملاحة كانت في عيني موسى، ما رآه أحد إلاَّ عشقه .

﴿ **ولتصنع على عيني** ﴾، يعني لتُربّى بمرآي ومنظرٍ مني، قرأ أبو جعفر ﴿ **ولتصنع** ﴾ .

﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

بالجزم﴿ **إذْ تمشي أختك** ﴾، واسمهما مريم، متعرفةً خبره، ﴿ **فتقول: هل أدلكم على من يكفله** ﴾؟ أي: على امرأة ترضعه وتضمُّه إليها؛ وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة، فلما قالت ذلك لهم أخته قالوا: نعم، فجاءت بالأم فقَبِلَ ثديها، فذلك قوله تعالى:

﴿ **فَرَجَعْنَاكَ إلى أمِّك كي تقرَّ عينُها** ﴾، بلقائك، ﴿ **ولا تحزنَ** ﴾، أي: لأن يذهب عنها الحزن .

﴿ **وقتلتَ نفساً** ﴾، قال ابن عباس رضى الله عنهما: كان قتل قبطياً كافراً. قال كعب الأحبار: كان إذْ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة، ﴿ **فنجيناك من الغمِّ** ﴾، أي من غم القتل وكربه، ﴿ **وفَتَنَّاكَ فُتُوناً** ﴾، قال ابن عباس رضى الله عنه: اختبرناك اختباراً. وقال الضحاك ومقاتل: ابتليناك ابتلاءً. وقال مجاهد: أخلصناك إخلاصاً .

وعن ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: أنّ الفتون وقوعه في محنة بعد محنة خلّصه الله منها، أولها أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح الأطفال، ثم إلقاؤه في البحر في التابوت، ثم منعه الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم أخذه بلحية فرعون حتى همّ بقتله، ثم تناوله الجمرة بدل الدرة، ثم قتله القبطي، وخروجه إلى مدين خائفاً. فكان ابن عباس يقص القصة على سعيد بن جبير، فعلى هذا معنى: ﴿ **فتناك** ﴾ خلصناك من تلك المحن، كما يفتن الذهب بالنار فيخلص من كل خبث فيه[1]، « والفتون »: مصدر .

﴿ **فلبثتَ** ﴾، فمكثت، أي: فخرجت من مصر فلبثت، ﴿ **سنينَ فى أهلِ مَدْيَنَ** ﴾، يعني ترعى الأغنام عشر سنين، ومدين بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر، هرب إليها موسى .

وقال وهب: لبث عند شعيب عليه السلام ثمانياً وعشرين سنة، عشر سنين منها مهر ابنته « صفيرا » بنت شعيب، وثمان عشرة سنة أقام عنده حتى ولد له .

﴿ **ثم جئت على قدرٍ ياموسى** ﴾، قال مقاتل: على موعد ولم يكن هذا الموعد مع موسى وإنما

(١) انظر التعليق السابق .

وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾
ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾

كان موعداً في تقدير الله، قال محمد بن كعب: جئت على القدر الذي قدرت أنك تجيء .

وقال عبد الرحمن بن كيسان: على رأس أربعين سنة، وهو القدر الذي يوحى فيه إلى الأنبياء، وهذا معنى قول أكثر المفسرين، أي على الموعد الذي وعده الله وقدره أنه يوحى إليه بالرسالة، وهو أربعون سنة .

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **واصْطنعتُك لنفسي** ﴾، أي اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي، يعني
١٢/أ لتتصرف على إرادتي/ومحبتي؛ وذلك أن قيامه بأداء الرسالة [تصرف على][1] إرادة الله ومحبته .

قال الزجاج: اخترتك لأمري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي، كأني الذي أقمت[2] بك عليهم الحجة وخاطبتهم .

﴿ **اذهبْ أنت وأخوك بآياتي** ﴾، بدلائلي، وقال ابن عباس: يعني الآيات التسع التي بعث بها موسى ﴿ **ولاَ تَنِيَا** ﴾ لا تضعفا، وقال السدي: لا تَفْتُرا. وقال محمد بن كعب: لا تقصرا، ﴿ **في ذكري** ﴾ .

﴿**اذهَبا إلى فرعون إنه طغىٰ**﴾، قرأ أبو عمرو، وأهل الحجاز: «لنفسيَ اذهب»، «وذكريَ اذهبا»، و«إن قوميَ اتخذوا» (الفرقان - ٣٠)، «من بعديَ اسمه» (الصف - ٦) بفتح الياء فيهن، ووافقهم أبو بكر: « من بعدي اسمه »، وقرأ الباقون بإسكانها .

﴿**فقولاَ له قولاً ليناً**﴾، يقول: دارياه وارفقا معه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا تعنفا في قولكما .

وقال السدي وعكرمة: كنّياه فقولا ياأبا العباس، وقيل: ياأبا الوليد .

وقال مقاتل: يعني القول اللين: « هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربّك فتخشى » (النازعات-١٨، ١٩) .

وقيل: أمر باللطافة في القول لما له من حق التربية .

---

(١) في « ب » تصرفه إلى .
(٢) في « ب » احتججت .

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾

وقال السدي: القول الليِّن: أن موسى أتاه ووعده على قبول الإيمان شباباً لايهرم، وملكاً لا ينزع منه إلا بالموت، وتبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته، وإذا مات دخل الجنة، فأعجبه ذلك وكان لا يقطع أمراً دون هامان، وكان غائباً فلما قدم أخبره بالذي دعاه إليه موسى، وقال أردت أن أقبل منه، فقال له هامان: كنت أرى أن لك عقلاً ورأياً، أنت ربٌّ، تريد أن تكون مربوباً؟ وأنت تُعْبَدُ تريد أن تَعْبُدَ؟ فقلبه عن رأيه(١).

وكان هارون يومئذٍ بمصر، فأمر الله موسى أن يأتي هارون وأوحىٰ إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى، فتلقاه إلى مرحلةٍ، وأخبره بما أوحي إليه(٢).

﴿ لعله يتذكر أو يخشى ﴾، أي:يتعظ ويخاف فيسلم.

فإن قيل: كيف قال: ﴿ لعله يتذكر ﴾ وقد سبق عِلْمُه أنه لا يتذكر ولا يسلم؟.

قيل: معناه اذهبا على رجاءٍ منكما وطمع، وقضاءُ الله وراء أمركما.

وقال الحسين بن الفضل: هو ينصرف إلى غير فرعون، مجازه: لعله يتذكر متذكِّرٌ، ويخشى خاشٍ إذا رأى بِرِّي وألطافي بِمَنْ خلقتُه وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية.

وقال أبو بكر محمد بن عمر الوراق: ﴿ لعلّ ﴾ من الله واجب(٣)، ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم تنفعه الذكرى والخشية، وذلك حين ألجمه الغرق، قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، وأنا من المسلمين.

وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ هذه الآية: ﴿ فقولا له قولاً ليناً ﴾ فبكي يحيى، وقال: إلهي هذا رفقك(٤) بمن يقول أنا الإله، فكيف رفقك(٤) بمن يقول أنت الإله؟!(٥).

---

(١) انظر في هذه الأقوال ونسبتها: الطبري: ١٦/١٦٩، الدر المنثور: ٥/٥٨٠، زاد المسير: ٥/٢٨٧ - ٢٨٨.
وأقرب هذه الأقوال في تفسير القول اللين؛ أن الله تعالى أمرهما أن يقولا كلاماً لطيفاً سهلاً رقيقاً، ليس فيه ما يغضب وينفر.
وقد بيَّن الله جل وعلا المراد بالقول اللين في هذه الآية بقوله: ﴿ إذهب إلى فرعون إنه طغىٰ فقل هل لك إلى أن تزكّىٰ وأهديك إلى ربك فتخشىٰ ﴾. وهذا غاية لين الكلام ولطافته ورقته. وهو قول مقاتل، كما تقدم.
انظر: تفسير ابن كثير ٣/١٥٤، أضواء البيان: ٥/٤١٣.

(٢) انظر: زاد المسير: ٥/٢٨٩.

(٣) تفسير القرطبي: ١١/٢٠١. وانظر: الاتقان للسيوطي: ٢/٢٧٥ - ٢٧٦ ففيه معاني حرف « لعل » في القرآن الكريم.

(٤) في « ب »: برّك.

(٥) تفسير القرطبي: ١١/٢٠١.

قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ
فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ
اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ
فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾

﴿ **قالا** ﴾، يعني موسى وهارون: ﴿ **ربنا إننا نخاف أن يَفْرُطَ علينا** ﴾، قال ابن عباس رضى الله عنهما: يعجل علينا بالقتل والعقوبة، يقال: فرط عليه فلان إذا عجل بمكروه، وفرط منه أمرٌ أي بدرَ وسبقَ، ﴿ **أو أن يطغى** ﴾، أي يجاوز الحد في الإساءة إلينا .

﴿ **قال لا تخافا إنني معكما أسمعُ وأرىٰ** ﴾، قال ابن عباس: أسمع دعاءكما فأجيبه، وأرى ما يراد بكما فأمنعه، لست بغافلٍ عنكما، فلا تهتما .

﴿ **فأْتِياهُ فقولا إنّا رسولاَ ربِّك** ﴾، أرسلَنا إليك، ﴿ **فأرسِلْ معنا بني إسرائيل** ﴾، أي:خلِّ عنهم وأطلقهم عن أعمالك، ﴿ **ولا تعذّبهم** ﴾، لا تتعبهم في العمل. وكان فرعون يستعملهم في الأعمال الشاقة، ﴿ **قد جئناك بآيةٍ من ربِّك** ﴾، قال فرعون: وما هي؟ فأخرج يده، لها شعاع كشعاع الشمس، ﴿ **والسلام على من اتَّبعَ الهدى** ﴾، ليس المراد منه التحية، إنما معناه سَلِم من عذاب الله من أسلم .

﴿ **إنّاقد أُوحي إلينا أن العذاب على من كذّب وتولى** ﴾، إنما يعذب الله من كذب بما جئنا به وأعرض عنه .

﴿ **قال فمن ربكما يا موسى** ﴾ من إلهكما الذي أرسلكما؟ .

﴿ **قال ربُّنا الذي أعطى كل شيءٍ خَلْقَهُ ثم هدىٰ** ﴾، قال الحسن وقتادة: أعطى كلَّ شيء صلاحَه، وهداه لما يصلحه .

وقال مجاهد: أعطى كل شيء صورته، لم يجعل خلق الإنسان كخلق البهائم، ولا خلق البهائم كخلق الإنسان، ثم هداه إلى منافعه من المطعم والمشرب والمنكح .

وقال الضحاك: « أعطى كل شيء خلقه: يعني اليد للبطش، والرجل للمشي، واللسان للنطق، والعين للنظر، والأذن للسمع .

قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي
وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ

وقال سعيد بن جبير: ﴿**أعطى كل شيءٍ خَلْقَهُ**﴾: يعني زوج، للإنسان المرأة، وللبعير الناقة، وللحمار الأتان، وللفرس الرمكة. ﴿ **ثم هدى** ﴾: أي: ألهمه كيف يأتي الذكرُ الأنثى[١].

﴿ **قال** ﴾ فرعون: ﴿ **فما بالُ القرونِ الأُولىٰ** ﴾، ومعنى « البال »: الحال، أي: ما حال القرون الماضية والأمم الخالية، مثل قوم نوح وعاد وثمود فيما تدعوني إليها[٢]، فإنها كانت تعبد الأوثان وتنكر البعث؟.

﴿ **قال** ﴾، موسى: ﴿ **عِلْمُها عند ربي** ﴾، أي: أعمالهم محفوظة عند الله يجازي بها.

وقيل: إنما ردَّ موسى علم ذلك إلى الله لأنه لم يعلم ذلك، فإن التوراة أنزلت بعد هلاك فرعون وقومه.

﴿ **في كتاب** ﴾، يعني: في اللوح المحفوظ، ﴿ **لا يَضِلُّ ربي** ﴾، أي: لا يخطيء. وقيل: لا يضلُّ[٣] عنه شيء ولا يغيب عن شيء، ﴿ **ولا ينسى** ﴾، [أي: لا يخطيء][٤] ما كان من أمرهم حتى يجازيهم بأعمالهم. وقيل: لا ينسى أي: لا يترك، فينتقم من الكافر ويجازي المؤمن.

﴿ **الذي جعلَ لكمُ الأرضَ مَهْداً** ﴾، قرأ أهل الكوفة: ﴿ **مهداً** ﴾ هاهنا، وفي الزخرف، فيكون مصدراً، أي: فرشاً، وقرأ الآخرون: ﴿ **مهاداً** ﴾، كقوله تعالى: « ألم نجعل الأرض مهاداً » (النبأ: ١٦)، أي: فراشاً وهو اسم لما يفرش، كالبساط: اسمٌ لما يبسط.

---

(١) انظر هذه الأقوال في: الطبري: ١٦/١٧١ - ١٧٢، الدر المنثور: ٥/٥٨١ - ٥٨٢. وقد اختار الطبري أن المعنى: ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه في الصورة والهيئة، كالذكور من بني آدم، أعطاهم نظير خلقهم من الإناث أزواجاً، وكالذكور من البهائم أعطاها نظير خلقها، وفي صورتها وهيئتها من الإناث أزواجاً، فلم يعط الإنسان خلاف خلقه، فيزوجه بالإناث من البهائم، ولا البهائم بالإناث من الجن، ثم هداهم للمأتى الذي منه النسل والنما كيف يأتيه، ولسائر منافعه من المطاعم والمشارب وغير ذلك.. لأنه سبحانه لا يعطى المعطى لنفسه، بل إنما يعطي ما هو غيره، لأن العطية تقتضي المُعْطَىٰ والعطية والمُعْطي، ولا تكون العطية هي المُعْطَىٰ، وإذا لم تكن هي هو، وكانت غيره، وكانت صورة كل خلق بعض أجزائه، كان معلوماً أنه إذا قيل: أعطى الإنسان صورته إنما يعني أنه أعطى بعض المعاني التي به مع غيره دُعِيَ إنساناً.
وإن كان هذا الذي اختاره الطبري رحمه الله لا ينفي إرادة بعض المعاني الأخرى التي تدل عليها الآية كما في قول الضحاك. والله أعلم.

(٢) في « ب »: تدعواني إليه.

(٣) في « ب »: لا يغيب.

(٤) ساقط من « أ ».

مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾

﴿ وسلك لكم فيها سُبُلاً ﴾ [السلك: إدخال الشيء في الشيء، والمعنى: أَدْخَلَ في الأرض لأجلكم طرقاً تسلكونها][(1)]. قال ابن عباس: سهَّل لكم فيها طرقاً تسلكونها .

﴿ وأنزل من السماء ماءً ﴾، يعني: المطر .

ثم الإخبار عن موسى، ثم أخبر الله عن نفسه بقوله: ﴿ فأخرجنا به ﴾، بذلك الماء ﴿ أزواجاً ﴾، أصنافاً، ﴿ من نباتٍ شتى ﴾، مختلف الألوان والطعوم والمنافع من بين أبيض وأحمر وأخضر وأصفر، فكل صنف منها زوج، فمنها للناس ومنها للدواب .

﴿ كلوا وارْعَوا ﴾ [أي وارتعوا][(2)]، ﴿ أنعامكم ﴾، تقول العرب: رعيت الغنم فَرَعَتْ، أي: أسيموا أنعامكم ترعى .

﴿ إنّ في ذلك ﴾، الذي ذكرتُ، ﴿ لآياتٍ لأولي النُّهَى ﴾، لذوي العقول، واحدتها: « نُهْيَة »سميت نهية لأنها تنهى صاحبها عن القبائح والمعاصي .

قال الضحاك: ﴿ لأولي النهى ﴾: الذين ينتهون عمّا حُرِّم عليهم .

قال قتادة: لذوي الورع .

﴿ منها ﴾ أي من الأرض، ﴿ خلقناكم ﴾، يعني أباكم آدم .

١٢/ب وقال / عطاء الخرساني[(3)]: إن المَلَك ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق الله من التراب ومن النطفة[(4)]، فذلك قوله تعالى: ﴿ منها خلقناكم، وفيها نُعيدكم ﴾، أي:

---

(١) ما بين القوسين ساقط من « أ » .

(٢) ساقط من « أ » .

(٣) أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر. انظر: الدر المنثور: ٥/٥٨٤ .
قال الشيخ الشنقيطي في « أضواء البيان »: (٥/٥٢٤) وهذا القول خلاف التحقيق، لأن القرآن يدل على أن مرحلة النطفة بعد مرحلة التراب بمهلة؛ فهي غير مقارنة لها، بدليل الترتيب بينهما بـ « ثم » في قوله تعالى: « يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة »... .

(٤) قال الطبري: (١٦/١٧٥): من الأرض خلقناكم أيها الناس، فأنشأناكم أجساماً ناطقة، وفي الأرض نعيدكم بعد مماتكم فنصيّركم تراباً، كما كنتم قبل إنشائنا لكم، بشراً سوياً .

وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا
بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا
لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن
يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾

عند الموت والدفن، ﴿ ومنها نُخرجكم تارةً أخرى ﴾، يوم البعث .

قوله عزّ وجلّ: ﴿ ولقد أريناه ﴾، يعني فرعون، ﴿ آياتِنا كلَّها ﴾، يعني: الآيات التسع التي أعطاها الله موسى، ﴿ فكذّب ﴾، بها وزعم أنها سحر، ﴿ وأبى ﴾، أن يُسْلِم .

﴿ قال ﴾، يعني فرعون ﴿ أجئتَنا لتُخرِجَنا من أرضِنا ﴾، يعني: مصر، ﴿ بسحرك ياموسى ﴾، أي: تريد أن تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها .

﴿ فلنَأْتِيَنَّك بسحرٍ مثلِه فاجعلْ بيننا وبينَك مَوْعِداً ﴾، أي: فاضرب بيننا أجلاً وميقاتاً، ﴿ لانخلفه ﴾، [قرأ أبو جعفر ﴿ لا نخلفه ﴾ بجزم، لا نجاوزه](1)، ﴿ نحن ولا أنت مكاناً سُوىً ﴾، قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب: ﴿ سُوىً ﴾ بضم السين، وقرأ الآخرون بكسرها، وهما لغتان مثل: عُدَىً وعَدَىً وطُوَىً وطَوَى .

قال مقاتل وقتادة: مكاناً عدلاً بيننا وبينك .

وعن ابن عباس: نَصَفاً، ومعناه: تستوي مسافة الفريقين إليه .

قال مجاهد: منصفاً. وقال الكلبي: يعني سوى هذا المكان .

﴿ قال موعدُكُمْ يومَ الزينةِ ﴾، قال مجاهد، وقتادة، ومقاتل، والسدي: كان يوم عيدٍ لهم، يتزينون فيه، ويجتمعون في كل سنة. وقيل: هو يوم النيروز .

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: يوم عاشوراء(2) .

﴿ وأنْ يُحشر الناسُ ضحىً ﴾، أي: وقت الضحوة نهاراً جهاراً، ليكون أبعد من الريبة .

---

(1) ما بين القوسين ساقط من « أ » .

(2) انظر هذه الأقوال في: الطبري: ١٦/١٧٧، الدر المنثور: ٥/٥٨٤ - ٥٨٥ .

فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟
عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم
بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم

﴿ فتولَّىٰ فرعونُ فجمعَ كيده ﴾، مكره وحيلته وسحرته، ﴿ ثم أتى ﴾، الميعاد .

﴿قال لهم موسى﴾، يعني: للسحرة الذين جمعهم فرعون، وكانوا اثنين وسبعين ساحراً، مع كل واحد منهم حبل وعصا .

وقيل: كانوا أربعمائة. وقال كعب: كانوا اثني عشر ألفاً. وقيل أكثر من ذلك .

﴿ ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فَيُسْحِتَكُمْ بعذابٍ ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿ فيُسحتكم ﴾ بضم الياء وكسر الحاء، وقرأ الباقون بفتح الياء والحاء وهما لغتان[1]. قال مقاتل والكلبي: فيهلككم. وقال قتادة: فيستأصلكم، ﴿ وقد خاب من افترى ﴾ .

﴿ فتنازعوا أَمْرَهُمْ بينهم ﴾، أي: تناظروا وتشاوروا، يعني السحرة في أمر موسى سراً من فرعون .

قال الكلبي: قالوا سراً: إن غلَبَنا موسى اتبعناه .

وقال محمد بن إسحاق: لما قال لهم موسى: لا تفتروا على الله كذباً، قال بعضهم لبعض: ما هذا بقول ساحر .

﴿ وأَسَرُّوا النجوىٰ ﴾، أي المناجاة، يكون مصدراً واسماً، ثم ﴿ قالوا ﴾، وأسر بعضهم إلى بعض يتناجون: ﴿ إن هذانِ لساحران ﴾، يعني موسى وهارون .

قرأ ابن كثير وحفص: ﴿ إنْ ﴾ بتخفيف النون، ﴿ هذان ﴾ أي ما هذان إلا ساحران، كقوله: « إن نظنك لمن الكاذبين » (الشعراء: ١٨٦)، أي ما نظنك إلاَّ من الكاذبين، ويُشَدِّد ابن كثير النون من ﴿ هذانّ ﴾ .

وقرأ أبو عمرو ﴿ إنَّ ﴾ بتشديد النون ﴿ هذين ﴾ بالياء على الأصل .

وقرأ الآخرون: ﴿ إنَّ ﴾ بتشديد النون، ﴿ هذان ﴾ بالألف، واختلفوا فيه:

(١) وعلى الأولى من « أَسْحَتَ » رباعياً، والثانية من « سَحَتَ » ثلاثياً .

فروىٰ هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: أنه خطأ من الكاتب[1] .

وقال قوم: هذه لغة الحارث بن كعب، وخثعم، وكنانة، فإنهم يجعلون الاثنين في الرفع والنصب والخفض بالألف، يقولون: أتاني الزيدان [ورأيت الزيدان][2] ومررت بالزيدان، [فلا يتركون][3] ألف التثنية في شيء منها[4]، وكذلك يجعلون كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها ألفاً، كما في التثنية، يقولون: كسرت يداه وركبت علاه، يعني يديه وعليه. وقال شاعرهم[5]:

تزود مني بين أذناه ضربة دعته إلى هابي التراب عقيم

يريد بين أذنيه .

وقال آخر[6]:

إِنَّ أَبَاهَا وأَبَـا أَبَاهَـا قَدْ بَلَغَا فِي المَجْدِ غَايَتَاهَا

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في « مجموع الفتاوىٰ »: ٢٥٢/١٥ - ٢٥٦: « وهذا الكلام ممتنع لوجوه »: منها: تعدد المصاحف واجتماع جماعةٍ على كل مصحف، ثم وصول كل مصحف إلى بلد كبير فيه كثير من الصحابة والتابعين يقرؤون القرآن، ويعتبرون ذلك بحفظهم، والإنسان إذا نسخ مصحفاً غلط في بعضه عرف غلطه بمخالفة حفظة القرآن وسائر المصاحف، فلو قدر أنه كتب كاتب مصحفاً ثم نسخ سائر الناس منه من غير اعتبار للأول والثاني أمكن وقوع الغلط في هذا، وهنا كل مصحف إنما كتبه جماعة، ووقف عليه خلق عظيم ممن يحصل التواتر بأقل منهم، ولو قُدِّر أن الصحيفة كان فيها لحن فقد كتب منها جماعة لا يكتبون إلا بلسان قريش، ولم يكن لحناً، فامتنعوا أن يكتبوه بلسان قريش، فكيف يتفقون كلهم على أن يكتبوا: « إن هذان » وهم يعلمون أن ذلك لحن لا يجوز في شيء من لغاتهم، كما زعم بعضهم؟!...

وأيضاً: فإن القراء إنما قرأوا بما سمعوه من غيرهم، والمسلمون كانوا يقرؤون سورة ﴿طه﴾ على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وهي من أول ما نزل من القرآن، وهي مكية باتفاق الناس.. فالصحابة لابد أن قد قرؤوا هذا الحرف، ومن الممتنع أن يكونوا كلهم قرؤوه بالياء كأبي عمرو، فإنه لو كان كذلك لم يقرأها أحد إلا بالياء، فعلم أنهم أو غالبهم كانوا يقرؤونها بالألف كما قرأها الجمهور... فهذا مما يعلم به قطعاً أن عامة الصحابة إنما قرؤوها بالألف كما قرأ الجمهور، وكما هو مكتوب... » .

وانظر فيما سبق تعليقاً: ٣٠٩/٢ - ٣١٠ والمراجع المشار إليها هناك، وراجع: زاد المسير: ٢٥١/٥ - ٢٥٢ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من « ب » .

(٣) ساقط من: « أ » .

(٤) وهذه اللغة وافقتها لغة قريش .

وانظر بالتفصيل والشواهد الشعرية في: تفسير الطبري: ١٨٠/١٦ - ١٨١، والبحر المحيط: ٢٥٥/٦، زاد المسير لابن الجوزي: ٢٩٨/٥، التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ٨٩٥/٢، شرح الكافية الشافية لابن مالك الطائي: ١٨٨/١ - ١٩٠ .

(٥) تفسير القرطبي: ٢١٧/١١ .

(٦) ينسب هذا الرجز إلى أبي النجم العجلي (الفضل بن قدامة) كما ينسب إلى رؤبة بن العجاج، وأنشده أبو زيد في « نوادر اللغة » .

عن المفضّل الضبيّ قال: أنشدني أبو الغول لبعض أهل اليمن...

انظر: شرح الكافية الشافية، لابن مالك: ١٨٤/١ مع التعليق .

﴿مِنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ۝٦٣﴾

وقيل: تقدير الآية: إنه هذان، فحذف الهاء[١] .

وذهب جماعة إلى أن حرف «أن» هاهنا، بمعنى نعم، أي نعم هذان[٢]. روى أن أعرابياً سأل ابن الزبير شيئاً فحرمه، فقال: لعن الله ناقة حملتني إليك، فقال ابن الزبير: إنَّ وصاحبها، أي نعم .

وقال الشاعر[٣]:

بَكَرَتْ عليَّ عَواذِلي ... يَلْحِيْنَنِي وأَلُومُهُنَّــهْ
وَيَقُلْنَ شَيْبٌ قد عَلَا ... كَ وقد كَبُرْتَ فقلتُ إنَّهْ

أي: نعم .

﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُم﴾، مصر[٤]، ﴿بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾، قال ابن عباس: يعني بسراة قومكم وأشرافكم، يقال: هؤلاء طريقة قومهم أي أشرافهم[٥]، و﴿المثلىٰ﴾ تأنيث « الأمثل »، وهو الأفضل، حدَّث الشعبي عن علي، قال: يَصْرِفان وجوهَ الناس إليها[٦] .

قال قتادة: طريقتهم المُثْلَىٰ يومئذ بنو إسرائيل كانوا أكثرَ القوم عدداً وأموالاً، فقال عدو الله: يريدان أن يذهبا بهم لأنفسهم[٧] .

وقيل: ﴿بطريقتكم المثلىٰ﴾: أي بسُنَّتكم ودينكم الذي أنتم عليه[٨]، و﴿المثلى﴾: نعت الطريقة، تقول العرب: فلان على الطريقة المُثلى، يعني: على الهدىٰ المستقيم .

---

(١) انظر: التبيان في إعراب القرآن، للعكبري: ٢/٨٩٥، البحر المحيط، ٦/٢٥٥ .
(٢) قال أبو حيان: (٦/٢٥٥): ثبت ذلك في اللغة، فتحمل الآية عليه، و﴿هذان لساحران﴾ مبتدأ وخبر .
وانظر زاد المسير: ٥/٣٩٩ .
(٣) هو عبد الله بن قيس الرقيات. انظر: القرطبي: ١١/٢١٨ .
(٤) ساقط من « ب » .
(٥) الطبري: ١٦/١٨٣ .
(٦) الطبري: ١٦/١٨٣ .
(٧) الطبري: ١٦/١٨٢ .
(٨) رواه الطبري عن ابن زيد: (١٦/١٨٣)، وقال: وإن كان له وجه يحتمل الكلام، فإن تأويل أهل التأويل خلافه، فلا أستجيز لذلك القولَ به .

فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ
إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ
يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾

﴿ **فأجمِعُوا كيدكم** ﴾، قرأ أبو عمرو: ﴿ **فَاجْمَعُوا** ﴾ بوصل الألف وفتح الميم، من الجمع، أي لا تَدَعوا شيئاً من كيدكم إلا جئتم به، بدليل قوله: «فجمع كيده»، وقرأ الآخرون بقطع الألف وكسر الميم. فقد قيل: معناه الجمع أيضاً، تقول العرب: أجمعتُ الشيء وجمعته بمعنىً واحد.

والصحيح أن معناه العزم والإحكام، أي: أعزموا كلكم على كيده مجتمعين له، ولا تختلفوا فيختل أمركم.

﴿ **ثم ائتوا صفاً** ﴾ أي جميعاً، قاله مقاتل والكلبي، وقال قوم: أي مصطفين مجتمعين ليكون أشدَّ لهيبتكم، وقال أبو عبيدة: الصف المجمع، ويسمى المصلّى صفاً. معناه: ثم ائتوا المكان الموعود.

﴿ **وقد أفلح اليوم من استعلى** ﴾، أي: فاز مَنْ غلب.

﴿ **قالوا** ﴾، يعني السحرة، ﴿ **ياموسى إمّا أن تُلقيَ** ﴾، عصاك، ﴿ **وإمّا أنْ نكونَ أوّلَ من ألقىٰ** ﴾ عصاه.

﴿ **قال** ﴾، موسى: ﴿ **بل ألْقوا** ﴾، أنتم أولاً، ﴿ **فإذا حِبالُهم** ﴾، وفيه إضمار، أي فألقَوا فإذا حبالهم ﴿**وعِصيُّهم**﴾، جمع العصا، ﴿**يُخيَّلُ إليه**﴾، قرأ ابن عامر ويعقوب «تخيل» بالتاء رداً إلى الحبال والعصي، وقرأ الآخرون بالياء ردوه إلى الكيد والسحر، ﴿ **من سحرهم أنها تسعى** ﴾.

وفي القصة أنهم لما ألقوا الحبال والعصيَّ أخذوا أعين الناس، فرأى موسى والقوم كأنَّ الأرض امتلأت حيَّات، وكانت قد أخذت ميلاً من كل جانب ورأوا أنها تسعى[1].

﴿ **فأوْجَسَ في نفسِهِ خيفةً موسىٰ** ﴾، أي وجد، وقيل: أضمر في نفسه خوفاً، واختلفوا في خوفه: قيل: خوف طبع البشرية، وذلك أنه ظن أنها تقصده.

وقال مقاتل: خاف على القوم أن يلتبس عليهم الأمر فيشكُّوا في أمره فلا يتبعوه.

---

(١) ذكره الطبري: عن وهب بن منبه: ١٦/١٨٦.

قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟
كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ
هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ
ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ
وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ
وَٱلَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾

﴿ قلنا ﴾، لموسى: **﴿ لا تخف إنك أنت الأعلى ﴾**، أي الغالب، يعني: لك الغلبة والظفر .

﴿ وألقِ ما في يمينك ﴾، يعني العصا، **﴿ تلقف ﴾**، تلتقم، وتبتلع، **﴿ ما صنعوا ﴾**، قرأ ابن عامر « تلقفُ » برفع الفاء هاهنا، وقرأ الآخرون بالجزم على جواب الأمر، **﴿ إنما صنعوا ﴾**، إن الذي صنعوا، **﴿ كَيْدُ ساحرٍ ﴾**، أي حيلة سحر، هكذا قرأ حمزة والكسائي: بكسر السين بلا ألف[1]، وقرأ الآخرون: « ساحر » لأن إضافة الكيد / إلى الفاعل أولى من إضافته إلى الفعل، وإن كان ذلك لا يمتنع في العربية، **﴿ ولا يفلح الساحرُ حيثُ أتىٰ ﴾**، من الأرض، قال ابن عباس: لا يسعد حيث كان. وقيل: معناه حيث احتال . ١٣/أ

﴿ فأُلقيَ السحرةُ سُجَّداً قالوا آمنَّا بربِّ هارونَ وموسىٰ. قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيرُكُم ﴾، لرئيسكم ومعلِّمكم، **﴿ الذي علَّمكُمُ السِّحرَ فلأُقطِّعنّ أيديَكم وأرجُلَكم من خلافٍ ولأُصلبنَّكم في جذوعِ النَّخلِ ﴾**، أي: على جذوع النخل[2]، **﴿ ولتعلمنّ أيُّنا أشدُّ عذاباً ﴾**؛ أنا على إيمانكم به، أو رَبُّ موسى على ترك الإيمان به؟ **﴿وأبقى﴾**، أي: أدوم .

﴿ قالوا ﴾، يعني السحرة: **﴿ لن نُؤْثِرَكَ ﴾**، لن نختارك، **﴿ على ما جاءنا من البَيِّناتِ ﴾**،

---

(١) وهذا إشارة إلى أن المصنف رحمه الله فسَّر الآية أولاً على قراءة ﴿كيد ساحر﴾ بدليل ما بعده .

(٢) كما قال الشاعر (سويد بن أبي كاهل اليشكري):

هُمْ صَلَبُوا العَبْدِيَّ في جِذْعِ نَخْلَةٍ ... فَلا عَطَسَتْ شَيْبَانُ إلا بأَجْدَعَا

يعني: على جذع نخلة .

وإنما قيل: ﴿في جذوع﴾ لأن المصلوب على الخشبة يرفع في طولها، ثم يصير عليها، فيقال: صُلب عليها .

انظر تفسير الطبري: ١٦/١٨٨ .

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾

يعني الدلالات، قال مقاتل: يعني اليد البيضاء[1]، والعصا .

وقيل: كان استدلالهم أنهم قالوا لو كان هذا سحراً فأين حبالنا وعصينا .

وقيل: ﴿ **من البينات** ﴾ يعني من التبيين والعلم .

حكى عن القاسم بن أبي بَزّة أنه قال: إنهم لما أُلْقُوا سُجَّداً ما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار، ورأوا ثواب أهلها، ورأوا منازلهم في الجنة، فعند ذلك قالوا: لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات، ﴿ **والذي فطرنا** ﴾، أي: لن نؤثرك على الله الذي فطرنا، وقيل: هو قسم، ﴿ **فاقضِ ما أنتَ قاضٍ** ﴾، أي: فاصنع ما أنت صانع، ﴿ **إنما تقضي هذه الحياةَ الدنيا** ﴾، أي: أمرك وسلطانك في الدنيا وسيزول عن قريب .

﴿ **إنّا آمنّا بربِّنا ليغفرَ لنا خطايانا وما أكْرَهْتنا عليه من السحر** ﴾، فإنه قيل: كيف قالوا هذا، وقد جاؤوا مختارين يحلفون بعزة فرعون أن لهم الغلبة؟ .

قيل: روي عن الحسن أنه قال: كان فرعون يُكره قوماً على تعلم السحر لكيلا يذهب أصله، وقد كان أكرههم فى الابتداء .

وقال مقاتل: كانت السحرة اثنين وسبعين، اثنان من القبط وسبعون من بني إسرائيل، كان فرعون أكره الذين هم من بني إسرائيل على تعلم السحر، فذلك قولهم: ﴿ **وما أكرهتنا عليه من السحر** ﴾ .

وقال عبد العزيز بن أبان: قالت السحرة لفرعون: أرنا موسى إذا نام، فأراهم موسى نائماً وعصاه تحرسه، فقالوا لفرعون إن هذا ليس بساحر، إن الساحر إذا نام بطل سحره، فأبى عليهم إلا أن يعملوا، فذلك قوله تعالى: ﴿ **وما أكرهتنا عليه من السحر** ﴾ .

﴿ **والله خيرٌ وأَبْقَىٰ** ﴾، قال محمد بن إسحاق: خير منك ثواباً، وأبقى عقاباً .

وقال محمد بن كعب: خير منك ثواباً[2] إن أُطِيْعَ، وأبقى منك عذاباً إن عُصِيَ، وهذا جواب لقوله: « ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى » .

---

(١) ساقط من « ب » .
(٢) ساقط من « أ » .

إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ
مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ
أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾

﴿ **إنه من يأتِ ربَّه مجرماً** ﴾، قيل: هذا ابتداء كلام من الله تعالى. وقيل: من تمام قول السحرة ﴿ **مجرماً** ﴾ أي: مشركاً، يعني: مات على الشرك، ﴿ **فإنّ له جهنمَ لا يموت فيه** ﴾، فيستريح، ﴿ **ولا يحيى** ﴾، حياة ينتفع بها .

﴿ **ومن يأتِهِ** ﴾، قرأ أبو عمرو ساكنة الهاء ويختلسها أبو جفر، وقالُون، ويعقوب، وقرأ الآخرون بالإشباع، ﴿ **مؤمناً** ﴾، مات على الإيمان، ﴿ **قد عمل الصالحات، فأولئك لهم الدرجاتُ العُلىٰ** ﴾، الرفيعة، و﴿ **العُلىٰ** ﴾: جمع، و« العليا » تأنيث الأعلى .

﴿ **جنّاتُ عَدْنٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها، وذلك جزاء من تزكّى** ﴾، أي: تطهّر من الذنوب. وقال الكلبي: أعطى زكاة نفسه وقال لا إله إلا الله .

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد السمسار، أخبرنا أبو أحمد حمزة بن محمد بن عباس الدهقان، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي، أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد الخدريّ قال: قال رسول الله ﷺ: « إن أهل الدرجات العُلى ليراهم مَنْ تحتهم كما ترون الكوكب الدُّرّي في أفق من آفاق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنْعَمَا »(1) .

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ولقد أوحينا إلى موسى أنْ أسرِ بعبادي** ﴾، أي: سِرْ بهم ليلاً من أرض مصر، ﴿ **فاضربْ لهم طريقاً في البحر** ﴾، أي اجعل لهم طريقاً في البحر بالضرب بالعصا، ﴿ **يبساً** ﴾، يابساً ليس فيه ماء ولا طين، وذلك أن الله أيبس لهم الطريق في البحر، ﴿ **لا تخاف دَرَكاً** ﴾، قرأ حمزة

(1) أخرجه أبو داود في الحروف: ٨/٦، والترمذي في المناقب، مناقب أبي بكر رضى الله عنه: ١٠/١٤١، ١٤٢، وقال: « هذا حديث حسن »، ابن ماجة في المقدمة، باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ برقم (٩٦) ١/٣٧، والإمام أحمد في المسند: ٣/٢٧، وأشار إليه الدارمي في الرقاق، باب في غرف الجنة: ٢/٣٣٦. والمصنف في شرح السنة: ١٤/٩٩، وفي عطية العوفي، وقد تابعه أبو الودّاك عند الإمام أحمد: ٣/٢٦ .

فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ
وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ
ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ
وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾

«لا تخفْ» بالجزم على النهي، والباقون بالألف والرفع على النفي، لقوله تعالى: ﴿ ولا تخشى ﴾، قيل: لا تخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يغرقك البحر أمامك .

﴿ فَأَتْبَعَهُمْ ﴾، فلحقهم، ﴿ فرعونُ بجنودِهِ ﴾، وقيل: معناه أمر فرعون جنوده أن يتبعوا موسى وقومه، والباء فيه زائدة وكان هو فيهم، ﴿ فغشِيَهم ﴾، أصابهم، ﴿ من اليمّ ما غشيهم ﴾، وهو الغرق. [وقيل: غشيهم علاهم وسترهم بعض ماء اليم لا كله][1] .

وقيل: غشيهم من اليم ما غشيهم قوم موسى فغرقوا هم، ونجا موسى وقومه .

﴿ وأضلّ فرعونُ قومَه وما هدى ﴾، أي: ما أرشدهم، وهذا تكذيب لفرعون في قوله: « وماأهديكم إلا سبيل الرشاد » (غافر: ٢٩) .

قوله عزّ وجلّ: ﴿ يابني إسرائيلَ قد أنجيناكم من عدوِّكم ﴾، فرعون، ﴿ وواعدناكم جانبَ الطُّورِ الأيمنِ ونزّلنا عليكم المنَّ والسّلوىٰ ﴾ .

﴿كلُوا من طيباتِ ما رزقناكم﴾، قرأ حمزة والكسائي: «أنجيتكم»، و«واعدتكم»، و«رزقتكم» بالتاء على التوحيد، وقرأ الآخرون بالنون والألف على التعظيم، ولم يختلفوا في ﴿ونزلنا﴾ لأنه مكتوب بالألف .

﴿ ولا تطغَوا فيه ﴾، قال ابن عباس: لا تظلموا[2]. قال الكلبي: لا تكفروا النعمة فتكونوا طاغين .

وقيل: لا تنفقوا في معصيتي .

---

(١) زيادة من « ب » .

(٢) لم يذكر الطبري غير هذا القول، وأعرض عن سائر الأقوال التي لا يساعد عليها السياق .

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ
عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ
﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾﴾

وقيل: لا تدخروا، ثم ادخروا فتدود، ﴿فَيَحِلَّ﴾، قرأ الأعمش، والكسائي: «فيحُلَّ» بضم الحاء «ومن يَحْلُل» بضم اللام، أي: ينزل، وقرأ الآخرون بكسرها أي: يجب، ﴿**عليكم غضبي، ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى**﴾، هلك وتردَّى في النار .

﴿ **وإنّي لغفّار لمن تاب** ﴾، قال ابن عباس: تاب من الشرك، ﴿ **وآمن** ﴾، ووحَّدَ الله وصدَّقه، ﴿**وعمل صالحاً**﴾، أدى الفرائض، ﴿**ثم اهتدى**﴾، قال عطاء بن عباس: علم أن ذلك توفيق من الله .

وقال قتادة وسفيان الثوري: يعني لزم الإسلام حتى مات عليه .

قال الشعبي، ومقاتل، والكلبي: علم أن لذلك ثواباً .

وقال زيد بن أسلم: تعلم العلم ليهتدي به كيف يعمل .

قال الضحاك: استقام. وقال سعيد بن جبير: أقام على السنة والجماعة[1] .

﴿ **وما أَعْجَلَكَ** ﴾، أي: وما حملك على العجلة، ﴿ **عن قومك** ﴾، وذلك أن موسى اختار من قومه سبعين رجلاً حتى يذهبوا معه إلى الطور، ليأخذوا التوراة، فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقاً إلى ربه عزّ وجلّ، وخلّف السبعين، وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل، فقال الله تعالى له: ﴿ **وما أعجلك عن قومك ياموسى** ﴾ .

﴿ **قال** ﴾، مجيباً لربه تعالى:﴿ **هُمْ أولاءِ على أثري** ﴾، أي: هم بالقرب مني يأتون من بعدي، ﴿ **وعَجِلْتُ إليك ربِّ لِترضَىٰ** ﴾، لتزداد رضاً .

﴿ **قال فإنّا قد فتنّا قومَك من بعدِك** ﴾، أي: ابتلينا الذين خلفتهم مع هارون، وكانوا ستمائة ألف، فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر ألفاً ﴿ **من بعدك** ﴾ أي: من بعد انطلاقك إلى الجبل،

---

(١) ذكر الطبري هذه الأقوال في التفسير: ١٦/١٩٤ - ١٩٥ واختار أن معنى قوله تعالى: ﴿ثم اهتدى﴾: يقول: ثم لزم ذلك فاستقام ولم يضيع شيئاً منه، من أجل أن الاهتداء هو الاستقامة على هدىً، ولا معنى للاستقامة عليه إلا وقد جمعه الإيمان والعمل الصالح والتوبة، فمن فعل ذلك وثبت عليه، فلا شك في اهتدائه .

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾﴾

﴿ **وأضلَّهُمُ السامريُّ** ﴾، أي: دعاهم وصرفهم إلى / عبادةِ العجل وأضافه إلى السامري لأنهم ضلوا بسببه . ١٣/ب

﴿ **فرجع موسى إلى قومه غضبانَ أَسِفاً** ﴾، حزيناً. ﴿ **قال ياقومِ ألم يَعِدْكُم ربُّكم وَعْداً حسناً** ﴾، صدقاً أنه يعطيكم التوراة، ﴿ **أفَطَالَ عليكم العهدُ** ﴾، مدة مفارقتي إياكم، ﴿ **أم أردتم أن يَحِلَّ عليكم غضبٌ من ربكم** ﴾، أي: أردتم أن تفعلوا فعلاً يجب عليكم به الغضب من ربكم، ﴿ **فأخلفتم موعدي** ﴾ .

﴿ **قالوا ما أخلفنا موعدك بمَلْكِنا** ﴾، قرأ نافع، وأبو جعفر، وعاصم: ﴿ **بمَلْكنا** ﴾ بفتح الميم، وقرأ حمزة والكسائي بضمها، وقرأ الآخرون بكسرها، أي: ونحن نملك أمرنا. وقيل: باختيارنا، ومن قرأ بالضم فمعناه بقدرتنا وسلطاننا، وذلك أن المرء إذا وقع في البلية والفتنة لم يملك نفسه .

﴿**ولكنّا حُمِّلنا**﴾، قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر، ويعقوب: «حَمَلْنا» بفتح الحاء، وتخفيف الميم. وقرأ الآخرون بضم الحاء وتشديد الميم، أي: جعلونا نحملها وكلفنا حملها، ﴿**أوزاراً من زينة القوم**﴾، من حُلي قوم فرعون، سمّاها أوزاراً لأنهم أخذوها على وجه العارية فلم يردوها. وذلك أن بني إسرائيل كانوا قد استعاروا حلياً من القبط، وكان ذلك معهم حين خرجوا من مصر .

وقيل: إن الله تعالى لما أغرق فرعون نبذ البحر حليهم فأخذوها، وكانت غنيمة، ولم تكن الغنيمة حلالاً لهم فى ذلك الزمان، فسماها أوزاراً لذلك .

﴿ **فقذفناها** ﴾، قيل: إن السامري قال لهم احفروا حفيرة فألقوها فيها حتى يرجع موسى .

قال السدي[1]: قال لهم هارون إن تلك غنيمة لا تحل، فاحفروا حفيرة فألقوها فيها حتى يرجع

(١) ساقط من «أ» .

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ
﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ
قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى
وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾

موسى، فيرى رأيه فيها، ففعلوا[١]. قوله: ﴿ **فقذفناها** ﴾ أي: طرحناها في الحفرة. ﴿ **فكذلك ألقى السامريُّ** ﴾، ما معه من الحلي فيها، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما: أوقد هارون ناراً وقال: اقذفوا فيها ما معكم، فألقوه فيها، ثم ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل[٢] .

قال قتادة: كان قد أخذ قبضة من ذلك التراب في عمامته .

﴿ **فأخرج له عِجْلاً جسداً له خُوارٌ فقالوا هذا إلهُكم وإلهُ موسىٰ فنسيَ** ﴾، أي: تركه موسى هاهنا، وذهب يطلبه. وقيل: أخطأ الطريق وضل[٣] .

قال الله تعالى: ﴿ **أفلا يرون ألّا يرجع إليهم قولاً** ﴾، أي: لا يرون أن العجل لا يكلمهم ولا يجيبهم إذا دعوه، ﴿ **ولا يملك لهم ضرًّا ولا نفعاً** ﴾، وقيل: إن هارون مرّ على السامري وهو يصوغ العجل فقال له: ما هذا؟ قال: أصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي، فقال هارون: اللهم أعطه ما سألك على ما في نفسه، فألقى التراب في فم العجل وقال كن عجلاً يخور فكان كذلك بدعوة هارون[٤] .

والحقيقة أن ذلك كان فتنة ابتلى الله بها بني إسرائيل .

﴿ **ولقد قال لهم هارون من قبل** ﴾، من قبل رجوع موسى، ﴿ **ياقومِ إنّما فُتِنتم به** ﴾، ابتليتم بالعجل، ﴿**وإنّ ربّكم الرحمنُ فاتّبِعوني**﴾، على ديني في عبادة الله، ﴿**وأطيعوا أمري**﴾، في ترك عبادة العجل .

﴿ **قالوا لن نبرح** ﴾، أي لن نزال، ﴿ **عليه** ﴾، على عبادته، ﴿ **عاكفين** ﴾، مقيمين، ﴿ **حتى يرجع إلينا موسى** ﴾، فاعتزلهم هارون في اثني عشر ألفاً من الذين لم يعبدوا العجل، فلما رجع موسى

---

(١) انظر: الطبري: ١٦/٢٠٠ .

(٢) انظر: الطبري: ١٦/٢٠١ .

(٣) انظر: الطبري: ١٦/٢٠١ .

(٤) انظر فيما سبق تخريج حديث « الفتون »: وراجع تفسير ابن كثير: ٣/١٦٣ .

قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾
قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ
بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا
وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾

وسمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل، قال للسبعين الذين معه: هذا صوت الفتنة، فلما رأى هارون أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله .

﴿ **قال ياهارون ما منعك إذْ رأيتَهم ضلّوا** ﴾، أشركوا ﴿ **ألّا تتّبِعَنِ** ﴾، أي: أن تتبعني و﴿ **لا** ﴾ صلة أي تتبع أمري ووصيتي، يعني: هلا قاتلتهم وقد علمت أني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم .

وقيل: « أن لا تتبعني » أي: ما منعك من اللحوق بي وإخباري بضلالتهم، فتكون مفارقتك إياهم زجراً لهم عمّا أتوه، ﴿**أفعصيت أمري**﴾، أي خالفت أمري .

﴿ **قال ياابنَ أمَّ لا تأخذْ بلحيتي ولا برأسي** ﴾، أي بشعر رأسي وكان قد أخذ ذوائبه، ﴿ **إني خشيتُ** ﴾، لو أنكرتُ عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضاً، ﴿ **أن تقولَ فرقتَ بين بني إسرائيل** ﴾، أي خشيت إن فارقتهم واتبعتك صاروا أحزاباً يتقاتلون، فتقول أنت فرَّقت بين بني إسرائيل[1]، ﴿ **ولم تَرْقُبْ قولي** ﴾، ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي، وأصلح أي ارفق بهم[2] ثم أقبل موسى على السامري ﴿**قال فما خطبك**﴾ ما أمرك وشأنك؟ وما الذي حملك على ما صنعت؟ ﴿ **ياسامري** ﴾ .

﴿ **قال بَصُرْتُ بما لم يَبْصُرُوا به** ﴾، رأيت ما لم يروا وعرفت ما لم يعرفوا .

---

(١) ذكر الطبري في التفسير: (٢٠٤/١٦) أقوالاً أخر زيادة على ما ذكر المصنف ورجح ما نسبه إلى ابن عباس –رضى الله عنهما–: أن موسى عذل أخاه هارون على تركه اتباع أمره بمن اتبعه من أهل الإيمان، فقال له هارون: إني خشيت أن تقول: فرقت بين جماعتهم، فتركت بعضهم وراءك، وجئت ببعضهم. وانظر زاد المسير: ٣١٦/٥ .

(٢) انظر: الطبري: ٢٠٤/١٦، الدر المنثور: ٥٩٦/٦ .

قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن

قرأ حمزة والكسائي: ﴿ ما لم تبصروا ﴾ بالتاء على الخطاب، وقرأ الآخرون بالياء على الخبر .

﴿ فقبضتُ قبضةً من أثر الرسول ﴾، أي من تراب أثر فرس جبريل، ﴿ فنبذتُها ﴾، أي ألقيتها في فم العجل .

وقال بعضهم: إنما خار لهذا لأن التراب كان مأخوذاً من تحت حافر فرس جبريل .

فإن قيل: كيف عرفه ورأى جبريل من بين سائر الناس؟ .

قيل: لأن أمه لما ولدته في السنة التي يقتل فيها البنون وضعته في الكهف حذراً عليه، فبعث الله جبريل ليربيه لما قضى على يديه من الفتنة[1] .

﴿ وكذلك سولت ﴾، أي زينت[2]، ﴿ لي نفسي ﴾ .

﴿قال فاذهبْ فإنَّ لك في الحياة﴾، أي: مادمت حياً، ﴿أن تقولَ لا مِسَاسَ﴾، أي: لا تخالط أحداً، ولا يخالطك أحد، وأمر موسى بني إسرائيل أن لا يخالطوه، ولا يقربوه .

قال ابن عباس: لا مساس لك ولولدك، و« المساس » من المماسة، معناه: لا يمس بعضنا بعضاً، فصار السامري يهيم في البرية مع الوحوش والسباع، لا يمس أحد ولا يمسه أحد، عاقبه الله بذلك، وكان إذا لقي أحداً يقول: « لا مساس »، أي: لا تقربني ولا تمسني .

وقيل: كان إذا مس أحداً أو مسه أحد حُمَّا جميعاً حتى أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك، وإذا مسّ أحد من غيرهم أحداً منهم حُمَّا جميعاً في الوقت[3] .

﴿ وإنّ لك ﴾، ياسامري، ﴿ موعداً ﴾ لعذابك، ﴿ لنْ تُخلَفَهُ ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: ﴿ لن تخلِفه ﴾ بكسر اللام أي لن تغيب عنه، ولا مذهب لك عنه، بل توافيه يوم القيامة، وقرأ الآخرون بفتح اللام أي لن تكذبه ولن يخلفك الله، ومعناه: أن الله تعالى يكافئك على فعلك

---

(١) روى الطبري: ١٦/٢٠٤ - ٢٠٥ عن ابن جريج قال: لما قتل فرعون الوِلْدان قالت أم السامري: لو نحيته عني حتى لا أراه، ولا أدري قتله، فجعلته في غار، فأتى جبريل، فجعل كف نفسه في فيه، فجعل يرضعه العسَل واللبن، فلم يزل يختلف إليه حتى عرفه، فمن ثم معرفته إياه حين قال: ﴿ فقبضت قبضة من أثر الرسول ﴾ .
وانظر القرطبي: ١١/٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٢) ساقط من « أ » .

(٣) انظر: القرطبي: ١١/٢٤١، زاد المسير: ٥/٣١٩ .

تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ
فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ
عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا
﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ

ولا تفوته[1].

﴿ **وانظر إلى إلهك** ﴾، بزعمك، ﴿ **الذي ظَلْتَ عليه عاكفاً** ﴾، أي ظلت ودمت عليه مقيماً تعبده، والعرب تقول: ظلت أفعل كذا بمعنى ظللت، ومستُ بمعنى مسستُ.

﴿**لنُحَرِّقَنَّهُ**﴾، بالنار، قرأ أبو جعفر بالتخفيف من الإحراق، ﴿**ثم لَنَنسِفَنَّه**﴾، لنذرينه، ﴿**في اليمّ** ﴾، في البحر، ﴿ **نَسْفاً** ﴾، روي أن موسى أخذ العجل فذبحه فسال منه دم، لأنه كان قد صار لحماً ودماً[2]، ثم حرقه بالنار، ثم ذراه في اليم، قرأ ابن محيصن: «لنحرقنّه» بفتح النون وضم الراء لنبردنه بالمبرد، ومنه قيل للمبرد المحرق. وقال السدي: أخذ موسى العجل فذبحه ثم حرقه بالمبرد، ثم ذراه في اليم.

﴿ **إنّما إلهُكم الله الذى لا إله إلا هوَ وسع كل شيء علماً** ﴾، وسع علمُه كلَّ شيء.

﴿**كذلك نقصُّ عليك من أنباءِ ما قد سبقَ**﴾، من الأمور، ﴿**وقد آتيناك من لَدُنّا ذِكْراً**﴾، يعني القرآن.

﴿**من أعرض عنه**﴾، أي: عن القرآن، فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه، ﴿**فإنه يحمِلُ يومَ القيامة وِزْراً** ﴾، حملاً ثقيلاً من الإثم.

﴿ **خالدين فيه** ﴾، مقيمين في عذاب الوزر، ﴿ **وساء / له يومَ القيامةِ حِمْلاً** ﴾، أي بئس ماحملوا على أنفسهم من الإثم كفراً بالقرآن. ١٤/أ

(١) ذكر الطبري: القولين: ٢٠٦/١٦ - ٢٠٧ وقال: والقول عندي أنهم قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، لأنه لا شك أن الله موفٍ وعده لخلقه بحشرهم لموقف الحساب، وأن الخلق موافون ذلك اليوم، فلا الله مخلفهم ذلك، ولا هم مخلفوه بالتخلف عنه، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب في ذلك.

(٢) انظر: الدر المنثور ٥٩٧/٥، القرطبي: ٢٤٢/١١ - ٢٤٣.

يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ﴿١٠١﴾ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ﴿١٠٢﴾
يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ﴿١٠٣﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ
أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا ﴿١٠٤﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي

﴿ **يوم يُنفَخُ في الصُّور** ﴾، قرأ أبو عمرو ﴿ **ننفُخ** ﴾ بالنون وفتحها وضم الفاء لقوله: ﴿ **ونحشر** ﴾، وقرأ الآخرون بالياء وضمها وفتح الفاء على غير تسمية الفاعل، ﴿ **ونحشر المجرمين** ﴾، المشركين، ﴿ **يومئذٍ زُرْقاً** ﴾، والزرقة: هي الخضرة: في سواد العين، فيحشرون زرق العيون سود الوجوه. وقيل: ﴿ **زرقاً** ﴾[(1)]: أي عمياً. وقيل: عطاشاً.

﴿ **يَتَخافَتُونَ بينهم** ﴾، أي يتشاورون بينهم ويتكلمون خفية، ﴿ **إنْ لبثتم** ﴾، أي ما مكثتم في الدنيا، ﴿ **إلا عَشْرَاً** ﴾، أي عشر ليال. وقيل: في القبور. وقيل: بين النفختين، وهو أربعون سنة؛ لأن العذاب يرفع عنهم بين النفختين. استقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا[(2)].

قال الله تعالى: ﴿ **نحن أعلم بما يقولون** ﴾، أي يتسارُّون[(3)] بينهم، ﴿ **إذ يقولُ أمثلهم طريقةً** ﴾، أوفاهم عقلاً وأعدلهم قولاً، ﴿ **إنْ لبثتم إلّا يوماً** ﴾، قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة. وقيل: نسوا مقدار لبثهم لشدة ما دهمهم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ويسألونك عن الجبال فقل يَنْسِفُها ربي نَسْفَاً** ﴾، قال ابن عباس: سأل رجل من ثقيف رسول الله ﷺ فقال: كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ فأنزل الله هذه الآية[(4)].

والنسف هو القلع، أي: يقلعها من أصلها ويجعلها هباء منثوراً.

﴿ **فيذرها** ﴾، أي: فيدع أماكن الجبال من الأرض، ﴿ **قاعاً صفصفاً** ﴾، أي: أرضاً ملساء مستوية لا نبات فيها، و« القاع »: ما انبسط من الأرض، و« الصفصف »: الأملس.

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس، أن رجلاً أتاه فقال: أرأيت قوله: ﴿ ونحشر المجرمين يومئذٍ زرقاً ﴾ وأخرىٰ عمياً؟ قال: إن يوم القيامة فيه حالات: يكونون في حال زرقاً وفي حال عمياً. الدر المنثور: ٥/٥٩٨ .
وانظر: تفسير الطبري: ١٦/٢١٠ .

(٢) ذكر هذه الأقوال صاحب زاد المسير: ٥/٣٢١ .
وذكر ابن جرير أنه اللبث في الدنيا، الطبري ١٦/٢١١ .

(٣) في « ب » يتشاورون .

(٤) انظر: روح المعاني: ١٦/٢٦١ .

نَسۡفٗا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ﴿١٠٧﴾
يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ
إِلَّا هَمۡسٗا ﴿١٠٨﴾ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴿١٠٩﴾

﴿ لا ترى فيها عِوَجاً ولا أمْتاً ﴾، قال مجاهد: انخفاضاً وارتفاعاً .

وقال الحسن: « العِوَجُ »: ما انخفض من الأرض، و« الأَمْتُ »: ما نشز من الروابي، أي: لا ترى وادياً ولا رابية .

قال قتادة: لا ترى فيها صدعاً ولا أكمة[(١)] .

﴿ يومئذٍ يتَّبِعُون الداعيَ ﴾، أي صوت الداعي الذي يدعوهم إلى موقف القيامة، وهو إسرافيل، وذلك أنه يضع الصور في فيه، ويقول: أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلمُّوا إلى عرض الرحمن[(٢)] .

﴿ لا عِوَجَ له ﴾، أي: لدعائه، وهو من المقلوب، أي: لا عوج لهم عن دعاء الداعي، لا يزيغون عنه يميناً وشمالاً، ولا يقدرون عليه بل يتبعونه سراعاً .

﴿وخشعتِ الأصواتُ للرحمن﴾، أي: سكنت وذلت وخضعت، ووصف الأصوات بالخشوع والمراد أهلها، **﴿فلا تسمع إلَّا همساً﴾**، يعني صوت وطء الأقدام إلى المحشر، و«الهمس»: الصوت الخفي كصوت أخفاف الإبل في المشي. وقال مجاهد: هو تخافت الكلام وخفض الصوت .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: تحريك الشفاه من غير نطق[(٣)] .

﴿يومئذٍ لا تنفعُ الشفاعة﴾، يعني: لا تنفع الشفاعة أحداً من الناس، **﴿إلا من أذن له الرحمن﴾**،

---

(١) ساق الطبري الأقوال في معنىٰ ﴿ عوجاً ولا أمتاً ﴾، وقال: (٢١٣/١٦): « وأولىٰ الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنىٰ بالعوج: الميل، وذلك أن ذلك هو المعروف من كلام العرب. فإن قال قائل: وهل في الأرض اليوم من عوج؟ فيقال: لا ترى فيها يومئذ عوجاً. قيل: إن معنى ذلك: ليس فيها أودية وموانع تمنع الناظر أو السائر فيها عن الأخذ على الاستقامة كما يحتاج اليوم من أخذ في بعض سبلها إلى الأخذ يميناً، وأحياناً شمالاً، لما فيها من الجبال والأودية والبحار. وأما الأمت فإنه عند العرب: الانثناء والضعف. مسموع منهم، فالواجب إذا كان ذلك معنىٰ «الأمت» عندهم أن يكون أصوب الأقوال في تأويله: ولا ارتفاع ولا انخفاض».

(٢) انظر: روح المعاني ٢٦٤/١٦، أضواء البيان: ٥١٦/٤ .

(٣) انظر تفصيلاً في نسبة هذه الأقوال: ابن كثير ١٦٦/٣ – ١٦٧، والطبري: ٢١٤/١٦ – ٢١٥، زاد المسير: ٢٦٤/١٦، والبحر المحيط: ٢٨٠/٦ .

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾

يعني إلا من أذن له أن يشفع، ﴿ ورضي له قولاً ﴾، يعني: ورضى قوله، قال ابن عباس، يعني: قال لا إله إلا الله[1]، وهذا يدل على أنه لا يشفع غير المؤمن .

﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾، الكناية راجعة إلى الذين يتَّبعون الداعي، أي يعلم الله ﴿ ما بين أيديهم ﴾ ما قدموا ﴿ وما خلفهم ﴾ ما خلفوا من أمر الدنيا .

وقيل: ﴿ ما بين أيديهم ﴾ من الآخرة ﴿ وما خلفهم ﴾ من الأعمال .

﴿ ولا يحيطون به علماً ﴾، قيل: الكناية ترجع إلى « ما » أي: هو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، وهم لا يعلمونه. وقيل: الكناية راجعة إلى الله لأن عباده لا يحيطون به علماً .

﴿ وعنت الوجوهُ للحي القيوم ﴾، ذلت[2] وخضعت، ومنه قيل للأسير: عانٍ. وقال طَلْق بن حبيب: هو السجود على الجبهة للحي القيوم، ﴿ وقد خابَ من حَمَلَ ظلماً ﴾، قال ابن عباس: خسر من أشرك بالله، والظلم هو الشرك .

﴿ ومنْ يعمل من الصالحاتِ وهو مؤمنٌ فلا يَخافُ ﴾، قرأ ابن كثير ﴿ فلا يخف ﴾ مجزوماً على النهي جواباً لقوله تعالى: ﴿ ومن يعمل ﴾، وقرأ الآخرون ﴿ فلا يخاف ﴾ مرفوعاً على الخبر، ﴿ ظلماً ولا هَضْماً ﴾، قال ابن عباس: لا يخاف أن يزاد عليه في سيئاته، لا ينقص من حسناته .

وقال الحسن: لا ينقص من ثواب حسناته ولا يحمل عليه ذنب مسيء[3] .

وقال الضحاك: لا يؤخذ بذنب لم يعمله ولا تبطل حسنة عملها[4]، وأصل الهضم: النقص والكسر، ومنه هضم الطعام .

---

(١) انظر: روح المعاني: ١٦/٢٦٥، البحر المحيط: ٦/٢٨٠ .
(٢) زيادة من « ب » .
(٣) ذكر القولين ابن جرير ١٦/٢١٨، وأخرج السيوطي قول ابن عباس عن ابن المنذر وابن أبي حاتم، الدر المنثور: ٥/٦٠١ .
(٤) انظر: زاد المسير: ٥/٣٢٤ .

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ
لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن
يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن
قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾

﴿ **وكذلك** ﴾، أي كما بيّنا في هذه السورة، ﴿ **أنزلناه** ﴾، يعني أنزلنا هذا الكتاب، ﴿ **قرآناً عربياً** ﴾ يعني: بلسان العرب، ﴿ **وصرّفنا فيه من الوعيد** ﴾، أي صرّفنا القول فيه بذكر الوعيد، ﴿ **لعلّهم يتقون** ﴾، أي يجتنبون الشرك، ﴿ **أو يُحْدِثُ لهم ذكراً** ﴾، أي يجدد لهم القرآن عبرةً وعظة فيعتبروا ويتعظوا بذكر عقاب الله للأمم الخالية .

﴿**فتعالى اللهُ المَلِكُ الحقُّ**﴾، جلَّ الله عن إلحاد الملحدين وعما يقوله المشركون، ﴿**ولا تَعْجَلْ بالقرآنِ** ﴾، أراد النبيَّ ﷺ، كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادر فيقرأ معه، قبل أن يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة، ومخافة الانفلات والنسيان، فنهاه الله عن ذلك(1)، وقال: ﴿ **ولا تعجلْ بالقرآن** ﴾ أي لا تعجل بقراءته ﴿ **من قبل أنْ يقضى إليك وحيُه** ﴾، أي من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ، نظيره قوله تعالى: « لا تحرك به لسانك لتعجل به » (سورة القيامة: ١٦) وقرأ يعقوب: ﴿ **نقضي** ﴾ بالنون وفتحها وكسر الضاد، وفتح الياء: ﴿ **وحيه** ﴾ بالنصب .

قال مجاهد وقتادة: معناه لا تُقرِئه أصحابك، ولا تُملِه عليهم حتى يتبين لك معانيه(2) .

﴿ **وقل ربِّ زِدْني علماً** ﴾، يعني بالقرآن ومعانيه. وقيل: علماً إلى ما علمت .

وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: اللهم رب زدني علماً وإيماناً ويقيناً(3) .

قول تعالى: ﴿ **ولقد عهدنا إلى آدم من قبل** ﴾، يعني: أمرناه وأوحينا إليه أن لا يأكل من الشجرة من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدك وتركوا الإيمان بي، وهم الذين ذكرهم الله في قوله تعالى: « لعلهم يتقون »، ﴿ **فنسيَ** ﴾ فترك الأمر، والمعنى أنهم نقضوا العهد، فإن آدم أيضاً عهدنا إليه فنسي، ﴿ **ولم نَجِدْ له عَزْماً** ﴾، قال الحسن لم نجد له صبراً عمّا نُهي عنه. وقال عطية العوفي: حفظاً

(١) انظر: الدر المنثور ٦٠٢/٥، وقاله صاحب أضواء البيان ٥١٩/٤ .
(٢) انظر: زاد المسير ٣٢٦/٥ .
(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور لسعيد بن منصور وعبد بن حميد عن ابن مسعود ٦٠٥/٥ .

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ١١٦ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ١١٧﴾

لما أمر به .

وقال ابن قتيبة: رأياً معزوماً حيث أطاع عدوه إبليس الذي حسده وأبى أن يسجد له. و« العزم » في اللغة: هو توطين النفس على الفعل .

قال أبو أمامة الباهلي: لو وزن حلم آدم بحلم جميع ولده لرجح حلمه[(١)]، وقد قال الله: ﴿ولم نجد له عزماً﴾ .

فإن قيل: أتقولون إن آدم كان ناسياً لأمر الله حين أكل من الشجرة؟ .

قيل: يجوز أن يكون نسي أمره، ولم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعاً عن الإنسان، بل كان مؤاخذاً به، وإنما رفع عنّا[(٢)] .

وقيل: نسي عقوبة الله وظن أنه نهي تنزيهاً .

قوله تعالى: ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ﴾، أن يسجد .

﴿ فقلنا ياآدم إنّ هذا عدوّ لك ولزوجك ﴾، حواء، ﴿ فلا يُخرِجَنَّكما من الجنّة فتشقىٰ ﴾، يعني: تتعب وتنصب، ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك. قال السدي: يعني الحرث والزرع والحصيد والطحن والخبيز .

١٤/ب وعن سعيد / بن جبير: قال أُهبط إلى آدم ثور أحمر، فكان يحرث عليه، ويمسح العرق عن جبينه، فذلك [شقاؤه[(٣)] .

ولم يقل: « فتشقيا » رجوعاً به إلى آدم، لأن تعبه أكثر فإن الرجل][(٤)] هو الساعي على زوجته.

---

(١) ذكر بعض هذه الأقوال الطبري: (٢٢١/١٦ - ٢٢٢) وقال: «وأصل العزم اعتقاد القلب على الشيء يقال منه: عزم فلان على كذا: إذا اعتقد عليه ونواه، ومن اعتقاد القلب: حفظ الشيء، ومنه الصبر على الشيء، لأنه لا يجزع جازع إلا من خور قلبه وضعفه. فإذا كان ذلك كذلك، فلا معنى لذلك أبلغ مما بينه الله تبارك وتعالى، وهو قوله: ﴿ولم نجد له عزماً﴾ فيكون تأويله: ولم نجد له عزماً قلب على الوفاء لله بعهده، ولا على حفظ ما عهد إليه» .

(٢) انظر تفصيلاً لهذا في أضواء البيان ٥٢٠/٤ - ٥٢٢ .

(٣) انظر: زاد المسير ٣٢٨/٥ .

(٤) ساقط من «أ» .

إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾
فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ
لَا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا

وقيل: لأجل رؤوس الآي .

﴿ إنّ لك أنْ لا تجوع فيها ﴾، أي في الجنة ﴿ ولا تَعْرَىٰ ﴾ .

﴿ وأنك ﴾، قرأ نافع وأبو بكر بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الآخرون بالفتح نسقاً على قوله: ﴿ ألا تجوع فيها ﴾ ﴿ وأنك لا تظمأ ﴾، لا تعطش، ﴿ فيها ولا تضحى ﴾، يعني: لا تبرز للشمس فيؤذيك حرها. وقال عكرمة: لا تصيبك الشمس وأذاها[1]، لأنه ليس في الجنة شمس، وأهلها في ظل ممدود .

﴿ فوسوس إليه الشيطان قال ياآدم هلْ أدلُّك على شجرة الخُلْدِ ﴾، يعني على شجرة إن أكلت منها بقيت مخلداً، ﴿ ومُلْكٍ لا يَبْلَىٰ ﴾، لا يبيد ولا يفنى .

﴿ فأكلا ﴾، يعني آدم وحواء عليهما السلام، ﴿ منها فبدتْ لهما سوآتهما وطفِقَا يَخْصِفَان عليهما من ورقِ الجَنَّة وعصىٰ آدمُ ربَّه ﴾، بأكل الشجرة، ﴿ فغوى ﴾، يعني فعل ما لم يكن له فعله. وقيل: أخطأ طريق الجنة[2] وضلَّ حيث طلب الخلد بأكل ما نهي عن أكله، فخاب ولم ينل مراده .

قال ابن الأعرابي: أي فسد عليه عيشه، وصار من العزِّ إلى الذل، ومن الراحة إلى التعب .

قال ابن قيتبة: يجوز أن يقال عصى آدم، ولا يجوز أن يقال: آدم عاصٍ؛ لأنه إنما يقال عاصٍ لمن اعتاد فعل المعصية، كالرجل يخيط ثوبه يقال: خاط ثوبه، ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك ويعتاده[3] .

حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي، أخبرنا أبو معاذ الشاه بن عبد الرحمن المزني، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري ببغداد، أخبرنا يونس بن عبد الأعلى الصدفي، أخبرنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، عن طاوس سمعَ أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: « احتج آدم وموسى: فقال موسى: ياآدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال آدم: ياموسى اصطفاك

---

(١) عزاه السيوطي لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة: ٦٠٥/٥ .
(٢) في « ب » الحق .
(٣) انظر: زاد المسير ٣٢٩/٥ - ٣٣٠، القرطبي: ٢٥٥/١١ - ٢٥٧

مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ
﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي
هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي
فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾

الله بكلامه وخط لك التوراة بيده، أفتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحجَّ آدمُ موسى »(١).

ورواه عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة وزاد: « قال آدم ياموسى بكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاماً، قال آدم: فهل وجدت فيها: وعصى آدم ربَّه فغوى؟ قال: نعم، قال: أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله عليَّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ قال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى »(١) .

﴿ ثم اجتباه ربُّه ﴾، اختاره واصطفاه، ﴿ فتاب عليه ﴾، بالعفو، ﴿ وهَدَىٰ ﴾، هداه إلى التوبة حين قالا: ربنا ظلمنا أنفسنا .

﴿ قال اهبِطَا منها جميعاً بعضُكم لبعضٍ عدوٌّ، فإمّا يأتينّكم مني هدىً فمن اتّبع هدايَ ﴾، يعني الكتاب والرسول، ﴿ فلا يضلُّ ولا يشقى ﴾، روى سعيد بن جبر عن ابن عباس قال: من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله في الدنيا من الضلالة، ووقاه الله يوم القيامة سوء الحساب، وذلك بأن الله يقول: ﴿ فمن اتّبع هدايَ فلا يضلُّ ولا يشقى ﴾(٢) .

وقال الشعبي عن ابن عباس: أجار الله تعالى تابعَ القرآن من أن يضل في الدنيا ويشقى في الآخرة، وقرأ هذه الآية(٣) .

﴿ ومن أعرض عن ذكري ﴾، يعني: القرآن، فلم يؤمن به ولم يتبعه، ﴿فإنّ له معيشة

---

(١) أخرجه البخاري في القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله: ١١/٥٠٥، ومسلم في القدر، باب حجاج آدم موسى عليهما السلام برقم (٢٦٥٢): ٤/٢٠٤٢، والمصنف في شرح السنة: ١/١٢٤ .

(٢) أخرجه الطبري: ١٦/٢٢٥، وعزاه السيوطي في «الدر»: (٥/٦٠٧) لابن أبي شيبة والطبراني وأبي نعيم في الحلية وابن مردوية عن ابن عباس.

(٣) عزاه السيوطي في « الدر »: (٥/٦٠٧) للفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد ومحمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس.

قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا
وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ
ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾

ضنكاً ﴾، ضيقاً، روى عن ابن مسعود، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري أنهم قالوا: هو عذاب القبر. قال أبو سعيد: يضغط حتى تختلف أضلاعه[1].

وفي بعض المسانيد مرفوعاً. «يلتئم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه فلايزال يعذب حتى يبعث»[2].

وقال الحسن: هو الزقوم والضريع والغسلين في النار.

وقال عكرمة: هو الحرام. وقال الضحاك: هو الكسب الخبيث.

وعن ابن عباس قال: الشقاء. وروى عنه أنه قال: كل مالٍ أعطى العبد قلّ أم كثر فلم يتقِ فيه فلا خير فيه، وهو الضنك في المعيشة، وإن أقواماً أعرضوا عن الحق وكانوا أولي سعة من الدنيا مكثرين، فكانت معيشتهم ضنكاً، وذلك أنهم يرون أن الله ليس بمخلف عليهم فاشتدت عليهم معايشهم من سوء ظنهم بالله.

قال سعيد بن جبير: يسلبه القناعة حتى لا يشبع[3].

﴿ ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾، قال ابن عباس: أعمى البصر. وقال مجاهد أعمى عن الحجة.

﴿ قال ربِّ لما حشرتَني أعمى وقد كنتُ بصيراً ﴾، بالعين أو بصيراً بالحجة.

﴿ قال كذلك ﴾، أي كما ﴿ أتتك آياتنا فنسيتَها ﴾، فتركتها وأعرضت عنها، ﴿ وكذلك اليوم تُنسىٰ ﴾. تترك في النار. قال قتادة: نُسُوا من الخير ولم يُنسَوْا من العذاب.

﴿ وكذلك ﴾، أي وكما جزينا من أعرض عن القرآن كذلك ﴿ نجزي من أسرف ﴾، أشرك،

(١) أخرجه الطبري: ١٦/٢٢٧ - ٢٢٨، وانظر الدر المنثور ٥/٦٠٧ - ٦٠٩.
(٢) قطعة من حديث أبي هريرة المطول في سؤال الميت في قبره، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ٣/٣٨٣، والطبري: ١٣/٢١٥، ١٦/٢٢٧ - ٢٢٨، وصححه ابن حبان ص (١٩٧ - ١٩٨) من موارد الظمآن، والحاكم في المستدرك: ١/٣٧٩، وهنّاد في الزهد: ١/٤٢٠ - ٤٢٢، ٤٤٢ ورواه مختصراً: الإمام أحمد في المسند: ٢/٣٦٤. وله متابعات وشواهد، انظرها في التعليق على الزهد لهناد: ١/٤٢١ - ٤٢٣.
(٣) انظر في هذه الأقوال ونسبتها: الطبري: ١٦/٢٢٥ - ٢٢٨، الدر المنثور: ٥/٦٠٧ - ٦٠٩، زاد المسير: ٥/٣٣٠ - ٣٣٢.

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى
﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا
وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾

﴿ **ولم يؤمن بآياتِ ربّه ولَعذاب الآخرةِ أشدُّ** ﴾، مما يعذبهم به في الدنيا والقبر، ﴿ **وأبقى** ﴾، وأدوم .

﴿ **أفلم يهد لهم** ﴾، يبيّن لهم القرآن، يعني: كفار مكة، ﴿ **كم أهلكنا قبلَهم من القرون يمشون في مساكنهم** ﴾، ديارهم ومنازلهم إذا سافروا. والخطاب لقريش كانوا يسافرون إلى الشام فيرون ديار المهلَكين من أصحاب الحِجْرِ وثمود وقريات لوط .

﴿ **إنّ في ذلك لآيات لأولي النُّهى** ﴾، لذوي العقول .

﴿ **ولولا كلمة سبقت من ربِّك لكان لزاماً وأجلٌ مسمىً** ﴾، فيه تقديم وتأخير، تقديره: ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى، والكلمة الحكم بتأخير العذاب عنهم، أي ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان لزاماً، أي لكان العذاب لازماً لهم كما لزم القرون الماضية الكافرة .

﴿**فاصبر على ما يقولون**﴾، نسختها آية القتال[1]، «وسبحْ بحمدِ ربِّك»، أي صلِّ بأمر ربك. وقيل: صلِّ لله بالحمد له والثناء عليه، ﴿ **قبل طلوع الشمس** ﴾، يعني صلاة الصبح، ﴿ **وقبل غُروبها** ﴾، صلاة العصر، ﴿ **ومن آناء الليل** ﴾، ساعاتها واحدها إنى، ﴿ **فسبِّحْ** ﴾، يعني صلاة المغرب والعشاء. قال ابن عباس: يريد أول الليل، ﴿**وأطراف النهار** ﴾، يعني صلاة الظهر، وسمى وقت الظهر أطراف النهار لأن وقته عند الزوال، وهو طرف النصف الأول انتهاء وطرف النصف الآخر ابتداء .

وقيل: المراد من آناء الليل صلاة العشاء، ومن أطراف النهار صلاة الظهر والمغرب، لأن الظهر في

(١) انظر فيما سبق: ٣٢/٣ تعليق (١) .

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ١٣١﴾

آخر الطرف الأول من النهار، وفي أول الطرف الآخر، فهو في طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس، وعند ذلك يصلي المغرب.

١٥/أ ﴿لعلّك ترضى﴾، أي ترضى / ثوابه في المَعَاد، وقرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم «تُرْضَى» بضم التاء أي تعطى ثوابه. وقيل: ﴿ترضى﴾ أي يرضاك الله تعالى، كما قال: «وكان عند ربه مرضياً» (مريم: ٥٥) وقيل: معنى الآية لعلك ترضى بالشفاعة، كما قال: «ولسوف يعطيك ربك فترضى» (الضحى: ٥).

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الخطيب الحميدي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبدالله الحافظ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني إملاء، أخبرنا إبراهيم بن عبدالله السعدي، أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»، ثم قرأ ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾[1].

قوله تعالى: ﴿ولا تمدنّ عينيك﴾، قال أبو رافع: نزل برسول الله ﷺ ضيف فبعثني إلى يهودي فقال لي: «قل له إن رسول الله يقول لك بِعْني كذا وكذا من الدقيق وأسلفني إلى هلال رجب» فأتيته فقلت له ذلك فقال: والله لا أبيعه ولا أسلفه إلاّ برهن، فأتيتُ رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «والله لئن باعني وأسلفني لقضيته وإني لأمين في السماء وأمين في الأرض، اذهبْ بدرعي الحديد إليه» فنزلت هذه الآية: ﴿ولا تمدنّ عينيك﴾[2]، لا تنظر، ﴿إلى ما متعنا به﴾، أعطينا، ﴿أزواجاً﴾، أصنافاً، ﴿منهم زهرةَ الحياة الدنيا﴾، أي زينتها وبهجتها، وقرأ يعقوب زهرة بفتح الهاء وقرأ العامة بجزمها، ﴿لنفتنهم فيه﴾، أي لنجعل ذلك فتنة لهم بأن أزيد لهم النعمة فيزيدوا كفراً وطغياناً، ﴿ورِزْقُ ربّك﴾، في المعاد، يعني: الجنة، ﴿خيرٌ وأبقى﴾، قال أبي بن كعب: من لم يتعزَّ

(١) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر: ٣٣/٢، ومسلم في المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما برقم: (٦٣٣): ٤٣٩/١، والمصنف في شرح السنة: ٢٢٤/٢.

(٢) أخرجه إسحاق وابن أبي شيبة وأبو يعلي والبزار والطبري والطبراني وفيه موسى بن عبيدة الزبيري وهو متروك، الكافي الشاف ص (١٠٩) والواحدي في أسباب النزول: ص (٣٥٢)، وانظر القرطبي: ٢٦٣/١١ فقد أيد بطلان هذه الرواية.

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ

بعزة الله تقطعت نفسه حسرات، ومن يتبع بصره فيما في أيد الناس بطل حزنه، ومن ظن أن نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قلّ علمه وحضر عذابه .

﴿ **وَأْمُرْ أهلك بالصلاة** ﴾، أي قومك. وقيل: من كان على دينك، كقوله تعالى: « وكان يأمر أهله بالصلاة » (مريم: ٥٥)، ﴿ **واصطبر عليها** ﴾، أي اصبر على الصلاة، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر .

﴿ **لا نسألك رزقاً** ﴾، لا نكلفك أن ترزق أحداً من خلقنا، ولا أن ترزق نفسك وإنما نكلفك عملاً ﴿**نحن نرزقُك والعاقبةُ**﴾، الخاتمة الجميلة المحمودة، ﴿**للتقوى**﴾، أي لأهل التقوى. قال ابن عباس: الذين صدّقوك واتبعوك واتقوني .

وفي بعض المسانيد أن النبي ﷺ: « كان إذا أصاب أهله ضرٌّ أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية[1] .

قوله تعالى: ﴿ **وقالوا** ﴾، يعني المشركين، ﴿ **لولا يأتينا بآية من ربه** ﴾، أي الآية المقترحة فإنه كان قد أتاهم بآيات كثيرة، ﴿ **أوَلَمْ تأتِهم بيِّنةُ** ﴾، قرأ أهل المدينة والبصرة وحفص عن عاصم: ﴿ **تأتهم** ﴾ لتأنيث البينة، وقرأ الآخرون بالياء لتقدم الفعل، ولأن البينة هي البيان فردٌّ إلى المعنى، ﴿ **بينة ما في الصحف الأولى** ﴾، أي بيان ما فيها، وهو القرآن أقوى دلالة وأوضح آية .

وقيل: أولم يأتهم بيان ما في الصحف الأولى: التوراة، والإنجيل، وغيرهما من أنباء الأمم أنهم اقترحوا الآيات، فلما أتتهم ولم يؤمنوا بها، كيف عجّلنا لهم العذاب والهلاك، فما يؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم كحال أولئك .

﴿ **ولو أنّا أهلكناهم بعذاب من قَبْله** ﴾، من قبل إرسال الرسول وإنزال القرآن، ﴿ **لقالوا ربّنا**

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات، مجمع الزوائد: ٦٧/٧ .

إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ١٣٤ قُلۡ كُلّٞ
مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ١٣٥

لولا ﴾، هلّا ﴿ أرسلت إلينا رسولاً ﴾، يدعونا، أي: لقالوا يوم القيامة، ﴿ **فنتَّبعَ آياتِك من قبل أنْ نَذِلّ ونَخْزَى** ﴾، بالعذاب، والذل، والهوان، والخزي، والافتضاح .

﴿ **قل كلٌّ متربصٌ** ﴾، منتظر دوائر الزمان، وذلك أن المشركين قالوا نتربص بمحمد حوادث الدهر، فإذا مات تخلصنا، قال الله تعالى: ﴿ **فتربصوا** ﴾، فانتظروا، ﴿ **فستعلمون** ﴾، إذا جاء أمر الله وقامت القيامة، ﴿ **من أصحاب الصراط السّوِيّ** ﴾، المستقيم، ﴿ **ومن اهتَدَى** ﴾، من الضلالة نحن أم أنتم؟ .

* * *

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

سُورَةُ الأنبياء

مكيّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ
مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى

﴿ **اقتربَ للناس** ﴾، قيل اللام بمعنى من، أي أقترب من الناس حسابهم، أي وقت محاسبة الله إيّاهم على أعمالهم، يعني يوم القيامة، نزلت في منكري البعث، ﴿**وهم في غفلةٍ معرضون**﴾، عن التأهب له .

﴿ **ما يأتيهم من ذكرٍ من ربِّهم محدَثٍ** ﴾، يعني ما يُحدِث الله من تنزيل شيء من القرآن يذكِّرهُم ويعظُهم به .

قال مقاتل: يُحدِث الله الأمر [بعد الأمر][1]. وقيل: الذكر المحدَثُ ما قاله النبي ﷺ وبيَّنه من السُّننِ والمواعظ سوى ما القرآن، وأضافه إلى الربِّ عزّ وجلّ لأنه قال بأمر الرب، ﴿ **إلّا استمعوه وهم يلعبون** ﴾، أي استمعوه لاعبين لا يعتبرون ولا يتَّعِظون .

﴿ **لاهيةً** ﴾، ساهيةً غافلة، ﴿ **قلوبُهم** ﴾، معرضةً عن ذكر الله، وقوله ﴿ **لاهية** ﴾، نعتٌ تقدَّم الاسم، ومن حق النعت أن يتبعَ الاسم في الإعراب، وإذا تقدَّم النعتُ الاسمَ فله حالتان: فصلُ

---

(١) زيادة من (ب) .

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٣ قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٤ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٥ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ٦﴾

ووصلٌ، فحالتُه في الفصل النصبُ كقوله تعالى: (خشّعاً أبصارُهم) (القمر: ٧)، (ودانيةً عليهم ظلالُها) (الإنسان: ١١)، و﴿ **لاهيةً قلوبهم** ﴾، وفي الوصل حالة ما قبله من الإعراب كقوله، (أخرجنا من هذه القريةِ الظالم أهلُها) (النساء: ٧٥)؛ ﴿ **وأسرُّواْ النَّجْوى الذين ظلموا** ﴾، أي أشركوا، قوله: ﴿ **وأسَرُّوا** ﴾ فعل تقدم الجمع وكان حقه وأسر، قال الكسائيُّ: فيه تقديمٍ وتأخير، أراد: والذين ظلموا أسروا النجوى .

وقيل: محل «الذين» رفعٌ على الابتداء، معناه: وأسروا النجوى، ثم قال: وهم الذين ظلموا .

وقيل: رفع على البدل من الضمير في أسروا. قال المبرِّد: هذا كقولك إن الذين في الدار انطلقوا بنو عبد الله، على البدل مما في انطلقوا ثم بيّن سرهم الذي تناجَوْا به فقال: ﴿ **هل هذا إلّا بشر مثلكم** ﴾، أنكروا إرسال البشر وطلبوا إرسال الملائكة .

﴿ **أفتأتون السحر** ﴾، أي تحضرون السحر وتقبلونه، ﴿ **وأنتم تُبصرون** ﴾، تعلمون أنه سحر .

﴿ **قل** ﴾، لهم يا محمد، ﴿ **ربي يعلم القولَ في السماء والأرض** ﴾، قرأ حمزة والكسائيُّ وحفص: « قال ربي »، على الخبر عن محمد ﷺ، ﴿ **يعلمُ القولَ في السماء والأرض** ﴾ أي لا يخفىٰ عليه شيء، ﴿ **وهو السميع** ﴾، لأقوالهم، ﴿ **العليم** ﴾، بأفعالهم .

﴿ **بل قالوا أضغاثُ أحلام** ﴾، أباطيلُها [وأقاويلها][1] وأهاويلُها رآها في النوم، ﴿ **بل افتراه** ﴾، اختلقه، ﴿ **بل هو شاعر** ﴾، يعني أن المشركين اقتسموا القول / فيه وفيما يقوله، قال بعضهم: أضغاث ١٥/ب
أحلام، وقال بعضهم: بل هو فِرْية، وقال بعضهم: بل محمد شاعر وما جاءكم به شعر. ﴿ **فلْيأتِنا** ﴾ محمد ﴿ **بآية** ﴾، إنْ كان صادقاً ﴿ **كما أُرسل الأولون** ﴾، من الرسل بالآيات .

قال الله تعالى مجيباً لهم: ﴿ **ما آمنت قبلَهم** ﴾، قبل مشركي مكة، ﴿ **من قرية** ﴾، أي من أهل

---

(١) زيادة من (ب) .

وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ
ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا
فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

قرية أتتهم الآيات، ﴿ **أهلكناها** ﴾، أهلكناهم بالتكذيب، ﴿ **أفهم يؤمنون** ﴾؟، إن جاءتهم آية، معناه: أن أولئك لم يؤمنوا بالآيات لمّا أتتهم أفيؤمنُ هؤلاء؟.

قوله عز وجل: ﴿ **وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نُوحي إليهم** ﴾، هذا جواب لقولهم: ﴿ **هل هذا إلا بشرٌ مثلكم** ﴾ يعني: إنّا لم نرسل الملائكة إلى الأولين إنما أرسلنا رجالاً نوحي إليهم، ﴿ **فاسئلوا أهلَ الذكر** ﴾، يعني: أهل التوراة والإنجيل، يريد علماء أهل الكتاب، فإنهم لا ينكرون أن الرسل كانوا بشراً، وإن أنكروا نبوة محمد ﷺ، وأمر المشركين بمسألتهم لأنهم إلى تصديق من لم يؤمن بالنبي ﷺ أقرب منهم إلى تصديق من آمن به. وقال ابن زيد: أراد بالذكر القرآن[1] أراد: فسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن، ﴿ **إن كنتم لا تعلمون** ﴾.

﴿ **وما جعلناهم** ﴾، أي الرسل، ﴿ **جسداً** ﴾، ولم يقل أجساداً لأنه اسم الجنس، ﴿ **لا يأكلون لطعام** ﴾، هذا ردّ لقولهم (ما لهذا الرسول يأكل الطعام) (الفرقان: ٧)، يقول لم نجعل الرسل ملائكةً بل جعلناهم بشراً يأكلون الطعام، ﴿ **وما كانوا خالدين** ﴾، في الدنيا.

﴿ **ثم صَدَقْناهم الوعد** ﴾، الذي وعدناهم بإهلاك أعدائهم، ﴿ **فأنجيناهم ومَنْ نشاء** ﴾، أي أنجينا المؤمنين الذين صدّقوهم، ﴿ **وأهلكنا المسرفين** ﴾، أي المشركين المكذبين، وكلُ مشركٍ مسرفٌ على نفسه.

﴿ **لقد أنزلنا إليكم كتاباً** ﴾، يا معشر قريش، ﴿ **فيه ذكركم** ﴾، أي شرفكم، كما قال: (وإنه لذكر لك ولقومك) (الزخرف: ٤٤)، وهو شرف لمن آمن به.

قال مجاهد: فيه حديثكم. وقال الحسن: فِيه ذكركم أي ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم، ﴿ **أفلا تعقلون** ﴾.

(١) انظر: الطبري: ١٧/٥.

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ ﴾

﴿ **وكم قَصَمْنا** ﴾، أهلكنا، والقَصْمُ: الكسر، ﴿ **من قرية كانت ظالمةً** ﴾، أي كافرة، يعني أهلها، ﴿ **وأنشأنا بعدها** ﴾، أي: أحدثنا بعد هلاك أهلها، ﴿ **قوماً آخرين** ﴾ .

﴿ **فلمّا أحسُّوا بأسنا** ﴾، أي [رأوا][1] عذابنا بحاسة البصر، ﴿ **إذا هم منها يركضون** ﴾، أي يُسرعون هاربين .

﴿ **لا تركضوا** ﴾، أي قيل لهم لا تركضوا لا تهربوا، ﴿ **وارجعوا إلى ما أُترفتم فيه** ﴾، أي نَعِمتم به، ﴿ **ومساكنكم لعلّكم تُسئلون** ﴾، قال ابن عباس: عن قتل نبيكم. وقال قتادة: من دنياكم شيئاً، نزلت هذه الآية في أهل حصورا، وهي قرية باليمن وكان أهلها العرب، فبعث الله إليهم نبياً يدعوهم إلى الله فكذَّبوه وقتلوه، فسلط الله عليهم بختنصر، حتى قتلهم وسباهم[2]، فلما استمر فيهم القتلُ ندِموا وهربوا وانهزموا، فقالت الملائكة لهم استهزاءً: لا تركضوا وارجعوا إلى مساكنكم وأموالكم لعلكم تسألون .

قال قتادة: لعلكم تسئلون شيئاً من دنياكم، فتعطون مَنْ شئتم وتمنعون مَنْ شئتم، فإنكم أهل ثروة ونعمة، يقولون ذلك استهزاءً بهم، فاتّبعهم بختنصر وأخذتهم السيوف، ونادى منادٍ من جو السماء: يا ثارات الأنبياء، فلما رأَوْا ذلك أقروا بالذنوب حين لم ينفعْهم .

﴿ **قالوا ياويلنا إنا كنا ظالمين** ﴾ .

﴿ **فما زالتْ تلك دعواهم** ﴾، أي تلك الكلمة وهي قولهم يا ويلنا، دعاؤهم يدعون بها ويرددونها .

﴿**حتى جعلناها حصيداً**﴾، بالسيوف كما يحصد الزرع، ﴿**خامدين**﴾ ميتين .

قوله عز وجل: ﴿ **وما خلقنا السماءَ والأرضَ وما بينهما لاعبين** ﴾، أي عبثاً وباطلاً .

---

(١) زيادة من (ب) .

(٢) انظر: الطبري: ٩/١٧ .

وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ
﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ
﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ
وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾

﴿ **لو أردنا أن نتخذ لهواً** ﴾، اختلفوا في اللهو، قال ابن عباس في رواية عطاء: اللهو المرأة، وهو قول الحسن وقتادة، وقال في رواية الكلبي: اللهو الولد، وهو قول السدي، وهو في المرأة أظهر لأن الوطء يسمى لهواً في اللغة، والمرأة محل الوطء ﴿**لاتَّخذناه من لدُنّا**﴾، أي من عندنا من الحور العين لا من عندكم من أهل الأرض. وقيل: معناه لو كان جائزاً ذلك في صفته لم يتخذه بحيث يظهر لهم ويستر ذلك حتى لا يطلعوا عليه.

وتأول الآية أن النصارى لما قالوا في المسيح وأمه ما قالوا رَدّ الله عليهم بهذا وقال: ﴿ **لاتخذناه من لدنا** ﴾ لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده، لا عند غيره ﴿ **إنْ كنّا فاعلين** ﴾، قال قتادة ومقاتل وابن جريج: ﴿**إنْ**﴾ للنفي، أي: ما كنا فاعلين. وقيل: ﴿**إن كنا فاعلين**﴾ للشرط أي إن كنا ممن يفعل ذلك لاتخذناه من لدنا، ولكنا لم نفعله لأنه لا يليق بالربوبية.

﴿ **بل** ﴾، أي دع ذلك الذي قالوا فإنه كذب وباطل، ﴿ **نقذف** ﴾، نرمي ونسلّط، ﴿ **بالحق** ﴾، بالإيمان، ﴿ **على الباطل** ﴾، على الكفر، وقيل: الحق قول الله، أنه لا ولد له، والباطل قولهم اتخذ الله ولداً، ﴿ **فيدمغه** ﴾، فيهلكه، وأصل الدمْغ: شجُّ الرأس حتى يبلغ الدماغ، ﴿ **فإذا هو زاهق** ﴾، ذاهب، والمعنى: أنا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يضمحل ويذهب، ثم أوعدهم على كذبهم فقال: ﴿ **ولكم الويل** ﴾، يا معشر الكفار، ﴿ **ممّا تصفون** ﴾، الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد. وقال مجاهد: مما تكذبون.

﴿ **وله من في السموات والأرض** ﴾، عبيداً وملكاً، ﴿ **ومَنْ عنده** ﴾، يعني الملائكة، ﴿ **لا يستكبرون عن عبادته** ﴾، لا يأنفون عن عبادته ولا يتعظّمون عنها، ﴿**ولا يستحسرون**﴾، لا يعيون، يقال: حَسِرَ واستَحْسَرَ إذا تَعِبَ وأعيا. وقال السدي: لا يتعظمون[1] عن العبادة.

﴿ **يُسبِّحون الليلَ والنهارَ لا يَفترُون** ﴾، لا يضعفون ولا يسأمون، قال كعب الأحبار: التسبيح

(١) في «ب» لا ينقطعون.

أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

لهم كالنَّفَسِ لبني آدم .

﴿ أمِ اتَّخذُوا آلهة ﴾ استفهام بمعنى الجحد، أي لم يتخذوا، ﴿ من الأرض ﴾، يعني الأصنام من الخشب والحجارة، وهما من الأرض، ﴿ هم يُنشِرُون ﴾، يُحْيُون الأموات، ولا يستحق الإلهية إلّا مَنْ يقدر على الإحياء والإيجاد من العدم والإنعام بأبلغ وجوه النِّعم .

﴿ لو كان فيهما ﴾، أي في السماء والأرض، ﴿ آلهةٌ إلّا الله ﴾، أي غير الله ﴿ لفسدَتا ﴾، لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع من الآلهة لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على النظام، ثم نزّه نفسه فقال: ﴿ فسبحانَ الله ربِّ العرشِ عمّا يصفون ﴾، أي عما يصفه به المشركون من الشريك والولد .

﴿ لا يُسئلُ عمّا يفعل ﴾، ويحكم على خلقه لأنه الربُّ ﴿ وهم يُسئلون ﴾ أي الخلق يسئلون،
١٦/أ عن أفعالهم وأعمالهم[1] لأنهم عبيد / .

﴿ أمِ اتخذوا من دونه آلهةً ﴾، استفهامُ إنكارٍ وتوبيخ، ﴿ قلْ هاتُوا برهانَكم ﴾، أي حجتكم على ذلك، ثم قال مستأنفاً، ﴿ هذا ﴾، يعني القرآن. ﴿ ذكر من معي ﴾، فيه خبر من معي على ديني ومن يتبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية. ﴿ وذكر ﴾، خبر، ﴿ مَنْ قبلي ﴾، من الأمم السالفة ما فُعل بهم في الدنيا وما يُفعل بهم في الآخرة. وعن ابن عباس في رواية عطاء: ذكر من معي: القرآن، وذكر من قبلي: التوراة والإنجيل، ومعناه: راجعوا القرآن والتوراة والإنجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها أنّ الله اتخذ ولداً، ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون ﴾ .

(١) في «ب»: وأقوالهم .

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾
وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ
بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ
إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن
دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾

﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نُوحي إليه** ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم نوحي إليه بالنون وكسر الحاء على التعظيم، لقوله ﴿ **وما أرسلنا** ﴾، وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء على الفعل المجهول، ﴿ **أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾، وحّدون .

قوله عز وجل: ﴿ **وقالوا اتّخذ الرحمنُ ولداً** ﴾، نزلت في خزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله، ﴿ **سبحانه** ﴾، نزّه نفسه عمّا قالوا، ﴿ **بل عبادٌ** ﴾، أي هم عباد، يعني الملائكة، ﴿ **مكرمون** ﴾ .

﴿**لا يسبقونه بالقول**﴾، لا يتقدمونه بالقول ولا يتكلمون إلا بما يأمرهم به، ﴿**وهم بأمره يعملون** ﴾، معناه أنهم لا يخالفونه قولاً ولا عملاً .

﴿ **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم** ﴾، أي ما عملوا وما هم عاملون. وقيل: ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾، قال ابن عباس: أي لمن قال لا إله إلا الله، وقال مجاهد: أي لمن رضى عنه[1]، ﴿ **وهم من خشيته مشفقون** ﴾، خائفون لا يأمنون مكره .

﴿ **ومن يقل منهم إني إلهٌ من دونه** ﴾، قال قتادة: عنى به إبليس حيث دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعة نفسه، فإن أحداً من الملائكة لم يقل إنّي إلهٌ من دون الله ﴿ **فذلك نَجْزيه جهنّم كذلك نجزي الظالمين** ﴾، الواضعين الإلهية والعبادة في غير موضعها .

(١) ذكر القولين الطبري: ١٦/١٧ - ١٧ .

أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ

﴿ أوَلَمْ يرَ الذين كفروا ﴾ قرأ ابن كثير ﴿ ألَمْ يرَ ﴾ [بغير واو][1]، وكذلك هو في مصاحفهم، معناه: ألم يعلم الذين كفروا، ﴿ أنّ السمواتِ والأرضَ كانتا رتْقاً ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما وعطاء وقتادة: كانتا شيئاً واحداً ملتزقتين ﴿ ففتقناهما ﴾، فصلنا بينهما بالهواء، والرَّتْق في اللغة: السدّ، والفتق: الشق .

قال كعب: خلق الله السمواتِ والأرض بعضها على بعض، ثم خلق ريحاً فوسطها[2] ففتحها بها .

قال مجاهد والسدي: كانت السماوات مرتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سماوات، وكذلك الأرض كانتا مرتقة طبقة واحدة فجعلها سبع أرضين .

قال عكرمة وعطية: كانت السماء رتقاً لا تمطر والأرض رتقاً لا تنبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات. وإنما قال: ﴿ رتقاً ﴾ على التوحيد وهو من نعت السماوات والأرض لأنه مصدر وُضع موضع الإسم، مثل الزور والصوم ونحوهما .

﴿ وجعلنا ﴾، [وخلقنا][3] ﴿ من الماء كل شيء حيّ ﴾، أي: وأحيينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شيء حي أي من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر، يعني أنه سبب لحياة كل شيء والمفسرون يقولون: [يعني][4] أن كل شيء حي فهو مخلوق من الماء. كقوله تعالى: (والله خلق كل دابة من ماء) (النور: ٤٥)، قال أبو العالية: يعني النطفة، فإن قيل: قد خلق الله بعض ما هو حي من غير الماء؟ قيل: هذا على وجه التكثير، يعني أن أكثر الأحياء في الأرض مخلوقة من الماء أو بقاؤه بالماء، ﴿ أفلا يؤمنون ﴾ .

﴿ وجعلنا في الأرض رواسيَ ﴾، جبالاً ثوابت، ﴿ أن تميد بهم ﴾، [يعني كي لا تميد بهم][5]، ﴿ وجعلنا فيها ﴾، في الرواسي: ﴿ فجاجاً ﴾، طرقاً ومسالك، والفج: الطريق الواسع

(١) زيادة من «ب» .
(٢) في «ب» بوسطها .
(٣) ساقط من «ب» .
(٤) زيادة من «ب» .
(٥) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣١ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ۝٣٢ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٣٣﴾

بين الجبلين، أي جعلنا بين الجبال طرقاً حتى يهتدوا إلى مقاصدهم، ﴿ **سُبُلاً** ﴾، تفسير للفجاج، ﴿ **لعلّهم يهتدون** ﴾.

﴿ **وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً** ﴾، من أن تسقط، دليله قوله تعالى: (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه) (الحج: ٦٥)، وقيل: محفوظاً من الشياطين بالشهب، دليله قوله تعالى: (وحفظناها من كل شيطان رجيم) (الحجر: ١٧)، ﴿ **وهم** ﴾، يعني الكفار، ﴿ **عن آياتها** ﴾، ما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وغيرها، ﴿ **معرضون** ﴾، لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

﴿ **وهو الذي خلق الليلَ والنهارَ والشمسَ والقمرَ كلٌّ في فلكٍ يسبحون** ﴾، يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء، وإنما قال: ﴿ **يسبحون** ﴾، ولم يقل يسبح على ما يقال لما لا يعقل، لأنه ذكر عنها فعل العقلاء من الجري والسبح، فذكر على ما يعقل.

والفَلَكُ: مدار النجوم الذي يضمها، والفَلَكُ في كلامِ العرب: كل شيء مستدير، وجمعه أفلاك، ومنه فلك المغزل.

وقال الحسن: الفلك طاحونة كهيئة فَلْكَةِ المغزل: يريد أن الذي يجري فيه النجوم مستدير كاستدارة الطاحونة.

وقال بعضهم: الفلك السماء الذي فيه ذلك الكوكب، فكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه، وهو معنى قول قتادة.

وقال الكلبي[1]: الفلك استدارة السماء.

وقال آخرون: الفلك موج مكفوف دون السماء يجري فيه الشمس والقمر والنجوم[2].

---

(١) في «ب» الضحاك.

(٢) ذكر بعض هذه الأقوال وغيرها الطبري: ١٧/٢٣، ثم قال:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: كما قال الله عز وجل (كل في فلك يسبحون) وجائز أن يكون ذلك الفلكُ =

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وما جعلنا لبشرٍ من قبلِك الخُلد** ﴾، دوام البقاء في الدنيا، ﴿ **أفإنْ متَّ فهم الخالدون** ﴾، أي أفهم الخالدون إن مت؟ نزلت هذه الآية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون[1] .

﴿ **كلُّ نفسٍ ذائقة الموت ونبلوكم** ﴾، نختبركم ﴿ **بالشر والخير** ﴾، بالشدة والرخاء، والصحة والسَّقَم، والغنى والفقر، وقيل: بما تحبون وما تكرهون، ﴿ **فتنةً** ﴾، ابتلاءً لننظر كيف شكركم فيما تحبون، وصبركم فيما تكرهون، ﴿ **وإلينا ترجعون** ﴾ .

﴿ **وإذا رآك الذين كفروا إنْ يتخذونك** ﴾، [ما يتخذونك][2]، ﴿ **إلّا هُزواً** ﴾، [سخرياً][2]، قال السدي: نزلت في أبي جهل مرّ به النبي ﷺ فضحك، وقال: هذا نبيُّ بني عبد مناف[3]، ﴿ **أهذا الذين** ﴾، أي يقول بعضهم لبعض أهذا الذي، ﴿ **يذكر آلهتكم** ﴾، أي يعيبها، يقال: فلان يذكر فلاناً أي يعيبه، وفلان يذكر الله أي يُعظِّمه ويُجِلّه، ﴿ **وهم بذكر الرحمن هم كافرون** ﴾، وذلك أنهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن إلا مسيلمة، ﴿ **وهم** ﴾ الثانية صلة .

قوله عز وجل: ﴿ **خُلق الإنسانُ من عَجَل** ﴾، اختلفوا فيه، فقال قوم: معناه أن بنيته وخلقته
١٦/ب من العَجَلةِ وعليها طُبع، كما قال: (وكان الإنسان عجولاً)/(الإسراء: ١١) .

= كما قال مجاهد كحديدة الرحى، وكما ذُكر عن الحسن كطاحونة الرحى، وجائز أن يكون موجاً مكفوفاً، وأن يكون قطب السماء، وذلك أن الفلك في كلام العرب هو كل شيء دائر، فجمعه أفلاك، وقد ذكرت قول الراجز:

بائتْ تُناجي الفُلْكَ الدَّوَّارا

وإن كان كل ما دار في كلامها، ولم يكن في كتاب الله،ولا في خبر عن رسول الله ﷺ، ولا عمن يُقطع بقوله العذر، دليل يدل على أي ذلك هو من أي كان الواجب أن نقول فيه ما قاله، ونسكت عما لا علم لنا به .

فإذا كان الصواب في ذلك من القول عندنا ما ذكرنا، فتأويل الكلام: والشمس والقمر، كل ذلك في دائر يسبحون .

(١) ذكره صاحب زاد المسير: ٥/٣٥٠ .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥/٦٣٠ لابن أبي حاتم .

فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾

قال سعيد بن جبير والسدي: لما دخلت الروح في رأس آدم وعينه نظر إلى ثمار الجنة فلما دخلت جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه عجلاً إلى ثمار الجنة، فوقعَ فقيل: «خلق الإنسان من عجل»، والمراد بالإنسان آدم وأورث أولاده العجلة، والعرب تقول للذي يكثر في الشيء: خلقت منه، كما تقول العرب: خلقت في لعب، وخلقت في غضب، يراد المبالغة في وصفه بذلك، يدل على هذا قوله تعالى: «وكان الإنسان عجولا».

وقال قوم: معناه خُلق الإنسانُ يعني آدم من تعجيل في خلق الله إيّاه، لأن خَلْقَه كان بعد [خلق][1] كل شيء في آخر النهار يوم الجمعة، فأسرع في خلقه قبل مغيب الشمس.

قال مجاهد: فلما أحيا الروحُ رأسه قال يارب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس. وقيل: بسرعة وتعجيل على غير ترتيب خَلْقَ سائر الآدميين من النطفة والعلقة والمضغة وغيرها[2].

وقال قوم: من عَجَلٍ، أي: من طين، قال الشاعر:

والنَّبعُ في الصخرةِ الصَّمَّاءِ مُنبتةٌ والنخلُ ينبتُ بينَ الماءِ والعَجَلِ[3]

﴿ سأُريكم آياتي فلا تستعجلون ﴾، [نزل هذا في المشركين][4] كانوا يستعجلون العذاب ويقولون: أمطرْ علينا حجارة من السماء، وقيل: نزلت في النضر بن الحارث[5]، فقال تعالى: ﴿ سأُريكم آياتي ﴾ أي مواعيدي فلا تستعجلون، أي فلا تطلبوا العذاب من قبل وقته، فأراهم يوم بدر، وقيل: كانوا يستعجلون القيامة.

﴿ ويقولون متى هذا الوعد إنْ كنتم صادقين ﴾، فقال تعالى: ﴿ لو يعلمُ الذين كفروا حين لا يَكُفُّون ﴾، لا يدفعون ﴿ عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ﴾، قيل: ولا عن ظهورهم السياط،

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) أورد هذه الأقوال الطبري: ١٧/٢٦ ـ ٢٧ ثم قال: والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا الذين ذكرناه عمن قال معناه: خُلق الإنسان من عجل في خَلْقه: أي على عجل وسرعة في ذلك، وإنما قيل ذلك كذلك، لأنه بُودر بخلقه مغيب الشمس في آخر ساعة من نهار يوم الجمعة، وفي ذلك الوقت نفخ فيه الروح.
وإنما قلنا أولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب، لدلالة قوله تعالى: (سأُريكم آياتي فلا تستعجلون) على ذلك.
وأن أبا كريب حدثنا قال: حدثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجمعة لساعة يَقلّلها، قال: لا يوافقها عبدٌ مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا آتاه اللهُ إيَّاه» فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أي ساعة هي، هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة، قال الله: (خلق الإنسان من عَجَلٍ سأُريكم آياتي فلا تستعجلون).

(٣) البيت لبعض الحِمْيريين، والعَجَل بلغتهم: الطين.

(٤) في «ب»: (هذا في جواب قول المشركين).

(٥) ذكر القول صاحب زاد المسير: ٥/٣٥١.

بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾
وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ
﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم
مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ
عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

﴿ **ولا هم يُنصرون** ﴾، يُمنعون من العذاب، وجواب لو في قوله: ﴿ **لو يعلم الذين** ﴾ محذوف معناه: ولو علموا لَمَا أقاموا على كفرهم، ولَمَا استعجلوا، ولا قالوا: متى هذا الوعد؟ .

﴿ **بلْ تأتيهم** ﴾، يعني الساعة ﴿ **بغتة** ﴾، فجأة، ﴿ **فتبهتهم** ﴾، أي تُحيِّرهم، يقال: فلان مبهوت أي متحيِّر، ﴿ **فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون** ﴾، يمهلون .

﴿ **ولقد استُهزيء برسل من قبلك فحاقَ** ﴾، نزل، ﴿ **بالذين سَخِروا منهم ما كانوا به يستهزؤون** ﴾، أي جزاء استهزائهم .

﴿ **قلْ من يكلؤكم** ﴾، يحفظكم، ﴿ **بالليل والنهار من الرحمن** ﴾، إن أنزل بكم عذابه، وقال ابن عباس: من يمنعكم من عذاب الرحمن، ﴿ **بل هم عن ذكر ربهم** ﴾، عن القرآن ومواعظ الله، ﴿ **معرضون** ﴾ .

﴿ **أمْ لهم** ﴾، أم: صلة فيه، وفي أمثاله ﴿ **آلهةٌ تمنعُهم من دوننا** ﴾، فيه تقديم وتأخير، تقديره: أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم، ثم وصف الآلهة بالضعف، فقال تعالى: ﴿ **لا يستطيعون نصرَ أنفسهم** ﴾، منع أنفسهم، فكيف ينصرون عابديهم، ﴿ **ولا هم منّا يُصْحَبُون** ﴾، قال ابن عباس: يمنعون. وقال عطية: عنه يُجارون، تقول العرب: أنا لك جار وصاحب من فلان، أي مُجِير منه. وقال مجاهد: ينصرون. وقال قتادة: ولا يصحبون من الله بخير .

﴿ **بل متّعنا هؤلاء** ﴾، الكفار، ﴿ **وآباءهم** ﴾، في الدنيا أي أمهلناهم. وقيل: أعطيناهم النعمة، ﴿ **حتى طال عليهم العُمُرُ** ﴾، أي امتدَّ بهم الزمانُ فاغتروا .

﴿ **أفلا يَرَوْن أنّا نأتي الأرضَ ننقُصُها من أطرافها** ﴾، يعني ما ننقص من أطراف المشركين ونزيد

قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ

في أطراف المؤمنين، يريد ظهورَ النبي ﷺ وفتحَه ديارَ الشرك أرضاً فأرضاً، ﴿ أفهم الغالبون ﴾، أم نحن.

﴿ قلْ إنّما أُنذِركُم بالوحي ﴾، أي أخوفكم بالقرآن، ﴿ ولا يسمع الصمُّ الدعاءَ ﴾، قرأ ابن عامر بالتاء وضمها وكسر الميم، « الصم » نصب، جعل الخطاب للنبي ﷺ، وقرأ الآخرون بالياء وفتحها وفتح الميم، « الصم » رفعٌ، ﴿ إذا ما يُنْذَرُون ﴾، يُخوَّفون.

﴿ ولَئِنْ مستهم ﴾، أصابتهم ﴿ نفحةٌ ﴾، قال ابن عباس رضى الله عنهما طَرَفٌ. وقيل: قليلٌ. قال ابن جريج: نصيبٌ، من قولهم نفح فلان لفلان من ماله أي أعطاه حظاً منه. وقيل: ضربة من قولهم نَفَحَتِ الدابةُ برجلها أي ضربت، ﴿ من عذاب ربِّك لَيَقُولُنَّ يا ويلنا إنّا كنّا ظالمين ﴾، أي بإهلاكنا. إنّا كنّا مشركين، دعوا على أنفسهم بالويل بعدما أقروا بالشرك.

﴿ ونضع الموازينَ القِسْطَ ﴾، أي ذوات القسط، والقسط: العدل، ﴿ ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ﴾، لا ينقص من ثواب حسناته ولا يزاد على سيآته، وفي الأخبار: إن الميزان له لسان وكفتان[١].

روى أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فأراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب، فغُشي عليه، ثم أفاق فقال: يا إلهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات؟ فقال: يا داود إني [إذا][٢] رضيت على عبدي ملأتها بتمرة[٣].

﴿ وإن كان مثقالَ حبةٍ من خَرْدَلٍ ﴾، قرأ أهل المدينة ﴿ مثقال ﴾ برفع اللام هاهنا وفي سورة

---

(١) أخرج اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١١٧٣/٦ عن عبد الملك بن أبي سليمان قال: ذكر الميزان عند الحسن فقال: له لسان وكفتان.

ويدل على ذلك أحاديث كثيرة: وانظر: شرح الطحاوية صفحة: (٤٨٠ ـ ٤٨٤)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني: ١٨٤/٢ ـ ١٨٦.

(٢) ساقط من «أ».

(٣) ذكره القرطبي في التذكرة، انظر: لوامع الأنوار البهية: ١٨٤/٢.

﴿مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ
ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ
ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ
ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾

لقمان، أي وإن وقع مثقال حبة، ونصبها الآخرون على معنى: وإن كان ذلك الشيء مثقال حبة أي زنة حبة من خردل، ﴿ **أتينا بها** ﴾ أحضرناها لنجازي بها .

﴿ **وكفي بنا حاسبين** ﴾، قال السدي: مُحصين، والحَسْبُ معناه: العدّ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما: عالمين حافظين، لأن من حسب شيئاً علمه وحفظه .

قوله عز وجل: ﴿ **ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان** ﴾، يعني الكتاب المفرِّق بين الحق والباطل، وهو التوراة. وقال ابن زيد: الفرقان النصر على الأعداء، كما قال الله تعالى: (وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان ﴾ (الأنفال: ٤١)، يعني يوم بدر، لأنه قال ﴿ **وضياء** ﴾، أدخل الواو فيه أي آتينا موسى النصر والضياء وهو التوراة .

ومن قال: المراد بالفرقان التوراة، قال: الواو في قوله: ﴿ **وضياءً** ﴾، زائدة مقحمة، معناه : آتيناه التوراة ضياء، وقيل: هو صفة أخرى للتوراة، ﴿ **وذكراً** ﴾، تذكيراً، ﴿ **للمتقين** ﴾ .

﴿ **الذين يخشون ربَّهم بالغيب** ﴾، أي يخافونه ولم يروه، ﴿ **وهُمْ من الساعة مشفقون** ﴾، خائفون .

﴿ **وهذا ذكرٌ مبارك أنزلناه** ﴾، يعني القرآن وهو ذكر لمن يذكر به، مبارك يتبرك به ويطلب منه الخير، ﴿ **أفأنتم** ﴾، يا أهل مكة، ﴿ **له منكرون** ﴾، جاحدون[1]، وهذا استفهام توبيخ وتعيير .

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ولقد آتينا إبراهيمَ رُشدَه** ﴾، قال القرظي: أي صلاحة، ﴿ **من قبل** ﴾، أي
من قبل موسى وهارون، وقال المفسرون: رشده، أي هداه / من قبل أي من قبل البلوغ، وهو ١٧/أ
حين خرج من السرب وهو صغير، يريد هديناه صغيراً كما قال تعالى ليحيى عليه السلام: (وآتيناه الحكم صبياً ﴾ (مريم: ١٢)، ﴿ **وكنّا به عالمين** ﴾، أنه أهل للهداية والنبوة .

---

(١) ساقط من «ب» .

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿**إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل**﴾، أي الصور، يعني الأصنام ﴿**التي أنتم لها عاكفون**﴾، أي على عبادتها مقيمون .

﴿**قالوا وجدنا آباءَنا لها عابدين**﴾، فاقتدينا بهم .

﴿**قال**﴾ إبراهيم، ﴿**لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين**﴾، خطأ بيِّن بعبادتكم إيّاها .

﴿**قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين**﴾، يعنون أجادّ أنت فيما تقول أم [أنت من اللاعبين؟][(١)] .

﴿**قال بل ربُّكم ربُّ السمواتِ والأرض الذي فطرهنّ**﴾، خلقهن، ﴿**وأنا على ذلكم من الشاهدين**﴾، أي على أنه الإله الذي لا يستحق العبادةَ غيرهُ. وقيل: من الشاهدين على أنه خالق السموات والأرض .

﴿**وتالله لأكيدنّ أصنامكم**﴾، لأمكرنّ بها، ﴿**بعد أن تُولُّوا مُدبرين**﴾، أي بعد أن تدبروا منطلقين إلى عيدكم .

قال مجاهد وقتادة: إنما قال إبراهيم هذا سراً من قومه ولم يسمع ذلك إلّا رجل واحد فأفشاه عليه، وقال: إنا سمعنا فتًى يذكرهم يُقالُ له إبراهيم .

قال السدي: كان لهم في كل سنة مجمع وعيد وكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها، ثم عادوا إلى منازلهم، فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهيم له: يا إبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا، فخرج معهم إبراهيم، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه، وقال إني

---

(١) في «ب» لاعب .

فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا
بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾
قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾

سقيم، يقول أشتكي رجلي فلما مضَوْا نادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس، ﴿ **وتالله لأكيدن أصنامكم** ﴾ فسمعوها منه، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة وهنّ في بهو عظيم مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه، والأصنام بعضها إلى جنب بعض كل صنم يليه أصغرُ منه إلى باب البهو، وإذا هم قد جعلوا طعاماً فوضعوه بين يدي الآلهة، وقالوا: إذا رجعنا وقد برّكت الآلهة في طعامنا أكلنا، فلما نظر إليهم إبراهيم وإلى ما بين أيديهم من الطعام، قال لهم: على طريق الاستهزاء ألا تأكلون؟، فلما لم تجبه قال: ما لكم لا تنطقون؟. فراغ عليهم ضرباً باليمين، وجعل يكسرهن في يده حتى إذا لم يبق إلّا الصنم الأكبر علّق الفأس في عنقه ثم خرج[1]، فذلك قوله عزّ وجلّ .

﴿ **فجعلهم جُذاذاً** ﴾، قرأ الكسائي ﴿ **جِذاذاً** ﴾ بكسر الجيم أي كِسَراً وقِطَعاً جمع جذيذ، وهو الهشيم مثل خفيف وخفاف، وقرأ الآخرون بضمه، مثل الحطام والرفات، ﴿ **إلا كبيراً هم** ﴾،فإنه لم يكسره ووضع الفأس على عنقه، وقيل ربطه بيده وكانت اثنين وسبعين صنماً بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد ورصاص وشَبّة وخشب وحجر، وكان الصنم الكبير من الذهب مكلّلاً بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان. قوله تعالى: ﴿ **لعلّهم إليه يرجعون** ﴾، قيل: معناه لعلّهم يرجعون إلى دينه وإلى ما يدعوهم إليه إذا علموا ضعف الآلهة وعجزها، وقيل: لعلّهم إليه يرجعون فيسألونه، فلما رجع القوم من عيدهم إلى بيت آلهتهم ورأوا أصنامهم جُذاذاً .

﴿ **قالوا مَنْ فعلَ هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين** ﴾، أي من المجرمين .

﴿ **قالوا** ﴾ يعني الذين سمعوا قول إبراهيم: (وتالله لأكيدن أصنامكم ﴾، ﴿ **سمعنا فتىً يذكرهم** ﴾، يعيبهم ويسبهم، ﴿ **يُقال له إبراهيم** ﴾، هو الذي نظن صنع هذا، فبلغ ذلك نمرود الجبار وأشراف قومه .

﴿ **قالوا فأتوا به على أعين الناس** ﴾، قال نمرود: يقول جيئوا به ظاهراً بمرأى من الناس، ﴿ **لعلّهم يشهدون** ﴾، عليه أنه الذي فعله، كرهوا أن يأخذوه بغير بيّنة، قال الحسن وقتادة والسدي، وقال

(١) أخرجه الطبري: ٣٨/١٧، وانظر الدر المنثور: ٦٣٦/٥ ـ ٦٣٧ .

قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ

محمد ابن إسحاق ﴿ لعلّهم يشهدون ﴾ أي يحضرون عقابه وما يصنع به فلما أتوا به، ﴿ قالوا ﴾، له ﴿ أأنتَ فعلتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيم ﴾؟ .

﴿ قال ﴾، إبراهيم، ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾، غضب من أن تعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرهنّ، وأراد بذلك إبراهيم إقامة الحجة عليهم، فذلك قوله: ﴿ فسئلوهم إن كانوا ينطقون ﴾، حتى يخبروا من فعل ذلك بهم .

قال القتيبي: معناه بل فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون على سبيل الشرط، فجعل النطق شرطاً للفعل، أي إن قدروا على النطق قدروا على الفعل، فأراهم عجزهم عن النطق، وفي [ضمنه][1] أنا فعلت، .

وروي عن الكسائيّ أنه كان يقف عند قوله ﴿ بل فعله ﴾ ويقول: معناه [فعلهَ][2] من فعله، والأول أصح لما رُوي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: « لم يكذب إبراهيم إلّا ثلاث كذبات، اثنتان منهن في ذات الله، قوله: (إني سقيم) (الصافات: ٨٩)، وقوله: ﴿ بل فعله كبيرهم ﴾، وقوله لسارة (هذه أُختي)[3]. وقيل في قوله: ﴿ إني سقيم ﴾ أي سأسقم، وقيل: سقم القلب أي مغتم بضلالتكم، وقوله لسارة: هذه أختي أي في الدين، وهذه التأويلات لنفي الكذب عن إبراهيم، والأولى هو الأول للحديث فيه، ويجوز أن يكون الله عزّ وجلّ أذن له في ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم، كما أذن ليوسف حتى[4] أمر مناديه فقال لإخوته: (أيتها العيرُ إنكم لسارقون) (يوسف: ٧٠). ولم يكونوا سرقوا .

﴿ فرجعوا إلى أنفسهم ﴾، أي فتفكروا بقلوبهم، ورجعوا إلى عقولهم، ﴿ فقالوا ﴾، ما نراه إلى كما قال: ﴿ إنكم أنتم الظالمون ﴾، يعني بعبادتكم مَنْ لا يتكلم. وقيل: أنتم الظالمون هذا الرجل في سؤالكم إيّاه وهذه آلهتكم حاضرة فاسئلوها .

---

(١) في «ب» ضميره .

(٢) زيادة من «ب» .

(٣) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) ٦/٣٨٨، ومسلم في الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم، برقم (٢٣٧١) ٤/١٨٤٠ .

(٤) في «ب» حين .

ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾
قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ
لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ
ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾

﴿ **ثم نُكِسُوا على رُؤوسهم** ﴾، قال أهل التفسير: أجرى الله الحق على لسانهم في القول الأول، ثم أدركتهم الشقاوة، فهو معنى قوله: ﴿ **ثم نُكِسُوا على رؤوسهم** ﴾ أي ردوا إلى الكفر بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم، يقال نكس المريض إذا رجع إلى حاله الأول، وقالوا: ﴿ **لقد علمتَ ما هؤلاء ينطقون** ﴾، فكيف نسألهم؟ فلما اتجهت الحجة لإبراهيم عليه السلام، ﴿ **قال** ﴾، لهم، ﴿ **أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً** ﴾، إن عبدتموه، ﴿ **ولا يضركم** ﴾، إن تركتم عبادته .

﴿ **أفٍ لكم** ﴾ أي تباً وقذراً لكم، ﴿ **ولما تعبُدُون من دون الله أفلا تعقلون** ﴾، أي أليس لكم عقل تعرفون هذا، فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب .

١٧/ب ﴿**قالوا حرّقوه وانصرُوا / آلهتكم إن كنتم فاعلين**﴾، أي: إن كنتم ناصرين لها.

قال ابن عمر رضى الله عنهما: إن الذي قال هذا رجل من الأكراد[١]. وقيل: اسمه «هيزن» فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة[٢] .

وقيل: قاله نمرود، فلما أجمع نمرود وقومه على إحراق إبراهيم عليه السلام، حبسوه في بيت، وبنوا له بنياناً كالحظيرة[٣] .

وقيل: بنوا أتوناً بقرية يقال لها «كُوثَى»[٤] ثم جمعوا له صلاب الحطب من أصناف الخشب مدة حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عافاني الله لأجمعنّ حطباً لإبراهيم، وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلب لئن أصابته لَتحطِبَنَّ في نار إبراهيم، وكان الرجل يُوصي بشراء الحطب وإلقائه فيه، وكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بغزلها، فتلقيه فيه احتساباً[٥] في دينها .

(١) أخرجه الطبري: ١٧/٤٣، وانظر: الدر المنثور: ٥/٦٣٩ .
(٢) أخرجه الطبري: ١٧/٤٣، وانظر تفسير ابن كثير: ٣/١٨٥ .
(٣) أخرجه الطبري: ١٧/٤٣، وانظر: البحر المحيط: ٦/٣٢٨ .
(٤) بضم أوله، وبالثاء المثلثة، وهي بالعراق، ولد فيها إبراهيم عليه السلام .
(٥) انظر الطبري: ١٧/٤٤، الدر المنثور: ٥/٦٤١ .

قال ابن إسحاق كانوا يجمعون الحطب شهراً فلما جمعوا ما أرادوا أشعلوا في كل ناحية من الحطب فاشتعلت النار واشتدت حتى أن كان الطير ليمرّ بها فيحترق من شدة وهجها، فأوقدوا عليها سبعة أيام.

روي أنهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها فجاء إبليس فعلمهم عمل المنجنيق فعملوا، ثم عمدوا إلى إبراهيم فرفعوه على رأس البنيان وقيّدوه ثم وضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً[١]، فصاحت السماء والأرض ومن فيها من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صيحة واحدة، أيْ ربنا إبراهيم خليلك يُلقَى في النار وليس في أرضك أحد يعبدك غيره فأذنْ لنا في نصرته، فقال الله عزّ وجلّ: إنه خليلي ليس لي خليل غيره، وأنا إلهه وليس له إله غيري، فإن استغاث بشيء منكم أو دعاه فلْينصرْه فقد أذِنتُ له في ذلك، وإن لم يدعُ غيري فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه، فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن المياه فقال: إن أردتَ أخمدتُ النار[٢]، وأتاه خازن الرياح فقال: إنْ شئتَ طيَّرتُ النار في الهواء، فقال إبراهيم: لا حاجةلي إليكم حسبي الله ونعم الوكيل[٣].

وروي عن أُبيّ بن كعب أن إبراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه في النار لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك[٤]، ثم رموا به في المنجنيق إلى النار، واستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم لك حاجة؟ فقال أمّا إليك فلا[٥]، قال جبريل: فاسأل ربك، فقال إبراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي[٦].

قال كعب الأحبار: جعل كل شيء يطفيء عنه النار إلا الوزغ فإنه كان ينفخ في النار[٧].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبيد الله بن موسى وابن سلام عنه أخبرنا ابن جريج عن عبد الحميد بن جبير عن سعيد بن المسيب عن أم شريك أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ، وقال: كان

---

(١) انظر البحر المحيط: ٣٢٨/٦.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦٤٠/٥ للإمام أحمد في الزهد ولعبد ابن حميد.

(٣) انظر البحر المحيط: ٣٢٨/٦ وقد عزاه لابن عباس، والدر المنثور: ٦٤١/٥، وعند البخاري: ٢٢٩/٨ بلفظ: (كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل).

(٤) أخرجه الطبري: ٤٥/١٧.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٥/١٧، وانظر: تفسير ابن كثير: ١٨٥/٣.

(٦) ذكره ابن عراق في: «تنزيه الشريعة» ٢٥٠/١ بلفظ: (علمه بحالي يغني عن سؤالي) حكاية عن الخليل عليه السلام، وقال: قال ابن تيمية: موضوع.

(٧) انظر القرطبي: ٣٠٤/١١.

﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ٦٩

عن أم شريك أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ، وقال كان: «ينفخ النار على إبراهيم»(١) .

قال تعالى: ﴿ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾، قال ابن عباس: لو لم يقل سلاماً لمات إبراهيم من بردها، ومن المعروف في الآثار أنه لم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفئت، فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم، ولو لم يقل وسلاماً على إبراهيم بقيت ذات برد أبداً(٢) .

قال السدي: فأخذت الملائكة بضَبْعَي إبراهيم فأقعدوه على الأرض، فإذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس(٣) .

قال كعب: ما أحرقت النار في إبراهيم إلا وثاقه(٤)، قالوا: وكان إبراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام(٥) .

قال المنهال بن عمرو: قال إبراهيم ما كنت أياماً قط أنعم مني من الأيام التي كنت فيها في النار(٦) .

قال ابن يسار: وبعث الله عز وجل ملك الظل في صورة إبراهيم فقعد فيها إلى جنب إبراهيم يؤنسه، قالوا وبعث الله جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه(٧)، وقال جبريل: يا إبراهيم إن ربك يقول: أما علمت أن النار لا تضر أحبابي .

ثم نظر نمرود وأشرف على إبراهيم من صرح له فرآه جالساً في روضة والملك قاعد إلى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب، فناداه: يا إبراهيم كبيرٌ إلهك الذي بلغت قدرته أن حال بينك وبين ما أرى، يا إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها؟ قال: نعم، قال: هل تخشى إن أقمت فيها أن تضرك؟ قال: لا، قال: فقم فاخرج منها، فقام إبراهيم يمشي فيها حتى خرج منها، فلما خرج إليه قال له: يا إبراهيم مَن الرجل الذي رأيتُه معك في صورتك قاعداً إلى جنبك؟ قال: ذلك ملك الظل أرسله

---

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء باب قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) ٣٨٩/٦، ومسلم في باب السلام، باب استحباب قتل الوزغ، برقم (٢٢٣٧) ١٧٥٧/٤ .

(٢) ذكر هذه الأقوال صاحب أضواء البيان: ٥٨٩/٤ .

(٣) انظر: زاد المسير: ٣٦٧/٥ .

(٤) أخرجه الطبري: ٤٤/١٧ .

(٥) انظر: زاد المسير: ٣٦٧/٥، القرطبي: ٣٠٤/١١ .

(٦) أخرجه الطبري: ٤٤/١٧ وابن كثير في التفسير: ١٨٥/٤ .

(٧) انظر زاد المسير: ٣٦٧/٥ .

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾

إلَيَّ ربي ليؤنسني فيها، فقال نمرود: يا إبراهيم إني مقرب إلى إلهك قرباناً لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت إلا عبادته وتوحيده إني ذابح له أربعة آلاف بقرة، فقال له إبراهيم: إذاً لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقه إلى ديني، فقال: لا أستطيع ترك ملكي. ولكن سوف أذبحها له فذبحها له نمرود ثم كف عن إبراهيم، ومنعه الله منه[1]. قال شعيب الجبائي: أُلقي إبراهيم في النار وهو ابن ست عشرة سنة[2].

قوله عز وجل: ﴿وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾، قيل: معناه أنهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم.

وقيل: معناه إن الله عزّ وجلّ أرسل على نمرود وعلى قومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم، ودخلت واحدة في دماغه فأهلكته.

قوله عز وجل: ﴿ونجيناه ولوطاً﴾، من نمرود وقومه من أرض العراق، ﴿إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾، يعني الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الأشجار والثمار والأنهار، ومنها بعث أكثر الأنبياء. وقال أبي بن كعب: سماها مباركة لأنه ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي هي ببيت المقدس.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن قتادة، أن عمر بن الخطاب قال لكعب: ألا تتحول إلى المدينة فيها مهاجَرُ رسول الله ﷺ وقبرُهُ، فقال كعب: إني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين أن الشام كنزُ الله من أرضه، وبها كنزه من عباده[3].

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أخبرنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز، أخبرنا محمد بن زكريا العذافري، أخبرنا إسحاق الديري، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن قتادة، عن شهر بن حوشب عن عبد / الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ ١٨/أ

(١) ذكره صاحب زاد المسير: ٣٦٧/٥ - ٣٦٨.
(٢) أخرجه الطبري: ٤٥/١٧.
(٣) عزاه المتقي في كنز العمال: ١٤٣/١٤ لابن عساكر.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ٧٢ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾

يقول: «إنها ستكون هجرةٌ بعد هجرة، فخيار الناس إلى مهاجَر إبراهيم»(١).

وقال محمد بن إسحاق: استجاب لإبراهيم رجال قومه حين رأوْا ما صنع الله به من جعل النار عليه برداً وسلاماً على خوف من نمرود وملئهم وآمن به لوط، وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ، وهاران هو أخو إبراهيم وكان لهما أخ ثالث يقال له ناخور بن تارخ، وآمنت به أيضاً سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الأكبر، عم إبراهيم فخرج من كوثى من أرض العراق مهاجراً إلى ربه، ومعه لوط وسارة، كما قال الله تعالى: (فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي) (العنكبوت: ٢٦)، فخرج يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة ربه، حتى نزل حَرَّان فمكث بها ما شاء الله، ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر، ثم خرج من مصر إلى الشام، فنزل السَّبع(٢) من أرض فلسطين، وهي برية الشام، ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة، وأقرب، فبعثه الله نبياً فذلك قوله تعالى: ﴿ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾(٣).

﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلةً﴾، قال مجاهد وعطاء: معنى النافلة العطية وهما جميعاً من عطاء الله نافلة يعني عطاء، قال الحسن والضحاك: فضلاً. وعن ابن عباس وأُبيّ بن كعب وأبي زيد وقتادة رضي الله عنهم: النافلة هو يعقوب لأن الله عزّ وجلّ أعطاه إسحاق بدعائه حيث قال: (هب لي من الصالحين) (الصافات: ١٠٠)، وزاد يعقوب [ولد الولد](٤)، والنافلة الزيادة، ﴿وكلاً جعلنا صالحين﴾، يعني: إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

﴿وجعلناهم أئمة﴾، يُقتدى بهم في الخير، ﴿يهدون بأمرنا﴾، يدعون الناس إلى ديننا،

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد، بابٌ في سكنى الشام ٣/٣٥٣-٣٥٤، والحاكم: ٤/٤٨٦-٤٨٧، وأحمد: ٢/١٩٩، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٢٠٩ وشهر بن حوشب تكلم فيه غير واحد.

(٢) قال ياقوت: والسَّبْع ـ بسكون الباء: ناحية في فلسطين، بين بيت المقدس والكرك، فيه سبع آبار، سمي الموضع بذلك، وكان ملكاً لعمرو بن العاص أقام به لما اعتزل الناس، قال: وأكثر الناس يروي هذا بفتح الباء.

(٣) وأخرجه الطبري عن ابن إسحاق: ١٧/٤٧ مع أقوال أخر، ثم قال مرجحاً أن هجرة إبراهيم كانت من العراق إلى الشام: وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك لأنه لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام، وبها كان مُقامه أيام حياته، وإن كان قد كان قدم مكة، وبنى بها البيت، وأسكنها إسماعيل ابنه مع أمه هاجر، غير أنه لم يُقِم بها، ولم يتخذها وطناً لنفسه، ولا لوط، والله إنما أخبر عن إبراهيم ولوط أنهما أنجاهما إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين.

(٤) في «ب» ولداً لولده.

وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى
كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ
إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ
إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ
فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾

﴿ **وأوحينا إليهم فعل الخيرات** ﴾، العمل بالشرائع، ﴿ **وإقام الصلاة** ﴾، يعني: المحافظة عليها، ﴿ **وإيتاء الزكاة** ﴾، إعطاءها[1]، ﴿ **وكانوا لنا عابدين** ﴾، موحدين .

﴿ **ولوطاً آتيناه** ﴾، أي: وآتينا لوطاً، وقيل: واذكر لوطاً آتيناه، ﴿ **حكماً** ﴾، يعني: الفصل بين الخصوم بالحق، ﴿ **وعلماً** ﴾، ﴿ **ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث** ﴾، يعني: سدوماً وكان أهلها يأتون الذكران في أدبارهم ويتضارطون في أنديتهم مع أشياء أخر، كانوا يعملون من المنكرات، ﴿ **إنهم كانوا قوم سوء فاسقين** ﴾ .

﴿ **وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين** ﴾ .

﴿ **ونوحاً إذ نادى** ﴾، دعا، ﴿ **من قبل** ﴾، أي من قبل إبراهيم ولوط، ﴿ **فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم** ﴾، قال ابن عباس: من الغرق وتكذيب قومه. وقيل: لأنه كان أطول الأنبياء عمراً وأشدهم بلاء، والكرب: أشد الغم[2] .

﴿ **ونصرناه** ﴾، منعناه، ﴿ **من القوم الذين كذبوا بآياتنا** ﴾، أن يصلوا إليه بسوء. وقال أبو عبيدة: أي على القوم، ﴿ **إنهم كانوا قومَ سَوْءٍ فأغرقناهم أجمعين** ﴾ .

قوله عز وجل: ﴿ **وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث** ﴾، اختلفوا في الحرث، قال ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم وأكثر المفسرين: كان الحرث كرماً قد تدلّت عناقيدُه. وقال قتادة: كان زرعاً، ﴿ **إذ نفشت فيه غنمُ القوم** ﴾، أي رعته ليلاً فأفسدته، والنفش: الرعي بالليل والهمل بالنهار

(١) زيادة من «ب» .
(٢) ساقط من «ب» .

وهما الرعي بلا راع، ﴿ وكنّا لحكمهم شاهدين ﴾، أي: كان ذلك بعلمنا ومرأى منّا لا يخفى علينا علمه. قال الفراء: جمع اثنين، فقال لحكمهم وهو يريد داود وسليمان لأن الإثنين جمع وهو مثل قوله: (فإن كان له إخوة فلأمه السدس) (النساء: ١١)، وهو يريد أخوين .

قال ابن عباس وقتادة والزهري: وذلك أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم، فقال صاب الزرع: إن هذا انفلتت غنمه ليلاً ووقعت في حرثي فأفسدته فلم يبقَ منه شيء، فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث، فخرجا فمرا على سليمان فقال: كيف قضى بينكما فأخبراه فقال سليمان: لو وليت أمرهما لقضيت بغير هذا .

وروى أنه قال غير هذا أرفق بالفريقين، فأخبر بذلك داود فدعاه فقال كيف تقضي؟ ويروى أنه قال بحق النبوة والأبوة إلّا أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين، قال: ادفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه، فإذا صار الحرث كهيئته يوم أُكل دُفع إلى أهله، وأخذ صاحب الغنم غنمه، فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك(١) .

وقيل: إن سليمان يوم حكم كان ابن إحدى عشر سنة، وأما حكم الإسلام [في هذه المسألة](٢) أن ما أفسدت الماشية المرسلة بالنهار من مال الغير فلا ضمان على ربها، وما أفسدت بالليل ضمنه ربها لأن في عرف الناس أن أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار، والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل إلى المراح .

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن ابن شهاب، عن حرام بن سعد بن محيصة أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطاً فأفسدت فقضى رسول الله ﷺ أن على أهل الحوائط حفظها بالنهار وأن ما أفسدت المواشي بالليل ضمانه على أهلها، وذهب أصحاب الرأى إلى أن المالك إذا لم يكن معها فلا ضمان عليه فيما أتلفت ماشيته ليلاً كان أو نهاراً(٣) .

---

(١) أخرج هاتين الروايتين الطبري: ١٧/٥١-٥٤، وانظر: تفسير ابن كثير: ١٨٧/٣ .

(٢) زيادة من «ب» .

(٣) أخرجه أبو داود في البيوع، باب: المواشي تفسد زرع قوم: ٢٠٢/٥، وعزاه المنذري للنسائي في الكبرى، وابن ماجة في الأحكام، باب: الحكم فيما أفسدت المواشي برقم (٢٣٣٣) ٧٨١/٢، ورواه الإمام مالك في الموطأ مرسلاً: ٧٤٧/٢-٧٤٨، =

﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ﴾

قوله عز وجل: ﴿ ففهمناها سليمان ﴾، أي علمناه القضية وألهمناها سليمان، ﴿ وكلاً ﴾، يعني داود وسليمان، ﴿ آتينا حكماً وعلماً ﴾، قال الحسن: لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد هلكوا ولكن الله حمد هذا بصَوَابه وأثنى على هذا باجتهاده[1]. واختلف العلماء في أن حكم داود كان بالاجتهاد أم بالنص، وكذلك حكم سليمان.

فقال بعضهم: فعلاً بالاجتهاد. وقالوا يجوز الاجتهاد للأنبياء ليدركوا ثواب المجتهدين إلَّا أن داود أخطأ وأصاب سليمان. وقالوا: يجوز الخطأ على الأنبياء إلَّا أنهم لا يقرون عليه، فأما العلماء فلهم الاجتهاد في الحوادث إذا لم يجدوا فيها نص كتاب أو سنة، وإذا أخطأوا فلا إثم عليهم[2]، [فإنه موضوع عنهم][3]، لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد / الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد ١٨/ب
الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع بن سليمان، أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبد العزيز بن محمد، عن يزيد بن عبد الله بن الهادي، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن بشر

= وأحمد: ٢٩٥/٤، وعبد الرزاق ٨٢/١٠، والبيهقي ٣٤١/٨-٣٤٢.

قال ابن عبد البر في التمهيد: ٨١/١١-٨٢، هكذا رواه جميع رواة الموطأ ــ فيما علمت ــ مرسلاً، وكذلك رواه أصحاب ابن شهاب عن ابن شهاب مرسلاً إلا أن ابن عيينة رواه عن الزهري عن سعيد بن المسيب وحرام بن سعد بن محيصة... ثم قال: هذا الحديث وإن كان مرسلاً فهو حديث مشهور أرسله الائمة وحدث به الثقات واستعمله فقهاء الحجاز وتلقوه بالقبول، وجرىٰ في المدينة به العمل، وقد زعم الشافعي أنه تتبع مراسيل سعيد بن المسيب فألفاها صحاحاً وأكثر الفقهاء يحتجون بها.

وقال ابن التركماني في الجوهر النقي: ٣٤٢/٨ اضطرب إسناد هذا الحديث اضطراباً شديداً، واختلف فيه على الزهري على سبعة أوجه ذكرها ابن القطان.

(١) انظر: القرطبي: ٣٠٩/١١.

(٢) انظر تفصيلاً في تفسير القرطبي: ٣٠٨/١١-٣١٠، وأضواء البيان ٥٩٦/٤-٥٩٧ وقد رجح الشيخ الشنقيطي ــ رحمه الله ــ أن حكمهما ــ داود وسليمان عليهما السلام ــ كان باجتهاد لا بوحي، إذ يقول: وفي الآية قرينتان على أن حكمهما كان باجتهاد لا بوحي، وأن سليمان أصاب فاستحق الثناء باجتهاده وإصابته، وأن داود لم يصب فاستحق الثناء باجتهاده ولم يستوجب لوماً ولا ذماً بعدم إصابته، كما أثنى على سليمان بالإصابة في قوله: (ففهمناها سليمان)، وأثنى عليهما في قوله: (وكلاً آتينا حكماً وعلماً) فدل قوله: (إذ يحكمان) على أنهما حكما فيها معاً، كل منهما بحكم مخالف لحكم الآخر، ولو كان وحياً لما ساغ الخلاف، ثم قال: (ففهمناها سليمان) فدل ذلك على أنه لم يفهمها داود، ولو كان حكمه فيها بوحي لكان مفهماً إياها كما ترىٰ. فقوله: (إذ يحكمان) مع قوله: (ففهمناها سليمان) قرينة على أن الحكم لم يكن بوحي بل باجتهاد، وأصاب فيه سليمان دون داود بتفهيم الله إياه ذلك.

والقرينة الثانية: هي أن قوله تعالىٰ: (ففهمناها) الآية يدل على أنه فهمه إياها من نصوص ما كان عندهم من الشرع، لا أنه أنزل عليه فيها وحياً جديداً ناسخاً، لأنه قوله تعالىٰ: (ففهمناها) أليق بالأول من الثاني كما ترىٰ.

(٣) زيادة من «ب».

﴿وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ٧٩﴾

ابن سعيد، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص، عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر»[1] .

وقال قوم: إن داود وسليمان حكما بالوحي، وكان حكم سليمان ناسخاً لحكم داود، وهذا القائل يقول : لا يجوز للأنبياء الحكم بالاجتهاد لأنهم مستغنون عن الاجتهاد بالوحي، وقالوا : لا يجوز الخطأ على الأنبياء[2]، واحتج من ذهب إلى أن كل مجتهد مصيب بظاهر الآية وبالخبر حيث وعد الثواب للمجتهد على الخطأ، وهو قول أصحاب الرأي،وذهب جماعة إلى أنه ليس كل مجتهد مصيباً بل إذا اختلف اجتهاد مجتهدين في حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه، ولو كان كل واحد مصيباً لم يكن للتقسيم معنى، وقوله عليه السلام: «إذا اجتهد فأخطأ فله أجر»، لم يُرِدْ به أنه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على اجتهاده في طلب الحق لأن اجتهاده عبادة، والإثم في الخطأ عنه موضوع إذا لم يألُ جهده[3] .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، أخبرنا أبو الزناد، عن عبد الرحمن الأعرج أنه سمع أبا هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ قال: «كانت امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت صاحبتها : إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى : إنما ذهب بابنك فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان وأخبرتاه فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى»[1] .

قوله عز وجل: ﴿ **وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير** ﴾، أي وسخرنا الجبال والطير يسبحن مع داود إذا سبح، قال ابن عباس: كان يفهم تسبيح الحجر والشجر. قال وهب: كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير. وقال قتادة: يسبحن أي يصلين معه إذا صلى. وقيل: كان داود إذا فتر يُسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق إليه. ﴿ **وكنا فاعلين** ﴾،

---

(١) أخرجه البخاري في الاعتصام، باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ: ١٣/٣١٨ ومسلم في الأقضية، باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ برقم (١٧١٦) ٣/١٣٤٢ والمصنف في شرح السنة: ١٠/١١٥ .

(٢) انظر القرطبي: ١١/٣٠٨-٣١٠ .

(٣) انظر القرطبي: ١١/٣١١ .

(٤) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب: قول الله تعالى: (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب) ٦/٤٥٨ ومسلم في الأقضية، باب: بيان اختلاف المجتهدين برقم (١٧٢٠) ٣/١٣٤٣ .

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ٨٠ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ٨١﴾

يعني: ما ذكر من التفهيم وإيتاء الحكم والتسخير.

﴿ **وعلمناه صنعةَ لَبوس لكم** ﴾، والمراد باللبوس هنا الدروع لأنها تلبس، وهو في اللغة اسم لكل ما يلبس ويستعمل في الأسلحة كلها، وهو بمعنى الملبوس كالجلوس والركوب، قال قتادة: أول من صنع الدروع وسردها وحلقها داود وكانت من قبل صفائح، والدرع يجمع الخفة والحصانة، ﴿ **لِتُحْصِنَكم** ﴾، لتحرزكم وتمنعكم، ﴿ **من بأسكم** ﴾، أي حرب عدوكم، قال السدي: من وقع السلاح فيكم، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب: ﴿ **لتحصنكم** ﴾ بالتاء، يعني الصنعة، وقرأ أبو بكر عن عاصم بالنون لقوله: ﴿ **وعلمناه** ﴾، وقرأ الآخرون بالياء، جعلوا الفعل للبوس، وقيل: ليحصنكم الله عز وجل، ﴿ **فهل أنتم شاكرون** ﴾، يقول لداود وأهل بيته. وقيل: يقول لأهل مكة فهل أنتم شاكرون نعمي بطاعة الرسول.

قوله عز وجل: ﴿ **ولسليمان الريحَ عاصفةً** ﴾، أي وسخرنا لسليمان الريح، وهي هواء متحرك، وهو جسم لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه، ويظهر للحسّ بحركته، والريح يذكر ويؤنث، عاصفة شديدة الهبوب، فإن قيل: قد قال في موضع آخر تجري بأمره رُخاءً والرخاء اللين؟ قيل: كانت الريح تحت أمره إن أراد أن تشتد اشتدت، وإن أراد أن تلين لانَتْ، ﴿ **تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها** ﴾، يعني الشام، وذلك أنها كانت تجري لسليمان وأصحابه حيث شاء سليمان، ثم تعود إلى منزله بالشام، ﴿ **وكنّا بكل شيءٍ** ﴾، علمناه، ﴿ **عالمين** ﴾، بصحة التدبير فيه علمنا أن ما يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه إلى الخضوع لربه عزّ وجلّ.

قال وهب بن منبه: كان سليمان عليه السلام إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والإنس حتى يجلس على سريره، وكان امرءاً غزّاءً قلّ ما يقعد عن الغزو، ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك إلا أتاه حتى يذله، كان فيما يزعمون إذا أراد الغزو أمر بمعسكره فضرب بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب، فإذا حمل معه ما يريد أمر العاصفة من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى إذا استقلت به أمر الرخاء فمر به شهراً في روحته وشهراً في غدوته إلى حيث أراد، وكانت تمر بعسكره الريح الرخاء وبالمزرعة

فما تحركها، ولا تثير تراباً ولا تؤذي طائراً. قال وهب: ذُكر لي أن منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيه [كتبه](١) بعض صحابة سليمان إما من الجن وإما من الإنس نحن نزلناه وما بنيناه مبنياً وجدناه، غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه إن شاء الله فبائتون بالشام(٢).

قال مقاتل: نسجت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخاً في فرسخ ذهباً في إبريسم، وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه، وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة، يقعد الأنبياء على كراسي الذهب، والعلماء على كراسي الفضة، وحولهم الناس، وحول الناس الجن والشياطين، وتظله الطير بأجنحتها لا تقع عليه الشمس، وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ومن الرواح إلى الصباح(٣).

وعن سعيد بن جبير قال: كان يوضع لسليمان ستمائة ألف كرسي فيجلس الإنس فيما يليه ثم يليهم الجن ثم تظلهم الطير ثم تحملهم الريح(٤).

وقال الحسن: لما شغلت الخيل نبي الله سليمان عليه السلام حتى فاتته صلاة العصر غضب لله عزّ وجلّ فعقر الخيل فأبدله الله مكانها خيراً منها، وأسرع الريح تجري بأمره كيف يشاء، فكان يغدو من إيلياء فيقيل باصطخر، ثم يروح / منها فيكون رواحها بكابل(٥). ١٩/أ

وقال ابن زيد: كان له مركب من خشب وكان فيه ألف ركن في كل ركن ألف بيت يركب معه فيه الجن والإنس، تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب، وإذا ارتفع أتت الريح الرخاء فسارت به وبهم، يقيل عند قوم بينه وبينهم شهر ويمسي عند قوم بينه وبينهم شهر، لا يدري القوم إلا وقد أظلهم معه الجيوش(٦).

[وروى أن سليمان سار من أرض العراق غادياً فقال بمدينة مرو، وصلى العصر بمدينة بلخ، تحمله وجنوده الريح، وتظلهم الطير، ثم سار من مدينة بلخ متخللاً بلاد الترك، ثم جاءهم إلى بلاد الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك، ثم عطف يمنه عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى على أرض القندهار، وخرج منها إلى أرض مكران وكرمان، ثم جاوزها حتى أتى أرض

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) أخرجه الطبري: ١٧/٥٥-٥٦.

(٣) انظر: البحر المحيط: ٦/٣٣٣.

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره: ٣/١٨٨.

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦/٦٧٧ لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذور وابن أبي حاتم.

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥/٦٥١ لابن أبي حاتم.

وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾

فارس فنزلها أياماً وغدا منها فقال بكسكر ثم راح إلى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر، وكان أمر الشياطين قبل شخوصه من الشام إلى العراق، فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الأبيض والأصفر، وفي ذلك يقول النابغة:

ألا سليمانَ إذْ قال المليكُ له قُمْ في البَرِيّةِ فاحددْها عن الفَنَد
وجَيِّشِ الجنَّ أني قد أَذِنْتُ لهم يبنونَ تَدْمُرَ بالصُّفَّاحِ والعَمَدِ][1]

قوله عز وجل: ﴿ **ومن الشياطين** ﴾، أي وسخرنا له من الشياطين، ﴿ **من يغوصون له** ﴾، أي يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر، ﴿ **ويعملون عملاً دون ذلك** ﴾، أي دون الغوص، وهو ما ذكر الله عزّ وجلّ: (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل) (سبأ: ١٣) الآية. ﴿ **وكنّا لهم حافظين** ﴾، حتى لا يخرجوا من أمره. وقال الزجاج: معناه حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا. وفي القصة أن سليمان كان إذا بعث شيطاناً مع إنسان ليعمل له عملاً، قال له: إذا فرغ من عمله قبل الليل أشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل، وكان من عادة الشياطين أنهم إذا فرغوا من العمل ولم يشتغلوا بعمل آخر خربوا ما عملوا وأفسدوه .

قوله عز وجل: ﴿ **وأيوب إذْ نادى ربَّه** ﴾، أي دعا ربه، قال وهب بن منبه: كان أيوب عليه السلام رجلاً من الروم وهو أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحق بن إبراهيم، وكانت أمه من أولاد لوط بن هاران، وكان الله قد اصطفاه ونبأه وبسط عليه الدنيا، وكانت له البَثَنية من أرض الشام، كلها سهلها وجبلها، وكان له فيها من أصناف المال كله، من البقر والإبل والغنم والخيل والحمر ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكثرة، وكان له خمسمائة فدان، يتبعها خمسمائة عبد، لكل عبد امرأة وولد ومال، ويحمل آلة كل فدان أتان لكل أتان ولد من اثنين وثلاثة أربعة وخمسة،وفوق ذلك، وكان الله عز وجل أعطاه أهلاً وولداً من رجال ونساء، وكان براً تقياً رحيماً بالمساكين، يطعم المساكين ويكفل الأرامل والأيتام، ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل، وكان شاكرًا لأنعم الله مؤدياً لحق الله، قد امتنع من عدو الله إبليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من الغِرَّة والغفلة والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا، وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا

---

(١) زيادة من «ب» .

به وصدقوه رجل من أهل اليمن يقال له اليقن، ورجلان من أهل بلدة يقال لأحدهما يلدد والآخر صافر وكانوا كهولاً، وكان إبليس لا يحجب عن شيء من السموات، وكان يقف فيهن حيث ما أراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن أربع سموات، فلما بعث محمد ﷺ حجب من الثلاث الباقية، فسمع إبليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب، وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه، فأدركه البغي والحسد، فصعد سريعاً حتى وقف من السماء موقفاً كان يقفه، فقال إلهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبداً أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك، ولو ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عمّا هو عليه من شكرك وعبادتك، ولخرج من طاعتك، قال الله تعالىٰ: انطلق فقد سلطتك على ماله فانقضَّ عدوُ الله إبليس حتى وقع إلى الأرض، ثم جمع عفاريت الجن ومردة الشياطين، وقال لهم: ماذا عندكم من القوة؟ فإني قد سُلِّطتُ على مال أيوب، وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال، فقال عفريت من الشياطين أُعطيتُ من القوة ما إذا شئت تحولتُ إعصاراً من نار وأحرقتُ كلَّ شيءٍ آتي عليه، قال له إبليس: فأتِ الإبل ورعاءَها، فأتى الإبلَ حين وضعت رؤوسها وثبتت في مراعيها، فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصارٌ من نار لا يدنو منها أحد إلا احترق فأحرق الإبل ورعاءها، حتى أتى على آخرها، ثم جاء عدو الله إبليس في صورةٍ قبيحةٍ على قعود إلى أيوب فوجده قائماً يصلي، فقال: يا أيوب أقبلتْ نارٌ حتى غَشِيَتْ إبلَكَ فأحرقتْها ومَنْ فيها غيري، فقال أيوب: الحمد لله الذي هو أعطاها وهو أخذها، وقديماً ما وطنت مالي ونفسي على الفناء، فقال إبليس: فإنَّ ربَّك أرسل عليها ناراً من السماء فاحترقت فتركتِ الناسَ مبهوتين يتعجبون منها، منهم من يقول ما كان أيوب يعبدُ شيئاً وما كان إلا في غرور، ومنهم من يقول لو كان إله أيوب يقدر على أن يصنع شيئاً لمنع [وليه](١)، ومنهم من يقول: بل هو الذي فعل ليشمت به عدوه ويفجع صديقه.

قال أيوب: الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني، عُرياناً خرجت من بطن أمي، وعُرياناً أعود في التراب، وعُرياناً أُحشر إلى الله، ليس لك أن تفرح حين أعارك وتجزع حين قبضَ عاريتَه منك، الله أولى بك وبما أعطاك، ولو علم الله فيك أيها العبد خيراً لنقل روحك مع تلك الأرواح وصرتَ شهيداً، ولكنه علم منك شراً فأَخَّرك، فرجع إبليس إلى أصحابه [خائباً](٢) خاسئاً ذليلاً فقال لهم: ماذا عندكم من القوة؟ فإني لم أُكلّم قلبَهُ، قال عفريت: عندي من القوة ما شئت صحتُ صيحة لا يسمعها ذو روح إلّا خرجت مهجةُ نفسه، قال إبليس فأتِ الغنمَ ورعاتها، فانطلق حتى توسطها

(١) في «ب» عن وليه أيوب.
(٢) زيادة من «ب».

ثم صاح صيحة فتجثمتْ أمواتاً عن آخرها ومات رعاؤها، ثم جاء إبليسُ متمثلاً بقهرمان الرعاة إلى أيوب وهو يصلي، فقال له مثل القول الأول، فردّ عليه أيوبُ مثل الرد الأول ثم رجع إبليس إلى أصحابه فقال: ماذا عندكم من القوة فإني لم أكلم قلب أيوب، فقال عفريت عندي من القوة ما إذا شئت تحولت ريحاً عاصفاً تنسف كل شيء تأتي عليه، قال فآتِ الفَدَّادِين والحرث فانطلق ولم يشعروا حتى هبت ريح عاصف، فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن، ثم جاء إبليس متمثلاً بقهرمان الحرث إلى أيوب وهو قائم يصلي، فقال له مثل القول الأول، فردّ عليه أيوب مثل رده الأول كلما انتهى إليه هلاك مال من أمواله حمدَ الله وأحسن الثناء عليه، ورضي منه بالقضاء، ووطن نفسه بالصبر على البلاء، حتى لم يبق له مال.

١٩/ب فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله صعد [إلى السماء][1] فقال إلهي إن أيوب يرى / أنك ما متعته بولده فأنت معطيه المال فهل مسلطي على ولده، فإنها المصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال، قال الله تعالى: انطلق فقد سلطتك على ولده، فانقض عدو الله حتى جاء بني أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده، ثم جعل يناطح جدره بعضها ببعض ويرميهم بالخشب والجندل، حتى إذا مثل بهم كل مُثلة رفع القصر فقلبه فصاروا منكسين، وانطلق إلى أيوب متمثلاً بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مخدوش الوجه يسيل دمه ودماغه فأخبره، وقال: لو رأيت بنيك كيف عذبوا وقلبوا فكانوا منكسين على رؤوسهم تسيل دماؤهم ودماغهم، ولو رأيت كيف شُقَّتْ بطونهم وتناثرت أمعاؤهم لقُطع قلبك، فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق أيوب فبكي وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه، وقال: ليت أمي لم تلدني، فاغتنم إبليس ذلك فصعد سريعاً بالذي كان من جزع أيوب مسروراً به، ثم لم يلبث أيوب أن فاء وأبصر واستغفر، وصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته إلى الله وهو أعلم، فوقف إبليس ذليلاً فقال: يا إلهي إنما هوَّن على أيوب المال والولد أنه يرى منك أنك ما متعته بنفسه فأنت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطي على جسده؟ فقال الله عزّ وجلّ: انطلق فقد سلطتك على جسده، ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه، وكان الله عزّ وجلّ أعلم به لم يسلطه عليه إلا رحمة له ليُعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم، ليتأسوا به في الصبر ورجاءً للثواب، فانقض عدو الله سريعاً فوجد أيوب ساجداً فعجل قبل أن يرفع رأسه فأتاه من قبل وجوهه فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها [جميع][2] جسده، فخرج من قرنه إلى قدمه تآليل مثل آليات

(١) ساقط من «أ».

(٢) زيادة من «ب».

الغنم فوقعت فيه حكة فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها، ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة، فلم يزل يحكها حتى نغل لحمه، وتقطع وتغير وأنتن، وأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة، وجعلوا له عريشاً، فرفضه خلق الله كلهم غير امرأته، وهي رحمة بنت أفرائيم بن يوسف بن يعقوب كانت تختلف إليه بما يصلحه وتلزمه، فلما رأى الثلاثة من أصحابه وهم: يقن ويلدد وصافر ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه، فلما طال به البلاء انطلقوا إليه فبَكَّتوه ولاموه وقالوا له: تبْ إلى الله من الذنب الذي عوقبت به، قال: وحضره معهم فتى حديث السن قد آمن به وصدقه، فقال لهم: إنكم تكلمتم أيها الكهول، وكنتم أحق بالكلام مني لأسنانكم، ولكن قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم، ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم، ومن الأمر أجمل من الذي أتيتم، وقد كان لأيوب عليكم من الحق والذمم أفضل من الذي وصفتم، فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم، وَمَنْ الرجل الذي عبتم واتهمتم؟ ألم تعلموا أن أيوب نبي الله وخيرته من خلقه وصفوته من أهل الأرض إلى يومكم هذا، ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله من أمره على أنه قد سخط عليه شيئاً من أمره منذ آتاه الله ما آتاه إلى يومكم هذا، ولا على أنه نزع منه شيئاً من الكرامة التي أكرمه بها، ولا أن أيوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا، فإن كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في أنفسكم فقد علمتم أن الله يبتلي المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين، وليس بلاؤه لأولئك بدليل على سخطه عليهم ولا لهوانه لهم، ولكنها كرامة وخيرة لهم، ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة إلّا أنه أخ أحببتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحليم أن [يعذل][(1)] أخاه عند البلاء، ولا يُعيِّره بالمصيبة، ولا يَعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين، ولكنه يرحمه ويبكي معه، ويستغفر له، ويحزن لحزنه، ويدله على مراشد أمره، وليس بحليم ولا رشيد من جهل هذا، فاللهَ اللهَ أيها الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله، وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم، ويكسر قلوبكم، ألم تعلموا أن لله عباداً أسكتتهم خشيته من غير عي ولا بكم، وأنهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الألباء العالمون بالله، ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم، واقشعرت جلودهم، وانكسرت قلوبهم، وطاشت عقولهم إعظاماً وإجلالاً لله عزّ وجلّ، فإذا استفاقوا من ذلك استَبَقوا إلى الله عزّ وجلّ بالأعمال الزاكية يعدون أنفسهم مع الظالمين والخاطئين، وإنهم لأبرار برءاء، ومع المقصرين والمفرطين، وأنهم لأكياس أقوياء، فقال أيوب: إن الله عزّ وجلّ يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير، فمتي نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان، وليست تكون الحكمة من قبل السن والشيبة

---

(١) في «ب» يعتزل.

ولا طول التجربة، وإذا جعل الله العبد حكيماً في الصبا لم تسقط منزلته عندالحكماء وهم يرون من الله سبحانه عليه نور الكرامة، ثم أعرض عنهم أيوب وأقبل على ربه مستغيثاً به متضرعاً إليه، فقال ربّ لأي شيءٍ خلقتني ليتني إذ كرهتني لم تخلقني يا ليتني قد عرفت الذنب الذي أذنبت، والعمل الذي عملت، فصرفت وجهك الكريم عني، لو كنت أمتني فألحقتني بآبائي الكرام، فالموت كان أجمل بي ألم أكن للغريب داراً، وللمسكين قراراً، ولليتيم ولياً، وللأرملة قيماً، إلهي أنا عبدك إن أحسنت فالمن لك، وإن أسأت فبيدك عقوبتي، جعلتني عَرَضاً، وللفتنة نصباً، وقد وقع عليّ بلاء لو سلطته على جبل ضعف عن حمله، فكيف يحمله ضعفي وإن قضاءك هو الذي أذلني، وإن سلطانك هو الذي أسقمني وأنحَل جسمي، ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي بما كان ينبغي للعبد أن يحاج عن نفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي، ولكنه ألقاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه، لا نظر إلى فرحمني، ولا دنا مني ولا أدناني فأدلي بعذري وأتكلم ببراءتي وأخاصم / عن نفسي[1]، فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله ٢٠/أ غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب أليم، ثم نودي يا أيوب إن الله عزّ وجلّ يقول: ها أنا قد دنوت منك ولم أزل منك قريباً قم فأدْلِ بعذرك، وتكلم ببراءتك، وخاصم عن نفسك، واشدد إزرك، وقم مقام جبار يخاصم جباراً إن استطعت، فإنه لا ينبغي أن يخاصمني إلا جبار مثلي، لقد منتك نفسك يا أيوب أمراً ما تبلغ بمثل قوتك، أين أنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها، هل كنت معي تمد بأطرافها؟ هل علمت بأي مقدار قدرتها أم على أي شيء وضعت أكنافها؟ أبطاعتك حمل الماء الأرض أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاءً؟ أين كنت مني يوم رفعت السماء

(١) أخرجه الطبري: ١٧/٦٥ـ٦٨ دون أن يعلق بشيء على ما في الرواية من الإسرائيليات كما قال صاحب أضواء البيان: ٤/٦٨١، ومنها ما ذكره جماعة من المفسرين: أن الله سلط الشيطان على ماله وأهله ابتلاء لأيوب، فأهلك الشيطان ماله وولده، ثم سلطه على بدنه ابتلاء له فنفخ في جسده نفخة اشتعل منها، فصار في جسده ثآليل، فحكها بأظافره حتى دُميت، ثم بالفخار حتى تساقط لحمه، وعصم الله قلبه ولسانه (وغالب ذلك من الإسرائيليات) انتهى.

وقال الدكتور محمد أبو شهبة في كتابه (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٣٩١ـ٣٩٢) بعد أن ساق عدة روايات في ابتلاء أيوب عليه السلام: والمحققون من العلماء على أن نسبة هذا إلى المعصوم ـ صلى الله عليه وسلم ـ إما من عمل بعض الوضاعين الذين يركبون الأسانيد للمتون، أو من غلط بعض الرواة، وأن ذلك من إسرائيليات بني إسرائيل وافترائهم على الأنبياء... ثم قال: وقد دلك كتاب الله الصادق، على لسان نبيه محمد الصادق على أن الله ـ تبارك وتعالى ـ ابتلى نبيه: أيوب ـ عليه السلام ـ في جسده، وأهله، وماله وأنه صبر حتى صار مضرب الأمثال في ذلك... والذي يجب أن نعتقده أنه ابتلي، ولكن بلاءه لم يصل إلى حد هذه الأكاذيب، من أنه أصيب بالجذام وأن جسمه أصبح قرحة، وأنه ألقي على كناسة بني إسرائيل، يرعى في جسده الدود، وتعبث به دواب بني إسرائيل، أو أنه أصيب بمرض الجدري، وأيوب ـ عليه صلوات الله وسلامه ـ أكرم على الله من أن يلقى على مزبلة، وأن يصاب بمرض ينفر الناس من دعوته، ويقززهم منه، وأي فائدة تحصل من الرسالة وهو على هذه الحال المزرية التي لا يرضاها الله لأنبيائه ورسله.

سقفاً في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها؟ هل تبلغ من حكمتك أن تجري نورها أو تسيّر نجومها أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها؟ أين أنت مني يوم نبعت الأنهار وسكرت البحار، أسلطانك حبسَ أمواج البحار على حدودها؟ أم قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها؟ أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال؟ هل تدري على أي شيء أرسيتها؟ وبأي مثقال وزنتها؟ أم هل لك من ذراع تطيق حملها؟ أم هل تدري من أين الماء الذي أنزلت من السماء؟ أم هل تدري من أي شيء أنشيء السحاب؟ أم هل تدري أين خزائن الثلج؟ أم أين جبال البرد أم أين خزانة الليل بالنهار [وخزانة النهار بالليل](١)؟ وأين خزانة الريح؟ وبأي لغة تتكلم الأشجار؟ ومن جعل العقول في أجواف الرجال؟ ومن شق الأسماع والأبصار؟ ومن ذلت الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته؟ وقسم الأرزاق بحكمته؟ في كلام كثير من آثار قدرته ذكرها لأيوب، فقال أيوب: صغر شأني وكَلَّ لساني وعقلي ورأيي وضعفت قوتي عن هذا الأمر الذي تعرض لي يا إلهي، قد علمت أن كل الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك وأعظم من ذلك وأعجب لو شئت عملت، لا يعجزك شيء ولا يخفى عليك خافية إذ لقيني البلاء، يا إلهي فتكلمت ولم أملك لساني وكان البلاء هو الذي أنطقني، فليت الأرض انشقت لي فذهبت فيها ولم أتكلم بشيء يسخط ربي، وليتني مت بغمي في أشد بلائي قبل ذلك، إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرني، وسكت حين سكت لترحمني، كلمة زلت مني فلن أعود، قد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني، وألصقت بالتراب خدي، أعوذ بك اليوم منك واستجيرك من جهد البلاء فأجرني، وأستغيث بك من عقابك فأغثني، وأستعين بك على أمري فأعني، وأتوكل عليك فاكفني، وأعتصم بك فاعصمني، وأستغفرك فاغفر لي، فلن أعود لشيء تكرهه مني، قال الله تعالى: يا أيوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك، ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية، وتكون عبرة لأهل البلاء وعزاء للصابرين، فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك وقرب عن أصحابك قرباناً فاستغفر لهم فإنهم قد عصوني فيك، فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فأذهب الله عنه كل ما كان به من البلاء، ثم خرج فجلس فأقبلت امرأته تلتمسه في مضجعه فلم تجده فقامت كالوالهة متلددة(٢)، ثم قالت: يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان هاهنا؟ قال لها: هل تعرفينه إذا رأيتيه؟ قالت: نعم ومالي لا أعرفه، فتبسم وقال: أنا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته. قال ابن عباس: فوالذي نفس عبد الله بيده ما فارقته من عناقه حتى مرّ

(١) زيادة من «ب».

(٢) متلددة: متلفتة يميناً وشمالاً.

بهما كل مال لهما وولد(1)، فذلك قوله تعالى: ﴿ **وأيوب إذ نادى ربه أنّي مسّني الضر** ﴾، واختلفوا في وقت ندائه والسبب الذي قال لأجله: أني مسني الضر، وفي مدة بلائه .

روى ابن شهاب عن أنس يرفعه أن أيوب لبث في بلائه ثماني عشرة سنة(2) .

وقال وهب: لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين لم يزد يوماً(3) .

وقال كعب: كان أيوب في بلائه سبع سنين وسبعة أشهر وسبع أيام .

وقال الحسن : مكث أيوب مطروحاً على كناسة في مزبلة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهراً تختلف فيه الدواب لا يقربه أحد غير رحمة صبرت معه بصدق وتأتيه بطعام وتحمد الله معه إذا حمد، وأيوب على ذلك لا يفتر عن ذكر الله والصبر على ابتلائه(4)، فصرخ إبليس صرخة جمع فيها جنوده من أقطارالأرض، فلما اجتمعوا إليه قالوا: ما حزنك؟ قال أعياني هذا العبد الذي لم أدع له مالاً ولا ولداً فلم يزد إلا صبراً، ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا يقربه إلا امرأته، فاستعنت بكم لتعينوني عليه، فقالوا له أين مكرك الذي أهلكت به من مضى؟ قال:بطل ذلك كله في أيوب فأشيروا عليّ قالوا نشير عليك، من أين أتيت آدم حين أخرجته من الجنة؟ قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصيها وليس أحد يقربه غيرها، قال:أصبتم، فانطلق حتى أتى امرأته وهي تصدق فتمثَّلَ لها في صورة رجل فقال: أين بعلكِ يا أمة الله؟ قالت هو ذاك يحك قروحه وتتردد الدواب في جسده، فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس إليها وذكَّرها ما كانت فيه من النعم والمال، وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضر وأن ذلك لا ينقطع عنهم أبداً، قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم أن قد جزعت فأتاها بسخلة وقال ليذبح هذه لي أيوب ويبرأ، فجاءت تصرخ يا أيوب حتى متى يعذبك ربك، أين المال، أين الولد، أين الصديق، أين لونك الحسن، أين جسمك [الحسن](5)، اذبح هذه السخلة واسترح، قال أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك ويلك أرأيت ما تبكين / عليه من المال والولد والصحة من أعطانيه؟ قالت الله، ٢٠/ب
قال فكم متعنا به؟ قالت ثمانين سنة، قال فمنذ كم ابتلانا؟ قالت منذ سبع سنين وأشهر، قال ويلك

(١) أخرجه الطبري: ١٧/٦٨-٦٩ .

(٢) أخرجه الحاكم: ٥٨١/٢ إلا أنه ذكر مدة البلاء خمس عشرة سنة، وابن حبان في موارد الظمآن ص ٥١١، وعزاه السيوطي: ٦٥٩/٥ لابن أبي الدنيا وأبي يعلي وابن جرير وابن أبي حاتم، وذكره ابن كثير ١٨٩/٣ من رواية ابن أبي حاتم عن أنس ابن مالك وقال: رفع هذا الحديث غريب جداً .

(٣) أخرجه الطبري: ٦٦/١٧ .

(٤) أخرجه الطبري: ٦٩/١٧ .

(٥) في «ب» الصحيح .

ما أنصفت ألا صبرت في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة، والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة آمرتيني أن أذبح لغير الله طعامك وشرابك الذي أتيتني به عليّ حرام [أو حرام عليّ][1] أن أذوق شيئاً مما تأتيني به بعد إذ قلت لي هذا، فاغز بي عني، فلا أراك فطردها فذهبت، فلما نظر أيوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق[2] خرّ ساجداً وقال: رب ﴿ **إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين** ﴾، فقيل له: ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها فلم يبق عليه من دائه شيء ظاهر إلا سقط وعاد إليه شبابه وجماله أحسن ما كان، ثم ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج فقام صحيحاً وكُسي حُلّة، قال: فجعل يلتفت فلا يرى شيئاً مما كان له من أهل ومال إلا وقد أضعفه الله حتى والله ذكر لنا أن الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جراداً من ذهب فجعل يضمه بيده، فأوحى الله إليه يا أيوب ألم أغنك؟ قال: بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها، قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف، ثم إن امرأته قالت أرأيتك إن كان طردني إلى من أَكِلهُ؟ أدعه يموت جوعاً ويضيع فتأكله السباع لأرجعنّ إليه فلا كناسة ترى ولا تلك الحالة التي كانت، وإذا الأمور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعين أيوب، وهابت صاحب الحلة أن تأتيه فتسأله عنه، فدعاها أيوب فقال: ما تريدين يا أمة الله؟ فبكت وقالت: أردت ذلك المبتلي الذي كان منبوذاً على الكناسة لا أدري أضاع أم ما فعل، فقال أيوب: ما كان منك فبكت، وقالت: بعلي، قال: فهل تعرفينه إذا رأيتيه؟ فقالت: وهل يخفى على أحد رآه؟ ثم جعلت تنظر إليه وهي تهابه، ثم قالت: أما أنه أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحاً، قال فإني أنا أيوب الذي أمرتني أن أذبح لإبليس، وإني أطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله سبحانه فردّ عليّ ما ترين[3] .

وقال وهب: لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين فلما غلب أيوب إبليس ولم يستطع منه شيئاً اعترض امرأته في هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس [من][4] مراكب الناس له عظم وبهاء وكمال، فقال لها: أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى؟ قالت: نعم، قال فهل تعرفيني؟ قالت: لا قال: أنا إله الأرض، وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت لأنه عبد إله السماء وتركني فأغضبني، ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك كل ما كان لكما من مال وولد، فإنه عندي ثم أراها إيّاهم ببطن الوادي الذي لقيها فيه، قال وهب: وقد سمعت

---

(١) زيادة من «ب» .

(٢) أخرجه الطبري: ١٧/٧٠-٧١ .

(٣) أخرجه الطبري: ١٧/٧١-٧٢ .

(٤) في «ب» في صورة .

أنه إنما قال لها لو أن صاحبك أكل طعاماً ولم يسم الله عليه لعوفي مما به من البلاء[1]، والله أعلم. وفي بعض الكتب: إن إبليس قال لها: اسجدي لي سجدة حتى أرد عليك المال والأولاد وأعافي زوجك، فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها [وما أراها][2] قال لقد أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك، ثم أقسم [إن عافاه الله][3] ليضربنّها مائة جلدة، وقال عند ذلك: مسني الضر من طمع إبليس في سجود حرمتي له، ودعائه إياها وإيّاي إلى الكفر، ثم إن الله عزّ وجلّ رحم [رحمة][4] امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء، وخفف عليها وأراد أن يبرّ يمين أيوب، فأمره أن يأخذ ضِغْثاً يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة كما قال الله تعالى: «وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث» (ص: ٤٤)، وروى أن إبليس اتخذ تابوتاً وجعل فيه أدوية وقعد على طريق امرأته يداوي الناس فمرت به امرأة أيوب فقالت [يا شيخ][4] إن ليس مريضاً أفتداويه؟ قال نعم [والله][4] لا أريد شيئاً إلا أن يقول إذا شفيته أنت شفيتني، فذكرت ذلك لأيوب فقال: هو إبليس قد خدعك، وحلف إن شفاه الله أن يضربها مائة جلدة .

وقال وهب وغيره: كانت امرأة أيوب تعمل للناس وتجيئه بقوته، فلما طال عليه البلاء وسئمها الناس فلم يستعملها أحد التمست له يوماً من الأيام ما تطعمه فما وجدت شيئاً فجزت قرناً من رأسها، فباعته برغيف فأتته به، فقال لها: أين قرنك؟ فأخبرته[5] فحينئذ قال: ﴿ **مسني الضر** ﴾ .

وقال قوم: إنما قال ذلك حين قصدت الدود إلى قلبه ولسانه فخشي أن يفتر عن الذكر والفكر .

وقال حبيب بن أبي ثابت: لم يدعُ الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة أشياء أحدها: قدم عليه صديقان حين بلغهما خبره فجاءا إليه ولم يبق له إلا عيناه ورأيا أمراً عظيماً فقالا: لو كان لَك عند الله منزلة ما أصابك هذا. والثاني: أن امرأته طلبت طعاماً فلم تجد ما تطعمه فباعت ذؤابتها وحملت إليه طعاماً. والثالث: قول إبليس إني أداويه على أن يقول أنتَ شفيتني .

وقيل: إن إبليس وسوس إليه أن امرأتك زنت فقطعت ذؤابتها فحينئذ عيل صبره، فدعا وحلف ليضربنّها مائة جلدة. وقيل: معناه مسني الضر من شماتة الأعداء. حتى روى أنه قيل له [بعدما

---

(١) أخرجه الطبري: ١٧/٦٦-٦٧ .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) في «ب» إن كان الله عافاه .

(٤) زيادة من «ب» .

(٥) ذكره الطبري: ١٧/٦٦ عن وهب بن منبه .

فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً

عُوفي][1] ما كان أشد عليك في بلائك قال: شماتة الأعداء. وقيل: قال ذلك حين وقعت دودة من فخذه فردها إلى موضعها.

وقال كلي: قد جعلني الله طعامك فعضته عضة زاد ألمها على جميع ما قاسى من عض الديدان. فإن قيل: إن الله سماه صابراً وقد أظهر الشكوى والجزع، بقوله: ﴿ **أني مسني الضر** ﴾، و(مسني الشيطان بنصب) (ص: ٤١)، قيل: ليس هذا شكاية إنما هو دعاء بدليل قوله تعالى: ﴿ **فاستجبنا له** ﴾، على أن الجزع إنما هو في الشكوى إلى الخلق فأما الشكوى إلى الله عزّ وجلّ فلا يكون جزعاً ولا تركُ صبرٍ كما قال يعقوب: (إنما / أشكو بثي وحزني إلى الله) (يوسف: ٨٦). قال سفيان بن عيينة: وكذلك من أظهر الشكوى إلى الناس وهو راض بقضاء الله لا يكون ذلك جزعاً كما روي أن جبريل دخل على النبي ﷺ في مرضه فقال: كيف تجدك؟ قال: «أجدني مغموماً وأجدني مكروباً»[2]. ٢١/أ

وقال لعائشة حين قالت وارأساه، «بل أنا وارأساه»[3].

قوله عز وجل: ﴿ **فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرّ** ﴾، وذلك أنه قال اركض برجلك فركض برجله فنبعت عينُ [ماء][1]، فأمره أن يغتسل منها ففعل فذهب كلُ داء كان بظاهره، ثم مشى أربعين خطوة فأمره أن يضرب برجله الأرض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد، فأمره فشرب منها فذهب كل داء كان بباطنه فصار كأصح ما يكون من الرجال وأجملهم.

﴿ **وآتيناه أهله ومثلهم معهم** ﴾، واختلفوا في ذلك، فقال ابن مسعود وقتادة، وابن عباس، والحسن، وأكثر المفسرين: ردّ الله عزّ وجلّ إليه أهله وأولاده بأعيانهم أحياهم الله له وأعطاه مثلهم معهم، وهو ظاهر القرآن[4].

قال الحسن: آتاه الله المثل من نسل ماله الذي رده الله [إليه وأهله][5]، يدل عليه ما روى

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) قطعة من حديث طويل أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: ١٣٩/٣، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٣٥/٩ «فيه عبد الله ابن ميمون القداح، وهو ذاهب الحديث».

(٣) أخرجه البخاري في المرضى، باب: ما رخص للمريض أن يقول: أني وجع، أو وارأساه...: ١٢٣/١٠.

(٤) أخرج الطبري هذه الأقوال: ٧٢/١٧-٧٣.

(٥) ساقط من «ب».

﴿مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ۝٨٤﴾

الضحاك وابن عباس أن الله عزّ وجلّ ردّ إلى المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكراً[١].

قال وهب كان له سبع بنات وثلاثة بنين.

وقال ابن يسار: كان له سبع بنين وسبع بنات.

وروى عن أنس يرفعه: أنه كان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله عزّ وجلّ سحابتين فأفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض[٢].

وروى أن الله تعالى بعث إليه ملكاً وقال: إن ربك يقرئك السلام بصبرك فاخرج إلى أندرك، فخرج إليه فأرسل الله عليه جراداً من ذهب فطارت واحدة فاتبعها وردها إلى أندره، فقال له الملك: أما يكفيك ما في أندرك؟ فقال هذه بركة من بركات ربي ولا أشبع من بركته[٣].

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أخبرنا محمد بن الحسين القطان، أخبرنا أحمد بن يوسف السلمي، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن هام بن منبه، قال: أخبرنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أيوب يغتسل عرياناً خرّ عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحثي في ثوبه، فناداه ربها [يا أيوب][٤] ألم أكن أغنيك عما ترى؟ قال: بلى يارب وعزتك، ولكن لا غنى لي عن بركتك»[٥]. وقال قوم: آتى الله أيوب في الدنيا مثل أهله الذين هلكوا فأما الذين هلكوا فإنهم لم يُردوا عليه في الدنيا[٦]. قال عكرمة: قيل لأيوب: إن أهلك لك في الآخرة فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا وإن شئت كانوا لك في الآخرة، وآتيناك مثلهم في الدنيا فقال يكونون لي في الآخرة، وأوتى مثلهم في الدنيا[٧]، فعلى هذا يكون معنى الآية: وآتيناه أهله في الآخرة ومثلهم معهم في الدنيا وأراد بالأهل الأولاد، ﴿ **رحمة من عندنا** ﴾، أي نعمة من عندنا، ﴿ **وذكرى للعابدين** ﴾، أي: عظة وعبرة لهم.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥/٦٦٠ لابن مردوية وابن عساكر من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الحاكم: ٢/٥٨١-٥٨٢ وصححه على شرط الشيخين.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥/٦٦٠ لابن مردوية وابن عساكر من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس.

(٤) زيادة من «ب».

(٥) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب: قول الله تعالى: (وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر...) ٦/٤٢٠، والمصنف في شرح السنة: ٨/٧.

(٦) ذكره الطبري: ١٧/٧٢.

(٧) أخرجه الطبري: ١٧/٧٢.

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٨٥﴾

قوله عز وجل: ﴿ **وإسماعيل** ﴾، يعني ابن إبراهيم، ﴿ **وإدريس** ﴾، وهو أخنوخ، ﴿ **وذا الكفل كل من الصابرين** ﴾، على أمر الله، واختلفوا في ذا الكفل.

قال عطاء: إن نبياً من أنبياء بني إسرائيل أوحى الله إليه أني أريد قبض روحك فاعرض ملكك على بني إسرائيل فمن تكفل لك أنه يصلي بالليل لا يفتر، ويصوم بالنهار ولا يفطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فادفع ملكك إليه ففعل ذلك، فقام شاب فقال: أنا أتكفل لك بهذا فتكفل، ووفّى به فشكر الله له ونبأه فسمي ذا الكفل[(١)].

وقال مجاهد: لما كبر الْيَسع قال: [لو][(٢)] أني أستخلف رجلاً على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل، قال: فجمع الناس فقال: من يتقبل مني بثلاث أستخلفه: يصوم النهار ويقوم الليل، ولا يغضب، فقام رجل تزدريه العين، فقال: أنا فردّه ذلك اليوم، وقال مثلها اليوم الآخر فسكت الناس، وقام ذلك الرجل فقال: أنا، فاستخلفه فأتاه إبليس في صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقائلة، وكان لا ينام بالليل [والنهار][(٢)] إلا تلك النومة فدق الباب، فقال: من هذا؟ قال: شيخ كبير مظلوم، فقام ففتح الباب فقال: إن بيني وبين قومي خصومة، وإنهم ظلموني، وفعلوا وفعلوا فجعل يطوِّل حتى حضر الرواح، وذهب القائلة، فقال: إذا رحت فائتني [فإني][(٢)] أخذ حقك، فانطلق وراح، فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره، فقام يبتغيه فلما كان الغد جلس يقضي بين الناس وينتظره فلا يراه، فلما رجع إلى القائلة فأخذ مضجعه أتاه فدق الباب، فقال: من هذا؟ فقال: الشيخ المظلوم ففتح [له الباب][(٣)] فقال: ألم أقل لك إذا قعدت فائتني؟ فقال: إنهم أخبث قوم إذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك وإذا قمت جحدوني، قال: فانطلق فإذا رحت فائتني، ففاتته القائلة وراح فجعل ينظر فلا يراه فشق عليه النعاس، فقال لبعض أهله: لا تدعن أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام فإنه قد شق عليّ النوم، فلما كان تلك الساعة جاء فلم يأذن له الرجل، فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها، فإذا هو في البيت يدق الباب من داخل، فاستيقظ فقال: يا فلان ألم آمرك، فقال: أما من قبلي فلم تؤت فانظر من أين أُتيت، فقام إلى الباب فإذا هو مغلق كما أغلقه، وإذا الرجل معه في البيت، فقال: أتنام والخصومُ ببابك؟ فعرفه فقال: أعدو

---

(١) انظر زاد المسير: ٥/٣٧٩-٣٨٠.

(٢) ساقط من «أ».

(٣) ساقط من «ب».

﴿ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٦) وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ ﴾

الله؟ قال: نعم أعييتني ففعلت ما ترى لأغضبك فعصمك الله، فسمي ذا الكفل لأنه تكفل بأمر فوفّى به[(١)].

وقيل: إن إبليس جاءه وقال: إن لي غريماً يمطلني فأحب أن تقوم معي وتستوفي حقي منه، فانطلق معه حتى إذا كان في السوق خلاه وذهب. وروى: أنه اعتذر إليه. وقال: إن صاحبي هرب.

وقيل: إن ذا الكفل رجل كفل أن يصلي كل ليلة مائة ركعة/ إلى أن يقبضه الله فوفى به. ٢١/ب

واختلفوا في أنه كان نبياً، فقال بعضهم: كان نبياً[(٢)]. وقيل: هو إلياس. وقيل: زكريا. وقال أبو موسى: لكم يكن نبياً ولكن كان عبداً صالحاً[(٣)].

﴿ **وأدخلناهم في رحمتنا** ﴾، يعني ما أنعم الله عليهم من النبوة وصيرهم إليه في الجنة من الثواب، ﴿ **إنهم من الصالحين** ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ **وذا النون** ﴾، أي: اذكر صاحب الحوت وهو يونس بن متى، ﴿ **إذْ ذهب مغاضباً** ﴾، اختلفوا في معناه:.

فقال الضحاك: مغاضباً لقومه، وهو رواية العوفي وغيره عن ابن عباس، قال: كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة أسباط ونصفاً وبقي سبطاً ونصف، فأوحى الله إلى شعياء النبي أنْ سرْ إلى حزقيا الملك، وقل له حتى يوجه نبياً قوياً فإني ألقي [الرعب][(٤)] في قلوب أولئك حتى يرسلوا معه بني إسرائيل، فقال له الملك فمن ترى، وكان في مملكته خمسة من، الأنبياء، فقال يونس: إنه قوي أمين فدعا الملك يونس فأمره أن يخرج، فقال له يونس: هل أمرك الله بإخراجي؟ قال: لا، قال: فهل سماني لك؟ قال: لا، قال: فهاهنا غيري أنبياء أقوياء، فألحوا

---

(١) أخرجه الطبري: ١٧/٧٤.

(٢) قال ابن كثير: ٣/١٩١ (... وأما ذو الكفل فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي، وقال آخرون: إنما كان رجلاً صالحاً وكان ملكاً عادلاً وحكماً مقسطاً، وتوقف ابن جرير في ذلك فالله أعلم).

وقال ابن جرير: ١٧/٧٣ (... وبذي الكفل: رجلاً تكفل من بعض الناس، إما من نبي وإما من ملك من صالحي الملوك بعمل من الأعمال، فقام به من بعده، فأثنى الله عليه حسن وفائه بما تكفل به، وجعله من المعدودين في عباده، مع حمد صبره على طاعة الله، وبالذي قلنا في أمره جاءت الأخبار عن سلف العلماء).

(٣) أخرجه الطبري: ١٧/٧٥.

(٤) ساقط من «أ».

عليه فخرج من بينهم مغاضباً للنبي وللملك، ولقومه فأتى بحر الروم فركبه[١] .

وقال عروة بن الزبير وسعيد بن جبير وجماعة: ذهب عن قومه مغاضباً لربه إذ كشف عن قومه العذاب بعدما أوعدهم، وكره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما أوعدهم، واستحيا منهم، ولم يعلم السبب الذي به رفع العذاب، وكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده، وأنه يسمى كذاباً لا كراهية لحكم الله تعالى[٢] .

وفي بعض الأخبار أنه كان من عادة قومه أن يقتلوا من جبروا عليه الكذب فخشي أن يقتلوه لما لم يأتهم العذاب للميعاد، فغضب، والمغاضبة هاهنا كالمفاعلة التي تكون من واحد، كالمسافرة والمعاقبة، فمعنى قوله مغاضباً أي غضبان .

وقال الحسن: إنما غاضب ربَّه عزّ وجلّ من أجل أنه أمره بالمسير إلى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم إليه، فسأل ربّه أن ينظره ليتأهب للشخوص إليهم، فقيل له إن الأمر أسرع من ذلك حتى سأل أن ينظر إلى أن يأخذ نعلاً يلبسها فلم ينظر[٣]، وكان في خلقه ضيق [فذهب مغاضباً][٤] .

وعن ابن عباس، قال: أتى جبريل يونس فقال: انطلق إلى أهل نينوى فأنذرهم، قال: ألتمس دابة قال: الأمر أعجل من ذلك، فغضب فانطلق إلى السفينة .

وقال وهب بن منبه: إن يونس بن متى كان عبداً صالحاً وكان في خلقه ضيق، فلما حمل عليه أثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع[٥] تحت الحمل الثقيل فقذفها من يده، وخرج هارباً منها، فلذلك أخرجه الله من أولي العزم من الرسل وقال لنبيه [محمد ﷺ][٤]: (فاصبرْ كما صبر أولو العزم من الرسل) (الأحقاف: ٣٥)، وقال: (ولا تكن كصاحب الحوت)[٦] (القلم: ٤٨).

---

(١) انظر زاد المسير: ٣٨١/٥

(٢) سبق تخريجه (سورة يونس) .

(٣) انظر الطبري: ٧٧/١٧ .

(٤) ما بين القوسين زيادة من «ب» .

(٥) ولد الناقة أول ما يُحمل عليه .

(٦) أخرج القولين الطبري: ٧٧/١٧ـ٧٨ ثم قال:

(وليس في واحد من هذين القولين من وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه شيء إلا وهو دون ما وصفه بما وصفه الذين قالوا: ذهب مغاضباً لقومه، لأن ذهابه عن قومه مغاضباً لهم، وقد أمره الله تعالى بالمقام بين أظهرهم، ليبلغهم رسالته، ويحذرهم بأسه وعقوبته على تركهم الإيمان به والعمل بطاعته لاشك أن فيه ما فيه، ولولا أنه قد كان صلى الله عليه وسلم أتى ما قاله الذين وصفوه بإتيان الخطيئة، لم يكن الله تعالى ذكره ليعاقبه العقوبة التي ذكرها في كتابه، ويصفه بالصفة التي وصفه بها، فيقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: (ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم) ويقول: (فالتقمه الحوت وهو مليم، فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون) .

﴿مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿ فظنّ أن لن نقدر عليه ﴾، أي لن نقضي بالعقوبة، قاله مجاهد وقتادة والضحاك والكلبي، وهو رواية العوفي عن ابن عباس يقال: قدَّر الله الشيءَ تقديراً وقَدَر يَقْدُر قدْراً بمعنى واحد، ومنه قوله: (نحن قدرنا بينكم الموت) (الواقعة: ٦٠) في قراءة من قرأها بالتخفيف، دليل هذا التأويل قراءة عمر بن عبد العزيز والزهري: ﴿ فظن أن لن نقدّر عليه ﴾، بالتشديد، وقال عطاء وكثير من العلماء: معناه فظن أن لن نضيق عليه الحبس، من قوله تعالى: (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) (الرعد: ٢٦)، أي يضيق. وقال ابن زيد: هو استفهام معناه: أفظن أنه يُعجزُ ربَّه، فلا يقدر عليه. وقرأ يعقوب يُقدر [بضم الياء](١) على المجهول خفيف.

وعن الحسن قال: بلغني أن يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضباً لربه واستزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه، وكان له سلف وعبادة فأبى الله أن يدعه للشيطان، فقذفه في بطن الحوت فمكث فيه أربعين من بين يوم وليلة(٢). وقال عطاء: سبعة أيام [وقيل: ثلاثة أيام](٣). وقيل: إن الحوت ذهب به مسيرة ستة آلاف سنة. وقيل: بلغ به تخوم الأرض السابعة فتاب إلى ربه تعالى في بطن الحوت، وراجع نفسه فقال: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، حين عصيتك وما صنعت من شيء فلن أعبد غيرك فأخرجه الله من بطن الحوت برحمته، والتأويلات المتقدمة أولى بحال الأنبياء أنه ذهب مغاضباً لقومه أو للملك، ﴿ فنادى في الظلمات ﴾، أي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت، ﴿ أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾.

وروي عن أبي هريرة مرفوعاً: أوحى الله إلى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحماً ولا تكسر له عظماً، فأخذه ثم هوى به إلى مسكنه في البحر، فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حساً فقال في نفسه ما هذا؟ فأوحى الله إليه: أن هذا تسبيح دواب البحر، قال: فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه، فقالوا: يا ربنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة، وفي رواية صوتاً معروفاً من مكان مجهول، فقال: ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت، فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح؟ قال: نعم فشفعوا له، عند ذلك

(١) زيادة من «ب».
(٢) أخرجه الطبري: ٧٩/١٧.
(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾

فأمر الحوت فقذفه في الساحل[1]، كما قال الله تعالى: (فنبذناه بالعراء وهو سقيم) (الصافات: ١٤٥).

فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ **فاستجبنا له** ﴾، يعني: أجبناه، ﴿ **ونجيناه من الغم** ﴾، من تلك الظلمات، ﴿ **وكذلك ننجي المؤمنين** ﴾، من كل كرب إذا دعونا واستغاثوا بنا، قرأ ابن عامر وعاصم برواية أبي بكر: ﴿ **نُجّي** ﴾ بنون واحدة وتشديد الجيم وتسكين الياء لأنها مكتوبة في المصحف بنون واحدة، واختلف النجاة في هذه القراءة، فذهب أكثرهم إلى أنها لحن لأنه لو كان على ما لم يسم فاعله لم تسكن الياء ورفع المؤمنون، ومنهم من صوبها، وذكر الفراء أن لها وجهاً آخر وهو إضمار المصدر، أي نجا النجاء المؤمنين، ونصب المؤمنين كقولك: ضرب الضرب زيداً، ثم تقول ضرب زيداً بالنصب على إضمار المصدر، وسكن الياء في ﴿**نجي**﴾ كما يسكنون في بقي ونحوها، قال القتيبي: من قرأ بنون واحدة والتشديد فإنما أراد ننجي من التنجية إلّا أنه أدغم وحذف نوناً طلباً
٢٢/أ للخفة ولم/يرضه النحويون لبعد مخرج النون من الجيم، والإدغام يكون عند قرب المخرج، وقراءة العامة ﴿**ننجي**﴾ بنونين من الإنجاء، وإنما كتبت بنون واحدة لأن النون الثانية كانت ساكنة والساكن غير ظاهر على اللسان فحذفت كما فعلوا في إلّا حذفوا النون من إن لخفائها[2]، واختلفوا في أن رسالة يونس متى كانت؟ فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: كانت بعد أن أخرجه الله من بطن الحوت، بدليل أن الله عزّ وجلّ ذكره في سورة الصافات، (فنبذناه بالعراء) (الصافات: ١٤٥)، ثم ذكر بعده: (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) (الصافات: ١٤٧)، وقال الآخرون: إنها كانت من قبل بدليل قوله تعالى: (وإن يونس لمن المرسلين إذْ أبق إلى الفُلْكِ المشحون) (الصافات: ١٣٩-١٤٠).

قولهُ عزّ وجلّ: ﴿ **وزكريا إذْ نادى ربَّه** ﴾، دعا ربَّه، ﴿ **ربِّ لا تذرني فرداً** ﴾، وحيداً لا ولد لي وارزقني وارثاً، ﴿ **وأنت خير الوارثين** ﴾، ثناء على الله بأنه الباقي بعد فناء الخلق وأنه أفضل من بقي حياً.

---

(١) أخرجه الطبري: ٨١/١٧، وقال الهيثمي في المجمع: ٩٨/٧ رواه البزار عن بعض أصحابه ولم يسمه، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات. وانظر تفسير ابن كثير: ١٩٣/٣، البداية والنهاية: ٢٣٤/١.

(٢) ذكر هذه الوجوه في القراءات الطبري: ٨٢/١٧ ثم قال: (والصواب من القراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار، من قراءته بنونين، وتخفيف الجيم لإجماع الحجة من القراء عليها، وتخطئتها خلافه).

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢﴾

﴿ **فاستجبنا له ووهبنا له يحيى** ﴾، ولداً ﴿ **وأصلحنا له زوجه** ﴾، أي جعلناها ولوداً بعد ما كانت عقيماً، قاله أكثر المفسرين، وقال بعضهم: كانت سيئة الخلق فأصلحها له بأن رزقها حسن الخلق. ﴿ **إنّهم** ﴾، يعني الأنبياء الذين سمّاهم في هذه السورة، ﴿ **كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً** ﴾، طمعاً، ﴿ **ورهباً** ﴾، خوفاً، رغباً في رحمة الله، ورهباً من عذاب الله، ﴿ **وكانوا لنا خاشعين** ﴾، أي متواضعين، قال قتادة: ذللاً لأمر الله. قال مجاهد: الخشوع هو الخوف اللازم في القلب.

﴿ **والتي أحصنتْ فرجَها** ﴾، حفظت من الحرام، وأراد مريم بنت عمران، ﴿ **فنفخنا فيها من روحنا** ﴾، أي أمرنا جبرائيل حتى نفخ في جيب درعها، وأحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها، وأضاف الروح إليه تشريفاً لعيسى عليه السلام، ﴿ **وجعلناها وابنها آية للعالمين** ﴾، أي دلالة على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب، ولم يقل آيتين وهما آيتان لأن معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية ولأن الآية كانت فيهما واحدة، وهى أنها أتت به من غير فحل.

قوله عز وجل: ﴿ **إنّ هذه أمتكم** ﴾، أي ملتكم ودينكم، ﴿ **أمة واحدة** ﴾، أي ديناً واحداً وهو الإسلام، فأبطل ما سوى الإسلام من الأديان، وأصل الأمة الجماعة التي هى على مقصد واحد فجعلت الشريعة أمة واحدة لاجتماع أهلها على مقصد واحد، ونصب أمة على القطع. ﴿ **وأنا ربكم فاعبدون** ﴾.

﴿ **وتقطعوا أمرهم بينهم** ﴾، أي اختلفوا في الدين فصاروا فرقاً وأحزاباً، قال الكلبي: [فرّقوا دينهم بينهم][1] يلعن بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض، والتقطع هاهنا بمعنى التقطيع، ﴿ **كلّ إلينا راجعون** ﴾، فنجزيهم بأعمالهم.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ٩٣ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ٩٤ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٩٥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾

﴿ **فمنْ يعملْ من الصالحات وهو مؤمن فلا كُفْرانَ لسعيه** ﴾، لا يُجحد ولا يبطل سعيهُ بل يُشكر ويُثاب عليه، ﴿ **وإنّا له كاتبون** ﴾، لعمله حافظون، وقيل: معنى الشكر من الله المجازاة .

﴿ **وحرام على قرية** ﴾، قرأ حمزة والكسائيُ وأبو بكر: ﴿ **وحِرْمٌ** ﴾، بكسر الحاء بلا ألف، وقرأ الباقون بالألف ﴿ **حرام** ﴾ وهما لغتان مثل حلّ وحلال .

قال ابن عباس: معنى الآية وحرام على قرية أي أهل قرية، ﴿ **أهلكناها** ﴾، أن يرجعوا بعد الهلاك، فعلى هذا تكون ﴿ **لا** ﴾ صلة، وقال آخرون: الحرام بمعنى الواجب، فعلى هذا تكون ﴿ **لا** ﴾ ثابتاً معناه واجب على أهل قرية أهلكناهم ﴿ **أنهم لا يرجعون** ﴾، إلى الدنيا .

وقال الزجاج: معناه وحرام على أهل قرية أهلكناهم أي حكمنا بهلاكهم أن تتقبل أعمالهم لأنهم لا يرجعون أي لا يتوبون، والدليل على هذا المعنى أنه قال في الآية التي قبلها: (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) أي يتقبل عمله، ثم ذكر هذه الآية عقيبه وبين أن الكافر لا يتقبل عمله .

قوله عز وجل: ﴿**حتى إذا فُتحتْ**﴾، قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب: ﴿**فُتّحت**﴾ بالتشديد على التكثير، وقرأ الآخرون بالتخفيف، ﴿ **يأجوج ومأجوج** ﴾، يريد فتح السدّ عن يأجوج ومأجوج، ﴿ **وهم من كل حَدَبٍ** ﴾، أي نشز وتل، والحدب المكان المرتفع، ﴿ **ينسلون** ﴾، يسرعون النزول من الآكام والتلال كنسلان الذئب، وهو سرعة مشيه، واختلفوا في هذه الكناية، فقال قوم: عنى بهم يأجوج ومأجوج بدليل ما روينا عن النواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون»[1] وقال قوم: أراد جميع الخلق يعني أنهم يخرجون من قبورهم، ويدل عليه قراءة مجاهد وهم من كل جدث بالجيم والثاء كما قال: (فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون) (يونس: ٥١) .

---

(١) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال برقم (٢١٣٧) ٤/٢٢٥٠-٢٢٥٥ .

﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني، أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أخبرنا مسلم بن حجاج، أخبرنا أبو خيثمة زهير ابن حرب، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن فرات القزاز، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: اطَّلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكرُ، فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى ترَوْا قبلها عشرَ آيات، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسفٌ بالمغرف وخسفٌ بالمشرق وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»[1].

قوله عز وجل: ﴿واقترب الوعد الحق﴾، يعني القيامة، قال الفراء وجماعة: الواو في قوله واقترب [مقحمة فمعناه حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب][2] الوعد الحق، كما قال الله تعالى: (فلما أسلما وتله للجبين وناديناه) (الصافات: ١٠٣) أي ناديناه، والدليل عليه ما روي عن حذيفة قال: لو أن رجلاً اقتنى فلواً بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة[3]. وقال قوم: لا يجوز طرح الواو، وجعلوا جواب حتى إذا فتحت في قوله ياويلنا، فيكون مجاز الآية. حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب الوعد الحق، قالوا: يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا. قوله: ﴿فإذا هي شاخصةٌ أبصار الذين كفرُوا﴾، وفي قوله «هي» ثلاثة أوجه:

٢٢/ب أحدها: أنها كناية عن الإبصار. ثم أظهر الإبصار بياناً، معناه فإذا / الأبصار شاخصة أبصار الذين كفروا.

والثاني: أنّ «هي» تكون عماداً كقوله: (فإنها لا تعمى الأبصار) (الحج: ٤٦).

والثالث: أن يكون تمام الكلام عند قوله: «هي»، على معنى فإذا هي بارزة يعني من قربها كأنها حاضرة، ثم ابتدأ: ﴿شاخصة أبصار الذين كفروا﴾، على تقديم الخبر على الابتداء، مجازها أبصار الذين كفروا شاخصة. قال الكلبي: شخصت أبصار الكفار فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم وهوله، يقولون، ﴿يا ويلنا قد كنّا في غفلة من هذا﴾، اليوم، ﴿بل كنّا ظالمين﴾، بوضعنا

---

(١) أخرجه مسلم في الفتن، باب الآيات التي تكون قبل الساعة برقم (٢٩٠١) ٤/٢٢٢٥، والمصنف في شرح السنة: ١٥/٤٥.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) أخرجه الطبري: ١٧/٩٢.

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ
(٩٨) لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٩٩) لَهُمْ
فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ

العبادة في غير موضعها.

﴿ **إنّكم** ﴾ أيها المشركون ﴿ **وما تعبدون من دون الله** ﴾، يعني الأصنام، ﴿ **حصب جهنّم** ﴾، أي وقودها. وقال مجاهد وقتادة: حطبها، والحصب في لغة أهل اليمن: الحطب. وقال عكرمة: هو الحطب بلغة الحبشة. قال الضحاك: يعني يرمون بهم في النار كما يرمي بالحصباء. وأصل الحصب الرمي، قال الله عزّ وجلّ: (أرسلنا عليهم حاصباً) (القمر: ٣٤) أي ريحاً ترميهم بحجارة، وقرأ علي ابن أبي طالب: حطب جهنم، ﴿ **أنتم لها واردون** ﴾، أي فيها داخلون.

﴿ **لو كان هؤلاء** ﴾، يعني الأصنام، ﴿ **آلهة** ﴾ على الحقيقة، ﴿ **ما وردوها** ﴾، أي ما دخل عابدوها النار، ﴿ **وكل فيها خالدون** ﴾، يعني العابد والمعبودين.

﴿**لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون**﴾، قال ابن مسعود: في هذه الآية إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى [ثم تلك التوابيت في توابيت أخر][1] عليها مسامير من نار، فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب غيره، ثم استثنى فقال: . .

﴿ **إن الذين سبقت لهم منّا الحسنى** ﴾ ، قال بعض أهل العلم: إنّ هاهنا بمعنى: إلّا الذين سبقت لهم منّا الحسنى، يعني السعادة والعِدَة الجميلة بالجنة، ﴿ **أولئك عنها مبعدون** ﴾، قيل: الآية عامة في كل من سبقت لهم من الله السعادة. وقال أكثر المفسرين: عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره، وذلك أن رسول الله ﷺ دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثمانمائة وستون صنماً فعرض له النضر بن الحارث، فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه ثم تلا عليه: ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم** ﴾، الآيات الثلاثة، ثم قام فأقبل عبد الله بن الزبعري السهمي فأخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله ﷺ فقال عبد الله: أمَا والله لو وجدته لخصمته، فدعوا رسول الله ﷺ فقال له ابن الزبعري: أنت قلت:

---

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».

أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ
أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ

«إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم»؟ قال: نعم، قال: أليست اليهود تعبد عزيراً والنصارى تعبد المسيح، وبنو مليح يعبدون الملائكة؟ فقال النبي ﷺ: بل هم يعبدون الشياطين فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ **إن الذين سبقت لهم منّا الحسنى** ﴾[1]، يعني عزيراً والمسيح والملائكة، ﴿ **أولئك عنها مبعدون** ﴾ ، وأنزل في ابن الزبعري: (ما ضربوه لك إلّا جدلاً بل هم قوم خَصِمُون) (الزخرف: ٥٨)، وزعم جماعة أن المراد من الآية الأصنام، لأن الله تعالى قال: ﴿ **وما تعبدون من دون الله** ﴾، ولو أراد به الملائكة والناس لقال ومن تعبدون من دون الله[2] .

﴿ **لا يسمعون حسيسها** ﴾، يعني صوتها وحركة تلهبها إذا نزلوا منازلهم في الجنة، والحسّ والحسيس: الصوت الخفي: ﴿ **وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون** ﴾، مقيمون كما قال: (وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين) (الزخرف: ٧١) .

﴿ **لا يحزنهم الفزعُ الأكبر** ﴾، قال ابن عباس: الفزع الأكبر: النفخة الأخيرة بدليل قوله عزّ وجلّ: (ويوم يُنفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض) (النمل: ٨٧)، قال الحسن: حتى يؤمر بالعبد إلى النار. وقال ابن جريج: حين يذبح الموت ويُنادى يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت. وقال سعيد بن جبير والضحاك: هو أن تطبق عليهم جهنم وذلك بعد أن يُخرج الله منها من يريد أن يخرجه[3]. ﴿ **وتتلقاهم الملائكة** ﴾، أي تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنؤونهم، ويقولون: ﴿ **هذا يومكم الذي كنتمُ توعدون** ﴾ .

---

(١) قال ابن حجر في الكافي الشاف: ص (١١١) ذكره الثعلبي ثم البغوي بغير إسناد، ولم أجده هكذا إلا ملفقاً، فأما صدره ففي الطبراني الصغير من حديث ابن عباس... وأما قوله: وكانت صناديد قريش، فقصة أخرى ذكرها ابن إسحاق في المغازي والطبري من طريق ابن عباس، وروى ابن مردوية والواحدي عن ابن عباس قال: لما نزلت (إنكم وما تعبدون من دون الله) شق ذلك على قريش... فذكر نحوه .

انظر الطبري: ٩٧/١٧، أسباب النزول للواحدي: ص ٣٥٣ــ٣٥٤، مجمع الزوائد: ٦٨/٧ــ٦٩ .

(٢) قال ابن حجر في الكافي الشاف: ص ١١١ــ١١٢ اشتهر في السنة كثير من علماء العجم وفي كتبهم أن النبي ﷺ قال: ما أجهلك بلغة قومك، فإني قلت: (وما تعبدون) وهي لما لا يعقل، ولم أقل ومن تعبدون أ.هـ .

وهو شيء لا أصل له ولا يوجد لا مسنداً ولا غير مسند .

(٣) أخرج هذه الأقوال الطبري: ٩٨/١٧ــ٩٩، ثم رجح قائلاً:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: ذلك عند النفخة الآخرة، وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفزع الأكبر، وأمن منه، فهو مما بعده أحرى أن لا يفزع، وأن من أفزعه ذلك فغير مأمون عليه الفزع مما بعده .

﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ١٠٣ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥﴾

﴿ **يوم نطوي السماء** ﴾، قرأ أبو جعفر: ﴿ **تُطوى** ﴾ بالتاء وضمها وفتح الواو، ﴿ **والسماء** ﴾، رفع على المجهول، وقرأ العامة بالنون وفتحها وكسر الواو، ﴿**والسماء**﴾ نصب، ﴿**كطي السجل للكتب** ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم للكتب على الجمع، وقرأ الآخرون للكتاب على الواحد، واختلفوا في السجل، فقال السدي: السجل ملك يكتب أعمال العباد، واللام زائدة، أي كطي السجل الكتب كقوله (ردف لكم) (النمل: ٧٢)، اللام فيه زائدة، وقال ابن عباس ومجاهد والأكثرون: السجل الصحيفة للكتب أي لأجل ما كتب معناه كطي الصحيفة على مكتوبها، والسجل اسم مشتق من المساجلة وهى المكاتبة، والطي هو الدرج الذي هو ضد النشر، ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده** ﴾، أي كما بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلاً كذلك نعيدهم يوم القيامة، نظيره قوله تعالى: (ولقد جئتمونا فُرادىَ كما خلقناكم أول مرة) (الأنعام: ٩٤)، وروي عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إنكم محشورون حفاةً عراةً غرلاً»، ثم قرأ: ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده** ﴾[(١)]، ﴿ **وعداً علينا إنّا كنا فاعلين** ﴾، يعني الإعادة والبعث .

قوله عز وجل: ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر** ﴾، قال سعيد بن جبير ومجاهد: الزبور جميع الكتب المنزلة، والذكر أمّ الكتاب الذي عنده، والمعنى من بعد ما كتب ذكره في اللوح المحفوظ .

وقال ابن عباس والضحاك: الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة .

وقال الشعبي. الزبور كتاب داود، [والذكر التوارة. وقيل: الزبور زبور داود][(٢)] والذكر
٢٣/أ القرآن، وبعد بمعنى قبل، كقوله تعالى: (وكان وراءهم ملك) (الكهف: ٧٩): أي أمامهم / ، (والأرض بعد ذلك دحاها) (النازعات: ٣٠) قبله، ﴿ **أنّ الأرض** ﴾، يعني أرض الجنة، ﴿ **يرثها عبادي الصالحون** ﴾، قال مجاهد: يعنى أمة محمد ﷺ دليله قوله تعالى: (وقالوا الحمد لله الذي

---

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) ٦/٣٨٦، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة برقم (٢٨٦٠) ٤/٢١٩٤ والمصنف في شرح السنة: ١٥/١٢٢-١٢٣ .

(٢) ما بين القوسين زيادة من «ب» .

إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ
﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ
﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾

صدقنا وَعْدَه وأورثنا الأرض) (الزمر: ٧٤)، وقال ابن عباس: أراد أن أراضي الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله بإظهار الدين وإعزاز المسلمين. وقيل: أراد بالأرض الأرضَ المقدسة .

﴿ **إنّ في هذا** ﴾، أي في هذا القرآن، ﴿ **لبلاغاً** ﴾، وصولاً إلى البغية، أي من اتبع القرآن وعمل به وصل إلى ما يرجوه من الثواب. وقيل: بلاغاً أي كفاية. يقال في هذا الشيء بلاغ وبُلغة أي كفاية، والقرآن زادُ الجنةِ كبلاغ المسافر، ﴿ **لقوم عابدين** ﴾، أي المؤمنين الذين يعبدون الله، وقال ابن عباس: عالمين. وقال كعب الأحبار: هم أمة محمد ﷺ أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان .

﴿ **وما أرسلناك إلّا رحمةً للعالمين** ﴾، قال ابن زيد: يعني رحمة للمؤمنين خاصة فهو رحمة لهم. [وقال ابن عباس: هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمةٌ له][(١)] في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب عنهم ورفع المسخ والخسف والاستئصال عنهم، وقد قال النبي ﷺ: «إنّما أنّا رحمةٌ مهداة»[(٢)] .

﴿ **قل إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إلهٌ واحد فهل أنتم مسلمون** ﴾، أي أسلِمُوا .

﴿ **فإن تولوا فقل آذنتكم** ﴾، أي أعلمتكم بالحرب وأنْ لا صلح بيننا، ﴿ **على سواء** ﴾، أي إنذار بيِّن يستوي في علمه لا استيذاناً به دونكم لتتأهبوا لما يُراد بكم، أي آذنتكم على وجه نستوي نحن وأنتم في العلم به، وقيل: لتستووا في الإيمان، ﴿ **وإنْ أدري** ﴾، أي وما أعلم. ﴿ **أقريّب أم بعيدٌ ما توعدون** ﴾، يعني القيامة .

---

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب» .

(٢) أخرجه الدارمي عن أبي صالح مرسلاً، في المقدمة، باب كيف كان أول شأن النبي ﷺ ١/٩ ووصله الحاكم ١/٣٥ وصححه على شرط الشيخين، وقال: «فقد احتجا جميعاً بمالك بن سعير، والتفرد من الثقات مقبول» ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في شعب الإيمان: ٣/٥٧٧ مرسلاً من طريق الأعمش عن أبي صالح مرفوعاً. ثم قال: رواه زياد بن يحيى الحساني عن مالك بن سعير عن الأعمش موصولاً بذكر أبي هريرة فيه، ثم ساقه بإسناده، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ١١/٥٠٤، وابن سعد في الطبقات: ١/١٩٢-١٩٣ من طريق وكيع مرسلاً، وقال الهيثمي في المجمع: ٨/٢٥٧ رواه البزار والطبراني في الصغير ورجال البزار رجال الصحيح، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/٨٠٣-٨٠٥ .

إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ
فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ
مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

﴿ **إنه يعلم الجهرَ من القول ويعلم ما تكتمون** ﴾ .

﴿ **وإن أدري لعلّه** ﴾، أي لعل تأخير العذاب عنكم كناية عن غير مذكور، ﴿ **فتنة** ﴾، اختبار، ﴿ **لكم** ﴾، ليرى كيف صنيعكم وهو أعلم، ﴿ **ومتاع إلى حين** ﴾، أي تتمتعون إلى انقضاء آجالكم .

﴿ **قال ربِّ احكم بالحق** ﴾ قرأ حفص عن عاصم: ﴿ **قال رب احكم** ﴾، والآخرون: ﴿ **قل رب احكم** ﴾ افصل بيني وبين من كذبني بالحق، فإن قيل كيف قال احكم بالحق والله لا يحكم إلا بالحق؟ قيل: الحق هاهنا بمعنى العذاب كأنه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يومَ بدر، نظيره قوله تعالى: (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) (الأعراف: ٨٩)، وقال أهل المعاني: معناه رب احكم بحكمك الحق فحذف الحكم وأقيم الحق مقامه، والله تعالى يحكم بالحق طُلب أو لم يُطلب، ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب في حكمه الحق، ﴿ **وربُّنا الرحمن المستعان على ما تصفون** ﴾، من الكذب والباطل .

* * *

(١) في «ب» أستبد .

سُورَةُ الحَجِّ

سُورَةُ الحَجِّ

مكيّـة غير آيات من قوله عز وجل ﴿هذان خصمان﴾ إلى قوله ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا
تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾، أي: احذروا عقابه بطاعته، ﴿إن زلزلةَ الساعة شيءٌ عظيم﴾، والزلزلة والزِّلْزال شدة الحركة على الحال الهائلة، واختلفوا في هذه الزلزلة :

فقال علقمة والشعبي: هي من أشراط الساعة. [وقيل: قيام الساعة][(١)] .

وقال الحسن والسدي: هذه الزلزلة تكون يوم القيامة .

وقال ابن عباس: زلزلة الساعة قيامها فتكون معها .

﴿يوم ترونها﴾، يعني الساعة، وقيل: الزلزلة، ﴿تذهل﴾ قال ابن عباس: تشغَل، وقيل: تنسىٰ، يقال: ذهلت عن كذا أي تركته واشتغلت بغيره. ﴿كلُّ مرضعة عمّا أرضعتْ﴾، أي: كل امرأة معها ولد ترضعه، يقال: امرأة مرضع، بلا هاء، إذا أريد به الصفة، مثل حائض وحامل، فإذا أرادوا الفعل أدخلوا الهاء. ﴿وتضعُ كلُّ ذاتِ حملٍ حملَها﴾، أي: تسقط ولدها من هول ذلك اليوم .

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب» .

﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾

قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها بغير تمام[1]، وهذا يدل على أن هذه الزلزلة تكون في الدنيا لأن بعد البعث لا يكون حمل.

ومن قال: تكون في القيامة، قال هذا على وجه تعظيم الأمر لا على حقيقته، كقولهم: أصابنا أمر يشيب فيه الوليد، يريد شدته.

﴿وترى الناسَ سُكَارَى وما همْ بسكارى﴾، قرأ حمزة والكسائيّ: «سكرى وما هم بسكرى» بلا ألف وهما لغتان في جمع السكران، مثل كسلى وكسالى.

قال الحسن: معناه: وترى الناس سكارى من الخوف، وما هم بسكارى من الشراب.

وقيل: معناه: وترى الناس كأنهم سكارى، ﴿ولكنّ عذابَ اللهِ شديدٌ﴾.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمش الزيادي، أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله بن عمر بن بكير الكوفي العبسي، أخبرنا وكيع عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم قم فابعثْ بَعْثَ النار، قال فيقول: لبيك وسعديك والخير كله في يديك، يا رب وما بعث النار؟ قال فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال: فحينئذ يشيب المولود، وتضع كل ذات حمل حملها وترى [الناس][2] سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، قال: فيقولون: وأينا ذلك الواحد؟ فقال رسول الله ﷺ: «تسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج ومنكم واحد»، فقال الناس: الله أكبر، فقال رسول الله ﷺ: «والله إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، والله إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، والله إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، قال فكبَّر الناس، فقال رسول الله ﷺ: ما أنتم يومئذ في الناس إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، أو الشعرة السوداء في الثور الأبيض»[3].

وروي عن عمران بن حصين، وأبي سعيد الخدري، وغيرهما: أن هاتين الآيتين نزلتا في

---

(١) أخرجه الطبري: ١١٤/١٧.

(٢) ساقط من «أ».

(٣) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب: قول الله تعالى (يسألونك عن ذي القرنين) ٣٨٢/٦، ومسلم في الإيمان، باب: قوله (يقول الله لآدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين برقم (٢٢٢) ٢٠١/١-٢٠٢ والمصنف في شرح السنة: ١٣٩/١٥-١٤٠.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ﴾

غزوة / بني المصطلق ليلاً فنادى [منادي][1] رسول الله ﷺ فحثُّوا المطيَّ حتى كانوا حول رسول الله ﷺ، فقرأها عليهم فلم يُرَ أكثر باكياً من تلك الليلة، فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب، ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا قدراً، والناس ما بين باكٍ أو جالس حزين متفكر، فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون أي يوم ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذلك يوم يقول الله عز وجل لآدم قم فابعث بعث النار من ولدك، فيقول آدم: من كلٍ كَمْ؟ فيقول الله عزّ وجلّ: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد في الجنة، قال: فكَبُر ذلك على المسلمين وبَكَوْا وقالوا: فمن ينجو إذاً يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: أبشروا وسددوا وقاربوا فإن معكم خليقتين ما كانتا في قوم إلّا كثّرتاه: يأجوج ومأجوج، ثم قال: إني لأرجو [أن تكونوا][1] ثلث أهل الجنة، فكبروا وحمدوا الله، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبروا وحمدوا الله، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة، وإن أهل الجنة مائة وعشرون صفاً، ثمانون منها أمتي، وما المسلمون في الكفار إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة، بل كالشعرة السوداء في الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود. ثم قال: ويدخل من أمتي سبعون ألفاً الجنة بغير حساب، فقال عمر: سبعون ألفاً؟ قال: نعم ومع كل واحد سبعون ألفاً، فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله ﷺ: أنت منهم، فقام رجل من الأنصار فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله ﷺ: سبقك بها عكاشة»[2] . ٢٣/ب

قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يجادلُ في الله بغير علم﴾، نزلت في النضر بن الحارث[3]، كان كثير الجدل، وكان يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، وكان ينكر البعث وإحياء من صار تراباً .

قوله تعالى: ﴿ويَتَّبِعُ﴾ أي: يتبع في جداله في الله بغير علم، ﴿كلَّ شيطان مَرِيْد﴾، والمَرِيد: المتمرد المستمر في الشر .

﴿كُتِبَ عليه﴾، قُضي على الشيطان، ﴿أنه من تولاه﴾، اتبعه ﴿فأنّه﴾، يعني الشيطان،

---

(١) ساقط من «أ» .

(٢) أخرجه الترمذي: ٩/١٢-١٣ حتى قوله: في ذراع الدابة، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والإمام أحمد ٤/٤٣٥ حتى قوله: أو الرقمة في ذراع الدابة، والحاكم: ٢/٣٨٥، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .
وعزاه ابن حجر في الكافي الشاف ص ١١٢ للثعلبي والبغوي، ثم قال: وأما آخره فلم أره .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦/٨ لابن أبي حاتم .

عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ

﴿يُضِلُّه﴾، أي: يضل من تولاه، ﴿ويهديه إلى عذاب السعير﴾، ثم ألزم الحجة على منكري البعث فقال:

﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب﴾، في شك، ﴿من البعث فإنا خلقناكم﴾ يعني: أباكم آدم الذي هو أصل النسل، ﴿من تراب ثم من نطفة﴾ يعني: ذريته، والنطفة هي المني، وأصلها الماء القليل وجمعها نِطاف، ﴿ثم من علقة﴾، وهي الدم الغليظ المتجمد، وجمعها عَلَق، وذلك أن النطفة تصير دماً غليظاً ثم تصير لحماً، ﴿ثم من مضغة﴾، وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ، ﴿مخلّقةٍ وغيرِ مخلّقةٍ﴾ .

قال ابن عباس وقتادة: «مخلّقة» أي تامة الخلق، «وغير مخلّقة» غير تامة أي ناقصة الخَلْق .

وقال مجاهد: مصورة وغير مصورة، يعني السقط .

وقيل: «المخلَّقة» الولد الذي تأتي به المرأة لوقته، «وغيرُ المخلقة» السقط .

روي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: إن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها مَلَك بكفّه وقال: أيْ ربِّ مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال: غير مخلقة، قذفها الرحم دماً ولم تكن نسمة، وإن قال: مخلقة، قال الملك: أيْ ربِّ أَذَكَرٌ أم أنثى، أشقي أم سعيد؟ ما الأجل ما العمل ما الرزق وبأي أرض تموت؟ فيقال له: اذهب إلى أمِّ الكتاب فإنك تجد فيها كل ذلك، فيذهب فيجدها في أم الكتاب فينسخها، فلا يزال معه حتى يأتي على آخر صفته[1] .

﴿لِنبيّن لكم﴾، كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف أطوار خلقكم ولتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الإعادة .

وقيل: لنبين لكم ما تأتون وما تذرون وما تحتاجون إليه في العبادة .

﴿ونُقرُّ في الأرحام ما نشاء﴾، فلا تمجه ولا تسقطه، ﴿إلى أجل مسمى﴾، وقت خروجها من الرحم تامة الخلق والمدة. ﴿ثم نُخرِجُكم﴾ من بطون أمهاتكم ﴿طفلاً﴾ أي: صغاراً، ولم يقل:

---

(١) أخرجه الترمذي في «نوادر الأصول» وابن أبي حاتم .
انظر: الدر المنثور: ٦/٩ .

مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم
مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ
هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ
٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ
ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ٨

أطفالاً، لأن العرب تذكر الجمع باسم الواحد. وقيل: تشبيهاً بالمصدر مثل عدل وزور. **﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾** يعني: الكمال والقوة.

﴿ومنكم من يتوفى﴾، من قبل بلوغ الكبر، **﴿ومنكم من يُردُّ إلى أرذل العمر﴾**، أي: الهرم والخرف، **﴿لكيلا يعلمَ من بعد علم شيئاً﴾**، أي: يبلغ من السن ما يتغير عقله فلا يعقل شيئاً.

ثم ذكر دليلاً آخر على البعث فقال: **﴿وترى الأرض هامدة﴾**، أي: يابسة لا نبات فيها، **﴿فإذا أنزلنا عليها الماء﴾**، المطر، **﴿اهتزت﴾**، تحركت بالنبات وذلك أن الأرض ترتفع بالنبات فذلك تحركها، **﴿وربت﴾**، أي: ارتفعت وزادت، وقيل: فيه تقديم وتأخير معناه: ربت واهتزت وربا نباتها، فحذف المضاف، والاهتزاز في النبات أظهر، يقال: اهتز النبات أي: طال وإنما أُنث لذكر الأرض. وقرأ أبو جعفر: **﴿وربأت﴾** بالهمزة، وكذلك في حم السجدة، أي: ارتفعت وعلت.

﴿وأنبتث من كل زوج بهيج﴾، أي: صنف حسن يبهج به من رآه، أي: يُسَرُّ، فهذا دليل آخر على البعث.

﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾، أي: لتعلموا أن الله هو الحق، **﴿وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير﴾**.

﴿وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾.

﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾، يعني النضر بن الحارث، **﴿ولا هدى﴾**، بيان **﴿ولا كتاب منير﴾**.

ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ
ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ

﴿ثاني عِطفِهِ﴾، أي: متبختراً لتكبُّره. وقال مجاهد، وقتادة: لاوِي عنقه. قال عطية، وابن زيد: معرضاً عمّا يدعى إليه تكبراً. وقال ابن جريج: يعرض عن الحق تكبراً. والعِطفُ: الجانب، وعِطفَا الرجل: جانباه عن يمين وشمال وهو الموضع الذي يعطفه الإنسان أي يلويه ويميله عند الإعراض عن الشيء، نظيره قوله تعالى: (وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً) (لقمان: ٧)، وقال تعالى: (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم) (المنافقون: ٥). ﴿ليضل عن / سبيل الله﴾، ٢٤/أ
عن دين الله، ﴿له في الدنيا خزي﴾، عذاب وهوان، وهو القتل ببدر، فقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي مُعيط يوم بدر صبراً. ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾.

ويقال له: ﴿ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾، فيعذبهم بغير ذنب وهو جل ذكره على أي وجه شاء تصرف في عبده، فحكمه عدل وهو غير ظالم.

قوله عز وجل: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾، الآية نزلت في قوم من الأعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم إذا قدم المدينة فصحَّ بها جسمه ونُتِجَتْ بها فرسه مهراً حسناً وولدت امرأته غلاماً وكثر مالهُ، قال: هذا دينٌ حسنٌ وقد أصبت فيه خيراً واطمأن إليه، وإن أصابه مرض وولدت امرأته جارية وأجهضت رماكه[1] وقلَّ مالهُ، قال: ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلا شراً فينقلب عن دينه، وذلك الفتنة[2] فأنزل الله عزّ وجلّ:

﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾، أكثر المفسرين قالوا: على شك وأصلة من حَرْف الشيء وهو طرفه، نحو حرف الجبل والحائط الذي كالقائم عليه غير مستقر، فقيل للشاكِّ في الدين إنه يعبد الله على حرف لأنه على طرف وجانب من الدين لم يدخل فيه على الثبات والتمكن وأصله كالقائم على حرف الجبل مضطرب غير مستقر، يعرض أن يقع في أحد جانبي الطرف لضعف قيامه، ولو عبدوا الله في الشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف، قال الحسن: هو المنافق

(١) الأنثى من البراذين.
(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٣٥٥ عن المفسرين، وأخرجه الطبري: ١٧/١٢٢-١٢٣، وأخرج البخاري نحوه في التفسير: ٨/٤٤٢ عن ابن عباس.

خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾

يعبده بلسانه دون قلبه ﴿**فإن أصابه خير**﴾، صحةٌ في جسمه، وسعةٌ في معيشته، ﴿**اطمأن به**﴾، أي: رضي به وسكن إليه، ﴿**وإن أصابته فتنة**﴾، بلاء في جسده، وضيق في معيشته، ﴿**انقلب على وجهه**﴾، ارتد ورجع على عقبه إلى الوجه الذي كان عليه من الكفر، ﴿**خسر الدنيا**﴾، يعني هذا الشاك خسر الدنيا بفوات ما كان يؤمل، ﴿**والآخرة**﴾، بذهاب الدين والخلود في النار. قرأ يعقوب ﴿**خاسر**﴾ بالألف ﴿**والآخرة**﴾ جَرٌّ. ﴿**ذلك هو الخسران المبين**﴾، الظاهر.

﴿**يدعو من دون الله ما لا يضره**﴾، إن عصاه ولم يعبده، ﴿**وما لا ينفعه**﴾،إن أطاعه وعبده، ﴿**ذلك هو الضلال البعيد**﴾، عن الحق والرشد.

﴿**يدعو لَمَنْ ضرُّه أقربُ من نفعه**﴾، هذه الآية من مشكلات القرآن وفيها أسئلة:

أولها قالوا: قد قال الله في الآية الأولى «يدعو من دون الله ما لا يضره»، وقال هاهنا: «لمن ضره أقرب»، فكيف التوفيق بينهما؟

قيل قوله في الآية الأولى «يدعو من دون الله ما لا يضره» أي: لا يضره ترك عبادته، وقوله: «لَمَنْ ضَرُّه أقربُ» أي: ضر عبادته.

فإن قيل: قد قال: «لَمَنْ ضرُّه أقربُ من نفعه» ولا نفع في عبادة الصنم أصلاً؟.

قيل: هذا على عادة العرب، فإنهم يقولون لِما لا يكون أصلاً: بعيدٌ، كقوله تعالى: (ذلك رجع بعيد) (ق: ٣) أي: لا رجع أصلاً، فلما كان نفع الصنم بعيداً، على معنى: أنه لا نفع فيه أصلاً، قيل: ضره أقرب، لأنه كائن.

السؤال الثالث: قوله ﴿**لَمَنْ ضَرُّه أقرب**﴾ ما وجه هذه اللام؟ اختلفوا فيه، فقال بعضهم: هي صلة، مجازها: يدعو من ضره أقرب[1]، وكذلك قرأها ابن مسعود. وقيل: «لمن ضره» أي إلى الذي ضره أقرب من نفعه. وقيل: «يدعو» بمعنى يقول: والخبر محذوف، أي يقول: لمن ضره أقرب من نفعه هو إله.

(١) انظر مسائل الرازي وأجوبتها ص ٢٧٢.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥﴾

وقيل: معناه يدعو لمن ضره أقرب من نفعه يدعو، فحذف يدعو الأخيرة اجتزاء بالأولى، ولو قلت: يضرب لمن خيره أكثر من شره يضرب، ثم يحذف الأخير جاز.

وقيل: على التوكيد، معناه: يدعو والله لَمَنْ ضره أقرب من نفعه.

وقيل: «يدعو من» صلة قوله: «ذلك هو الضلال البعيد» يقول: ذلك هو الضلال البعيد يدعو، ثم استأنف فقال: «لمَنْ ضره أقرب من نفعه» فيكون «من» في محل رفع بالابتداء وخبره: «لبئس المولى»، أي الناصر. وقيل: المعبود. «ولبئس العشير»، أي: الصاحب والمخالط، يعني: الوثن، والعرب تسمي الزوج عشيراً لأجل المخالطة.

قوله عز وجل: **﴿إن الله يُدخلُ الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناتٍ تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعلُ ما يريدُ﴾**.

﴿من كان يظن أن لن ينصرَهُ الله﴾، يعني نبيه محمداً ﷺ **﴿في الدنيا والآخرة فلْيمدُدْ بسبب﴾**، بحبل **﴿إلى السماء﴾** أراد بالسماء سقف البيت على قول الأكثرين، أي: ليشد حبلاً في سقف بيته فليختنق به حتى يموت، **﴿ثمّ لْيقطعْ﴾** الحبل بعد الاختناق. وقيل: «ثم ليقطع» أي ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقاً، **﴿فلينظر هل يُذهِبَنَّ كيدُه﴾**، صنيعه وحيلته، **﴿ما يغيظ﴾** «ما» بمعنى المصدر، أي: هل يذهبنّ كيدُه وحيلتُه غيظَه، معناه: فليختنقْ غيظاً حتى يموت. وليس هذا على سبيل الحتم أي: أن يفعله لأنه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق والموت، ولكنه كما يقال للحاسد: إن لم تَرضَ هذا فاختنق ومُتْ غيظاً.

وقال ابن زيد: المراد من السماء السماء المعروفة.

ومعنى الآية: من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ويكيد في أمره ليقطعه عنه فليقطعه من أصله، فإن أصله من السماء، فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع عن النبي ﷺ الوحي الذي يأتيه فلينظر هل يقدر على إذهاب غيظه بهذا الفعل.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ
يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ
يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ

وروي أن هذه الآية نزلت في قوم من أسد وغطفان، دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام وكان بينهم وبين اليهود حلف، وقالوا: لا يمكننا أن نُسْلِم لأنا نخاف أن لا يُنْصرَ محمدٌ ولا يظهر أمره فينقطع الحلف بيننا وبين اليهود، فلا يميروننا ولا يؤووننا فنزلت هذه الآية[1].

وقال مجاهد: «النصر» بمعنى الرزق / والهاء راجعة إلى ﴿من﴾ ومعناه: من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة. نزلت فيمن أساء الظن بالله عز وجل وخاف ألا يرزقه الله، «فليمدد بسبب إلى السماء»، أي: إلى سماء البيت، فلينظر هل يذهبن فعله ذلك ما يغيظ، وهو خيفة أن لا يرزق. ٢٤/ب

وقد يأتي النصر بمعنى الرزق، تقول العرب: من ينصرني نصره الله. أي: من يعطني أعطاه الله، قال أبو عبيدة: تقول العرب: أرض منصورة، أي: ممطورة.

قرأ أبو عمرو، ونافع، وابن عامر، ويعقوب: «ثم ليقطع» «ثم ليقضوا» بكسر اللام، والباقون بجزمها لأن الكل لام الأمر، زاد ابن عامر (وليوفوا نذورهم وليطوفوا) (الحج: ٢٩) بكسر اللام فيهما، ومن كسر في: «ثم ليقطع» وفي «ثم ليقضوا» فرّق بأن ثمَّ مفصول من الكلام، والواو كأنها من نفس الكلمة كالفاء في قوله: «فلينظر».

﴿وكذلك﴾ أي: مثل ذلك، يعني: ما تقدم من آيات القرآن، **﴿أنزلناه﴾**، يعني: القرآن **﴿آيات بينات وأن الله يهدي من يُريد﴾**.

﴿إنّ الذين هادوا والصابئين والنصارىٰ والمجوسَ والذين أشركوا﴾، يعني: عبدة الأوثان،، **﴿إن الله يفصِلُ بينهم﴾**، يحكم بينهم، **﴿يوم القيامة، إن الله على كل شيء شهيد﴾**.

﴿ألم ترَ﴾، ألم تعلم، وقيل: **﴿ألم ترَ﴾** [تقرأ][2] بقلبك **﴿أن الله يسجد له مَنْ في السموات ومَنْ**

(١) ذكره الطبري: ١٢٨/١٧ بدون سند.
(٢) زيادة من «ب».

﴿وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ (١٨) هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ﴾

في الأرضِ والشمسُ والقمرُ والنجوم والجبالُ والشجرُ والدوابُّ﴾، قال مجاهد: سجودها تحول ظلالها. وقال أبو العالية: ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجداً حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه. وقيل: سجودها بمعنى الطاعة فإنه ما من جماد إلا وهو مطيع لله خاشع له مسبح له كما أخبر الله تعالى عن السموات والأرض (قالتا أتينا طائعين) (فصلت: ١١)، وقال في وصف الحجارة (وإنّ منها لَما يَهبِط من خشية الله) (البقرة: ٧٤)، وقال تعالى: (وإنْ من شيء إلا يسبح بحمده ولكنْ لا تفقهون تسبيحهم) (الإسراء: ٤٤)، وهذا مذهبٌ حسنٌ موافق لقول أهل السنة.

قوله: ﴿وكثيرٌ من الناس﴾، أي: من هذه الأشياء كلها تسبح الله عزّ وجلّ «وكثير من الناس»، يعني المسلمين. ﴿وكثير حقّ عليه العذاب﴾، وهم الكفار لكفرهم وتركهم السجود وهم مع كفرهم تسجد ظلالهم لله عزّ وجلّ. والواو في قوله: ﴿وكثير حق عليه العذاب﴾، واو الاستئناف.

﴿ومَنْ يُهن اللهُ﴾ أي: يهنه الله ﴿فماله من مكرم﴾ أي: من يذله اللهُ فلا يكرمه أحدٌ، ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾، أي: يكرم ويهين فالسعادة والشقاوة بإرادته ومشيئته.

قوله عز وجل: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ أي: جادلوا في دينه وأمره، والخصم اسم شبيه بالمصدر، فلذلك قال: ﴿اختصموا﴾ بلفظ الجمع كقوله: (وهل أتاك نبأُ الخصم إذ تسوروا المحراب) (ص: ٢١)، واختلفوا في هذين الخصمين:

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد ابن إسماعيل، أخبرنا يعقوب بن إبراهيم، أخبرنا هشيم، أخبرنا أبو هاشم، عن أبي مجلز، عن قيس بن عُباد قال: سمعت أبا ذر يقسم قسماً أن هذه الآية: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة وعلي، وعبيدة بن الحارث، وعتبة، وشيبة ابني أبي ربيعة، والوليد بن عتبة[1].

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب قتل أبي جهل: ٧/٢٩٧، ومسلم في التفسير، باب: في قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا في ربهم) برقم: (٣٠٣٣) ٤/٢٣٢٣ .

وأخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا حجاج بن منهال، حدثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعتُ أبي قال أخبرنا أبو مجلز، عن قيس بن عباد، عن علي بن أبي طالب قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، قال قيس: وفيهم نزلت: ﴿**هذان خصمان اختصموا في ربهم**﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: علي وحمزة، وعبيدة، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة[1] .

قال محمد بن إسحاق خرج - يعني يوم بدر - عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ودعا إلى المبارزة فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة: عوذ ومعوذ ابنا الحارث وأمهما عفراء، وعبد الله بن رواحة فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار، فقالوا حين انتسبوا: أكفاء كرام، ثم نادى مناديهم: يا محمد أَخْرِجْ إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال رسول الله ﷺ: قم يا عبيدة ابن الحارث ويا حمزة بن عبد المطلب ويا علي بن أبي طالب، فلما دَنَوْا قالوا مَنْ أنتم؟ فذكروا وقالوا: نعم أكفاء كرام فبارز عبيدةَ وكان أسن القوم عتبةُ، وبارز حمزةُ شيبةَ، وبارز عليٌّ الوليدَ بنَ عتبة، فأما حمزةُ فلم يُمهل أن قتل شيبةَ، وعليٌّ الوليدَ، واختلف عبيدةُ وعتبةُ بينهما ضربتان كلاهما [أثبتَ][2] صاحبَهُ،فكرَّ حمزةُ وعليٌّ بأسيافهما على عتبةَ فذفّفا عليه واحتملا عبيدةَ إلى أصحابه، وقد قُطعت رجلُه ومخُّها يسيل، فلما أتَوْا بعبيدةَ إلى رسول الله ﷺ قال: ألستُ شهيداً يا رسول الله؟ قال: «بلى»، فقال عبيدةُ: لو كان أبو طالب حياً لعلمَ أنّا أحقُ بما قال منه[3] حيث يقول:

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقال ابن عباس وقتادة: نزلت الآية في المسلمين وأهلِ الكتاب فقال أهلُ الكتاب: نحن أُولى بالله وأقدمُ منكم كتاباً، ونبيُّنا قبلَ نبيِّكم، وقال المؤمنون: نحن أحقُّ بالله آمنا بنبينا محمد ﷺ ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب، وأنتم تعرفون نبيَّنا وكتابَنا وكفرتم به حسداً، فهذه خصومتهم في ربهم[4] .

وقال مجاهد وعطاء بن أبي رباح والكلبي: هم المؤمنون والكافرون كلُّهم من أي ملةٍ كانوا[5] .

وقال بعضهم: جعل الأديان ستة في قوله تعالى: (إن الذين آمنوا والذين هادوا) (المائدة: ٦٩) الآية، فجعل خمسة للنار وواحداً للجنة، فقوله تعالى: ﴿**هذان خصمان اختصموا في ربهم**﴾ ينصرف

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب قتل أبي جهل: ٧/٢٩٦ .

(٢) في «ب» أثخن .

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام مع الروض الأُنف: ٢/٦٧-٦٨ .

(٤) أخرجه الطبري: ١٧/١٣٢ عن ابن عباس .

(٥) انظر الطبري: ١٧/١٣٢ .

﴿ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾

٢٥/أ إليهم فالمؤمنون / خَصْمٌ وسائرُ الخمسة خصمٌ.

وقال عكرمة: هما الجنة والنار اختصمتا كما، أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أخبرنا أبو طاهر الزيادي، أخبرنا أبو بكر محمد حسين القطان، أخبرنا أحمد بن يوسف السلمي، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام بن منبه، قال: حدثنا أبو هريرة: قال: قال رسول الله ﷺ: «تحاجَّتِ الجنةُ والنارُ فقالت النار: أُوثرتُ بالمتكبرين والمتجبرين، وقالتِ الجنةُ: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاءُ الناس وسقَطُهم وغرَّتهُم؟ قال الله عزّ وجلّ للجنة: إنما أنتِ رحمتي أرحمُ بك مَنْ أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنتِ عذابي أعذّبُ بك مَنْ أشاء من عبادي، ولكل واحدةٍ منكما مِلْؤها، فأما النار فلا تمتلىء حتى يضعَ الله فيها رجله فتقول قَطْ قَطْ، فهنالك تمتلىء ويزوي بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله عزّ وجلّ ينشىء لها خَلْقاً»[1]. ثم بيّن الله عزّ وجلّ ما للخصمين فقال:

﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثيابٌ من نار﴾، قال سعيد بن جبير: ثياب من نحاس مذاب، وليس من الآنية شيء إذا حمي أشد حرأمنه وسُمي باسم الثياب لأنها تحيط بهم كإحاطة الثياب.

وقال بعضهم: يلبس أهل النار مُقطّعات من النار، ﴿يُصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾، الحميم: هو الماء الحار الذي انتهت حرارته.

﴿يُصهر به﴾ أي: يذاب بالحميم، ﴿ما في بطونهم﴾، يقال: صهرتُ الإليةَ والشحم بالنار إذا أذبتهما أصهرُها صهراً، معناه يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤوسهم حتى يسقط ما في بطونهم من الشحوم والأحشاء، ﴿والجلود﴾ أي: يشوي حرُّها جلودَهم فتتساط.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن سعيد بن زيد، عن أبي السمح، عن أبي حجيرة واسمه عبد الرحمن، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن الحميمَ لَيصب على رؤوسهم فينفذُ الجمجمةَ حتى يخلُصَ إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرقَ من قدميه، وهو الصهر، ثم يُعادُ كما كان»[2].

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب (وتقول هل من مزيد) ٥٩٥/٨، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٤٦) ٢١٨٦/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٥٦/١٥-٢٥٧.

(٢) أخرجه الترمذي في صفة أهل جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ٣٠٢/٧-٣٠٣ وقال: هذا حديث غريب صحيح، والإمام أحمد: ٣٧٤/٢، والحاكم في المستدرك: ٣٨٧/٢، والطبري: ١٣٣/١٧-١٣٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٤٤/١٥، وقد ضعف الألباني إسناده في تعليقه على المشكاة: ١٥٨١/٣.

﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ٢٢ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿ولهم مقامع من حديد﴾، سياطٌ من حديد واحدتها: مَقْمعة، قال الليث: المقمعة شبه الجرز من الحديد، من قولهم: قمعتُ رأسه، إذا ضربته ضرباً عنيفاً، وفي الخبر: «لو وضع مقمع من حديد في الأرض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلّوه من الأرض»(١).

﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍّ﴾، أي: كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكَرْبِ الذي يأخذ بأنفاسهم ﴿أعيدوا فيها﴾، أي: رُدُّوا إليها بالمقامع. وفي التفسير: إن جهنم لَتجيشُ بهم فتلقيهم إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانيةُ بمقامع من الحديد فيهوون فيها سبعين خريفاً. ﴿وذُوقوا عذابَ الحريق﴾، أي: تقول لهم الملائكة: ذوقوا عذاب الحريق، أي: المُحْرِق، مثل الأليم والوجيع.

قال الزجاج: هؤلاء أحد الخصمين. وقال في الآخر، وهم المؤمنون:

﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يُحلَّون فيها من أساورَ من ذهب﴾، جمع سوَار، ﴿ولؤلؤاً﴾، قرأ أهل المدينة وعاصم «ولؤلؤاً» هاهنا وفي سورة الملائكة بالنصب وافق يعقوب هاهنا على معنى ويحلَّون لؤلؤاً، ولأنها مكتوبة في المصاحف بالألف، وقرأ الآخرون بالخفض عطفاً على قوله: «من ذهب»، ويترك الهمزة الأولى في كل القرآن أبو جعفر وأبو بكر، واختلفوا في وجه إثبات الألف، فيه، فقال أبو عمرو: أثبتوها كما أثبتوا في: قالوا وكانوا، وقال الكسائي: أثبتوها للهمزة، لأن الهمزة حرف من الحروف ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ أي: يلبسون في الجنة ثياب الإبريسم وهو الذي حرم لبسه في الدنيا على الرجال.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم البغوي، أخبرنا علي بن الجعد، أخبرنا شعبة، عن قتادة، عن داود السرَّاج، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ

---

(١) أخرجه الحاكم: ٤/٦٠٠ من رواية دراج، عن أبي الهيثم، والإمام أحمد: ٣/٢٩ قال الهيثمي في المجمع ١٠/٣٨٨ رواه أحمد وأبو يعلى، وفيه ضعفاء وثِّقوا، وانظر الكافي الشاف ص (١١٢)، الترغيب والترهيب: ٤/٤٧٤.

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥﴾

قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يُلبسْهُ الله إيّاه في الآخرة، فإن دخل الجنة لبسه أهلُ الجنة و لم يَلبسْهُ هو»[1].

قوله عز وجل: ﴿وهُدوا إلى الطيب من القول﴾، قال ابن عباس: هو شهادةُ أن لا إله إلا الله. وقال ابن زيد: لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله [وسبحان الله][2]. وقال السدي: أي القرآن. وقيل: هو قول أهل الجنة: «الحمد لله الذي صدقنا وعده». (الزمر: ٧٤) ﴿وهُدوا إلى صراط الحميد﴾، إلى دين الله وهو الإسلام، «والحميد» هو الله المحمود في أفعاله.

قوله عز وجل: ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله﴾، عطف المستقبل على الماضي، لأن المراد من لفظ المستقبل الماضي، كما قال تعالى في موضع آخر: (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) (النساء: ١٦٧)، معناه: إن الذين كفروا فيما تقدم، ويصدون عن سبيل الله في الحال، أي: وهم يصدون. ﴿والمسجدِ الحرام﴾، أي: ويصدون عن المسجد الحرام. ﴿الذي جعلناه للناس﴾، قبلةً لصلاتهم ومَنْسكاً ومُتعبداً كما قال: (وُضِعَ للناس) (آل عمران: ٩٦). ﴿سواءً﴾، قرأ حفص عن عاصم ويعقوب: «سواء» نصباً بإيقاع الجعل عليه لأن الجعل يتعدى إلى مفعولين. وقيل:
٢٥/ب معناه مستوياً فيه، ﴿العاكف فيه والباد﴾، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وما بعده خبر، وتمام / الكلام عند قوله ﴿للناس﴾، وأراد بالعاكف: المقيم فيه، والبادي: الطاريء المنتاب إليه من غيره.

واختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: «سواء العاكف فيه والباد» أي: في تعظيم حرمته وقضاء النسك فيه. وإليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة، وقالوا: المراد منه نفس المسجد الحرام. ومعنى التسوية: هو التسوية في تعظيم الكعبة في فضل الصلاة في المسجد الحرام والطواف بالبيت.

(١) أخرجه الحاكم: ١٩١/٤ وصححه ووافقه الذهبي، وأبو داود الطيالسي ص (٢٩٤) وأخرجه أيضاً عن عمر رضى الله عنه ص (١٠)، وأخرجه الشيخان عن أنس بن مالك بلفظ: (من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة): البخاري في اللباس، باب: لبس الحرير للرجال: ٢٨٤/١٠، ومسلم في اللباس، باب تحريم الذهب والحرير على الرجال وإباحته للنساء، برقم (٢٠٧٣) ١٦٤٥/٣، والمصنف في شرح السنة: ٣٠/١٢-٣١.

(٢) زيادة من «ب».

وقال آخرون: المراد منه جميع الحرم، ومعنى التسوية: أن المقيم والبادي سواء في النزول به، ليس أحدهما أحق بالمنزل يكون فيه من الآخر، غير أنه لا يزعج فيه أحد إذا كان قد سبق إلى منزل، وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد، قالوا: هما سواء في [البيوت][1] والمنازل.

وقال عبد الرحمن بن سابط: كان الحُجّاج إذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة بأحق بمنزله منهم. وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس أن يغلقوا أبوابَهم في الموسم، وعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وإجارتها، وعلى القول الأول ـ وهو الأقرب إلى الصواب ـ يجوز، لأن الله تعالى قال: (الذين أُخرجوا من ديارهم) (الحج: ٤٠)، وقال النبي ﷺ يوم فتح مكة: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»[2]، فنسب الدار إليه نسب ملك، واشترى عمر داراً للسجن بمكة بأربعة آلاف درهم، فدل على جواز بيعها. وهذا قول طاووس وعمرو بن دينار، وبه قال الشافعي.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ومن يُرِدْ فيه بإلحادٍ بظلم﴾ أي: في المسجد الحرام بإلحاد بظلم وهو الميل إلى الظلم، الباء في قوله «بإلحاد» زائدة كقوله: (تنبت بالدهن) (المؤمنون: ٢٠)، ومعناه من يرد فيه إلحاداً بظلم، قال الأعشى: «ضمنت برزق عيالنا أرماحُنا»، أي: رزق عيالنا. وأنكر المبرد أن تكون الباء زائدة وقال: معنى الآية من تكن إرادته فيه بأن يلحد بظلم.

واختلفوا في هذا الإلحاد، فقال مجاهد وقتادة: هو الشرك وعبادة غير الله.

وقال قوم: هو كل شيء كان منهياً عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم.

وقال عطاء: هو دخول الحرم غير محرم، أو ارتكاب شيء من محظورات الحرم، من قتل صيد، أو قطع شجر.

وقال ابن عباس: هو أن تقتل فيه من لا يقتلك، أو تظلم فيه من لا يظلمك، وهذا معنى قول الضحاك.

وعن مجاهد أنه قال: تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات.

وقال حبيب بن أبي ثابت: هو احتكار الطعام بمكة.

وقال عبد الله بن مسعود في قوله: «ومن يُرِدْ فيه بإلحاد بظلمٍ نُذِقْهُ من عذاب أليم»، قال: لو أن رجلاً همَّ بخطيئةٍ لم تكتب عليه، ما لم يعملْها، ولو أن رجلاً همَّ بقتلِ رجلٍ بمكةَ وهو بعدن

---

(١) في «ب» السوق.

(٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم في الجهاد والسير، باب: فتح مكة برقم (١٧٨٠) ٣/١٤٠٥-١٤٠٧.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾

أبين، أو ببلد آخر أذاقه الله من عذاب أليم. وقال السدي: إلا أن يتوب .

وروي عن عبد الله بن عمر أنه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الآخر، فسئل عن ذلك فقال: كنا نحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل كلا والله، وبلى والله(١) .

قوله عز وجل: ﴿وإذ بوّأنا لإبراهيم مكان البيت﴾، أي: وطّأنا. قال ابن عباس: جعلنا. وقيل: بينّا قال الزجاج: جعلنا مكان البيت [مبوءاً لإبراهيم .

وقال مقاتل بن حيان: هيأنا. وإنما ذكرنا مكان البيت](٢) لأن الكعبة رفعت إلى السماء زمان الطوفان، ثم لما أمر الله تعالى إبراهيم ببناء البيت لم يدرِ أين يبني فبعث اللهُ ريحاً خجوجاً فكنَّست له ما حول البيت على الأساس(٣) .

وقال الكلبي: بعث الله سحابةً بقدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها رأس يتكلم يا إبراهيم ابنِ على قَدَري فبني عليه(٤). قوله تعالى: **﴿أن لا تشركْ بي شيئاً﴾**أي: عهدنا إلى إبراهيم وقلنا له لا تشرك بي شيئاً، **﴿وطهرْ بيتيَ للطائفين﴾**، يعني: الذين يطوفون بالبيت، **﴿والقائمين﴾** أي: المقيمين، **﴿والركع السجود﴾**، أي: المصلين .

﴿وأَذِّنْ في الناس﴾ أي: أعلمْ ونادِ في الناس، **﴿بالحج﴾**، فقال إبراهيم وما يبلغ صوتي؟ فقال: عليك الأذانُ وعليَّ البلاغُ، فقام إبراهيم على المَقام فارتفع المقامُ حتى صار كأطول الجبال فأدخل أصبعيه في أذنيه، وأقبل بوجهه يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً وقال: يا أيها الناس ألَا إن ربكم قد بنى بيتاً وكتب عليكم الحجَ إلى البيت فأجيبوا ربكم، فأجابه كل من كان يحج من أصلاب الآباء وأرحام

---

(١) ذكر هذه الأقوال الطبري: ١٧/١٣٨-١٤٢، ثم قال: وأولى الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب: القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس من أنه معنيٌّ بالظلم في هذا الموضع، كل معصية لله، وذلك أن الله عم بقوله: (ومَنْ يرد فيه بإلحاد بظلم)، ولم يُخصِّص به ظلم دون ظلم في خبر ولا عقل، فهو على عمومه .

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

(٣) انظر الطبري: ١٧/١٤٣ .

(٤) انظر الدر المنثور: ٦/٣٠ .

﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾

الأمهات: لبيك اللهم لبيك[(١)]، قال ابن عباس: فأول من أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجاً .

وروي أن إبراهيم صعد أبا قبيس ونادى[(٢)]. وقال ابن عباس عنى بالناس في هذه الآية أهل القبلة، وزعم الحسن أن قوله: «وأذن في الناس بالحج» كلام مستأنف وإن المأمور بهذا التأذين محمد ﷺ أمِرَ أن يفعل ذلك في حجة الوداع .

وروى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس قد فُرِض عليكم الحج فحجوا»[(٣)].

قوله تعالى: ﴿**يأتوك رجالاً**﴾، مشاة على أرجلهم جمع راجل، مثل قائم وقيام وصائم وصيام، ﴿**وعلى كل ضامر**﴾، أي: ركباناً على كل ضامر، والضامر: البعير المهزول. ﴿**يأتينَ من كل فج عميق**﴾ أي: من كل طريق بعيد، وإنما جمع «يأتين» لمكان كل وإرادة النوق .

﴿**ليشهدوا**﴾، ليحضروا، ﴿**منافع لهم**﴾، قال سعيد بن المسيب، ومحمد بن علي الباقر: العفو والمغفرة. وقال سعيد بن جبير: التجارة، وهي رواية ابن زيد عن ابن عباس، قال: الأسواق. وقال مجاهد: التجارة وما يَرضى الله به من أمر الدنيا والآخرة[(٤)]. ﴿**ويذكروا اسم الله في أيام معلومات**﴾، يعني عشر ذي الحجة في قول أكثر المفسرين. قيل لها «معلومات» للحرص على علمها ٢٦/أ
بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها. ويروى عن علي / رضي الله عنه: أنها يوم النحر وثلاثة أيام بعده، وفي رواية عطاء عن ابن عباس أنها يوم عرفة والنحر وأيام التشريق. وقال مقاتل: المعلومات أيام التشريق[(٥)]. ﴿**على ما رزقهم من بهيمة الأنعام**﴾، يعني: الهدايا، والضحايا، تكون من النعم،

---

(١) انظر الطبري: ١٤٤/١٧ . .

(٢) عزاه السيوطي: ٣٥/٦ لابن أبي حاتم عن ابن عباس . .

(٣) أخرجه مسلم في الحج، باب: فرض الحج مرة في العمر برقم: (١٣٣٧) ٩٧٥/٢ والمصنف في شرح السنة: ٣/٧ .

(٤) ذكر هذه الأقوال الطبري: ١٤٦/١٧-١٤٧ ثم قال مرجحاً: وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: عنى بذلك: ليشهدوا منافع لهم من العمل الذي يرضي الله والتجارة، وذلك أن الله عمَّ لهم منافع جميع ما يَشْهَد له الموسم، ويأتي له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة، ولم يخصص من ذلك شيء من منافعهم بخبر ولا عقل، فذلك على العموم في المنافع التي وصفت .

(٥) سبق تخريج هذه الأقوال في المجلد الأول صفحة (٢٣٤) هامش (١) .

﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ٢٩﴾

وهي الإبل والبقر والغنم .

واختار الزجاج أن الأيام المعلومات: يوم النحر وأيام التشريق، لأن الذكر على بهيمة الأنعام يدل على التسمية على نحرها، ونحر الهدايا يكون في هذه الأيام. ﴿فكلوا منها﴾ أمر إباحة وليس بواجب، وإنما قال ذلك لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئاً، واتفق العلماء على أن الهدي إذا كان تطوعاً يجوز للمهدي أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع لِما:

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني، أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري، أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني، أخبرنا علي بن حجر، أخبرنا إسماعيل ابن جعفر، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله قال في قصة حجة الوداع: وقدم علي ببدن من اليمن وساق رسول الله ﷺ مائة بدنة فنحر منها رسول الله ﷺ ثلاثاً وستين بدنة بيده ونحر عليٌّ ما بقي، ثم أمر النبي ﷺ أن تؤخذ بَضْعةٌ من كل بدنة فتجعل في قدر، فأكلا من لحمها وحسيا من مرقها[1] .

واختلفوا في الهدي الواجب بالشرع هل يجوز للمهدي أن يأكل منه شيئاً؟ مثل دم التمتع والقِران والدم الواجب بإفساد الحج وفواته وجزاء الصيد؟

فذهب قوم إلى أنه لا يجوز أن يأكل منه شيئاً، وبه قال الشافعي، وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر، وقال ابن عمر: لا يأكل من جزاء الصيد والنذر، ويأكل مما سوى ذلك، وبه قال أحمد وإسحاق، وقال مالك: يأكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه إلا من فدية الأذى وجزاء الصيد والمنذور، وعند أصحاب الرأي يأكل من دم التمتع والقِران ولا يأكل من واجب سواهما .

قوله عزّ وجلّ: ﴿وأطعموا البائسَ الفقير﴾، يعني: الزَّمِن الفقير الذي لا شيء له و«البائس» الذي اشتد بؤسه، والبؤس شدة الفقر .

﴿ثم لْيَقْضُوا تفثهم﴾، التفث: الوسخ والقذارة من طول الشعر والأظافر والشَّعَث، تقول العرب لمن تستقذره: ما أتفثك: أي: ما أوسخك. والحاج أشعث أغبر، لم يحلق شعره ولم يقلم ظفره، فقضاء التفث: إزالة هذه الأشياء ليقضوا تفثهم، أي: ليزيلوا أدرانهم، والمراد منه الخروج عن الإحرام بالحلق، وقص الشارب، ونتف الإبط، والاستحداد، وقلم الأظفار، ولبس الثياب. قال ابن عمر

---

(١) قطعة من حديث جابر، أخرجه مسلم برقم (١٢١٨): ٢/٨٩٣، والمصنف في شرح السنة: ٧/١٥٠ .

وابن عباس: «قضاء التفث»: مناسك الحج كلها. وقال مجاهد: هو مناسك الحج، وأخذ الشارب، ونتف الإبط، وحلق العانة، وقلم الأظافر. وقيل: التفث هاهنا رمي الجمار. قال الزجاج: لا نعرف التفث ومعناه إلا من القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَلْيوفُوا نذورَهم﴾، قال مجاهد: أراد نذر الحج والهدي وما ينذر الإنسان من شيء يكون في الحج أي: ليتموها بقضائها. وقيل: المراد منه الوفاء بما نذر على ظاهره. وقيل: أراد به الخروج. عما وجب عليه نذر أو لم ينذر. والعرب تقول لكل من خرج عن الواجب عليه وَفّى بنذره. وقرأ عاصم برواية أبي بكر «ولْيوَفُّوا» بنصب الواو وتشديد الفاء.

﴿وَلْيَطّوفُوا بالبيت العتيق﴾، أراد به الطواف الواجب عليه وهو طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق.

والطواف ثلاثة: طواف القدوم، وهو أن من قدم مكة يطوف بالبيت سبعاً يرمل ثلاثاً من الحجر الأسود إلى أن ينتهي إليه ويمشي أربعاً، وهذا الطواف سنة لا شيء على من تركه.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أحمد هو أبو عيسى، أخبرنا ابن وهب، أخبرنا عمرو بن الحارث، عن محمد بن عبد الرحمن ابن نوفل القرشي أنه سأل عروة بن الزبير فقال: قد حج النبي ﷺ فأخبرتني عائشة أنه أول شيء بدأ به حين قدم أنه توضأ ثم طاف بالبيت ثم لم يكن عمرة، ثم حج أبو بكر فكان أول شيء بدأ به الطواف بالبيت ثم لم يكن عمرة، ثم عمر مثل ذلك، ثم حج عثمان فرأيته أول شيء بدأ به الطواف بالبيت[1].

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا أنس بن عياض، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا طاف في الحج أو العمرة أول ما يقدم يسعى ثلاثة أطواف ويمشي أربعاً، ثم يصلي سجدتين، ثم يطوف بين الصفا والمروة سبعاً[2].

والطواف الثاني: هو طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق، وهو واجب لا يحصل التحلل من الإحرام ما لم يأتِ به.

---

(١) أخرجه البخاري في الحج، باب: الطواف على وضوء: ٣/٤٩٦، ومسلم في الحج، باب: ما يلزم من طاف بالبيت وسعى برقم: (١٢٣٥) ٢/٩٠٦-٩٠٧، والمصنف في شرح السنة: ٧/١٠١-١٠٢.

(٢) أخرجه البخاري في الحج، باب: من طاف بالبيت إذا قدم مكة: ٣/٤٧٧ ومسلم في الحج، باب: استحباب الرمل في الطواف والعمرة برقم: (١٢٦١) ٢/٩٢٠، والمصنف في شرح السنة: ٧/١٠٤. والشافعي في المسند: ١/٣٤٧.

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، أخبرنا الأعمش، أخبرنا إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: حاضت صفية ليلة النفر فقالت: ما أراني إلا حابستكم قال النبي ﷺ «عَقري حلقى أطافت يوم النحر؟ قيل: نعم، قال: فانفري»[1]، فثبت بهذا أنّ من لم يطف يوم النحر طواف الإفاضة لا يجوز له أن ينفر .

والطواف الثالث: هو طواف الوداع لا رخصة فيه لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر أن يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعاً، فمن تركه فعليه دم إلا المرأة الحائض يجوز لها ترك طوافِ الوداع .

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز أحمد الخلال، / أخبرنا أبو العباس الأصم، ٢٦/ب
أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا سفيان، عن سليمان الأحول، عن طاووس عن ابن عباس، قال: أُمر الناس أن يكون آخرَ عهدهم الطواف بالبيت إلا أنه رُخِّصَ للمرأة الحائض[2] .

والرَّمَل مختص بطواف القدوم، ولا رمل في طواف الإفاضة والوداع .

قوله: ﴿بالبيت العتيق﴾ اختلفوا في معنى «العتيق»: قال ابن عباس، وابن الزبير ومجاهد وقتادة: سمي عتيقاً لأن الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه، فلم يظهر عليه جبار قط. قال سفيان بن عُيَيْنَة: سمي عتيقاً لأنه لم يُملك قطُّ، وقال الحسن وابن زيد: سُمي به لأنه قديم وهو أول بيت وضع للناس، يقال: دينار عتيق أي قديم، وقيل: سمي عتيقاً لأن الله أعتقه من الغرق، فإنه رُفع أيام الطوفان[3] .

﴿ذلك﴾ أي: الأمر ذلك، يعني ما ذكر من أعمال الحج، ﴿وَمَنْ يُعظِّم حرمات الله﴾، أي

---

(١) أخرجه البخاري في الحج، باب: الإدلاج من المحصب: ٥٩٥/٣، والمصنف في شرح السنة: ٢٣٤/٧ .

(٢) أخرجه البخاري في الحج، باب: طواف الوداع ٥٨٥/٣، ومسلم في الحج، باب: وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض برقم (١٣٢٨)، والمصنف في شرح السنة: ٢٣٢/٧. والشافعي في المسند: ٣٦٤/١ .

(٣) ذكر هذه الأقوال الطبري: ١٥١/١٧-١٥٢ ثم قال: ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه في قوله: (البيت العتيق) وجه صحيح، غير أن الذي قاله ابن زيد أغلب معانيه عليه في الظاهر، غير أن الذي رُوي عن ابن الزبير أولى بالصحة، إن كان ما حدثني به محمد بن سهل البخاري ـ قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: أخبرني الليث، عن عبد الرحمن ابن خالد بن مسافر، عن الزهري، عن محمد بن عروة، عن عبد الله بن الزبير، قال: قال: رسول الله ﷺ: «إنما سمي البيت العتيق لأن الله أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه قط ـ صحيحاً» .

﴿الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١﴾

معاصي الله وما نهى عنه، وتعظيمها ترك ملابستها. قال الليث: حرمات الله ما لا يحل انتهاكها. وقال الزجاج: الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه، وذهب قوم إلى أن معنى الحرمات هاهنا: المناسك، بدلالة ما يتصل بها من الآيات. وقال ابن زيد: الحرمات هاهنا: البيت الحرام، والبلد الحرام والشهر الحرام، والمسجد الحرام، والإحرام[1]. ﴿**فهو خير له عند ربه**﴾، أي: تعظيم الحرمات، خير له عند الله في الآخرة .

قوله عز وجل: ﴿**وأحلتْ لكم الأنعامُ**﴾، أن تأكلوها إذا ذبحتموها وهي الإبل والبقر والغنم، ﴿**إلا ما يتلى عليكم**﴾، تحريمه، وهو قوله في سورة المائدة: (حرمت عليكم الميتة والدم) (المائدة: ٣)، الآية، ﴿**فاجتنبوا الرجس من الأوثان**﴾ أي: عبادتها، يقول: كونوا على جانب منها فإنها رجس، أي: سبب الرجس، وهو العذاب، والرجس: بمعنى الرجز. وقال الزجاج: (من) هاهنا للتجنيس أي: اجتنبوا الأوثان التي هي رجس، ﴿**واجتنبو قول الزور**﴾، يعني: الكذب والبهتان. وقال ابن مسعود: شهادة الزور، وروي أن النبي ﷺ قام خطيباً فقال: «يا أيها الناس عدلت شهادة الزور بالشرك بالله»، ثم قرأ هذه الآية[2]. وقيل: هو قول المشركين في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك .

﴿**حنفاء لله**﴾، مخلصين له، ﴿**غير مشركين به**﴾، قال قتادة: كانوا في الشرك يحجون، ويحرِّمون البنات والأمهات والأخوات، وكانوا يُسمون حنفاء، فنزلت: «حنفاء لله غير مشركين به» أي: حجاجاً لله مسلمين موحدين، يعني: مَنْ أشرك لا يكون حنيفاً .

﴿**ومن يشرك بالله فكأنما خرّ**﴾، أي: سقط، ﴿**من السماء**﴾، إلى الأرض، ﴿**فتخطفُهُ الطير**﴾، أي: تستلبه الطير وتذهب به، والخطف والاختطاف: تناول الشيء بسرعة. وقرأ أهل المدينة: فتخَطَّفه بفتح الخاء وتشديد الطاء، أي: يتخطفه، ﴿**أو تهوي به الريح**﴾، أي: تميل به، ﴿**في مكان سحيق**﴾،

---

(١) انظر الطبري: ١٧/١٥٣ .

(٢) أخرجه أبو داود في الأقضية، باب في شهاة الزور: ٥/٢١٧، والترمذي في الشهادات ٦/٥٨٥، وقال: (هذا حديث إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد – يعني حديث خريم بن فاتك – وقد اختلفوا في رواية هذا الحديث عن سفيان بن زياد =

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝٣٢ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ

أي: أنَّ بعيد، معناه: بُعْدَ من أشرك من الحق كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير، أو هَوَتْ به الريح، فلا يصل إليه بحال. وقيل: شبَّه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع بحيث تُسقطه الريح، فهو هالك لا محالة إما باستلاب الطير لحمه وإما بسقوطه إلى المكان السحيق، وقال الحسن: شبَّه أعمال الكفار بهذه الحال في أنها تذهب وتبطل فلا يقدرون على شيء منها .

﴿**ذلك**﴾، يعني: الذي ذكرت من اجتناب الرجس وقول الزور، ﴿**ومن يعظِّم شعائرَ الله فإنها من تقوى القلوب**﴾، قال ابن عباس «شعائر الله» البُدْن والهدي، وأصلها من الإشعار، وهو إعلامها ليعرف أنها هدي، وتعظيمها: استسمانها واستحسانها. وقيل «شعائر الله» أعلام دينه، «فإنها من تقوى القلوب»، أي: فإن تعظيمها من تقوى القلوب .

﴿**لكم فيها**﴾ أي: في البُدْنِ قبل تسميتها للهدي، ﴿**منافعُ**﴾، في درها ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهورها، ﴿**إلى أجل مسمى**﴾، وهو أن يسميها ويوجبها هدياً، فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها، هذا قول مجاهد، وقول قتادة والضحاك، ورواه مقسم عن ابن عباس .

وقيل: معناه لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدياً بأن تركبوها وتشربوا ألبانها عند الحاجة «إلى أجل مسمى»، يعني: إلى أن تنحروها، وهو قول عطاء بن أبي رباح .

واختلف أهل العلم في ركوب الهدي :

فقال قوم: يجوز له ركوبُها والحمل عليها غير مضرٌ بها، وهو قول مالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، لِما أخبر أبو الحسن السرخسي، أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرةأن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة فقال له: «اركبها، فقال يا رسول الله إنها بدنة، فقال: اركبها ويلك، في الثانية أو الثالثة»، وكذلك قال له: «اشرب لبنها بعدما فضل عن رَيّ ولدها»[1] .

وقال أصحاب الرأي: لا يركبها .

= ولا نعرف لأيمن بن خريم سماعاً من النبي ﷺ). وابن ماجة في الأحكام، باب: شهادة الزور رقم (٢٣٧٢)، ٢/٧٩٤، والإمام أحمد: ٤/١٧٨ .

(١) أخرجه البخاري في الحج، باب: ركوب البدن ٣/٥٣٦، ومسلم في الحج، باب: جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج إليها، برقم (١٣٢٢) ٢/٩٦٠ والمصنف في شرح السنة: ٧/١٩٥ .

﴿مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ٣٣ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ﴾

وقال قوم: لا يركبها إلا أن يضطر إليه.

وقال بعضهم: أراد بالشعائر: المناسك ومشاهد مكة. «لكم فيها منافع» بالتجارة والأسواق «إلى أجل مسمى» وهو الخروج من مكة.

وقيل: «لكم فيها منافع» بالأجر والثواب في قضاء المناسك. «إلى أجل مسمى»، أي: إلى انقضاء أيام الحج.

﴿ثم مَحِلُّها﴾ أي: منحرها، ﴿إلى البيت العتيق﴾ أي: منحرها عند البيت العتيق، يريد أرض الحرم كلها، كما قال: (فلا يقربوا المسجد الحرام) (التوبة: ٢٨) أي: الحرم كله.

٢٧/أ وروي عن جابر في قصة حجة الوداع أن رسول الله ﷺ / قال: «نحرتُ هاهنا ومِنَى كلها منحر فانحروا في رحالكم»[١].

ومن قال: «الشعائر» المناسك، قال: معنى قوله «ثم محلها إلى البيت العتيق» أي: محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق، أي: أن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر.

قال الله تعالى: ﴿ولكل أمة﴾، أي: جماعة مؤمنة سلفت قبلكم، ﴿جعلنا مَنْسَكاً﴾، قرأ حمزة والكسائي بكسر السين هاهنا وفي آخر السورة، على معنى الاسم مثل المجلس والمطلع، أي: مذبحاً وهو موضع القربان، وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر، مثل المدخل والمخرج، أي: إراقة الدماء وذبح القرابين، ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾، [عند نحرها وذبحها، وسماها بهيمة][٢] لأنها لا تتكلم، وقال: «بهيمة الأنعام» وقيدها بالنَّعم، لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير، لا يجوز دخلها[٣] في القرابين.

﴿فإلهكم إلهٌ واحدٌ﴾، أي: سموا على الذبائح اسم الله وحده، فإن إلهكم إله واحد،

---

(١) أخرجه مسلم في الحج، باب: ما جاء أن عرفه كلها موقف، برقم (١٢١٨) ٢/٨٩٣، والمصنف في شرح السنة: ٧/١٥٠.
(٢) ما بين القوسين زيادة من «ب».
(٣) في «ب» ذبحها.

وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ

﴿فله أسلِمُوا﴾، انقادوا وأطيعوا، ﴿وبشِّرِ المخبتين﴾، قال ابن عباس وقتادة: المتواضعين. وقال مجاهد: المطمئنين إلى الله عزّ وجلّ، «والخَبْتُ» المكان المطمئن من الأرض. وقال الأخفش: الخاشعين. وقال النخعي: المخلصين. وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم. وقال عمرو بن أوس: هم الذين لا يَظلِمون وإذا ظُلموا لم ينتصروا.

﴿الذين إذا ذُكِرَ اللهُ وَجلَتْ قلوبُهم والصابرين على ما أصابهم﴾، من البلاء والمصائب، ﴿والمقيمي الصلاة﴾، أي: المقيمين للصلاة في أوقاتها، ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾، يتصدقون.

قوله عز وجل: ﴿والبُدْنَ﴾، جمع بَدَنَةٍ سميت بدنة لعظمها وضخامتها، يريد: الإبل العظام الصحاح الأجسام، يقال بَدُنَ الرجل بُدْناً وبدانةً إذا ضخم، فأما إذا أسَنَّ واسترخى يقال بَدَّنَ تبديناً. قال عطاء والسدي: البُدن: الإبل والبقر أما الغنم فلا تسمى بدنة. ﴿جعلناها لكم من شعائر الله﴾، من أعلام دينه، سُميت شعائر لأنها تُشعرَ، وهو أن تُطعن بحديدة في سنامها فيعلم أنها هدي، ﴿لكم فيها خير﴾، النفع في الدنيا والأجر في العقبى، ﴿فاذكروا اسمَ اللهِ عليها﴾، عند نحرها، ﴿صوافَّ﴾، أي: قياماً على ثلاث قوائم قد صفت رجليها وإحدى يديها، ويدها اليسرى معقولة فينحرها كذلك.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبد الله بن مسلمة، أخبرنا يزيد بن زريع، عن يونس، عن زياد بن جبير قال: رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخَ بَدَنةً ينحرها، قال: ابعثها قياماً مقيدةً سنةَ محمد ﷺ(1).

وقال مجاهد: الصواف إذا عقلت رجلها اليسرى وقامت على ثلاث قوائم.

وقرأ ابن مسعود: «صوافن» وهي أن تعقل منها يد وتنحر على ثلاث، وهو مثل صواف. وقرأ أُبي والحسن ومجاهد: «صوافي» بالياء أي: صافية خالصة لله لا شريك له فيها.

﴿فإذا وجَبَتْ جُنوبُها﴾، أي: سقطت بعد النحر فوقعت جنوبها على الأرض. وأصل الوجوب:

---

(1) أخرجه البخاري في الحج، باب: نحر الإبل مقيدة: ٣/٥٥٣، ومسلم في الحج، باب: نحر البدن قياماً مقيدة، برقم (١٣٢٠) ٢/٩٥٦، والمصنف في شرح السنة: ٧/١٩٨.

جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا

الوقوع. يقال: وجبت الشمس إذا سقطت للمغيب، ﴿فكلوا منها﴾، أمر إباحة، ﴿وأطعِمُوا القانعَ والمُعْتَرَّ﴾، اختلفوا في معناها:.

فقال عكرمة وإبراهيم وقتادة: «القانع» الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يُعطى ولا يسأل، و«المعتر» الذي يسأل.

وروى العوفي عن ابن عباس: «القانع» الذي لا يتعرض ولايسأل، و«المعتر» الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل، فعلى هذين التأويلين يكون «القانع»: من القناعة، يقال: قنع قناعة إذا رضي بما قُسم له.

وقال سعيد بن جبير والحسن والكلبي: «القانع»: الذي يسأل، «والمعتر»: الذي يتعرض ولا يسأل، فيكون «القانع» من قنع يقنع قنوعاً إذا سأل.

وقرأ الحسن: «والمعتري» وهو مثل المعتر، يقال: عره واعتره وعراه واعتراه إذا أتاه يطلب معروفه، إمّا سؤالاً أو تعرضاً.

وقال ابن زيد: «القانع»: المسكين، «والمعتر»: الذي ليس بمسكين، ولا يكون له ذبيحة يجيء إلى القوم فيتعرض لهم لأجل لحمهم[1].

﴿كذلك﴾ أي: مثل ما وصفنا من نحرها قياماً، ﴿سخرناها لكم﴾، نعمة منا لتتمكنوا من نحرها، ﴿لعلّكم تشكرون﴾، لكي تشكروا إنعام الله عليكم.

﴿لنْ ينالَ اللهَ لحومُها ولا دماؤُها﴾، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا نحروا البدن لطخوا الكعبة

---

(١) ذكر هذه الأقوال وغيرها الطبري: ١٧/١٦٧-١٧٠ ثم قال: (وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: عنى بالقانع: السائل، لأنه لو كان المعنيّ بالقانع في هذا الموضع: المكتفي بما عنده، والمستغني به لقيل: وأطعموا القانع والسائل، ولم يقل: وأطعموا القانع والمعترّ، وفي إتباع ذلك قوله: والمعترّ، الدليل الواضح على أن القانع معنيّ به السائل من قولهم: قنع فلان إلى فلان، بمعنى سأله وخضع إليه، فهو يقنع قنوعاً، ومنه قول لبيد:

وأعطاني المَوْلى على حينَ فقرِهِ　　　إذا قال أبصرْ خَلّتي وقُنُوعي

وأما القانع الذي هو بمعنى المكتفي، فإنه من قنِعت، بكسر النون، أقنع قناعة، وقنوعاً وقنعاناً، وأما المعتر: فإنه الذي يأتيك معتراً بك لتعطيه وتطعمه).

﴿لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

بدمائها قربة إلى الله، فأنزل الله هذه الآية: «لنْ ينال الله لحومُها ولا دماؤُها» قرأ يعقوب «تنال وتناله» بالتاء فيهما، وقرأ العامة بالياء. قال مقاتل: لن يُرفع إلى الله لحومُها ولا دماؤُها، ﴿**ولكن يناله التقوى منكم**﴾، ولكن تُرفع إليه منكم الأعمال الصالحة والتقوى، والإخلاص ما أريد به وجه الله، ﴿**كذلك سخرها لكم**﴾، يعني: البدن، ﴿**لتكبّروا الله على ما هداكم**﴾، أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه، وهو أن يقول: الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أبلانا وأولانا، ﴿**وبشّر المحسنين**﴾، قال ابن عباس: الموحدين.

قوله تعالى: ﴿**إنّ الله يدافع عن الذين آمنوا**﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة: «يدفع»، وقرأ الآخرون: «يدافع» بالألف، يريد: يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم عن المؤمنين. ﴿**إنّ الله لا يُحبُّ كلَّ خوّانٍ كفور**﴾، أي: خوان في أمانة الله كفور لنعمته، قال ابن عباس: خانوا الله فجعلوا معه شريكاً وكفروا نعَمه. قال الزجاج: من تقرب إلى الأصنام بذبيحته وذكر عليها اسم غير الله فهو خوان كفور.

٢٧/ب قوله عز وجل: ﴿**أُذنَ للذين يقاتَلون بأنهم ظُلموا**﴾، / قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم: «أُذن» بضم الألف والباقون بفتحها، أي: أذن الله، «للذين يُقاتَلون»، قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص «يقاتلون» بفتح التاء يعني المؤمنين الذين يقاتلهم المشركون، وقرأ الآخرون بكسر التاء يعني الذين أذن لهم بالجهاد «يقاتلون» المشركين.

قال المفسرون: كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ فلا يزالون محزونين من بين مضروب ومشجوج، ويشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ، فيقول لهم: اصبروا فإني لم أومر بالقتال، حتى هاجر رسول الله ﷺ، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية[1]، وهي أول آية أُذِنَ الله فيها بالقتال، فنزلت هذه الآية بالمدينة.

وقال مجاهد: نزلت هذه الآية في قوم بأعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة، فكانوا

(١) قال ابن حجر في الكافي الشاف ص (١١٣): لم أجده هكذا. وعزاه الواحدي في الوسيط للمفسرين، قلت – ابن حجر –: هو منتزع من أحاديث، أقربها ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان قوله (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) وذلك أن مشركي أهل مكة كانوا يؤذون المسلمين بمكة، فاستأذنوا النبي ﷺ في قتالهم بمكة، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك، فلما خرج النبي ﷺ إلى المدينة أنزل الله عليه: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا). انظر أسباب النزول للواحدي ص (٣٧٥).

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾

يُمنعون فأذِنَ اللهُ لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة[1]، ﴿**بأنهم ظلموا**﴾، أي: بسبب ما ظُلِموا، واعتدوا عليهم بالإيذاء، ﴿**وإنّ الله على نصرهم لقدير**﴾.

﴿**الذين أُخرجُوا من ديارهم بغير حق**﴾، بدل «عن الذين» الأولى ﴿**إلا أن يقولوا ربُّنا الله**﴾، أي: لم يخرجوا من ديارهم إلا لقولهم ربنا الله وحده.

﴿**ولولا دفع الناس بعضهم ببعض**﴾، بالجهاد وإقامة الحدود، ﴿**لَهُدِّمت**﴾، قرأ أهل الحجاز بتخفيف الدال، وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير، فالتخفيف يكون للقليل والكثير، والتشديد يختص بالكثير، ﴿**صَوَامِعُ**﴾، قال مجاهد والضحاك: يعني: صوامع الرهبان. وقال قتادة: صوامع الصابئين، ﴿**وبِيَعٌ**﴾، بِيَع النصارى جمع «بيعة» وهي كنيسة النصارى، ﴿**وصلوات**﴾، يعني كنائس اليهود، ويسمونها بالعبرانية صلوتا، ﴿**ومساجد يُذكَرُ فيها اسم الله كثيراً**﴾، يعني مساجد المسلمين من أمة محمد ﷺ.

ومعنى الآية: ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهُدِّم في شريعة كل نبي مكان صلاتهم، لهدم في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى البيع والصوامع، وفي زمن محمد ﷺ المساجد.

وقال ابن زيد: أراد بالصلوات صلوات أهل الإسلام، فإنها تنقطع إذا دخل العدو عليهم.

﴿**ولينصرنّ اللهُ من ينصره**﴾، أي: ينصر دينه ونبيه، ﴿**إن الله لقوي عزيز**﴾.

﴿**الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوُا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهَوْا عن المنكر**﴾، قال الزجاج: هذا من صفة ناصريه، ومعنى «مكناهم في الأرض»: نصرناهم على عدوهم حتى

---

(١) عزاه السيوطي: ٥٧/٦ لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾

يتمكنوا من البلاد. قال قتادة: هم أصحاب محمد ﷺ، وقال الحسن: هم هذه الأمة ﴿**ولله عاقبة الأمور**﴾، أي: آخر أمور الخلق ومصيرهم إليه، يعني: يبطل كل ملك سوى ملكه، فتصير الأمور إليه بلا منازع ولا مدَّع .

قوله عز وجل: ﴿**وإن يكذبوك**﴾، يعزّي نبيه ﷺ، ﴿**فقد كَذَّبت قبلهم قومُ نوحٍ وعادٌ وثمودُ**﴾ .

﴿**وقومُ إبراهيم وقومُ لوطٍ**﴾ .

﴿**وأصحاب مَدْيَنَ وكُذِّب موسى، فأمليتُ للكافرين**﴾، أي: أمهلتهم وأخّرت عقوبتهم، ﴿**ثم أخذتُهم**﴾، [عاقبتُهم][1]، ﴿**فكيف كان نكير**﴾، أي: إنكاري، أي: كيف أنكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك، يخوف به من يخُالِف النبيَّ ﷺ ويكذبه .

﴿**فكأيِّن**﴾، فكم ﴿**من قريةٍ أهلكناها**﴾، بالتاء[2]، هكذا قرأ أهل البصرة ويعقوب، وقرأ الآخرون: «أهلكناها» بالنون والألف على التعظيم، ﴿**وهي ظالمة**﴾، أي: وأهلها ظالمون، ﴿**فهي خاوية**﴾ ساقطة ﴿**على عروشها**﴾، على سقوفها، ﴿**وبئرٍ مُعَطَّلةٍ**﴾: [أي: وكم من بئر معطلة][3] متروكة مخلاة عن أهلها ﴿**وقصر مَشِيْدٍ**﴾، قال قتادة والضحاك ومقاتل: رفيع طويل، من قولهم شاد بناءه إذا رفعه. وقال سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء: مجصّص، من الشيد، وهو الجص. وقيل: إن البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن، أما القصر فعلى قُلّة جبل، والبئر في سفحه، ولكل واحد منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فأهلكهم الله، وبقي البئر والقصر خاليين .

وروى أبو روق عن الضحاك: أن هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضوراء، وذلك

(١) زيادة من «ب» .
(٢) أي: أهلكتها .
(٣) مابين القوسين زيادة من «ب» .

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾

أن أربعة آلاف نفر ممن آمن بصالح، نجوا من العذاب، أتوا حضرموت ومعهم صالح فلما حضروه مات صالح، فسمي حضرموت، لأن صالحاً لما حضر مات فبنوا حاضوراء وقعدوا على هذه البئر وأمّروا عليهم رجلاً فأقاموا دهراً وتناسلوا حتى كثروا، ثم إنّهم عبدوا الأصنام وكفروا فأرسل الله إليهم نبياً يقال له حنظلة بن صفوان، كان حمالاً فيهم، فقتلوه في السوق فأهلكهم الله، وعطلت بئرهم وخربت قصورهم[1].

﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾، يعني: كفارَ مكة، فينظروا إلى مصارع المكذبين من الأمم الخالية، ﴿فتكونَ لهم قلوبٌ يعقلون بها أو آذانٌ يسمعون بها﴾، يعني: ما يذكر لهم من أخبار القرون الماضية فيعتبرون بها، ﴿فإنها﴾، الهاء عماد، ﴿لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾، ذَكَر «التي في الصدور» تأكيداً كقوله: (يطير بجناحيه) (الأنعام: ٣٨) معناه أن العمى الضار هو عمى القلب، فأمّا عمى البصر فليس بضار في أمر الدين، قال قتادة: البصر الظاهر: بُلْغة ومتعة، وبصر القلب: هو البصر النافع.

﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾، نزلت في النضر بن الحارث حيث قال: إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء[2]. ﴿ولن يخلف الله وعده﴾، فأُنجز ذلك يوم / بدر. ﴿وإنّ ٢٨/أ يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾، قرأ ابن كثير وحمزة والكسائيُ: «يعدون» بالياء هاهنا لقوله: ﴿يستعجلونك﴾، وقرأ الباقون: بالتاء لأنه أعم، لأنه خطاب للمستعجلين والمؤمنين، واتفقوا في تنزيل «السجدة» أنه بالتاء.

قال ابن عباس: يعني يوماً من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض.

وقال مجاهد وعكرمة: يوماً من أيام الآخرة، والدليل عليه ما رُوي عن أبي سعيد الخدري

(١) انظر: البحر المحيط: ٦/٣٧٧.
(٢) سبق تخريجه سورة الأنفال عند الآية (٣٢).

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾

قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم، وذلك مقدار خمسمائة سنة»[(١)].

قال ابن زيد: «وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون» هذه أيام الآخرة. وقوله: «كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون» يوم القيامة. والمعنى على هذا: أنهم يستعجلون بالعذاب، وإن يوماً من أيام عذابهم في الآخرة ألف سنة.

وقيل: معناه وإن يوماً من أيام العذاب الذي استعجلوه في الثقل والاستطالة والشدة كألف سنة مما تعدون، فكيف تستعجلونه؟ هذا كما يقال: أيام الهموم طوال، وأيام السرور قصار .

وقيل: معناه إن يوماً عنده وألف سنة في الإمهال سواء، لأنه قادر متى شاء أخذهم لا يفوتُه شيء بالتأخير، فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلون به من العذاب وتأخره، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء .

﴿**وكأيِّن من قرية أمليتُ لها**﴾، أي أمهلتها، ﴿**وهي ظالمة ثم أخذتُها وإليَّ المصير**﴾ .

﴿**قلْ يا أيها الناس إنّما أنا لكم نذير مبين**﴾ .

﴿**فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم**﴾، الرزق الكريم الذي لا ينقطع أبداً. وقيل: هو الجنة .

﴿**والذين سعوا في آياتنا**﴾، أي عملوا في إبطال آياتنا، ﴿**معاجزين**﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «معجّزين» بالتشديد هاهنا وفي سورة سبأ أي: مثبِّطين الناس عن الإيمان، وقرأ الآخرون: «معاجزين» بالألف أي معاندين مشاقين. وقال قتادة: معناه ظانين ومقدرين أنهم يعجزوننا بزعمهم أن لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار، ومعنى يعجزوننا، أي: يفوتوننا فلا نقدر عليهم. وهذا كقوله تعالى: (أمْ حسبَ الذين يعملون السيئات أن يسبقونا) (العنكبوت: ٤)، ﴿**أولئك أصحاب الجحيم**﴾، وقيل: «معاجزين» مغالبين، يريد كل واحد أن يُظهر عجز صاحبه .

---

(١) أخرجه أبو داود في العلم، باب في القصص: ٥/٢٥٥-٢٥٦، قال المنذري في إسناده المعلّى بن زياد، وفيه مقال، ثم ساق شاهداً من حديث أبي هريرة أخرجه الترمذي وابن ماجه. والإمام أحمد: ٣/٦٣، والمصنف في شرح السنة: ١٤/١٩١-١٩٢.

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ

قوله عز وجل: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلّا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أُمْنِيَّتِه**﴾، الآية. قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما من المفسرين: لما رأى رسول الله ﷺ تولّي قومه عنه وشقّ عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله تمنّى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على إيمانهم، فكان يوماً في مجلس قريش فأنزل الله تعالى سورة «النجم» فقرأها رسول الله ﷺ حتى بلغ قوله: (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) ألقى الشيطان على لسانه بما كان يحدّث به نفسه ويتمناه: «تلك الغرانيق العلى وإنّ شفاعتهم لتُرتجى»، فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله ﷺ في قراءته، فقرأ السورة كلها وسجد في آخر السورة فسجد المسلمون بسجوده، وسجد جميع من في المسجد من المشركين، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلّا سجد إلّا الوليد بن المغيرة وأبو أحيحة سعيد بن العاص، فإنهما أخذا حفنة من البطحاء ورفعاها إلى جبهتيهما وسجدا عليها، لأنهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود. وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ويقولون: قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر، وقالوا: قد عرفنا أن الله يحيى ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، فإذا جعل لها نصيباً فنحن معه، فلما أمسى رسول الله ﷺ أتاه جبريل فقال: يا محمد ماذا صنعت؟ لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله عزّ وجلّ! فحزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً وخاف من الله خوفاً كثيراً فأنزل الله هذه الآية يعزيه، وكان به رحيماً، وسمع بذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب النبي ﷺ وبلغهم سجود قريش. وقيل: أسلمت قريش وأهل مكة فرجع أكثرهم إلى عشائرهم، وقالوا: هم أحبّ إلينا حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن الذي كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً فلم يدخل أحد إلا بجوار أو مستخفياً، فلما نزلت هذه الآية قالت قريش: ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغيَّر ذلك. وكان الحرفان اللذان ألقىٰ الشيطان على لسان رسول الله ﷺ قد وقعا في فم كل مشرك فازدادوا شراً إلى ما كانوا عليه، وشدةً على من أسلم .

قال الله تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول**﴾ وهو الذي يأتيه جبريل بالوحى عياناً، ﴿**ولا نبي**﴾، وهو الذي تكون نبوته إلهاماً أو مناماً، وكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، ﴿**إلا إذا تمنّى**﴾، قال بعضهم: أي: أحب شيئاً واشتهاه وحدّث به نفسه ما لم يؤمر به. «ألقى الشيطان في أمنيته» أي مراده .

وعن ابن عباس قال: إذا حدّث ألقى الشيطان في حديثه ووجد إليه سبيلاً، وما من نبي إلا تمنى

أن يؤمن به قومه ولم يتمنَّ ذلك نبي إلا ألقىٰ الشيطان عليه ما يرضى به قومه، فينسخ الله ما يلقي الشيطان.

٢٨/ب وأكثر المفسرين / قالوا: معنى قوله: (تمنى) أي: تلا وقرأ كتاب الله تعالى. ﴿ألقى الشيطان في أمنيته﴾ أي: في تلاوته، قال الشاعر في عثمان حين قتل:

تَمَنَّىٰ كتابَ اللهِ أَوّلَ ليلةٍ ... وآخِرَهَا لاقَىٰ حِمَامَ المَقَادِرِ

واختلفوا في أنه كان يقرأ في الصلاة أو في غير الصلاة؟ فقال قوم: كان يقرأ في الصلاة. وقال قوم: كان يقرأ في غير الصلاة. فإن قيل كيف يجوز الغلط في التلاوة على النبي ﷺ وكان معصوماً من الغلط في أصل الدين، وقال جلّ ذكره في القرآن: (لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه) (فصلت: ٤٢) يعني إبليس؟

قيل: قد اختلف الناس في الجواب عنه، فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ لم يقرأ، ولكن الشيطان ذكر ذلك بين قراءته، فظن المشركون أن الرسول قرأه.

وقال قتادة: أغفىٰ النبي ﷺ إغفاءةً فجرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان ولم يكن له خير.

والأكثرون قالوا: جرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان على سبيل السهو والنسيان ولم يلبث أن نبهه الله عليه.

وقيل: إن شيطاناً يقال له أبيض عمل هذا العمل، وكان ذلك فتنة ومحنة من الله تعالى يمتحن عباده بما يشاء[1].

---

(١) إن هذه القصة والمعروفة بقصة الغرانيق قد ذكرها أكثر المفسرين دون تعليق فقد ذكرها الطبري ١٧/١٨٦–١٩٠ وابن كثير في تفسيره ٣/٢٣٠–٢٣١ ثم قال: (وقد ذكرها محمد بن إسحاق في السيرة بنحو من هذا كلها مرسلات ومنقطعات والله أعلم). والذي يتتبع طرق هذه القصة يجد أن جميع طرقها مرسلة أو منقطعة أو معلة أو فيها جهالة فالطرق مهما كثرت وكانت ضعيفة لا تزيد الرواية إلا ضعفاً. فإن قاعدة تقوية الحديث بكثرة الطرق لا تقبل على إطلاقها وهذا ما حققه الحافظ أبو عمرو ابن الصلاح في مقدمته وغيره من علماء الحديث المحققين.
لقد وقف على هذه القصة غير واحد من العلماء المحققين وبينوا زيف وبطلان هذه المرويات التي أوردها بعض المفسرين. فقد ذكر الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني في تفسيره: ٣/٤٦٢ عند قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾ فقال: ﴿ولم يصح شيء من هذا، ولا ثبت بوجه من الوجوه، ومع عدم صحته بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله سبحانه قال تعالى: (ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) وقوله: (وما ينطق عن الهوى) وقوله: (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم). قال البزار: هذا حديث لا نعلمه يروىٰ عن النبي ﷺ بإسناد متصل. وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم أن رواة هذه القصة مطعون فيهم. =

فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾
لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ

﴿**فينسخ الله ما يلقي الشيطان**﴾ أي: يُبطله ويذهبه، ﴿**ثم يُحكم الله آياته**﴾، فيثبتها، ﴿**والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض**﴾ أي: محنة وبلية، شك ونفاق، ﴿**والقاسية**﴾، يعني الجافية، ﴿**قلوبهم**﴾، عن قبول الحق وهم المشركون، وذلك أنهم افتتنوا لما سمعوا ذلك، ثم نُسخ ورفع فازدادوا عُتواً، وظنوا أن محمداً يقوله من تلقاء نفسه ثم يندم فيبطل، ﴿**وإنّ الظالمين**﴾، المشركين ﴿**لفي شقاق بعيد**﴾ أي: في خلاف شديد .

﴿**وليعلم الذين أوتوا العلم**﴾، التوحيد والقرآن. وقال السدي: التصديق بنسخ الله تعالى، ﴿**أنه**﴾، يعني: أن الذي أحكم اللهُ من آيات القرآن هو ﴿**الحق من ربك فيؤمنوا به**﴾،أي: يعتقدوا

= وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة. وصنف في ذلك كتاباً».
وللقاضي عياض في كتاب الشفاء ٧٥٠/٢ كلام حول نقض هذه القصة فيقول: (فاعلم أكرمك الله أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين:
المأخذ الأول: يكفيك أن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل ا لصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، والمتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم .
المأخذ الثاني: فهو مبني على تسليم الحديث لو صح، وقد أعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد أجاب على ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث والسمين «١١/ن».
ثم سرد أحاديث بين زيفها ورد العلماء عليها .
ويقول الإمام القرطبي في تفسيره ٨٤/١٢ عند قوله تعالى: «وما أرسلنا من قبلك من رسول...» بعد أن سرد بعض الروايات «ومما يدل على ضعفه أيضاً وتوهينه من الكتاب قوله تعالىٰ: (وإن كادوا ليفتِنُونك) الآيتين؛ فإنهما تردان الخبر الذي رووه، لأن الله تعالىٰ ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفتري، وأنه لولا أن ثبّتَهُ لكان يركن إليهم .
فمضمون هذا ومفهومه أن الله تعالى عصمه في أن يفتري وثبته حتى لم يركن إليهم قليلاً فكيف كثيراً) أ.ن .
إن هذه الأقاويل يجب تنزيه رسول الله ﷺ منها وقد ثبت بطلان هذه القصة سنداً ومتناً .
ولمن أراد مزيد إطلاع فلينظر بحثاً قيماً للأستاذ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. (نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق) فقد سرد جميع الروايات وبين ضعفها وسرد أقوال المحدثين والعلماء المحققين في رد هذه القصة .
انظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، صفحة ٤٤٠-٤٥٢ لمحمد بن محمد أبو شهبة. روح المعاني للألوسي ١٧٥/١٧-١٨٤. الشفاء للقاضي عياض ٧٥٠/٢ وما بعده. فتح القدير ٤٦١/٣. تفسير القرطبي ٧٩/١٢ وما بعدها. في ظلال القرآن ٦١١/٥.

﴿مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٤ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً
أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ۝٥٥ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٥٦ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ﴾

أنه من الله، ﴿**فتخبتَ له قلوبهم**﴾، أي: فتسكن إليه قلوبهم، ﴿**وإنّ الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم**﴾، أي: طريق قويم هو الإسلام.

﴿**ولا يزال الذين كفروا في مِرْية منه**﴾، أي: في شك مما ألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ يقولون: ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها. وقال ابن جريج: «منه» أي من القرآن. وقيل: من الدين، وهو الصراط المستقيم. ﴿**حتى تأتيَهمُ الساعةُ بغتةً**﴾، يعني: القيامة. وقيل: الموت، ﴿**أو يأتيَهمْ عذابُ يوم عقيم**﴾، قال الضحاك وعكرمة: عذاب يوم لا ليلة له، وهو يوم القيامة.

والأكثرون على أن اليوم العقيم يوم بدر، لأنه ذكر الساعة من قبل وهو يوم القيامة. وسُمي يوم بدر عقيماً لأنه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير، كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، سحاب ولا مطر، [والعقم في اللغة: المنع، يقال: رجل عقيم إذا مُنع من الولد][(1)]. وقيل: لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه. وقال ابن جريج: لأنهم لم يُنظروا فيه إلى الليل حتى قتلوا قبل المساء.

﴿**المُلْك يومئذ**﴾، يعني يوم القيامة، ﴿**لله**﴾، وحده من غير منازع، ﴿**يحكم بينهم**﴾، ثم بيّن الحكم، فقال تعالى: ﴿**فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم**﴾.

﴿**والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين**﴾.

﴿**والذين هاجروا في سبيل الله**﴾، فارقوا أوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب رضاه، ﴿**ثم قتلوا أو ماتوا**﴾، وهم كذلك، قرأ ابن عامر «قتّلوا» بالتشديد ﴿**ليرزقنّهم الله رزقاً حسناً**﴾، والرزق الحسن الذي لا ينقطع أبداً هو رزق الجنة، ﴿**وإنّ الله هو خيرُ الرازقين**﴾، قيل: هو قوله: (بل أحياء عند ربهم يُرزقون) (آل عمران: ١٦٩).

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».

ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾
ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ
لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ
ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ
ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً

﴿**لَيُدخلنَّهم مُدْخلاً يَرضَوْنه**﴾، لأن لهم فيه ما تشتهي الأنفس وتلذُّ الأعين، ﴿**وإن الله لعليم**﴾، بنياتهم، ﴿**حليم**﴾، عنهم.

﴿**ذلك**﴾، أي: الأمر ذلك الذي قصصنا عليكم، ﴿**ومن عاقب بمثل ما عُوقِبَ به**﴾، جازى الظالم بمثل ما ظلمه. قال الحسن: يعني قاتل المشركين كما قاتلوه، ﴿**ثم بُغِيَ عليه**﴾، أي: ظُلم بإخراجه من منزله يعني: ما أتاه المشركون من البغي على المسلمين حتى أحوجوهم إلى مفارقة أوطانهم، نزلت في قوم من المشركين أتوا قوماً من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فكره المسلمون قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن ا لقتال من أجل الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم، وثبت المسلمون لهم فنُصروا عليهم[1]، قال الله تعالى: ﴿**لَيَنْصُرَنَّه الله**﴾، والعقاب الأول بمعنى الجزاء، ﴿**إنّ الله لعفوٌّ غفور**﴾، عفا عن مساوىء المؤمنين وغفر لهم ذنوبهم.

﴿**ذلك**﴾ أي: ذلك النصر ﴿**بأن الله**﴾، القادر على ما يشاء، فمن قدرته أنه: ﴿**يُولجُ الليلَ في النهار ويُولجُ النهارَ في الليل وأن الله سميع بصير**﴾.

﴿**ذلك بأن الله هو الحقُّ وأنّ ما يدعون**﴾، قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائي وحفص: بالياء، وقرأ الآخرون: بالتاء، يعني المشركين، ﴿**من دونه هو الباطل وأنّ الله هو العليُّ**﴾، العالي على كل شيء، ﴿**الكبير**﴾، العظيم الذي كل شيء دونه.

﴿**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبحُ الأرضُ مخضرةً**﴾، بالنبات، ﴿**إنّ الله لطيفٌ**﴾، بأرزاق عباده واستخراج النبات من الأرض، ﴿**خبير**﴾، بما في قلوب العباد واستخراج النبات من الأرض، إذا تأخر المطر عنهم.

---

(١) ذكره الطبري: ١٩٥/١٧ بغير سند، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧١/٦ لابن أبي حاتم.

فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى
ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ
وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ
ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ
إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ

﴿**له ما في السموات وما في الأرض**﴾، عبيداً ومُلْكاً، ﴿**وإنّ الله هو الغني**﴾، عن عباده، ﴿**الحميد**﴾، في أفعاله .

﴿**ألَم ترَ أن الله سخّرَ لكم ما في الأرض والفُلْكَ**﴾ أي: وسخر لكم الفلك، ﴿**تجري في البحر بأمره**﴾ / ، وقيل: «ما في الأرض»: الدوابُّ تركب في البر، و«الفلك» تركب في البحر، ﴿**ويمسكُ السماءَ أن تقعَ على الأرض**﴾يعني: لكيلا تسقطَ على الأرض، ﴿**إلا بإذنه إنّ الله بالناس لرؤوف رحيم**﴾. ٢٩/أ

﴿**وهو الذي أحياكم**﴾، أي: أنشأكم ولم تكونوا شيئاً، ﴿**ثم يُميتُكم**﴾، عند انقضاء آجالكم، ﴿**ثم يحييكم**﴾، يوم البعث للثواب والعقاب، ﴿**إنّ الإنسان لكفور**﴾، لنعم الله .

قوله عز وجل: ﴿**لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه**﴾، قال ابن عباس: يعني شريعة هم عاملون بها. وروي عنه أنه قال: عيداً. قال قتادة ومجاهد: موضع قربان يذبحون فيه. وقيل: موضع عبادة. وقيل: مَألفاً يألفونه .

والمنسك في كلام العرب: الموضع المعتاد لعمل خير أو شر، ومنه «مناسك الحج» لتردد الناس إلى أماكن أعمال الحج .

﴿**فلا ينازعنّك في الأمر**﴾، يعني في أمر الذبائح. نزلت في بُدَيْل بن ورقاء، وبشر بن سفيان، ويزيد بن خنيس قالوا لأصحاب النبي ﷺ: مالكم تأكلون مما تقتلون بأيديكم ولا تأكلون مما قتله الله[1] .

قال الزجاج: معنى قوله ﴿**فلا ينازعنك**﴾ أي: لا تنازعهم أنت، كما يقال: لا يخاصمك فلان،

(١) انظر: القرطبي: ٩٣/١٢ .

فِي ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ
أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ
أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى
ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ
وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ
أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

أي: لا تخاصمه، وهذا جائز فيما يكون بين الإثنين، ولا يجوز: لا يضربنك فلان، وأنت تريد: لا تضربه، وذلك أن المنازعة والمخاصمة لا تتم إلا باثنين، فإذا ترك أحدهما فلا مخاصمة هناك .

﴿وادْعُ إلى ربّك﴾، إلى الإيمان بربك، **﴿إنّك لعلى هدىً مستقيم﴾** .

﴿وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون﴾ .

﴿اللهُ يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون﴾، فتعرفون حينئذ الحق من الباطل. والاختلاف: ذهاب كل واحد من الخصمين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر .

﴿ألم تعلمْ أنّ الله يعلمُ ما في السماء والأرض إنّ ذلك﴾، كله، **﴿في كتاب﴾**، يعني اللوح المحفوظ، **﴿إن ذلك﴾** يعني: علمه لجميع ذلك، **﴿على الله يسير﴾** .

﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزّل به سلطاناً﴾، حجة، **﴿وما ليس لهم به علم﴾**، يعني أنهم فعلوا ما فعلوا عن جهل لا عن علم، **﴿وما للظالمين﴾**، للمشركين، **﴿من نصير﴾**، مانع يمنعهم من عذاب الله.

﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾، يعني: القرآن، **﴿تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر﴾**، يعني الإنكار يتبين ذلك في وجوههم من الكراهية والعبوس، **﴿يكادون يَسْطُون﴾**، أي: يقعون ويبسطون إليهم أيديهم بالسوء. وقيل: يبطشون، **﴿بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾**، أي: بمحمد وأصحابه من شدة الغيظ. يقال: سطا عليه وسطا به، إذا تناوله بالبطش والعنف، وأصل السطو: القهر .

﴿قل﴾، يا محمد، **﴿أفأنبئكم بشرٍ من ذلكم﴾**، أي: بشرٌّ لكم وأكره إليكم من هذا القرآن

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾

الذي تستمعون، **﴿النارُ﴾** أي: هي النار، **﴿وَعَدَها الله الذين كفروا وبئس المصير﴾** .

﴿يا أيها الناس ضُرِب مثل﴾، معنى ضُرِب: جُعِل، كقولهم: ضربَ السلطانُ البعثَ على الناس، وضرب الجزيةَ على أهل الذمة، أي جعل ذلك عليهم. ومعنى الآية: جُعِل لي شبَه، وشُبِّه بيَ الأوثان، أي: جعل المشركون الأصنام شركائي فعبدوها ومعنى **﴿فاستمعوا له﴾**، أي: فاستمعوا حالها وصفتها. ثم بين ذلك فقال:

﴿إن الذين تدْعُوْن من دون الله﴾، يعني: الأصنام، قرأ يعقوب بالياء والباقون بالتاء **﴿لن يخلُقوا ذباباً﴾**، واحداً في صغره وقلته لأنها لا تقدر عليه. والذباب: واحد وجمعه القليل: أَذِبَّة، والكثير: ذِبَّان، مثل غُراب وأَغْرِبَة، وغِرْبَان، **﴿ولو اجتمعوا له﴾**، أي: لخلقه، **﴿وإنْ يسلبْهُمُ الذبابُ شيئاً لا يستنقذوه منه﴾**، قال ابن عباس: كانوا يطلُون الأصنام بالزعفران، فإذا جفَّ جاء الذباب فاستلب منه.

وقال السدي: كانوا يضعون الطعام بين يدي الأصنام فتقع الذباب عليه فيأكلن منه .

وقال ابن زيد: كانوا يحلون الأصنام باليواقيت واللآليء وأنواع الجواهر، ويطيبونها بألوان الطيب فربما تسقط منها واحدة فيأخذها طائر أو ذباب فلا تقدر الآلهة على استردادها، فذلك قوله: **﴿وإنْ يسلبهم الذباب شيئاً﴾** أي: وإن يسلب الذبابُ الأصنامَ شيئاً مما عليها لا يقدرون أن يستنقذوه منه، **﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾**، قال ابن عباس: «الطالب»: الذباب يطلب ما يسلب من الطيب من الصنم، و«المطلوب»: الصنم يطلب الذباب منه السلب. وقيل: على العكس: «الطالب»: الصنم و«المطلوب»: الذباب. وقال الضحاك: «الطالب»: العابد و«المطلوب»: المعبود .

﴿ما قَدَرُوا الله حقَّ قدره﴾، ما عظَّموه حقَّ عظمتِهِ وما عرفوه حقَّ معرفتِهِ، ولا وصفوه حقَّ صفتِهِ إنْ أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه، **﴿إنّ الله لقويّ عزيز﴾** .

﴿الله يصطفي﴾، يعني يختار **﴿من الملائكة رسلاً﴾**، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وغيرهم، **﴿ومن الناس﴾**، أي: يختار من الناس رسلاً مثل إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ٧٥ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ٧٦ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ٧٧﴾

وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، نزلت حين قال المشركون: «أأنزلَ عليه الذكر من بيننا»، فأخبر أن الاختيار إليه، يختار من يشاء من خلقه[1].

﴿إنَّ الله سَميعٌ بصير﴾، أي: سميع لقولهم، بصير بمن يختارُهُ لرسالته.

﴿يعلم ما بين أيدِيهم﴾، قال ابن عباس: ما قدَّموا، ﴿وما خلْفَهم﴾، ما خلَّفوا. وقال الحسن: «ما بين أيديهم»: ما عملوا «وما خلفهم» ما هم به عاملون من بعد. وقيل: «ما بين أيديهمْ: ملائكتة وكتبه ورسله قبل أن خلقهم، «وما خلفهم» أي: يعلم ما هو كائن بعد فنائهم. ﴿وإلى الله تُرجع الأمور﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾، أي: صلُّوا، لأن الصلاةَ لا تكونُ إلا بالركوع والسجود، ﴿واعبدوا ربكم﴾، وحِّدوه، ﴿وافعلوا الخير﴾، قال ابن عباس / : صلة الرحم ومكارم الأخلاق، ﴿لعلّكم تُفلحون﴾، لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة. واختلف أهلُ العلم في سجود التلاوة عند قراءة هذه الآية: . ٢٩/ب

فذهب قوم إلى أنه يسجد عندها، وهو قول عمر، وعلي، وابن عمر، وابن مسعود، وابن عباس، وبه قال ابن المبارك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق. واحتجوا بما أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، أخبرنا أبو عيسى الترمذي، أخبرنا قتيبة، أخبرنا ابن لهيعة، عن مشرح بن عاهان، عن عقبة بن عامر قال: قلت يا رسول الله فُضِّلت سورةُ الحج بأنّ فيها سجدتين؟ قال: «نعم، ومن لم يسجدْهما فلا يقرأْهُما»[2].

---

(١) انظر: القرطبي: ٩٨/١٢.

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب: تفريع أبواب السجود، وكم سجدة في القرآن ١١٧/٢، والترمذي في الصلاة، باب: ما جاء في السجدة في الحج ١٧٨/٣-١٧٩ وقال: (هذا حديث ليس إسناده بالقوي) ونقل المنذري قول الترمذي هذا وقال: «وفي إسناده عبد الله بن لَهِيْعة ومشْرَح بن هاعان، ولا يحتج بحديثهما». وأخرجه الإمام أحمد: ١٥١/١، والدارقطني: ٤٠٨/١، الحاكم: ٣٩٠/٢ وقال: هذا حديث لم نكتبه مسنداً إلا من هذا الوجه، وعبد الله بن لهيعة أحد الأئمة إنما نُقم عليه اختلاطه في آخر عمره، وقد صحت الرواية فيه من قول عمر بن الخطاب...
وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٣٠٤/٣.
وانظر: نصب الراية للزيلعي: ١٧٩/٢.

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾

وذهب قوم إلى أنه لا يسجد هاهنا، وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي.

وعدة سجود القرآن أربعةَ عشرَ عند أكثر أهل العلم، منها ثلاث في المفصَّل.

وذهب قوم إلى أنه ليس في المفصل سجود. روي ذلك عن أُبَيّ بن كعب، وابن عباس، وبه قال مالك. وقد صح عن أبي هريرة قال: سجدنا مع رسول الله ﷺ: في «اقرأ» و«إذا السماء انشقت»[1]، وأبو هريرة من متأخري الإسلام.

واختلفوا في سجود صاد، فذهب الشافعي: إلى أنه سجود شكر ليس من عزائم السجود، ويروى ذلك عن ابن عباس[2]، وذهب قوم إلى أنه يسجد فيها، روي ذلك عن عمر، وبه قال سفيان الثوري، وابن المبارك، وأصحاب الرأي، وأحمد، وإسحاق، فعند ابن المبارك، وإسحاق، وأحمد، وجماعة: سجود القرآن خمسَ عشرة سجدة، فعدوا سجدتي الحج وسجدة ص، وروي عن عمرو ابن العاص أن النبي ﷺ أقرأه خمسَ عشرةَ سجدةً في القرآن[3].

قوله عز وجل: ﴿وجاهدوا في الله حقَّ جهاده﴾، قيل: جاهدوا في سبيل الله أعداءَ الله «حقَّ جهاده» هو استفراغ الطاقة فيه، قاله ابن عباس: وعنه أيضاً أنه قال: لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد، كما قال تعالى: ﴿يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومةَ لائم﴾ (المائدة: ٥٤).

قال الضحاك ومقاتل: اعملوا لله حقَّ عمله واعبدوه حق عبادته.

وقال مقاتل بن سليمان: نسخها قوله[4]: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ (التغابن: ١٦)، وقال أكثر المفسرين: «حق الجهاد»: أن تكون نيتُه خالصةً صادقةً لله عزّ وجلّ. وقال السدي: هو أن يطاع فلا يعصى.

وقال عبد الله بن المبارك: هو مجاهدة النفس والهوى، وهو الجهاد الأكبر، وهو حق الجهاد. وقد رُوي أن رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك قال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد

---

(١) أخرجه مسلم في المساجد، باب: سجود التلاوة برقم: (٥٧٨) ١/٤٠٦، والمصنف في شرح السنة: ٣/٣٠١.

(٢) أخرجه البخاري في سجود القرآن، باب سجدة صٓ: ٢/٥٥٢، والمصنف في شرح السنة: ٣/٣٠٦.

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب: تفريع أبواب السجود: ٢/١١٧، وابن ماجة في إقامة الصلاة، باب: عدد سجود القرآن: ١/٣٣٥ برقم:(١٠٥٧)، والحاكم، ١/٢٢٣ وقال: هذا حديث رواته مصريون قد احتج الشيخان بأكثرهم وليس في عدد سجود القرآن أتم منه ولم يخرجاه.

(٤) انظر فيما سبق: ٣/٢ تعليق (١).

مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ

الأكبر»[1]، وأراد بالجهاد الأصغر الجهادَ مع الكفار، وبالجهاد الأكبر الجهادَ مع النفس.

﴿هو اجتباكم﴾ أي: اختاركم لدينه، ﴿وما جعلَ عليكم في الدين من حَرَجٍ﴾، ضيق، معناه: أن المؤمن لا يبتلى بشيء من الذنوب إلا جعل الله له منه مخرجاً، بعضها بالتوبة، وبعضها برد المظالم والقصاص، وبعضها بأنواع الكفارات، فليس في دين الإسلام ذنب لا يجد العبد سبيلاً إلى الخلاص من العقاب فيه.

وقيل: من ضيقٍ في أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج إذا التبس ذلك عليكم، وسَّع ذلك عليكم حتى تتيقنوا.

وقال مقاتل: يعني الرُّخَص عند الضرورات، كقصر الصلاة في السفر، والتيمم، وأكل الميتة عند الضرورة، والإفطار بالسفر والمرض، والصلاة قاعداً عند العجز. وهو قول الكلبي.

وروي عن ابن عباس أنه قال: الحَرَجُ ما كان على بني إسرائيل من الآصار التي كانت عليهم، وضعها الله عن هذه الأمة[2].

﴿مِلّةَ أبيكم إبراهيم﴾، أي كلمة أبيكم، نصب بنزع حرف الصفة. وقيل: نصب على الإغراء، أي اتَّبِعوا مِلّة أبيكم إبراهيم، [وإنما أمرنا باتباع ملة إبراهيم][3] لأنها داخلة في ملة محمد ﷺ.

فإن قيل: فما وجه قوله: ﴿ملة أبيكم﴾ وليس كل المسلمين يرجع نسبهم إلى إبراهيم؟.

قيل: خاطب به العرب وهم كانوا من نسل إبراهيم. وقيل: خاطب به جميع المسلمين، وإبراهيم أبٌ لهم، على معنى وجوب احترامه وحفظ حقه كما يجب احترام الأب، وهو كقوله تعالى: (وأزواجه

---

(١) قال ابن حجر في الكافي الشاف ص ١١٤: «ذكره الثعلبي بغير سند، وأخرجه البيهقي في «الزهد» من حديث جابر، قال: قدم على رسول الله ﷺ قوم غزاة، فقال: قدمتم بخير مقدم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قيل: وما الجهاد الأكبر؟ قال: مجاهدة العبد هواه» قال: فيه ضعف قلت – ابن حجر – هو من رواية عيسى بن إبراهيم عن يحيى بن يعلى عن ليث ابن أبي سليم، والثلاثة ضعفاء، وأورده النسائي في «الكنى» من قول إبراهيم بن أبي عبلة، أحد التابعين من أهل الشام. ورواه الخطيب البغدادي في التاريخ: ٤٩٣/١٣، ونسبة العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: ٧/٣ للبيهقي، وقال: هذا إسناد فيه ضعف. انظر كشف الخفاء: ٥١١/١، ضعيف الجامع الصغير: ١١٨/١٤، الأسرار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة للقاري ص ٢١١–٢١٢.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧٨/٦ لابن أبي حاتم بلفظ: (الإصر الذي كان على بني إسرائيل وضع عنكم).

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾

أمهاتهم) (الأحزاب: ٦)، وقال النبي ﷺ: «إنّما أنا لكم مثل الوالد [لولده](١)»(٢).

﴿هو سماكم﴾، يعني أن الله تعالى سماكم ﴿المسلمين من قبل﴾، يعني من قبل نزول القرآن في الكتب المتقدمة. ﴿وفي هذا﴾ أي: في هذا الكتاب، هذا قول أكثر المفسرين. وقال ابن زيد: «هو» يرجع إلى إبراهيم أي أن إبراهيم سماكم المسلمين في أيامه، من قبل هذا الوقت، وفي هذا الوقت، وهو قوله: (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمةً مسلمة لك) (البقرة: ١٢٧)، ﴿ليكونَ الرسولُ شهيداً عليكم﴾، يوم القيامة أن قد بلّغكم، ﴿وتكونوا﴾، أنتم، ﴿شهداءَ على الناس﴾، أن رسلَهم قد بلّغتهم، ﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاةَ واعتصموا بالله﴾ أي: ثقوا بالله وتوكلوا عليه. قال الحسن: تمسّكُوا بدينِ الله. وروي عن ابن عباس قال: سلوا ربكم أن يعصمَكم من كل ما يكره(٣). وقيل: معناه ادعوه ليثبّتكم على دينه. وقيل: الاعتصام بالله هو التمسكُ بالكتابِ والسنةِ، ﴿هو مولاكم﴾، [وليكم](٤) وناصركم وحافظكم، ﴿فنعمَ المولى ونعمَ النصير﴾، الناصر لكم.

* * *

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) قطعة من حديث أخرجه أبو داود في الطهارة، باب: كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة: ١٨/١ بلفظ: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد»، والنسائي في الطهارة، باب: النهي عن الاستطابة بالروث: ٣٨/١، وابن ماجة في الطهارة، باب: الاستنجاء بالحجارة والنهي عن الروثة والرمة: ١١٤/١ برقم (٣١٣)، والدارمي ١٧٢/١١-١٧٣، وصححه ابن حبان برقم (١٢٨) ص (٦٢)، وابن خزيمة: ٤٤/١ والشافعي: ٢٨/١، والمصنف في شرح السنة: ١/ـ٣٥٦ وقال هذا حديث صحيح.

(٣) انظر زاد المسير ٤٥٧/٥.

(٤) ساقط من «ب».

سُورَةُ المُؤمِنُون

سورة المؤمنون

مكية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أخبرنا أحمد بن الحسين الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي، أخبرنا محمد بن حماد، أخبرنا عبد / الرزاق، أخبرنا يونس بن سليمان، أملى عليَّ يونس صاحب أيلة، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عبد الرحمن بن عبدٍ القارىء قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: كان إذا نزل على النبي ﷺ الوحي يُسمع عند وجهه دويٌّ كدويّ النحل، فمكثنا ساعة ـ وفي رواية: فنزل عليه يوماً فمكثنا ساعة ـ فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال: «اللهم زِدْنا ولا تنقصنا، وأكرِمْنا ولا تُهِنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تُؤْثر علينا، وارض عنّا، ثم قال: لقد أُنزل عليَّ عشرُ آياتٍ من أقامهنّ دخل الجنة»، ثم قرأ ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ إلى عشر آيات. ٣٠/أ

ورواه أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، وجماعة عن عبدالرزاق، وقالوا: «وأعطنا ولا تحرمنا وأرْضِنا وارضَ عنّا»[2].

قوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾، «قد» حرف تأكيد، وقال المحققون: «قد» تقرب الماضي من

---

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة المؤمنين بمكة. وأخرج عبدالرزاق، والشافعي، وسعيد بن منصور، وابن سعد، وابن أبي شيبة، وأحمد، والبخاري في «تاريخه» ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه، وابن خزيمة، والطحاوي، وابن حبان، والبيهقي في «سننه»، عن عبدالله بن ثابت قال: «صلّى النبي ﷺ بمكة الصبح، فاستفتح سورة المؤمنين، حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون، أو ذكر عيسى، أخذتْهُ سعلة، فركع».
انظر: الدر المنثور: ٨٢/٦.

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير، باب: ومن سورة المؤمنين: ١٦/٩ـ١٧، والإمام أحمد: ٣٤/١، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي: ٥٣٥/١، والمصنف في شرح السنة: ١٧٧/٥ وقال: «هذا حديث حسن، ويونس صاحب أيلة: هو يونس بن يزيد الأيلي صاحبُ الزهري».

الحال، يدل على أن الفلاح قد حصل لهم، وأنهم عليه في الحال، وهو أبلغ من تجريد ذكر الفعل، «والفلاح»: النجاة والبقاء، قال ابن عباس: قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة.

﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾، اختلفوا في معنى الخشوع، فقال ابن عباس: مخبتون أذلاء. وقال الحسن وقتادة: خائفون. وقال مقاتل: متواضعون. وقال مجاهد: هو غض البصر وخفض الصوت.

والخشوع قريب من الخضوع إلّا أن الخضوع في البدن، والخشوع في القلب والبدن والبصر والصوت، قال الله عزّ وجلّ: «وخشعت الأصوات للرحمن» (طه ـ ١٠٨).

وعن علي رضي الله عنه: هو أن لا يلتفت يميناً ولا شمالاً. وقال سعيد بن جبير: هو أن لا يعرف مَنْ على يمينه ولا مَنْ على يساره، ولا يلتفت من الخشوع لله عزّ وجلّ.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، حدثنا مسدد، أخبرنا أبو الأحوص، أخبرنا أشعث بن سليم، عن أبيه، عن مسروق، عن عائشة قالت: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: «هو اختلاسٌ يختلسُه الشيطان من صلاة العبد»[1].

وأخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو الحسن القاسم بن بكر الطيالسي ببغداد، أخبرنا أبو أمية محمد بن إبراهيم الطرسوسي، أخبرنا عبد الغفار بن عبيد الله، أخبرنا صالح بن أبي الأخضر، عن الزهري، عن أبي الأحوص، عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «لا يزال الله مقبلاً على العبد ما كان في صلاته مالم يلتفت فإذا التفت أعرض عنه»[2].

وقال عمرو بن دينار: هو السكون وحسن الهيئة. وقال ابن سيرين وغيره: هو أن لا ترفع بصرك عن موضع سجودك.

وقال أبو هريرة: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارَهم إلى السماء في الصلاة فلما نزل: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ رمَوْا بأبصارهم إلى مواضع السجود.

---

(١) أخرجه البخاري في الأذان، باب: الالتفات في الصلاة: ٢/٢٣٤، والمصنف في شرح السنة: ٣/٢٥١.

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب: الالتفات في الصلاة: ١/٤٢٩، والنسائي في السهو، باب: التشديد في الالتفات في الصلاة: ٣/٨، وابن خزيمة في صحيحه: ١/٢٤٤، والإمام أحمد: ٥/١٧٢، والحاكم: ١/٢٣٦ وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأبو الأحوص هذا مولى بني الليث تابعي من أهل المدينة، وثقه الزهري وروى عنه، وجرت بينه وبين سعد ابن إبراهيم مناظرة في معناه». والمصنف في شرح السنة: ٣/٢٥٢ وقال: «صالح بن أبي الخضر، ضعيف يروي عن الزهري». وروى هذا الحديث عبدالله بن المبارك وغيره عن يونس عن الزهري قال المنذري: «وأبو الأحوص ـ هذا ـ لا يعرف له اسم، وهو مولى بني ليث، وقيل: مولى بني غفار، ولم يرو عنه غير الزهري. قال يحيى بن معين: ليس هو بشيء، وقال أبو أحمد الكرابيسي: ليس بالمتين عندهم». مختصر سنن أبي داود: ١/٤٢٩ وقال النووي في «الخلاصة»: هو فيه جهالة، لكن الحديث لم يضعفه أبو داود فهو حسن عنده. انظر: نصب الراية: ٢/٨٩.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا علي بن عبدالله، أخبرنا يحيى بن سعيد، أخبرنا ابن أبي عروبة، أخبرنا قتادة أن أنس ابن مالك حدثهم قال: قال النبي ﷺ: «ما بالُ أقوامٍ يرفعون أبصارَهم إلى السماء في صلاتهم»، فاشتدَّ قوله في ذلك حتى قال: «لَيَنتهُنّ عن ذلك أو لَتخطَفَنَّ أبصارُهم»(١).

وقال عطاء: هو أن لا تعبث بشيء من جسدك في الصلاة. ورُوي أن النبي ﷺ أبصرَ رجلاً يعبثُ بلحيته في الصلاة فقال: «لو خشعَ قلبُ هذا لخشعتْ جوارحُه»(٢).

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أخبرنا أبو محمد الجراحي، أخبرنا أبو العباس المحبوبي، أخبرنا أبو عيسى الترمذي، أخبرنا سعيد، عن عبد الرحمن المخزومي، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن أبي الأحوص، عن أبي ذر، عن النبي ﷺ قال: «إذا قام أحدُكم إلى الصلاةِ فلا يمسحِ الحصى فإنَّ الرحمةَ تواجهُهُ»(٣).

وقيل: الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة، والإعراض عما سواها، والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر.

قوله عزّ وجلّ: ﴿والذين هم عن اللغو مُعرضون﴾ قال عطاء عن ابن عباس: عن الشرك، وقال الحسن: عن المعاصي. وقال الزجاج: عن كل باطل ولهو ومالا يحل من القول والفعل. وقيل: هو معارضة الكفار بالشتم والسب: قال الله تعالى: «وإذا مرُّوا باللغو مروا كِراماً» (الفرقان ـ ٧٢)، أي: إذا سمعوا الكلام القبيح أكرموا أنفسهم عن الدخول فيه.

﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾، أي: للزكاة الواجبة مؤدّون، فعبّر عن التأدية بالفعل لأنه فعل. وقيل: الزكاة هاهنا هو العمل الصالح، أي: والذين هم للعمل الصالح فاعلون.

---

(١) أخرجه البخاري في السهو، باب: رفع البصر إلى السماء في الصلاة: ٢/٢٣٣، والمصنف في شرح السنة: ٣/٢٥٨.

(٢) قال المناوي في «الفتح السماوي» (٢/٨٥٤): أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول بسند ضعيف من حديث أبي هريرة، وفيه سليمان بن عمرو وهو أبو داود النخعي أحد من اتهم بوضع الحديث.
وانظر: إرواء الغليل: ٢/٩٢-٩٣، سلسلة الأحاديث الضعيفة: ١/١٤٣-١٤٤.

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب: مسح الحصى في الصلاة: ١/٤٤٣، والترمذي في الصلاة، باب: ما جاء في كراهية مسح الحصى في الصلاة: ٢/٣٨٢، والنسائي في السهو، باب: النهي عن مسح الحصى في الصلاة: ٣/٦، وابن ماجه في الإقامة، باب: مسح الحصى برقم: (١٠٢٧) ١/٣٢٨، وابن حبان في المواقيت، باب: فيما ينهى عنه في الصلاة ص١٣١ من موارد الظمآن، والإمام أحمد: ٥/١٥٠، والمصنف في شرح السنة: ٣/١٥٨.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠﴾

﴿**والذين هم لفروجهم حافظون**﴾، الفرج: اسم يجمع سوأة الرجل والمرأة، وحفظ الفرج: التعفف عن الحرام.

﴿**إلا على أزواجهم**﴾، أي: من أزواجهم، و«على» بمعنى «مِنْ». ﴿**أو ما ملكت أيمانهم**﴾، (ما) في محل الخفض، يعني أو مما ملكت أيمانهم، والآية في الرجال خاصة بدليل قوله: «أو ما ملكت أيمانهم» والمرأة لا يجوز أن تستمتعَ بفرج مملوكها. ﴿**فإنهم غير ملومين**﴾، يعني يحفظُ فرجه إلا من امرأته أو أمته فإنه لا يلام على ذلك، وإنما لا يلام فيهما إذا كان على وجه أذن فيه الشرع دون الإتيان في غير المأتي، وفي حال الحيض والنفاس، فإنه محظور وهو على فعله ملوم.

﴿**فمنِ ابتغى وراءَ ذلك**﴾، أي: التمس وطلب سوى الأزواج والولائد المملوكة، ﴿**فأولئك**
٣٠/ب **هُمُ العادون**﴾، الظالمون المتجاوزون من الحلال إلى الحرام /، وفيه دليل على أن الاستمناء باليد حرام، وهو قول أكثر العلماء. قال ابن جريج: سألت عطاء عنه فقال: مكروه، سمعت أنّ قوماً يحشرون وأيديهم حُبالى فأظن أنهم هؤلاء. وعن سعيد بن جبير قال: عذب الله أُمّةً كانوا يعبثون بمذاكيرهم.

﴿**والذين هم لأماناتهم**﴾، قرأ ابن كثير «لأمـانـتـهم» على التوحيد هاهنا وفي سورة المعارج، لقوله تعالى: ﴿**وعهدهم**﴾ والباقون بالجمع، كقوله عزّ وجلّ: «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها» (النساء ــ ٥٧)، ﴿**وعهدِهم راعون**﴾، حافظون، أي: يحفظون ما ائتمنوا عليه، والعقود التي عاقدوا الناس عليها، يقومون بالوفاء بها، والأمانات تختلف فتكون بين الله تعالى وبين العبد كالصلاة والصيام والعبادات التي أوجبها الله عليه، وتكون بين العبيد كالودائع والصنائع فعلى العبد الوفاء بجميعها.

﴿**والذين هم على صلواتِهم**﴾، قرأ حمزة والكسائي «صـلاتهم» على التوحيد، والآخرون صلواتهم على الجمع. ﴿**يحافِظُون**﴾، **أي**: يداومون على حفظها ويراعون أوقاتها، كرر ذكرَ الصلاةِ ليبينَ أنَّ المحافظةَ عليها واجبةٌ كما أن الخشوعَ فيها واجبٌ.

﴿**أولئك**﴾، أهل هذه الصفة، ﴿**هم الوارثون**﴾، يرثون منازلَ أهلِ النار من الجنة.

﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾

ورُوي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «ما منكم من أحدٍ إلا وله منزلان منزلٌ في الجنة ومنزلٌ في النار، فإن مات ودخل النار ورثَ أهلُ الجنةِ منزلَه»[1] وذلك قوله تعالى: ﴿أولئك هم الوارثون﴾ .

وقال مجاهد: لكل واحد منزل في الجنة ومنزل في النار، فأما المؤمن فيبني منزله الذي له في الجنة ويهدّم منزله الذي له في النار، وأما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة ويبني منزله الذي في النار .

وقال بعضهم: معنى الوراثة هو أنه يؤول أمرهُم إلى الجنة وينالونها، كما يؤول أمرُ الميراثِ إلى الوارث.

قوله تعالى : ﴿الذين يرثون الفردوس﴾، وهو أعلى الجنة قد ذكرناه في سورة الكهف[2]، ﴿هم فيها خالدون﴾، لا يموتون ولا يُخرجون، وجاء في الحديث: «أن الله تعالى خلق ثلاثةَ أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده، ثم قال: وعزتي لا يدخلها مُدْمِنُ خمرٍ، ولا ديوث»[3] .

قوله عزّ وجلّ : ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾، يعني: ولد آدم، و«الإنسان» اسم الجنس، يقع على الواحد والجمع، ﴿من سلالة﴾، روي عن ابن عباس أنه قال: السلالة صفوة الماء. وقال مجاهد: من بني آدم. وقال عكرمة: هو يسيل من الظهر، والعرب تسمي النطفة سلالةً، والولد سليلاً وسلالة، لأنهما مسلولان منه .

قوله : ﴿من طين﴾، يعني: طين آدم. والسلالة تولدت من طين خلق آدم منه. قال الكلبي: من نطفة سلت من طين، والطين آدم عليه السلام، وقيل المراد من الإنسان هو آدم. وقوله : «من سلالة» أي: سل من كل تربة .

﴿ثم جعلناه نطفة﴾، يعني الذي هو الإنسان جعلناه نطفة، ﴿في قرارٍ مكين﴾، حريز، وهو الرَّحِمُ مُكّن [أي قد هيىء][4] لاستقرارها فيه إلى بلوغ أمدها .

---

(١) أخرجه ابن ماجه في الزهد، باب: صفة الجنة: ١٤٥٣/٢ برقم (٤٣٤١) وقال: في الزوائد، هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

(٢) راجع فيما سبق، تفسير سورة الكهف .

(٣) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات: ٤٧/٢ مرسلاً وأشار إلى تضعيفه بقوله: «هذا مرسل، وفيه إن ثبت دلالة على أن الكُتْب هاهنا بمعنى الخلق»، وعزاه في الكنز أيضاً (١٣١/٦) للخرائطي في مساوىء الأخلاق وللديلمي في الفردوس .

(٤) ساقط من «أ» .

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا
فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ
إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿**ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً**﴾، قرأ ابن عامر وأبو بكر «عظماً»، ﴿**فكسونا العظام**﴾ على التوحيد فيهما، وقرأ الآخرون بالجمع لأن الإنسان ذو عظام كثيرة. وقيل: بين كل خلقين أربعون يوماً. ﴿**فكسونا العظام لحماً**﴾، أي ألبسنا، ﴿**ثم أنشأناه خلقاً آخر**﴾، اختلف المفسرون فيه، فقال ابن عباس: ومجاهد، والشعبي، وعكرمة، والضحاك، وأبو العالية: هو نفخ الروح فيه[1]. وقال قتادة: نبات الأسنان والشعر. وروى ابن جريج عن مجاهد: أنه استواء الشباب. وعن الحسن قال: ذكراً أو أنثى. وروى العوفي عن ابن عباس: أن ذلك تصريف أحواله بعد الولادة من الاستهلال إلى الارتضاع، إلى القعود إلى القيام، إلى المشي إلى الفطام، إلى أن يأكل ويشرب، إلى أن يبلغ الحلم، ويتقلب في البلاد إلى ما بعدها.

﴿**فتبارك الله**﴾، أي: استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال. ﴿**أحسنُ الخالقين**﴾، المصوّرين والمقدرين. و«الخلق» في اللغة: التقدير. وقال مجاهد: يصنعون ويصنع الله والله خير الصانعين، يقال: رجل خالق أي: صانع.

وقال ابن جريج: إنما جمع الخالقين لأنّ عيسى كان يخلق كما قال: «إني أخلق لكم من الطين» (آل عمران ــ ٤٩) فأخبر الله عن نفسه بأنه أحسن الخالقين[2].

﴿**ثم إنّكم بعد ذلك لميتون**﴾، والميِّت ــ بالتشديد ــ والمائت الذي لم يمت بعد وسيموت، والميْت ــ بالتخفيف ــ: من مات، ولذلك لم يجز التخفيف هاهنا، كقوله: «**إنّك ميت وإنّهم ميتون**» (الزمر ــ ٣٠).

﴿**ثم إنكم يوم القيامة تُبعثون**﴾.

---

(١) وهو ما رجحه الطبري في التفسير: (١١/١٨) وذلك أنه بنفخ الروح فيه يتحول خلقاً آخر إنساناً، وكان قبل ذلك بالأحوال التي وصفها الله أنه كان بها من نطفة وعلقة ومضغة وعظم، وبنفخ الروح فيه يتحول عن تلك المعاني كلها إلى معنى الإنسانية، كما تحول أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي خُلِق منها إنساناً، وخلقاً آخر غير الطين الذي خُلِق منه.

(٢) أخرج الطبري هذين القولين، ورجح قول مجاهد؛ لأن العرب تسمي كل صانع خالقاً، ومنه قول زهير:
ولأنْتَ تَفْـري مـا خلقتَ وبعـ … ـضُ القـومِ يَخْلُـق ثم لا يَفْـري
انظر: تفسير الطبري: ١١/١٨، زاد المسير: ٥/٤٦٣-٤٦٤.

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ١٧ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ١٨﴾

﴿**ولقد خلقنا فوقكم سبعَ طرائق**﴾، أي: سبع سموات، سميت طرائق لتطارقها،وهو أن بعضها فوق بعض، يقال: طارقتُ النعلَ إذا جعلت بعضه فوق بعض. وقيل: سميت طرائق لأنها طرائق الملائكة. ﴿**وما كنّا عن الخلق غافلين**﴾، أي كنا لهم حافظين من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم كما قال الله تعالى: «ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه» (الحج ـ ٦٥).

وقيل: ما تركناهم سدى بغير أمر ونهي.

وقيل: وما كنا عن الخلق غافلين إذْ بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب.

﴿**وأنزلنا من السماءِ ماءً بقدَرٍ**﴾، يعلمه الله. قال مقاتل: بقدر ما يكفيهم للمعيشة، ﴿**فأسكنّاه في الأرض**﴾، يريد ما يبقى في الغدران والمستنقعات، ينتفع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر. وقيل: فأسكناه في الأرض ثم أخرجنا منها ينابيع، فماء الأرض كله من السماء، ﴿**وإنّا على ذهابٍ به لقادرون**﴾، حتى تهلكوا عطشاً وتهلكَ مواشيكم وتخرب أراضيكم /. وفي الخبر: «أن الله عزّ ٣١/أ
وجلّ أنزل أربعة أنهار من الجنة: سيحان، وجيحان، ودجلة، والفرات»[1].

وروى مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله عزّ وجلّ أنزل من الجنة خمسة أنهار: جيحون، وسيحون، ودجلة، والفرات، والنيل، أنزلها الله عزّ وجلّ من عين واحدة من عيون الجنة، من أسفل درجة من درجاتها، على جناحي جبريل، استودعها الله الجبال، وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس، فذلك قوله عزّ وجلّ: «وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض»، فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل فرفع من الأرض القرآن، والعلم كله والحجر الأسود من ركن البيت، ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه، وهذه الأنهار الخمسة، فيرفع كل ذلك إلى السماء فذلك قوله تعالى: ﴿**وإنّا على ذهاب به لقادرون**﴾ فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أهلها خير الدين والدنيا»[2].

وروى هذا الحديث الإمام الحسن بن يوسف، عن عثمان بن سعيد بالإجازة، عن سعيد بن سابق الإسكندراني، عن مسلمة بن علي، عن مقاتل بن حيان[3].

---

(١) عزاه السيوطي في الدر: ٦/٩٥ لابن أبي الدنيا عن ابن عطاف.

(٢) عزاه السيوطي في الدر: ٦/٩٥ لابن مردويه والخطيب بسند ضعيف وانظر: البحر المحيط: ٦/٤٠٠.

(٣) مسلمة بن علي الخشني متروك. انظر التقريب لابن حجر.

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿**فأنشأنا لكم به**﴾، أي: بالماء، ﴿**جنات من نخيل وأعناب لكم فيها**﴾، في الجنات، ﴿**فواكه كثيرة ومنها تأكلون**﴾، شتاءً وصيفاً، وخصّ النخيل والأعناب بالذكر لأنها أكثر فواكه العرب.

﴿**وشجرة**﴾، أي: وأنشأنا لكم شجرة ﴿**تخرج من طور سَيْناء**﴾، وهي الزيتون، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو «سيناء» بكسر السين. وقرأ الآخرون بفتحها. واختلفوا في معناه وفي «سينين» في قوله تعالى: «وطور سينين» (التين ـ ٢) قال مجاهد: معناه البركة، أي: من جبل مبارك. وقال قتادة: معناه الحسن، أي: من الجبل الحسن. وقال الضحاك: هو بالنبطية، ومعناه الحسن. وقال عكرمة: هو بالحبشية. وقال الكلبي: معناه الشجر، أي: جبل ذو شجر. وقيل: هو بالسريانية الملتفة بالأشجار. وقال مقاتل: كل جبل فيه أشجار مثمرة فهو سينا، وسينين بلغة النبط. وقيل: هو فيعال من السناء وهو الارتفاع. قال ابن زيد: هو الجبل الذي نُودي منه موسى بين مصر وأيلة. وقال مجاهد: سينا اسم حجارة بعينها أضيف الجبل إليها لوجودها عنده. وقال عكرمة: هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل(١).

﴿**تَنبُتُ بالدُّهن**﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة ويعقوب «تُنبِت» بضم التاء وكسر الباء، وقرأ الآخرون بفتح التاء وضم الباء، فمن قرأ بفتح التاء فمعناه تنبت تثمر الدهن وهو الزيتون. وقيل: تنبت ومعها الدهن، ومن قرأ بضم التاء، اختلفوا فيه فمنهم من قال: الباء زائدة، معناه: تنبت الدهن، كما يقال: أخذت ثوبه وأخذت بثوبه، ومنهم من قال: نبت وأنبت لغتان بمعنى واحد، كما قال زهير:

رَأَيْتُ ذَوِي الحاجاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِم ... قَطِيناً لهم حتى إذا أَنْبَتَ البَقْلُ(٢)

أي: نبت، ﴿**وصِبْغٍ للآكلين**﴾، الصبغ والصباغ: الإدام الذي يلون الخبز إذا غمس فيه وينصبغ، والإدام كل ما يؤكل مع الخبز، سواء ينصبغ به الخبز أو لا ينصبغ. قال مقاتل: جعل

---

(١) ذكر هذه الأقوال الطبري: ١٨/١٣ـ١٤ وقال مرجحاً: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن سيناء اسم أضيف إليه الطور يعرف به، كما قيل جبلا طيء، فأضيفا إلى طيء، ولو كان القول في ذلك كما قال من قال: معناه: جبل مبارك، أو كما قال: من قال: معناه حسن، لكان الطور منوناً، وكان قوله سيناء، من نعته، على أن سيناء بمعنى: مبارك وحسن، غير معروف في كلام العرب، فيجعل ذلك من نعت الجبل، ولكن القول في ذلك إن شاء الله، كما قال ابن عباس من أنه جبل عرف بذلك، وأنه الجبل الذي نودي منه موسى ﷺ، وهو مع ذلك مبارك، لا أن معنى سيناء: معنى مبارك».

(٢) انظر: «شرح ديوان زهير» ص (١١١)، «تفسير الطبري» ١٨/١٤، «لسان العرب» لابن منظور، مادة (نبت).

وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا
تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ
يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن
قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ
مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ
فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾

الله في هذه الشجرة أدماً ودُهناً، فالأدم: الزيتون، والدهن: الزيت، وقال: خُصّ الطور بالزيتون لأن أول الزيتون نبت بها. ويقال: أن الزيتون أول شجرة نبتت في الدنيا بعد الطوفان .

قوله عزّ وجلّ : ﴿وإنّ لكم في الأنعامِ لَعِبْرَةً﴾، أي: آية تعتبرون بها، ﴿نُسقيكم﴾، قرأ نافع بالنون [وفتحها](1)، وقرأ أبو جعفر هاهنا بالتاء وفتحها، ﴿مِمَّا في بطونها، ولكم فيها منافعُ كثيرةٌ ومنها تأكلون﴾ .

﴿وعليها وعلى الفُلْك تُحْمَلون﴾، أي: على الإبل في البر، وعلى الفلك في البحر .

قوله عزّ وجلّ : ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومِهِ فقال ياقومِ اعبدوا الله﴾، وحِّدوه، ﴿مالكم من إلهٍ غيرُه﴾، معبود سواه، ﴿أفلا تتقون﴾، أفلا تخافون عقوبته إذا عبدتم غيره .

﴿فقال الملأُ الذين كفروا من قومه ما هذا إلاّ بشرٌ مثلكُم يريدُ أن يتفضَّل عليكم﴾، أي: يتشرف بأن يكون له الفضل عليكم فيصير متبوعاً وأنتم له تبع، ﴿ولو شاء الله﴾، أن لا يعبد سواه، ﴿لأنزل ملائكة﴾، يعني بإبلاغ الوحي. ﴿ما سمعنا بهذا﴾، الذي يدعونا إليه نوح ﴿في آبائنا الأولين﴾، وقيل: «ما سمعنا بهذا» أي: بإرسال بشر رسولاً .

﴿إنْ هو إلاّ رجل بِهِ جِنَّةٌ﴾، أي: جنون، ﴿فتربصوا به حتى حين﴾، أي: إلى أن يموت فتستريحوا منه .

﴿قال ربِّ انصرني بما كذبونِ﴾، أي: أعنّي بإهلاكهم لتكذيبهم إياي .

---

(1) ساقط من «ب» .

فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾

﴿**فأوحينا إليه أن اصنع الفُلْكَ بأعيننا ووَحْينا فإذا جاء أَمْرُنا وفار التَّنُّور فاسْلُكْ فيها**﴾، أدخِلْ فيها، يقال سلكته في كذا وأسلكته فيه، ﴿**من كلِّ زوجين اثنين وأهلَك إلّا من سبق عليه القولُ منهم**﴾، أي من سبق عليه الحكم بالهلاك .

﴿**ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون**﴾ .

﴿**فإذا استويتَ**﴾، اعتدلت ﴿**أنت ومن معك على الفُلْك فقلِ الحمدُ لله الذي نجّانا من القوم الظالمين**﴾، أي: الكافرين، ﴿**وقل ربِّ أنزلني مَنْزِلاً مباركاً**﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم «مَنْزِلاً» بفتح الميم وكسر الزاي، أي يريد موضع النزول، قيل: هو السفينة بعد الركوب، وقيل: هو الأرض بعد النزول، ويحتمل أنه أراد في السفينة، ويحتمل بعد الخروج، وقرأ الباقون «مُنْزَلاً» بضم الميم وفتح الزاي، أي إنزالاً، فالبركة في السفينة النجاة، وفي النزول بعد الخروج كثرة النسل من أولاده الثلاثة، ﴿**وأنت خير المُنْزِلين**﴾ .

﴿**إن في ذلك**﴾، أي الذي ذكرت من أمر نوح والسفينة وإهلاك أعداء الله، ﴿**لآياتٍ**﴾، لدلالات على قدرته، ﴿**وإنْ كنا لمُبتَلين**﴾، وقد كنا. وقيل: وما كنّا إلا مبتلين أي: مختبرين إيّاهم

بإرسال نوح ووعظه وتذكيره / لننظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم . ٣١/ب

﴿**ثم أنشأنا من بعدهم**﴾، من بعد إهلاكهم، ﴿**قرناً آخرين**﴾ .

﴿**فأرسلنا فيهم رسولاً منهم**﴾، يعني: هوداً وقومه. وقيل: صالحاً وقومه. والأول أظهر، ﴿**أنِ اعبدوا الله مالكم من إلهٍ غيرُه أفلا تتقون**﴾ .

وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾
وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا
وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا
ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا
وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾

﴿**وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذَّبوا بلقاء الآخرة**﴾، أي المصير إلى الآخرة، ﴿**وأترفناهم**﴾، نعَّمْناهم ووسَّعْنا عليهم، ﴿**في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشرٌ مثلُكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون**﴾، أي: مما تشربون منه .

﴿**ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون**﴾، لمغبونون .

﴿**أيَعِدُكُمْ أنكم إذا مِتُّم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مُخْرَجُونَ**﴾، من قبوركم أحياءً وأعاد «أنكم» لما طال الكلام، ومعنى الكلام: أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً مخرجون؟ وكذلك هو في قراءة عبدالله، نظيره في القرآن : «ألم يعلموا أنه من يحادِدِ الله ورسولَه فأن له نار جهنّم خالداً فيها» (التوبة ــ ٦٣) .

﴿**هيهاتَ هيهاتَ لِما تُوعدون**﴾، قال ابن عباس: هي كلمة بعد، أي: بعيد ماتوعدون، قرأ أبو جعفر «هيهات هيهات» بكسر التاء، وقرأ نصر بن عاصم بالضم، وكلها لغات صحيحة فمن نصب جعله مثل أين وكيف، ومن رفع جعله مثل منذ وقط وحيث، ومن كسر جعله مثل أمس وهؤلاء، ووقف عليها أكثر القراء بالتاء، ويروى عن الكسائيّ الوقف عليها بالهاء .

﴿**إنْ هي**﴾، يعنون الدنيا، ﴿**إلّا حياتنا الدنيا نموت ونحيا**﴾، قيل فيه تقديم وتأخير، أي: نحيا ونموت لأنهم كانوا ينكرون البعث بعد الموت. وقيل: يموت الآباء ويحيا الأبناء. وقيل: يموت قوم ويحيا قوم. ﴿**وما نحن بمبعوثين**﴾، بمنشَرين بعد الموت .

﴿**إنْ هو**﴾، يعنون الرسول، ﴿**إلّا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين**﴾، بمصدقين بالبعث بعد الموت .

﴿**قال ربِّ انصرني بما كذَّبونِ**﴾. ﴿**قال عمّا قليلٍ**﴾، أي: عن قليل، و«ما» صلة،

قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً
فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ
مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ
أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ
لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

﴿ليصبِحُنَّ﴾، ليصيرن، **﴿نادمين﴾**، على كفرهم وتكذيبهم.

﴿فأخذتهم الصيحة﴾، يعني صيحة العذاب، **﴿بالحق﴾**، قيل: أراد بالصيحة الهلاك. وقيل: صاح بهم جبريل صيحة فتصدعت قلوبهم، **﴿فجعلناهم غثاءً﴾**، وهو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان شجر، معناه: صيرناهم هلكَى فيبسوا يبس الغثاء من نبات الأرض، **﴿فبُعداً للقوم الظالمين﴾**.

﴿ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين﴾، أي: أقواماً آخرين.

﴿ما تسبق من أمة أجلَها﴾، أي: ما تسبق أمة أجلها أي: وقت هلاكها، **﴿وما يستأخِرون﴾**، وما يتأخرون عن وقت هلاكهم.

﴿ثم أرسلنا رسلَنا تَترَى﴾، أي: مترادفين يتبع بعضهم بعضاً غير متواصلين، لأن بين كل نبيين زماناً طويلاً، وهي فعلى من المواترة، قال الأصمعي: يقال واترت الخبر أي أتْبعت بعضَه بعضاً، وبين الخبرين [هنيهة](1).

واختلف القراء فيه، فقرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمروٍ: بالتنوين، ويقفون بالألف، ولا يميله أبو عمرو، وفي الوقف فيها كالألف في قولهم: رأيت زيداً، وقرأ الباقون بلا تنوين، والوقف عندهم يكون بالياء، ويميله حمزة والكسائي، وهو مثل قولهم: غضبَى وسكرَى، وهو اسم جمع مثل شتى، وعلى القراءتين التاء الأولى بدل من الواو، وأصله: «وترى» من المواترة والتواتر، فجعلت الواو تاء، مثل: التقوى والتكلان.

﴿كلَّ ما جاء أمةً رسولُها كذبوه فأتبعنا بعضَهم بعضاً﴾، بالهلاك، أي: أهلكنا بعضهم في إثر بعض، **﴿وجعلناهم أحاديثَ﴾**، أي: سَمَراً وقصصاً، يتحدث مَنْ بعدَهم بأمرهم وشأنهم، وهي

---

(1) في «ب» مهلة.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾

جمع أُحدوثة. وقيل: جمع حديث. قال الأخفش: إنما هو في الشر، وأما في الخير فلا يقال جعلتهم أحاديث وأحدوثة، إنما يقال صار فلان حديثاً، ﴿فبعداً لقوم لا يؤمنون﴾.

﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين﴾، أي بحجة بينة من اليد والعصا. وغيرهما.

﴿إلى فرعونَ وملئِهِ فاستكبروا﴾، تعظَّموا عن الإيمان، ﴿وكانوا قوماً عالين﴾، متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم.

﴿فقالوا﴾، يعني فرعون وقومه، ﴿أنؤمن لبشَرَيْنِ مثلنا﴾، يعني: موسى وهارون، ﴿وقومُهُما لنا عابدون﴾، مطيعون متذللون، والعرب تسمي كل من دان للمَلِك: عابداً له.

﴿فكذبوهما فكانوا من المهلكِين﴾، بالغرق.

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾، التوراة، ﴿لعلّهم يهتدون﴾، أي لكي يهتدي به قومه.

﴿وجعلنا ابنَ مريمَ وأمَّه آيةً﴾، دلالة على قدرتنا، ولم يقل آيتين، قيل: معناه شأنهما آية. وقيل: معناه جعلنا كل واحد منهما آية، كقوله تعالى: «كلتا الجنتين آتت أُكلها» (الكهف ـ ٣٣). ﴿وآويناهما إلى ربوةٍ﴾، الربوة المكان المرتفع من الأرض، واختلفت الأقوال فيها، فقال عبدالله بن سلام: هي دمشق، وهو قول سعيد بن المسيب ومقاتل، وقال الضحاك: غوطة دمشق. وقال أبو هريرة: هي الرملة. وقال عطاء عن ابن عباس: هي بيت المقدس، وهو قول قتادة وكعب. وقال كعب: هي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً. وقال ابن زيد: هي مصر. وقال السدي: أرض فلسطين[1]. ﴿ذاتِ قرارٍ﴾ أي: مستوية منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها. ﴿ومَعِيْنٍ﴾، فالمعين الماء الجاري الظاهر الذي تراه العيون، مفعول من عانه يعينه إذا أدركه البصر.

(١) ذكر هذه الأقوال الطبري: ١٨/٢٥-٢٧ ثم قال مرجحاً: «وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك: أنها مكان مرتفع ذو استواء، وماء ظاهر، وليس كذلك صفة الرملة، لأن الرملة لا ماء بها معين، والله تعالى ذكره وصف هذه الربوة بأنها ذات قرار ومَعين».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ٥٤ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ٥٥﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿**يا أيها الرسل**﴾، قال الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي وجماعة: أراد به محمداً ﷺ وحده على مذهب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجماعة. وقال بعضهم: أراد به عيسى. وقيل: أراد به جميع الرسل عليهم السلام، ﴿**كلوا من الطيبات**﴾، أي الحلالات، ﴿**واعملوا صالحاً**﴾، الصلاح هو الاستقامة على ما توجبه الشريعة، ﴿**إني بما تعملون عليم**﴾.

﴿**وإنّ هذه**﴾ قرأ أهل الكوفة: «وإن» بكسر الألف على الابتداء، وقرأ الباقون بفتح الألف، وخفف
٣٢/أ ابن عامر النون وجعل «إن» صلة، مجازه: وهذه ﴿**أمتكم**﴾، وقرأ الباقون بتشديد النون على / معنى وبأن هذا، تقديره: بأن هذه أمتكم، أي ملتكم وشريعتكم التي أنتم عليها، ﴿**أمةً واحدةً**﴾، أي ملة واحدة وهي الإسلام، ﴿**وأنا ربكم فاتقون**﴾، أي: اتقوني لهذا.

وقيل: معناه أمرتكم بما أمرت به المرسلين من قبلكم، فأمركم واحد، ﴿**وأنا ربكم فاتقون**﴾ فاحذرون. وقيل: هو نصب بإضمار فعل، أي: اعلموا أن هذه أمتكم، أي ملتكم، أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون.

﴿**فتقطَّعوا أمرهم**﴾، دينهم، ﴿**بينهم**﴾، أي: تفرقوا فصاروا فِرَقاً، يهوداً ونصارى ومجوساً، ﴿**زُبُراً**﴾، أي: فرقاً وقطعاً مختلفة، واحدها زبور وهو الفرقة والطائفة، ومثله الزبرة وجمعها زُبُر، ومنه: «زُبَر الحديث» (الكهف ـ ٩٦). أي: صاروا فرقاً كزبر الحديد. وقرأ بعض أهل الشام «زبراً» بفتح الباء، قال قتادة ومجاهد «زبراً» أي: كتباً، يعني دان كل فريق بكتاب غير الكتاب الذي دان به الآخرون. وقيل: جعلوا كتبهم قطعاً مختلفة، آمنوا بالبعض، وكفروا بالبعض، وحرفوا البعض، ﴿**كل حزب بما لديهم**﴾، بما عندهم من الدين، ﴿**فَرِحُون**﴾، معجبون ومسرورون.

﴿**فذرهم في غمرتهم**﴾، قال ابن عباس: في كفرهم وضلالتهم، وقيل: عمايتهم، وقيل: غفلتهم ﴿**حتى حين**﴾، إلى أن يموتوا.

﴿**أيحسبون أنما نُمِدُّهم به من مالٍ وبنين**﴾، ما نعطيهم ونجعله مدداً لهم من المال والبنين في الدنيا.

﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾
وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ
مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿**نسارعُ لهم في الخيراتِ**﴾، أي: نعجل لهم في الخيرات، ونقدمها ثواباً لأعمالهم لمرضاتنا عنهم، ﴿**بل لا يشعرون**﴾، أنّ ذلك استدراج لهم. ثم ذكر المسارعين في الخيرات فقال :

﴿**إنّ الذين هم من خشية ربهم مشفقون**﴾، أي: خائفون، والإشفاق: الخوف، والمعنى أن المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه، قال الحسن البصري: المؤمن من جمع إحساناً وخشية، والمنافق من جمع إساءة وأمناً[(١)] .

﴿**والذين هم بآيات ربهم يؤمنون**﴾، يُصدِّقون .

﴿**والذين هم بربهم لا يشركون**﴾ .

﴿**والذين يؤتون ما آتَوْا**﴾، أي: يعطون ما أعطَوْا من الزكاة والصدقات، وروي عن عائشة أنها كانت تقرأ «والذين يأتون ما أتوا»[(٢)] أي: يعملون ما عملوا من أعمال البر، ﴿**وقلوبُهم وَجِلَةٌ**﴾، أن ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وأن أعمالهم لا تُقبل منهم، ﴿**أنهم إلى ربهم راجعون**﴾، لأنهم يوقنون أنهم يرجعون إلى الله عزّ وجلّ. قال الحسن: عملوا لله بالطاعات [واجتهدوا فيها][(٣)]، وخافوا أن ترد عليهم .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا عبدالله بن يوسف، أخبرنا محمد ابن حامد، حدثنا محمد بن الجهم، أخبرنا عبدالله بن عمرو، أخبرنا وكيع عن مالك بن مغول، عن عبدالرحمن بن سعيد بن وهب، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يارسول الله ﴿**والذين يؤتون ما آتَوْا وقلوبهم وَجِلة**﴾ أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق ؟ قال: «لا يابنت الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدقُ ويخاف أن لا يُقبل منه»[(٤)] .

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٢/١٨ .

(٢) أخرجه الطبري: ٣٣/١٨ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

(٤) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة المؤمنون: ١٩/٩ـ٢٠ والإمام أحمد: ١٥٩/٦، ٢٠٦، والحاكم: ٣٩٣/٢ـ٣٩٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والطبري: ٣٤/١٨ .
وانظر: الدر المنثور: ١٠٥/٦، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٢٥٥/١ـ٢٥٦ .

﴿أُولَٰئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله عزّ وجلّ : ﴿**أولئك يُسارعون في الخيرات**﴾، يبادرون إلى الأعمال الصالحات، ﴿**وهم لها سابقون**﴾، أي: إليها سابقون، كقوله تعالى: «لما نهوا» أي: إلى ما نهوا، ولما قالوا ونحوها، وقال ابن عباس في معنى هذه الآية: سبقت لهم من الله السعادة. وقال الكلبي: سبقوا الأمم إلى الخيرات .

قوله : ﴿**ولا نُكلف نفساً إلا وُسْعَهَا**﴾، أي: طاقتها، فمن لم يستطع القيام فليصلِّ قاعداً، ومن لم يستطع الصوم فليفطر، ﴿**ولدينا كتابٌ ينطِق بالحق**﴾، وهو اللوح المحفوظ، «ينطق بالحق» يبين بالصدق، ومعنى الآية: لا يكلف الله نفساً إلا وسعها إلا ما أطاقت من العمل، وقد أثبتنا عمله في اللوح المحفوظ، فهو ينطق به ويبينه. وقيل: هو كتب أعمال العباد التي تكتبها الحفظة، ﴿**وهم لا يظلمون**﴾، ولا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم، ثم ذكر الكفار، فقال :

﴿**بل قلوبُهم في غَمْرَةٍ**﴾، أي: في غفلة وجهالة، ﴿**من هذا**﴾، أي: من القرآن، ﴿**ولهم أعمال من دون ذلك**﴾، أي: للكفار أعمال خبيثة من المعاصي والخطايا محكومة عليهم من دون ذلك، يعني من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله تعالى في قوله «إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون»، ﴿**هم لها عاملون**﴾، لابد لهم من أن يعملوها، فيدخلوا بها النار، لما سبق لهم من الشقاوة. هذا قول أكثر المفسرين. وقال قتادة: هذا ينصرف إلى المسلمين، وأن لهم أعمالاً سوى ما عملوا من الخيرات هم لها عاملون، والأول أظهر .

﴿**حتى إذا أخذنا مُترَفيهم**﴾، أي: أخذنا أغنياءهم ورؤساءهم، ﴿**بالعذاب**﴾، قال ابن عباس: هو السيف يوم بدر. وقال الضحاك: يعني الجوع حين دعا عليهم رسول الله ﷺ، فقال : «اللهم اشدد وَطْأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسنيّ يوسف»[1]، فابتلاهم الله عزّ وجلّ بالقحط حتى أكلوا الكلاب والجيف. ﴿**إذا هم يجأرون**﴾ يضجون ويجزعون ويستغيثون، وأصل الجأر: رفع الصوت بالتضرع .

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الدعوات، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة: ١١/١٩٣-١٩٤، ومسلم في المساجد، باب: استحباب القنوت في جميع الصلاة، برقم (٦٧٥) ١/٤٦٦-٤٦٧ .

لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾

﴿لا تجأروا اليوم﴾، أي لا تضجوا، ﴿إنكم منّا لا تنصرون﴾، لا تمنعون منا ولا ينفعكم تضرعكم.

﴿قد كانت آياتي تُتلى عليكم﴾، يعني القرآن، ﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ ترجعون القهقرى تتأخرون عن الإيمان.

﴿مستكبرين به﴾، اختلفوا في هذه الكناية، فأظهر الأقاويل أنها تعود إلى البيت الحرام كناية عن غير مذكور، أي: مستكبرين متعظمين بالبيت الحرام، وتعظُّمهم به أنهم كانوا يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته، فلا يظهر علينا أحد، ولا نخاف أحداً، فيأمنون فيه وسائر الناس في الخوف، هذا قول ابن عباس ومجاهد، وجماعة، وقيل: «مستكبرين به» أي: بالقرآن فلم يؤمنوا به. والأول أظهر، المراد منه الحرم، ﴿سامراً﴾، نصب على الحال، أي أنهم يسمرون بالليل في مجالسهم حول البيت، ووحّد سامراً وهو بمعنى السمّار لأنه وضع موضع الوقت، أراد تهجرون ليلاً. وقيل: وحّد سامراً، ومعناه الجمع /، كقوله: «ثم نخرجكم طفلاً» (الحج ـ ٥)، ﴿تهجرون﴾، قرأ نافع ٣٢/ب
«تُهجِرون» بضم التاء وكسر الجيم من الإهجار وهو الإفحاش في القول، أي: تفحشون وتقولون الخنا، وذكر أنهم كانوا يسبون النبي ﷺ وأصحابه، وقرأ الآخرون: «تَهجُرون» بفتح التاء وضم الجيم، أي: تعرضون عن النبي ﷺ وعن الإيمان والقرآن، وترفضونها. وقيل: هو من الهجر وهو القول القبيح، يقال هجر يهجر هجراً إذا قال غير الحق. وقيل: تهزؤون وتقولون مالا تعلمون، من قولهم: هجر الرجل في منامه، إذا هذى.

﴿أفلم يدّبّروا﴾، آي: يتدبروا، ﴿القول﴾، يعني: ما جاءهم من القول وهو القرآن، فيعرفوا ما فيه من الدلالات على صدق محمد ﷺ، ﴿أم جاءهم مالم يأتِ آباءَهم الأولين﴾، فأنكروا، يريد إنا قد بعثنا من قبلهم رسلاً إلى قومهم كذلك بعثنا محمداً ﷺ إليهم. وقيل: «أم» بمعنى بل، يعني: جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين فلذلك أنكروا.

﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾، محمداً ﷺ، ﴿فهم له منكِرون﴾، قال ابن عباس: أليس قد عرفوا محمداً ﷺ صغيراً وكبيراً، وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود. وهذا على سبيل التوبيخ

أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ
أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ
فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ
ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ
عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾

لهم على الإعراض عنه بعدما عرفوه بالصدق والأمانة .

﴿أم يقولون به جِنَّة﴾، جنون، وليس كذلك، ﴿بل جاءهم بالحق﴾، يعني بالصدق والقول الذي لا تخفى صحتُه وحسنُه على عاقل، ﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾ .

﴿ولو اتبع الحقُّ أهواءَهم﴾، قال ابن جريج ومقاتل والسدي وجماعة: «الحق» هو الله، أي: لو اتبع الله مرادهم فيما يفعل، وقيل: لو اتبع مرادهم، فسمى لنفسه شريكاً وولداً كما يقولون: ﴿لفسدتِ السمواتُ والأرض﴾، وقال الفراء والزجاج: والمراد بالحق القرآن أي: لو نزل القرآن بما يحبون من جعل الشريك والولد على ما يعتقدونه ﴿لفسدتِ السمواتُ والأرضُ ومن فيهن﴾، وهو كقوله تعالى: «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» (الأنبياء ـ ٢٢) .

﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾، بما يذكرهم، قال ابن عباس: أي: بما فيه فخرُهم وشرفُهم، يعني القرآن، فهو كقوله تعالى: «لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم» (الأنبياء ـ ١٠)، أي: شرفكم، «وإنه لذكرٌ لك ولقومك» (الزخرف ـ ٤٤)، أي: شرف لك ولقومك. ﴿فهم عن ذكرهم﴾، يعني عن شرفهم، ﴿معرضون﴾ .

﴿أم تسئلهم﴾، على ما جئتهم به، ﴿خرْجاً﴾، أجراً وجُعْلاً، ﴿فخراجُ ربك خير﴾، أي: ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير، ﴿وهو خير الرازقين﴾، قرأ حمزة والكسائي : «خراجاً» «فخراج» كلاهما بالألف، وقرأ ابن عامر كلاهما بغير ألف، وقرأ الآخرون: «خرجاً» بغير ألف «فخراج» بالألف .

﴿وإنّك لتدعوهم إلى صراط مستقيم﴾، وهو الإسلام .

﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط﴾، أي: عن دين الحق، ﴿لناكِبُون﴾، لعادلون مائلون .

﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾
وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم
بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾

﴿**ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر**﴾، قحط وجدوبة ﴿**لَلَجُّوا**﴾، تمادَوْا، ﴿**في طغيانهم يعمهون**﴾، ولم ينزعوا عنه .

﴿**ولقد أخذناهم بالعذاب**﴾، وذلك أن النبي ﷺ دعا على قريش أن يجعل عليهم سنين كسني يوسف، فأصابهم القحط، فجاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ وقال أنشُدُك الله والرحم، ألستَ تزعُمُ أنك بعثت رحمة للعالمين؟ فقال: بلى، فقال: قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فادعُ الله أن يكشفَ عنا هذا القحط، فدعا فكُشِفَ عنهم، فأنزل الله هذه الآية(1) : ﴿**فما استكانوا لِربِّهم**﴾، أي: ما خضعوا وما ذلوا لربهم، وأصله طلب السكون، ﴿**وما يتضرعون**﴾، أي: لم يتضرعوا إلى ربهم بل مضَوْا على تمردهم .

﴿**حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذابٍ شديد**﴾، قال ابن عباس: يعني القتل يوم بدر، وهو قول مجاهد، وقيل: هو الموت. وقيل: هو قيام الساعة، ﴿**إذا هم فيه مبلسون**﴾، آيسون من كل خير .

﴿**وهو الذي أنشأ لكم السمع**﴾، أي: أنشأ لكم الأسماع ﴿**والأبصار والأفئدة**﴾، لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا، ﴿**قليلاً ما تشكرون**﴾، أي: لم تشكروا هذه النعم .

﴿**وهو الذي ذرأكم**﴾، خلقكم، ﴿**في الأرض وإليه تُحشرون**﴾، تبعثون .

﴿**وهو الذي يحيي ويميت وله اختلافُ الليل والنهار**﴾، أي: تدبير الليل والنهار في الزيادة والنقصان، قال الفرَّاء: جعلهما مختلفين، يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض، ﴿**أفلا تعقلون**﴾، ما ترون من صنعه فتعتبرون .

---

(1) انظر الطبري: ١٨/٤٥، أسباب النزول للواحدي ص٣٦٢ـ٣٦٣، الدر المنثور: ٦/١١١، الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل بن هادي ص١٠٠ .

بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾
سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ
يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾

﴿بل قالوا مثلَ ما قال الأولون﴾، أي: كذبوا كما كذب الأولون.

﴿قالوا أئذا مِتنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾، لمحشورون، قالوا ذلك على طريق الإنكار والتعجب.

﴿لقد وُعِدنا نحن وآباؤنا هذا﴾، الوعد، **﴿من قبل﴾**، أي: وعد آباءَنا قومٌ ذكروا أنهم رسلُ الله فلم نَرَ له حقيقةً، **﴿إنْ هذا إلا أساطير الأولين﴾**، أكاذيب الأولين.

﴿قل﴾، يامحمد مجيباً لهم، يعني أهل مكة، **﴿لمنِ الأرضُ ومن فيها﴾**، من الخلق، **﴿إن كنتم تعلمون﴾**، خالقها ومالكها.

﴿سيقولون لله﴾، ولابدّ لهم من ذلك لأنهم يقرون أنها مخلوقة. **﴿قل﴾** لهم إذا أقروا بذلك: **﴿أفلا تذكرون﴾**، فتعلمون أن من قدر على خلق الأرض ومن فيها ابتداءً يقدر على إحيائهم بعد الموت.

﴿قل من ربُّ السموات السبع وربُّ العرش العظيم﴾.

﴿سيقولون لله﴾، قرأ العامة «لله» ومثله ما بعده، فجعلوا الجواب على المعنى، كقول القائل للرجل: من مولاك؟ فيقول: لفلان، أي أنا لفلان وهو مولاي. وقرأ أهل البصرة فيهما «الله» وكذلك هو في مصحف أهل البصرة، وفي سائر المصاحف، مكتوب بالألف كالأول، **﴿قل أفلا تتقون﴾**، تحذرون.

﴿قل من بيده ملكوت كل شيء﴾، الملكوت الملك، والتاء فيه للمبالغة، **﴿وهو يُجير﴾**، أي: يُؤَمِّنُ مَنْ يشاء **﴿ولا يُجار عليه﴾**، أي: لا يُؤَمِّنُ مَنْ أخافَه الله، أو يَمنعُ هو من السوء من يشاء، ولا يُمنعُ منه من أراده بسوء، **﴿إن كنتم تعلمون﴾**، قيل: معناه أجيبوا إن كنتم تعلمون.

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾

﴿**سيقولون لله قل فأنّى تُسحرون**﴾، أي: تخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته، والمعنى: كيف يُخَيَّل لكم الحقُّ باطلاً ؟

﴿**بل أتيناهم بالحق**﴾ بالصدق ﴿**وإنهم لكاذبون**﴾ فيما يدعون من الشريك والولد / . ٣٣/أ

﴿**ما اتَّخذَ الله من ولدٍ وما كان معه من إله**﴾، أي: من شريك، ﴿**إذاً لذهب كل إله بما خلق**﴾، أي: تفرَّدَ بما خلقه فلم يرضَ أن يُضافَ خلقُهُ وإنعامُهُ إلى غيرِهِ، ومَنَعَ الإله الآخر عن الاستيلاء على ما خلق. ﴿**ولعلا بعضُهم على بعضٍ**﴾، أي: طلب بعضهم مغالبةَ بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم، ثم نزّه نفسَهُ فقال: ﴿**سبحان الله عمّا يصفون**﴾ .

﴿**عالِمِ الغيب والشهادة**﴾ قرأ أهل المدينة والكوفة غير حفص: «عالم» برفع الميم على الابتداء، وقرأ الآخرون بجرها على نعت الله في سبحان الله، ﴿**فتعالى عمّا يُشركون**﴾، أي: تعظَّم عما يشركون، ومعناه أنه أعظمُ من أن يُوصفَ بهذا الوصف .

قوله : ﴿**قل ربِّ إمّا تُرِيَنِّي**﴾، أي: إن أريتني، ﴿**ما يوعدون**﴾، أي: ما أوعدتهم من العذاب .

﴿**ربِّ**﴾، أي: يارب، ﴿**فلا تجعلني في القوم الظالمين**﴾، أي: لا تهلكني بهلاكهم .

﴿**وإنّا على أن نُريَكَ ما نَعِدُهم**﴾، من العذاب لهم، ﴿**لقادرون**﴾ .

﴿**ادفع بالتي هي أحسن**﴾، أي: ادفع بالخُلَّةِ التي هي أحسن، هي الصفح والإعراض والصبر، ﴿**السيئة**﴾، يعني أذاهم، أمرهم بالصبر على أذى المشركين والكف عن المقاتلة، نسختها آية السيف[1] ﴿**نحن أعلم بما يصفون**﴾، يكذبون ويقولون من الشرك .

---

(١) تقدم في أكثر من موضع أن العلماء توسعوا في نسخ كثير من آيات الصبر والمسالمة والحسنى بآية السيف، والحق أنه لا نسخ في هذا انظر فيما سبق: ٣/٣٢-٣٣ .

وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾
حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ
كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى
ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾

﴿وقلْ ربِّ أعوذُ بك﴾، أي: أمتنعُ وأعتصمُ بك، ﴿من هَمَزاتِ الشياطين﴾، قال ابن عباس: نزغاتهم. وقال الحسن: وساوسهم. وقال مجاهد: نفخهم ونفثهم. وقال أهل المعاني: دفعهم بالإغواء إلى المعاصي، وأصل الهمز شدة الدفع .

﴿وأعوذ بك ربِّ أن يحضرون﴾، في شيء من أموري، وإنما ذكر الحضور لأن الشيطان إذا حضره يوسوسه. ثم أخبر أن هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند معاينة الموت، فقال:

﴿حتى إذا جاء أحدَهم الموتُ قال ربِّ ارجعونِ﴾، ولم يقل ارجعني، وهو يسأل الله وحده الرجعة، على عادة العرب فإنهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم، كما أخبر الله تعالى عن نفسه فقال : «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» (الحجر ـ ٩)، ومثله كثير في القرآن. وقيل: هذا الخطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه ابتداء بخطاب الله لأنهم استغاثوا بالله أولاً ثم رجعوا إلى مسألة الملائكة الرجوع إلى الدنيا .

قوله تعالى : ﴿لعلّي أعملُ صالحاً فيما تركت﴾، أي: ضيّعتُ أن أقولَ لا إله إلا الله. وقيل: أعمل بطاعة الله. قال قتادة: ما تمنى أن يرجع إلى أهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فرحم الله امرءاً عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب، ﴿كلا﴾، كلمة ردع وزجر، أي: لا يرجع إليها، ﴿إنها﴾ يعني: سؤاله الرجعة، ﴿كلمةٌ هو قائلها﴾، [ولا ينالها][(1)]، ﴿ومن ورائهم برزخٌ﴾، أي أمامهم وبين أيديهم حاجز، ﴿إلى يوم يبعثون﴾، والبرزخ الحاجز بين الشيئين، واختلفوا في معناه هاهنا، فقال مجاهد: حجاب بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا. وقال قتادة: بقية الدنيا. وقال الضحاك: البرزخ ما بين الموت إلى البعث. وقيل: هو القبر، وهم فيه إلى يوم يبعثون .

﴿فإذا نُفِخَ في الصُّورِ فلا أنسابَ بينهم﴾، اختلفوا في هذه النفخة، فروى سعيد بن جبير

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب» .

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٢﴾

عن ابن عباس: أنها النفخة الأولى «ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض» (الزمر ـ ٦٨)، ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾، «ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون» (الزمر ـ ٦٨)، «وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون» (الصافات ـ ٢٧).

وعن ابن مسعود: أنها النفخة الثانية، قال: يؤخذ بيد العبدِ والأَمَةِ يوم القيامة فيُنصبُ على رؤوس الأولين والآخرين ثم ينادي منادٍ: هذا فلان ابن فلان، فمن كان له قِبَله حق فليأت إلى حقه، فيفرح المرء أن [يكون له](١) الحق على والده وولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه، ثم قرأ ابن مسعود «فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون»(٢).

وفي رواية عطاء عن ابن عباس: أنها الثانية فلا أنساب بينهم أي: لا يتفاخرون بالأنساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون في الدنيا، ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا: مَنْ أنت ومن أي قبيلة أنت؟ ولم يرد أن الأنساب تنقطع.

فإن قيل: أليس قد جاء في الحديث: «كل سبب ونسب ينقطع إلا نسبي وسببي»(٣).

قيل: معناه لا يبقى(٤) يوم القيامة سبب ولا نسب إلا نسبه وسببه، وهو الإيمان والقرآن.

فإن قيل: قد قال هاهنا ﴿ولا يتساءلون﴾ وقال في موضع آخر: «وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون» (الصافات ـ ٢٧)؟.

الجواب: ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن للقيامة أحوالاً ومواطن، ففي موطن يشتد عليهم الخوف، فيشغلهم عِظَمُ الأمرِ عن التساؤل فلا يتساءلون، وفي موطن يفيقون إفاقةً فيتساءلون(٥).

﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾.

---

(١) في «ب» قد وجب.

(٢) أخرج الروايتين الطبري: ١٨/٥٤.

(٣) قطعة من حديث أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/١٤٢ عن عمر رضي الله عنه وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: منقطع، والطبراني: ٣/٣٧، قال الهيثمي: ٤/٢٧٢: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، والبيهقي: ٧/١١٤، وذكره ابن حجر في المطالب العالية: ٤/١٧٧ ونسبه لابن أبي عمر، وقال البوصيري: رواته ثقات، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦/١١٧ للبزار والضياء في المختارة، وانظر: تفسير ابن كثير: ٣/٢٥٧.

(٤) في «ب» لا ينفع.

(٥) انظر مسائل الرازي وأجوبتها ص ٢٣٨.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون﴾ .

﴿تلفح وجوههم النار﴾. أي: تسفع، وقيل: تحرق، **﴿وهم فيها كالحون﴾**، عابسون .

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أخبرنا محمد بن أحمد الحارثي، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبدالله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، أخبرنا عبدالله بن المبارك، عن سعيد بن يزيد، عن أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «وهم فيها كالحون، قال: تشويه النار، فتقلِصُ شفتهُ العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفتُه السفلى حتى تضربَ سرته»[1]، وبهذا الإسناد عن عبدالله بن المبارك عن حاجب بن عمر عن الحكم ابن الأعرج قال: قال أبو هريرة : «يعظم الكافر في النار مسيرة سبع ليال، فيصير ضرسه مثل أُحد، وشفاههم عند سررهم، سود زرق خسر مقبوحون»[2]/ . ٣٣/ب

قوله عزّ وجلّ : **﴿ألم تكن آياتي تُتلَى عليكم﴾**، يعني القرآن، تخوَّفون بها، **﴿فكنتم بها تكذبون﴾** .

﴿قالوا ربنا غلبت علينا شِقْوَتُنا﴾، قرأ حمزة والكسائي: «شقاوتنا» بالألف وفتح الشين، وهما لغتان أي: غلبت علينا شقوتنا التي كتبت علينا فلم نهتد. **﴿وكنا قوماً ضالّين﴾**، عن الهدى .

﴿ربنا أخرِجْنَا منها﴾، أي: من النار، **﴿فإن عُدْنا﴾**، لما تكره **﴿فإنا ظالمون﴾** .

﴿قال اخسئوا﴾، أبعدوا، **﴿فيها﴾**، كما يقال للكلب إذا طُرِد: اخسأ، **﴿ولا تُكلِّمونِ﴾**، في رفع العذاب، فإني لا أرفعه عنكم، فعند ذلك أيس المساكين[3] من الفرج، قال الحسن: هو آخر

---

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة المؤمنون: ٩/٢٠، وقال: «هذا حديث حسن غريب صحيح»، والإمام أحمد: ٣/٨٨، والحاكم: ٢/٣٩٥ وصححه ووافقه الذهبي، وعزاه ابن حجر في الكافي الشاف صفحة (١١٦) للبيهقي في الشعب من رواية أبي السمح عن الهيثم بن أبي سعيد، وعزاه السيوطي أيضاً: ٦/١١٨ لعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية .
وانظر: الترغيب والترهيب: ٤/٤٨٦، تفسير ابن كثير: ٣/٢٥٨ .

(٢) انظر: كنز العمال: ١٤/٥٢٩-٥٣٠ .

(٣) في «ب» المشركون .

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ١١٠ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ١١١﴾

كلام يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعدها إلا الشهيق والزفير، ويصير لهم عواء كعواء الكلاب لا يَفهمون ولا يُفْهِمون، روي عن عبدالله بن عمرو: أن أهل جهنم يدعون مالكاً خازن النار أربعين عاماً:[1] «يامالكُ ليقضِ علينا ربك» (الزخرف ـ ٧٧) فلا يجيبهم، ثم يقول: «إنكم ماكثون» (الزخرف ـ ٧٧)، ثم ينادون ربهم: ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾، فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم: ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾، فلا ينبس القوم بعد ذلك بكلمة إن كان إلا الزفير والشهيق.

وقال القرطبي: إذا قيل لهم: «اخسئوا فيها ولا تكلمون» انقطع رجاؤهم، وأقبل بعضهم ينبح في وجه بعض، وأطبقت عليهم.

﴿إنه﴾ الهاء في «إنه» عماد وتسمى أيضاً المجهولة، ﴿كان فريق من عبادي﴾، وهم المؤمنون ﴿يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين﴾.

﴿فاتخذتموهم سِخْرِيًّا﴾، قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي: «سُخرياً» بضم السين هاهنا وفي سورة ص، وقرأ الباقون بكسرهما، واتفقوا على الضم في سورة الزخرف. قال الخليل: هما لغتان مثل قولهم: بحر لُجي، ولِجي بضم اللام وكسرها، مثل كوكب دُري ودِري، قال الفراء والكسائي: الكسر بمعنى الاستهزاء بالقول، والضم بمعنى التسخير والاستعباد بالفعل، واتفقوا في سورة الزخرف بأنه بمعنى التسخير، ﴿حتى أنسَوْكم﴾ أي: أنساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم وتسخيرهم، ﴿ذكري، وكنتم منهم تضحكون﴾ نظيره: «إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون» (المطففين ـ ٢٩) قال مقاتل: نزلت في بلال وعمار وخباب وصهيب وسلمان والفقراء من الصحابة، كان كفار قريش يستهزؤون بهم[2].

﴿إني جزيْتُهُمُ اليومَ بما صبروا﴾، على أذاكم واستهزائكم في الدنيا، ﴿أنهم همُ الفائزون﴾، قرأ حمزة والكسائي «أنهم» بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الآخرون بفتحها، فيكون في موضع المفعول الثاني إني جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز بالجنة.

---

(١) أخرجه الحاكم: ٣٩٥/٢ وصححه ووافقه الذهبي، لكن بلفظ «يوماً» بدل عام.

(٢) انظر البحر المحيط: ٤٢٣/٦.

﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾

﴿قال كم لبثتم﴾، قرأ حمزة والكسائي: «قل كم لبثتم» على الأمر. ومعنى الآية: قولوا أيها الكافرون، فأخرج الكلام مخرج الواحد، والمراد منه الجماعة، إذ كان معناه مفهوماً، ويجوز أن يكون الخطاب لكل واحد منهم، أي قل أيها الكافرون، وقرأ ابن كثير: قل كم، على الأمر، وقال «أن» على الخبر، لأن الثانية جواب، وقرأ الآخرون: «قال» فيهما جميعاً، أي: قال الله عز وجل للكفار يوم البعث: كم لبثتم؟ ﴿في الأرض﴾، أي: في الدنيا وفي القبور ﴿عدد سنين﴾.

﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾، نسوا مدة لبثهم في الدنيا لعظم ما هم بصدده من العذاب، ﴿فاسئل العادّين﴾، الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحصونها عليهم.

﴿قال إنْ لبثتم﴾ أي: ما لبثتم في الدنيا، ﴿إلا قليلاً﴾، سماه قليلاً لأن الواحد وإن طال مكثه في الدنيا فإنه يكون قليلاً في جنب ما يلبث في الآخرة، لأن لبثه في الدنيا وفي القبر متناهٍ، ﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾، قدر لبثكم في الدنيا.

قوله عزّ وجل: ﴿أفحسِبْتُم أنما خلقناكم عَبَثاً﴾، لعباً وباطلاً لا لحكمة، وهو نصب على الحال، أي: عابثين. وقيل: للعبث، أي: لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب، وهو مثل قوله: «أيحسب الإنسان أن يترك سُدى» (القيامة ـ ٣٦)، وإنما خلقتم للعبادة وإقامة أوامر الله عزّ وجلّ، و﴿أنكم إلينا لا ترجعون﴾، أي: أفحسبتم أنكم إلينا لا ترجعون في الآخرة للجزاء، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب لا «تَرجِعون» بفتح التاء وكسر الجيم.

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد ابن أحمد بن عبد الجبار الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا بشر بن عمر، أخبرنا عبدالله بن لهيعة، أخبرنا عبدالله بن هبيرة، عن حنش، أن رجلاً مصاباً مُرّ به على ابن مسعود فرقاه في أذنيه: ﴿أفحسبتم أنَّما خلقناكم عبثاً﴾ حتى ختم السورة فبرأ، فقال رسول الله ﷺ: «بماذا رقيت في أذنه»؟ فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال»[1].

---

(١) عزاه السيوطي في الدر: (١٢٢/٦) للحكيم الترمذي، وأبي يعلى، وابن أبي حاتم، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص (٢٩٨)، وأبي نعيم في الحلية ٧/١، وابن مردويه.
وفي إسناده: سلام بن رزين، لا يعرف وحديثه باطل. وذكره الذهبي في الميزان: (١٧٥/٢) وقال: قال العقيلي: حدثنا عبدالله ابن أحمد بن حنبل قال... وساق الحديث: فقال أبي: هذا موضوع، هذا حديث الكذابين.

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ
ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ
﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

ثم نزّه الله نفسَه عمّا يصفه به المشركون، فقال جل ذكره : ﴿**فتعالى الله الملك الحق لا إله إلاّ هو ربُّ العرشِ الكريم**﴾، يعني السرير الحسن. وقيل: المرتفع.

﴿**ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به**﴾، أي: لا حجة له به ولا بينة، لأنه لا حجة في دعوى الشرك، ﴿**فإنما حسابه**﴾، جزاؤه، ﴿**عند ربه**﴾، يجازيه بعمله، كما قال تعالى : «ثم إنّ علينا حسابهم» (الغاشية ــ ٢٦)، ﴿**إنه لا يفلح الكافرون**﴾، لا يسعد من جحد وكذب.

﴿**وقلْ ربِّ اغفرْ وارحمْ وأنتَ خيرُ الراحمين**﴾ .